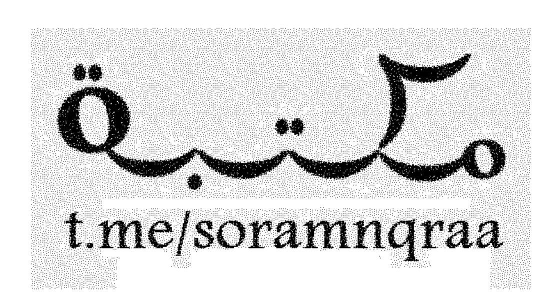
مكتبة

غوستاف دالمان

القدس ومحيطها الطبيعي

ترجمة: عمر الغول





القدس ومحيطها الطبيعي

هذه السلسلة

في سياق الرسالة الفكرية التي يضطلع بها "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات"، وفي إطار نشاطه العلمي والبحثي، تُعنى "سلسلة ترجمان" بتعريف قادة الرأي والنخب التربوية والسياسية والاقتصادية العربية إلى الإنتاج الفكري الجديد والمهم خارج العالم العربي، من طريق الترجمة الأمينة الموثوقة المأذونة، للأعمال والمؤلفات الأجنبية الجديدة أو ذات القيمة المتجددة في مجالات الدراسات الإنسانية والاجتماعية عامة، وفي العلوم الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية والثقافية بصورة خاصة.

وتستأنس "سلسلة ترجمان" وتسترشد بآراء نخبة من المفكرين والأكاديميين من مختلف البلدان العربية، لاقتراح الأعمال الجديرة بالترجمة، ومناقشة الإشكالات التي يواجهها الدارسون والباحثون والطلبة الجامعيون العرب كالافتقار إلى النتاج العلمي والثقافي للمؤلفين والمفكرين الأجانب، وشيوع الترجمات المشوَّهة أو المتدنية المستوى.

وتسعى هذه السلسلة، من خلال الترجمة عن مختلف اللغات الأجنبية، إلى المساهمة في تعزيز برامج "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات" الرامية إلى إذكاء روح البحث والاستقصاء والنقد، وتطوير الأدوات والمفاهيم وآليات التراكم المعرفي، والتأثير في الحيز العام، لتواصل أداء رسالتها في خدمة النهوض الفكري، والتعليم الجامعي والأكاديمي، والثقافة العربية بصورة عامة.

القدس ومحيطها الطبيعي

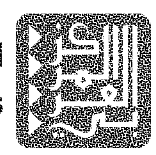
غوستاف دالمان

ترجمة
عمر الغول

مراجعة
محمد أبو زيد

التحرير وضبط أسماء المواقع والتعابير باللهجات المحلية
صقر أبو فخر

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies



الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

دالمان، غوستاف هيرمان، 1855-1941

القدس ومحيطها الطبيعي/ غوستاف دالمان؛ ترجمة عمر الغول؛ مراجعة محمد أبو زيد؛ التحرير وضبط أسماء المواقع والتعابير باللهجات المحلية صقر أبو فخر.

448 صفحة: ايضاحيات، خرائط؛ 24 سم. - (سلسلة ترجمان)

يشتمل على إرجاعات ببليوغرافية وفهرس عام.

ISBN 978-614-445-556-2

1. القدس (فلسطين) - وصف ورحلات. 2. القدس (فلسطين) - أحياء وضواحي. 3. القدس (فلسطين) - تاريخ. أ. الغول، عمر (مترجم). ب. أبو زيد، محمد (مراجع). ج. أبو فخر، صقر (محرر). د. العنوان. هـ. السلسلة.

915.6944204

هذه ترجمة لكتاب

Jerusalem und sein Gelände

By Gustaf Dalman

Schriften des Deutschen Palästina-Instituts

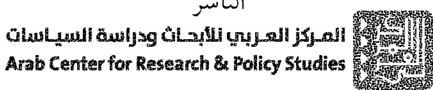
herausgegeben von G. Dalman

4. Band

عن دار النشر

C. Bertelsmann Verlag, Gütersloh, 1930

الناشر



شارع الطرفة - منطقة 70

وادي البنات - ص. ب: 10277 - الظعاين، قطر

هاتف: 00974 40356888

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174

ص. ب: 4965 11 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان

هاتف: 8 37 18 99 1 00961 فاكس: 00961 1991839

البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org

الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

الطبعة الأولى

بيروت، تشرين الأول/ أكتوبر 2023

تنبيه من المحرر

1 - جميع العبارات الموجودة بين مركّنين [....] غير موجودة في الأصل الألماني، وهي من وضع المترجم أو المحرر.

2 - ترد في الكتاب عبارات كثيرة مثل "يهودا والسامرة" أو "القدس اليهودية" أو "صحراء يهودا" أو "الهيكل" وغيرها. وقد تعاملنا مع تلك العبارات بما يقتضيه سياق المعنى؛ فإذا كان النص يتحدث عن التاريخ القديم، وكانت الاستشهادات التي استند إليها المؤلف من العهد القديم مثلًا، تركنا عبارة "يهودا والسامرة"، كما هي مع إضافة جملة "الضفة الغربية" بين مركّنين، أي بين قوسين كبيرين. أما إذا كان الكلام يدور على الأزمنة الحديثة، خصوصًا منذ العهد العربي فصاعدًا نحو الفترة المملوكية والعثمانية، وصولًا حتى عهد الانتداب البريطاني، فأينما وردت عبارة "يهودا والسامرة" وضعنا بدلًا منها "الضفة الغربية"، وجعلنا الجملة بين قوسين كبيرين. وإذا وردت كلمة "الهيكل" جعلنا كلمة المسجد الأقصى، في محلها، أو "الحرم القدسي"، بحسب سياق الكلام.

3 - اكتفينا بإيراد أسماء الشهور السريانية (كانون الثاني، شباط، آذار، نيسان ...إلخ)، ولم نضع دائمًا بعد كل شهر ما يقابله من الشهور القبطية (يناير، فبراير، مارس، أبريل ...إلخ) لأن المؤلف استرسل في كتابة أسماء الشهور العبرية، فصار لدينا أحيانًا اسم الشهر بالعربية والعبرية والقبطية، وإضافة اسم الشهر القبطي سيُثقل النص، ويجعل العبارة طويلة ومُربكة، مع ما في ذلك من احتمال الغلط في مطابقة أسماء الشهور العبرية والسريانية حيث أنها متقاربة وغير متطابقة، وبين هذه وتلك فروق يعرفها أهل الاختصاص.

4 – ترد كثيرًا عبارة "المصادر الربانية" و"الأدبيات الربانية" نسبة إلى الربيين، أي الحاخامات من ذوي المراتب العليا، أو الحكماء. وحتى لا يختلط المعنى بالربوبية (نسبة إلى الرب)، استعملنا عبارة "الأدبيات الحاخامية" أو "المصادر الحاخامية".

5 – كثيرًا ما ترد في متن الكتاب إحالات إلى النص الأصلي، مثل: "يُنظر ص 140 وما يليها". إن أرقام هذه الصفحات تعود حكمًا إلى النص الألماني وليس إلى النص العربي.

6 – فَاضلْنا بين مصطلح "الترجمة السبعونية"، وهو الرائج والمقبول، و"الترجمة السبعينية"، فاخترنا الأول.

7 – كل صورة لم يُذكر اسم المصور تحتها تعني أن المصور غير معروف.

8 – إذا كان اسم المكان يُلفظ بأكثر من صيغة (بير السبع – بئر السبع، طاليتا قومي – طاليثا قومي، دورميثيون – دورميسيون، درب الآلام – طريق الآلام، باطن الهوا – بطن الهوا، غولغوثا – الجلجلة – الجلجثة) فقد اجتهدنا في اختيار اللفظ الأكثر ورودًا في المصادر العلمية أو السجلات الرسمية، أو الأكثر شيوعًا على ألسنة الناس مما لا يتعارض والمصادر العلمية.

9 – وضعنا لكل مجلد فهرسًا شاملًا للأعلام والجماعات والموضوعات والأماكن، ولم نلتزم الفهرس الوارد في النص الألماني.

المحتويات

الاختصارات

JPOS = *Journal of the Palestine Oriental Society.*

PEFQ = *Palestine Exploration Fund Quarterly.*

PJB = *Palästinajahrbuch.*

PPTS = Palestine Pilgrims' Text Society.

ZDPV = *Zeitschrift des Deutschen Palästina - Vereins.*

D = Dalman, *Hundert deutsche Fliegerbilder aus Palästina* (1925).

M = Mader, Ibid., pp. 125ff.

قائمة الصور

أولًا: الصور الجوية

ثانيًا: الصور الأرضية

تقديم

دالمان وإحياء المشهد التاريخي للقدس القديمة

صقر أبو فخر

أَلقتْ الاكتشافات الأخيرة لعلم الآثار في فلسطين، ولا سيما في الخمسين سنة الماضية، شكوكًا جدية على الأساس التاريخي للحكايات التوراتية المتداولة والمشهورة، مثل رحلات آباء اليهود الأولين (إبراهيم وإسحاق ويعقوب)، والخروج الجماعي لأسلاف اليهود من مصر، وغزوهم بلاد كنعان ابتداء من مدينتَي أريحا وعاي الفلسطينيتين، ثم تأسيسهم الخرافي لدولة يهودا. وقد تطورت لدى كثير من دارسي تاريخ فلسطين القديم نظرية تقول إن اليهود هم أول مَن استوطن المرتفعات والتلال في مدينة القدس. وهذه النظرية رفضها الآثاريون المحايدون لأن علم الآثار نفسه لم يبرهن صحتها على الإطلاق. ومع ذلك ظل كثير من المؤرخين الذين يؤمنون بالروايات التوراتية ينسبون إلى اليهود القدامى عملية الاستيطان في مرتفعات القدس منذ نحو 1200 سنة قبل الميلاد، وأنهم هم الذين أزالوا الأحراج، وأنشأوا المصاطب الزراعية (الجُلول)، وغرسوا الأشجار المثمرة، وحفروا الآبار والبُرك والأحواض. وهذه الأمور، كما أظهرت الدراسات الآثارية والإثنوغرافية، لم تكن قط من ابتداع اليهود، بل كانت معروفة وشائعة في سوريا التاريخية كلها. ولم يتردد يسرائيل فنكلشتاين، وهو من أبرز علماء الآثار في إسرائيل اليوم، من دحض حكايات التوراة ونقض النظريات المتعددة لبدايات الاستيطان اليهودي في القدس، فأكد أن مساحة مدينة القدس في القرن السابع

قبل الميلاد (وهو التاريخ الرائج لقيام دولة يهودية في القدس ومحيطها) كانت لا تزيد على عشرة هكتارات أو اثني عشر هكتارًا على الأكثر، وأن عدد سكانها لم يكن يزيد على ألف نسمة، الأمر الذي يدحض فرضية اعتبار القدس عاصمة لدولة يهودية مترامية الأطراف[1].

يروي سفر صموئيل الثاني وسفر الملوك الأول في العهد القديم (The Old Testament) أن الملك شاؤول أسس مملكة تمتد بين نهري الفرات والنيل، ثم أورثها داود الذي سلّمها إلى ابنه سليمان الذي بنى هيكلًا في مدينة أورشليم، ودعاها مدينة داود. لكن علماء الآثار لم يتمكنوا من العثور على أي اسم لداود وسليمان في أي نقش أو حجر أو خشبة في نحو ثلاثمئة موقع تجري فيها أعمال الحفر في القدس ومحيطها. وتبين، بالتدريج، أن لا مدينة لداود ظهرت في موقع القدس، ولا أسوار كانت موجودة في الزمن المفترض لداود وسليمان. وحتى لو افترضنا أن مملكة داود، والأصح مملكة شاؤول، قد ظهرت حقًا، ثم تولاها بعده داود وسليمان، وانقسمت بعد سليمان إلى يهودا والسامرة، فإن تلك المملكة لم تكن غير تجمّع لقبائل، أو اتحاد قبلي في ما عُرف بـ"أسباط بني اسرائيل" الاثني عشر؛ وتلك الدولة الموهومة لا تحتل إلا برهة عابرة في تاريخ فلسطين القديم. ولا ريب أن أكثر المسائل حضورًا في الفكر التوراتي، وفي الأفكار التي استندت إلى الرواية التوراتية هو هيكل سليمان في القدس. لكن الحفريات تحت المسجد الأقصى التي ما برحت قائمة على قدم وساق منذ ست وخمسين سنة، أي منذ احتلال القدس الشرقية في عام 1967، وتكاد لا تتوقف البتة، حتى صار ما تحت الحرم القدسي عبارة عن أنفاق متقاطعة مثل ما يسمونه نفق الحشمونيين (طوله 488 مترًا)، لم تعثر ولو على لُقية واحدة تدل على وجود هيكل سليمان في ذلك المكان. وأبعد من القدس، لم يُعثر على أي دليل يشير، ولو من باب الاحتمال، إلى صحة الروايات التوراتية، ولا سيما رواية الخروج من مصر. إن أربعين سنة من حكايات التيه في سيناء لجماعة تَعُدّ ستمئة ألف شخص، لم تتح لأولئك الفارّين

---

(1) يُنظر في هذا الميدان كتاب *The Bible Unearthed* الذي صدرت ترجمته إلى العربية: **إسرائيل فنكلشتاين ونيل آشر سيلبرمان، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها**، ترجمة سعد رستم (دمشق: دار صفحات للدراسات والنشر، 2007)، ص 25 و297.

من مصر أن يخلّفوا وراءهم أثرًا واحدًا، أو إشارة مادية واحدة تؤكد وجودهم في مصر، أو في تلك المنطقة طوال تلك الفترة؛ فلا آثار لمساكن أو أدوات، ولا قبورَ أو عظامَ أو آثارَ لخِيَمٍ أو أماكن سكن. ولم تتمكن جميع الحفريات التي أكبّت عليها كاتلين كينيون في القدس وأريحا بين العامين 1961 و1967، من اكتشاف أي آثار معمارية، أو مادية غير معمارية، يمكن أن تُنسب إلى داود أو إلى ابنه سليمان؛ فالسور والبرج اللذان يُنسبان إلى الملك داود في القدس جرى التأكد بشكل علمي قاطع أنهما يعودان إلى المرحلة الهلنستية. وحتى "اسطبلات سليمان" في تل المتسلم (مجدّو) ثبُت أنها ليست اسطبلات، ولا تعود إلى الزمن المفترض لسليمان. وكان مكاليستر الإيرلندي قد كشف منذ عام 1925 استحالة أن تكون مجدّو مدينة قائمة في العصر المفترض لرواية التوراة، لأن تل المتسلم آنذاك لم يكن غير قرية صغيرة ذات أكواخ بدائية. وقد فشل علم الآثار الإسرائيلي في البرهان على وجود بني إسرائيل في مصر، وفي تحديد موقع جبل سيناء (حوريب) وتحديد محطات أسباط إسرائيل خلال مسيرة التيه في صحراء سيناء. لقد حوّل الإسرائيليون علم الآثار من علم إنساني غايته الوصول إلى الحقائق، إلى أيديولوجيا في خدمة مشروع سياسي. وبهذا المعنى، فإن تاريخ هذه الجماعة ليس تاريخًا تحوّل إلى أسطورة، بل خيال حكائي وخرافات وأساطير تحولت إلى تاريخ.

* * *

أما غوستاف دالمان، اللاهوتي الألماني، فهو طراز مختلف تمامًا عن اللاهوتيين التوراتيين؛ فقد جاء إلى القدس، أول مرة، في عام 1899، ثم جاء في عام 1902 ليتسلم إدارة المعهد الألماني الإنجيلي للآثار القديمة بتكليف من الإمبراطور فيلهلم الثاني الذي زار القدس ودمشق واسطنبول في عام 1898، والذي عرفه العرب باسم "غليوم"، وكانوا يقلدون هيئته بشاربيه المعقوفين. وهذا المعهد ما زال موجودًا في مبنى تابع لمستشفى أوغستا فيكتوريا (مستشفى المطلع) على جبل الطور. وكان دالمان (1855-1941) تخصص في ألمانيا باللغات القديمة، فدرس العبرية والآرامية واليونانية والعربية. وفي القدس تمكن

من جمع نحو خمسة آلاف كتاب، منها كتب نادرة نُشر بعضها في القرن السادس عشر فصاعدًا، وتدور كلها على فلسطين وسوريا، علاوة على خرائط شتّى، ونحو خمسة عشر ألف صورة تاريخية عن فلسطين، أي أنه حفظ لنا فلسطين، والقدس بالدرجة الأولى، كما كانت بين سنتي 1902 و1930. وقد نشر دالمان في عام 1925 كتابًا عنوانه **مئة صورة جوية ألمانية من فلسطين** بينها أربع وأربعون صورة للقدس ومحيطها. وهذه الصور هي جزء من الصور التي التقطها طيارو السرب الجوي البافاري بين العامين 1917 و1918 والتي بلغ عددها 2872 صورة.

صدر كتاب **القدس في محيطها الطبيعي** في عام 1930، وهو ثمرة عمل متواصل استمر ثلاثين سنة من البحث الدؤوب، وجاء مطابقًا لما آمن به غوستاف دالمان، وهو أن من غير الممكن معرفة القدس، وفلسطين بالطبع، من خلال الكتب والمراجع والبقايا الميتة وحدها، بل من خلال دراسة الثقافة المادية الحية التي ما برحت مستمرة منذ عهود عتيقة حتى اليوم، وتتمثل في السكان وتفصيلات حياتهم اليومية كالمواسم الزراعية والاحتفالات والأعياد وطقوس الموت والولادة والزواج والأغاني والأمثال وغيرها. وكان دالمان يعتقد أن على مَن يريد أن يفهم الكتاب المقدس (أي العهد القديم والعهد الجديد) أن يدرس الأراضي المقدسة مباشرة، وأن يعيش بين سكانها. وهذا ما فعله في دراساته المتعددة عن القدس وفلسطين، وتمكن، بألمعية مشهودة، من أن يعقد صلة قوية بين الجغرافيا والآثار والإثنولوجيا. ودالمان لاهوتي في نهاية المطاف، فقد عكف في أثناء إقامته في القدس وتجواله في فلسطين وسوريا ولبنان، على التفتيش عن الأماكن القديمة المذكورة في أسفار العهد القديم، وتوسل إلى ذلك حتى الأسفار الأبوكريفية (المنحولة أو غير المعترف بها)، علاوة على المصادر العلمية المتاحة آنذاك، والتي تطورت تطورًا هائلًا خلال المئة سنة الماضية. ومع ذلك، فإنه تمكن من أن يعيد بناء المشهد الطبيعي للقدس استنادًا إلى الطوبوغرافيا وإلى البقايا الآثارية، فضلًا عن نصوص الأناجيل وحكايات العهد القديم والمقارنات اللغوية والتبادل الصوتي بين العبرية والآرامية – السريانية والعربية، وكثيرًا ما أبدى تحفظه عن صحة نصوص العهد القديم وتوابعه، كالتلمود أو المدراش.

***

على الرغم من تحفظ غوستاف دالمان عن التوسع في استخدام المصادر التوراتية، ودعوته إلى العودة إلى المصادر السريانية، يبقى ثمة تحفظات إضافية على محتوى كتابه المهم والشامل عن "القدس ومحيطها الطبيعي". وهذه التحفظات ما كانت ممكنة قبل نحو قرن من الزمان، حيث إن علم الآثار الجديد كان لا يزال يحبو. ومصدر هذه التحفظات أن دالمان، مثل معظم لاهوتيي عصره، يُكثر من استعمال نصوص التوراة والتلمود والأسفار الأبوكريفية والأدبيات الحاخامية، ويمنحها وزنًا لا بأس به مقارنة بالمصادر الأخرى كالآرامية. ولعل عدم التوازن هذا مردّه إلى بيئته وثقافته كما هي حال أي مثقف أوروبي في تلك المرحلة، فضلًا عن ثقافته اللاهوتية. ويضاف إلى ذلك عدم توافر غير القليل من المصادر الآرامية، وحتى العربية، عن القدس ومحيطها في أوائل القرن العشرين. ويستعمل دالمان عبارات كانت تُعتبر عادية إلى حد ما قبل مئة سنة، لكنها صارت مدعاة للاحتراس بعد نجاح المشروع الصهيوني في تأسيس دولة إسرائيل في عام 1948 مثل: يهودا والسامرة، الصحراء اليهودية، القدس اليهودية (يقصد القدس في العصر اليهودي)، القدس البنيامينية، أريحا العبرية (أي أريحا بعد احتلال القبائل العبرانية لها)، منطقة سبط يهوذا، منطقة سبط بنيامين. وهذه كلها مصطلحات تستدعي الاحتراس العلمي الشديد، وقد عالجناها في متن الكتاب بوضع شروحات وافية لها. وعلى سبيل المثال، يشير دالمان إلى "فراغ سليمان من بناء الهيكل"، ويكاد يجزم أن قبة الصخرة في الحرم القدسي هي المكان الذي كان يقوم فيه الهيكل (كلام الصورة رقم 39)، ويرى أن أحد أبراج سور القدس هو برج داود (كلام الصورة رقم 40). وعلى هذا النحو يعتقد أن وادي السنْط هو المكان الذي حارب فيه داود غوليات، وأن بير أيوب في القدس هي نفسها عين روجل الواردة في التوراة، وأن موقع "بخوريم" الوارد في سفر صموئيل الثاني هو رأس اطميم أو خربة إبقيعدان في القدس، ودليله في هذه الأمثلة هو القياس على المصادر اليهودية وغيرها، واستنباط أبعاد المواقع الجغرافية منها أحيانًا. وعلى سبيل المثال أيضًا، يناقش دالمان قصة بناء سور القدس، ويتساءل: هل بنى هيرودوس أغريبا الثاني السور كله، أم أن اليهود شاركوا في بناء أقسام منه؟ وفي هذه المجادلة قلّما يعود دالمان إلى الحفريات بقدر ما يعود إلى المصادر الكتابية.

على الرغم من تحفظ ناشر الترجمة، أي المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، عن بعض مصطلحات دالمان، فإن كتاباته، بشهادة مؤرخين وأركيولوجيين فلسطينيين، تقدم توثيقًا مهمًا لأحوال فلسطين، وتفصيلات العيش لدى عرب فلسطين في عصره ومناسباتهم ومواسمهم وعاداتهم وتفاعلهم مع البيئة والطبيعة التي يوثقها استنادًا إلى الواقع القائم في عصره وليس إلى اللاهوت والنصوص اللاهوتية. ولذا، أصبحت كتبه شهادة مهمة على عروبة فلسطين قبل تأسيس المشروع الصهيوني. وكتابه هذا عن القدس، مثل كتبه الأخرى، يزخر بالمعلومات المهمة جدًا عن تلك المدينة، ويُعتبر وثيقة ممتازة عن أحوال القدس في تحولاتها العمرانية والسكانية، ويساهم في دحض الرواية الإسرائيلية عن تاريخ المدينة، وينقض الشطط الذي وقعت فيه كتابات كثيرة لمؤرخين وبحاثة وآثاريين معروفين؛ وهنا بالتحديد تكمن أهميته المميزة.

* * *

واجه المترجم عناء كبيرًا في نقل الكتاب إلى العربية، خصوصًا أنه مكتوب باللغة الألمانية الصعبة. وواجهنا عناءً وعذابًا في ضبط مصطلحات الكتاب وأسماء المواقع والأماكن، ولا سيما أن للموقع الواحد أسماء عدة. وكثيرًا ما أمعنا النظر وأطلنا الوقوف أمام كل موضع، وكنا نتساءل تساؤل الشحيح الذي ضاع في التُّرْب خاتمه في شأن أسماء المواقع، ونتحرى الصحيح كي نتجنب الغلط. وعلى سبيل المثال: هل نكتب باب الدمن أم باب الزبل؟ وهل نختار باب الضأن أم باب الغنم؟ وهل نقول: حقل الدم (حقل دما) أم حقل الفخاري؟ بطن الهوى في سلوان كما يلفظه أهل القدس أم باطن الهوى كما يورده دالمان؟ جبل الطور أم جبل الزيتون أم طور زيتا؟ كنيسة القيامة أم كنيسة القبر المقدس؟ وادي التيروبيين أم وادي الجبّانين أم وادي الطواحين أم حي الواد؟ وادي الربابة أم وادي إبن هِنّوْم أم وادي القلت (القتل) أم وادي قدرون أم وادي أبشالوم (عند اليهود) أم وادي ستنا مريم (لدى المسيحيين)؟ تل المشورة الرديئة أم تل المشورة الشريرة أم جبل المشورة الفاسدة؟ الجلجلة أم الجلجثة أم غولغوثا؟ سوق اليونان أم سوق الأروام؟ وقد استعملنا لضبط مشكلة تعدد الأسماء هذه أقرب الموارد

إلى الصحّة، والمراجع المعتبرة والمصادر الموثوقة، وسألنا مَن استطعنا الوصول إليه من سكان القدس العارفين، ولا نعذر أنفسنا عن أي غلط أو سهو. والموقع الوحيد الذي استعصى علينا طويلًا هو "الزيامبة" الذي لم نتمكن من تحديد الاسم الفلسطيني المرادف له بدقة نهائية، مع أنه موصوف بالتفصيل في هذا الكتاب مع المواقع المجاورة له، حتى يكاد القارئ يضع يده عليه. ومهما يكن الأمر، فإن كتاب **القدس ومحيطها الطبيعي** كنز تاريخي حقيقي، ووصف ممتاز للقدس العربية في مطلع القرن العشرين تعجز العين الثاقبة وحدها عن نقل مشاهد المدينة وتلالها وأوديتها وسواقيها وأسواقها وأبوابها ومعالمها الأثرية وحياة الناس فيها. لقد قدم دالمان شهادة عن عروبة القدس في مطلع القرن مثلما قدم شهادة عن فلسطين العربية في كتابه **العمل والعادات والتقاليد في فلسطين** الذي أنجز المركز ترجمته بأجزائه الثمانية. وهذا الكتاب المهم الذي يضعه المركز بين يدي القارئ الفلسطيني والعربي يُضاف إلى غيره من الكتب التي تشكل، كلها معًا، المصادر العلمية لتاريخ المدينة الذي تتنازعه روايات متعددة ومتخالفة، بما في ذلك الروايات الإسرائيلية الزائفة، القديمة والحديثة.

مقدمة

يشتمل هذا الكتاب على دراسة مختصرة لمسائل كثيرة متعلقة بالمواقع في القدس التي ترد في التاريخ التوراتي. واقتصرت الدراسة على الجوانب الطوبوغرافية حصرًا، منطلقة من المعطيات المعاصرة، وسَعَت إلى أن تُبرز للقارئ جزءًا مهمًا من واقع فلسطين العربية، بما في ذلك أسماء المواقع، التي يغدو البلد من دونها كيانًا ميتًا. وأردتُ من إيراد أسماء المواضع العربية هنا أن تشهد على أنني جلتُ في المواقع كلها بعينَيّ وقدمَيّ، ساعيًا إلى تسجيل ما لا تستطيع الخرائط والصور التعبير عنه إلا تعبيرًا قاصرًا. وقد بذلت هذا الجهد كله انطلاقًا من قناعتي بأن طبيعة القدس التي لم تتغير عبر الزمن هي السبيل إلى فهم تاريخ المدينة، حتى في تلك الجوانب التي لم يتعرض لها الكتاب المقدس بأي كلمة.

وتقف وراء إنجاز هذا الكتاب ثلاثون سنة انقضت بين دخولي المدينة المقدسة أول مرة في 17 نيسان/ أبريل 1899 وخروجي منها آخر مرة في 8 أيلول/ سبتمبر 1925، محرومًا من إكمال الإقامة فيها. ويثبت هذا الكتاب أنني لم أكن مقدسيًا عبثًا.

كان من الممكن أن أقدم صورًا أكثر وضوحًا للقدس في فتراتها المختلفة، لو كان لكل فترة أوصافها المستقلة المستقاة من المصادر. ولعل الطريقة التي اتبعتها هنا هي الوحيدة القادرة على تناول أهم المشكلات الموجودة هنا، وتبيان الحلول التي يمكن الوصول إليها استنادًا إلى المنطلقات التي انطلقتُ منها. وعسى أن يقتحم آخرون مجال هذه الدراسة، وأن يعملوا، في المنزلة الأولى، على إجراء تنقيبات في مواقع ذات أهمية خاصة ذكرتُ أسماء عدد منها، فيجعلوا لمثل هذه الدراسة أسسًا جديدة.

وأنا مدين بالشكر لكثير من الناس، أولهم الفلسطينيون العرب الذين استقيت منهم معلومات شتّى، ثم أرشيف الرايخ وأرشيف الحرب في بافاريا اللذين سمحا لي بنشر صور جوية كان قد التقطها طيارون ألمان في أثناء الحرب العالمية [الأولى]. كما أشكر أيضًا طيارين سابقين أذنوا لي باستخدام صور من مقتنياتهم الخاصة؛ فأذكر السيد المرشح أ. شرايبر (A. Schreiber) من توبنغن، والسيد المستشار الحكومي د. فيغنِر (D. Wegner) من كوبلِنز، والسيد ر. فالكه (R. Falke) من هامبورغ، والسيد المستشار الدبلوماسي هولتسهاوزن (Holzhausen) من برلين، والسيد المستشار الحكومي الأعلى ب. كولب (P. Kolb) من شتوتغارت، والسيد هـ. كلاين (H. Klein) من غرايفسفالد. أما أولئك الذين قدّموا لي صورًا أرضية، فشكرت كلًا منهم في أسفل الصورة نفسها. وأكتفي هنا بذكر الدكتور فالنتِين شفوْبِل (Valentin Schwöbel)، مصوِّر فلسطين المجتهد الذي توفي في 12 أيار/مايو 1921 في مانهايم، والذي كان أعلن نيته - بعد أن أنهى في السادس من آذار/مارس كتابة دراسة عن الهضبة اليهودية - إجراء دراسة عن "الموقع الجغرافي للقدس". أما في ما يتصل بالخريطة، فقد وجدت في الخرائطي ف. غورنغ (W. Goering) من برلين شخصًا دؤوبًا، خبيرًا، عاملًا في هذا المجال منذ زمن طويل. إلا أنه ما كان من الممكن أن يصدر الكتاب مشتملًا على هذه الوفرة من وسائل الإيضاح لولا ما تلقيتُه من جمعية العون الطارئ للعلوم الألمانية [سلف مؤسسة البحوث الألمانية]، ومن وزارة العلوم والفنون والتعليم الشعبي البروسية، وجمعية أصدقاء جامعة غرايفسفَالد وداعميها. وسيوافقني القارئ في شكر هؤلاء جميعًا للمساهمات الكبيرة التي قدموها للعِلم الألماني في هذه الأوقات العصيبة.

ولم أتمكن من الإحالة في متن الكتاب إلى الصور المدرجة فيه، فأدرجتُ وصف الصور في الكشافات، وينبغي على القارئ الرجوع إليها إن شك في وصف الصورة التي يطالعها.

معهد فلسطين، غرايفسفالد،

21 تشرين الأول/ أكتوبر 1929

غ. دالمان

مدخل

ليست بقايا العمائر القديمة في القدس أهم ما في المدينة، لا ما هو قائم منها اليوم، ولا ما تكشف عنه التنقيبات، على ما لهذه البقايا من أهمية بالغة. ويجري هذا القول بالأحرى على الأسوار والبيوت التي تحمل اليوم اسم "القدس"، والتي تسمى - من وجهة نظر ساذجة - "المدينة المقدسة". أما ما يستحق أن يعتبر أهم ما في القدس، في الواقع، فهو موقعها، بما في ذلك محيطاها القريب والبعيد، وهو الموقع الذي يشكل أساسًا دائمًا لأهميتها، بحيث لا يمكن أن تُدرَك هويتها، وأن تُفهم الأحداث التي جرت فيها، من غير معرفته، بل إن هذا الأساس هو الذي يشكل منطلقًا لفهمنا بقايا العمائر الراجعة إلى فترات مختلفة.

أصف هنا أراضي القدس وصفًا يتناول الناحية الطوبوغرافية فيها حصرًا، بحسب ما كنت قد دونته فيها من خلال اطلاعي الشخصي في أثناء إقامتي في القدس في الفترة بين عامي 1902 و1914. وفي صيفَي عامَي 1921 و1925، حين أصبحتُ مقدسيًا مرة أخرى، أعدت النظر بطيب خاطر في ما كنت جمعته، واستكملت نواقصه التي كانت مهماتي ومشاغلي الأخرى هي التي قد حالت دون استكماله آنذاك. ولا بد من الإشارة إلى أن هذا الوصف يتخذ أهمية خاصة، لأنه يجيء بعد عقدٍ شهد كثيرًا من الحوادث، خاصة الاستيطان اليهودي، لأنني أستخدم فيه أسماء المواقع العربية التي كنت قد جمعتها. وسأقدم لاستخدام هذه الأسماء بمقدمة لا بد منها، أشرح فيها الألفاظ التي تقترن بأسماء المواقع العربية، كي يتمكن القارئ من فهمها.

سأحدد في أثناء ذلك المواقع والأسماء التوراتية، ما أمكن ذلك، قاصدًا، في المكان الأول، إلى بيان الطبيعة الجغرافية لهذه المواقع من دون أن أسعى في ذلك إلى استقصاء احتمالات تحديد هذه المواقع استقصاءً شاملًا، أو إلى مناقشة آراء الطوبوغرافيين المحدثين، أو البحث في التحديدات الجغرافية لهذه المواقع التي قدمها "التراث" في الفترات المختلفة. وينبغي أن أؤكد هنا أنني لا أجد هذه التحديدات التراثية ذات قيمة خاصة، إلا في ما يخص الفترة التي ذُكِرت فيها، بحيث نتعرف من خلالها على ما كان موجودًا في الموضع المذكور - هذا إذا كانت هذه المصادر موثوقة تاريخيًا - وكيف فسرت تلك الأحداث تاريخيًا. ولا يصح أن نستنتج من هذه الأخبار حقائق تاريخية حدثت في الماضي إلا إذا كان الخبر التاريخي يتيح ذلك، وإذا كانت معرفة الموقع نفسه مستمرة وأكيدة في الوقت نفسه. ومن البدهي، أن آراء الأوروبيين الذين هاجروا مع الحروب الصليبية، أو بعد ذلك، وكذلك الأقوال الواردة في كتب الرحلات الحديثة، لا يجوز أن تعد "تراثًا"، كما جرى الناس على اعتبارها على هذا النحو اليوم.

أولًا: أسماء المواقع

جاءت القائمة المسماة "قائمة أسماء المواقع العربية" التي وضعها سوسين (Socin)، ونُشرت بعد وفاته في *ZDPV* 1899, pp. 18ff.، كثيرة الأخطاء والبيانات غير الدقيقة، لأن ما فيها من معلومات لم يؤخذ من أفواه الناس مباشرة؛ فالأصل أن يحدد الباحث كيف يفهم الناس أسماء المواقع في الأماكن التي يستخدمونها. أما كيف يسمى الموقع في أماكن أخرى، أو كيف يسمى الموقع في اللغة المكتوبة، فهذا أمر لا قيمة له مبدئيًا، وإن كان من غير المستبعد أن نجد اسمًا لموقع ظَل مستخدمًا حينًا طويلًا من الزمن، لكنه كان يعني شيئًا آخر خلال مرحلة أخرى من مراحل تطور اللغة العامية. ويجب أن نأخذ في الاعتبار أن لأسماء المواقع طابعًا محليًا تمامًا، فالناس لا تسمي الوديان والجبال أسماء تشملها كلها، بل يطلق أهل كل مكان أسماء محلية على الأجزاءالواقعة ضمن حدود بلدتهم التي لا يعرفها الناس معرفة أكيدة إلا في ذلك الموقع.

وستُفسر هنا أسماء المواقع الواردة في محيط القدس على النحو الذي يفهمها الفلاحون العرب الذين سألتهم عن معانيها، وعلى القارئ ألا يُجري هذه المعاني على فلسطين كلها؛ إذ قد لا ينطبق المعنى على نواح محددة من فلسطين. وبناء على ذلك، فإن مناقشتنا لأسماء المواضع لن تعزز معرفة القارئ باللهجات، وإنما ستنصرف، في المقام الأول، إلى تحديد صيغ أسماء المواقع المذكورة.

التسمية العامة للجبل هي "جِبِل" (ج. "جِبَال")، ولا تفرق هذه التسمية بين مرتفعات كبيرة وأخرى صغيرة، أو بين جبال وتلال تختلف أحجامها في نواحي فلسطين، والتي تنشأ عن عوامل الحت والتعرية في المناطق الجبلية. وتُستخدم صيغة المفرد أيضًا للدلالة على جنس الجبال عمومًا، التي يُصعد إليها من المناطق السهلية، أو على أجزاء منها. ويُستخدم هذا الاسم لوصف مناطق القدس والخليل ونابلس التي يسميها الناس "جِبِل القُدْس" و"جِبِل اِلخَلِيل" و"جِبِل نابلس". وفي المقابل، تستخدم كلمة "نَصْب" (مرتفع، علامة) لوصف جبل فرد. وتستخدم كلمة "الطُّور"، وهي كلمة دخيلة من الآرامية، لوصف ثلاثة جبال فلسطينية هي الزيتون وجَرزيم وطابور، ولا يعرف الناس معنى هذا الاسم. وأما معنى "mount" (جبل) المذكور في قائمة أسماء المواقع (Name Lists) الخاصة بـ *Survey of Western Palestine* (**مسح فلسطين الغربية**)، فتفسير ناشئ عن التعلم، وكذلك الأمر في rock (صخرة) و"isolated mountain" (جبل منفرد) المذكورة في خريطة فلسطين التي وضعها بارثولوميو (Bartholomew).

أما كلمة "تل"، ومصغرها "تْلَيْل"(ج. "تْلول") التي يُوردها هاردر (Harder) في **قاموس الجيب الألماني – العربي** (*Deutsch - Arabisches Handwörterbuch*)، فلا تصف التل الطبيعي من حيث هو، وإنما تصف تراكمًا اصطناعيًّا للطُمَم والأنقاض والأتربة، أو تصف مرتفعًا طبيعيًا اتخذ، بوصفه موقعًا مسكونًا قديمًا، شكل تل من الأنقاض، أو، على الأقل، يحمل على قمته مثل هذا الركام. ولا يوجد في محيط القدس غير عدد قليل فقط من المواقع التي تحمل هذه التسمية. ولم يكن يُقصد أول الأمر بالتل المسمى "تْلَيْل اِلفول" غير تل غفعات شاؤول المجاور لخرائب كان الناس يسمونها أحيانًا القلعة. وفي الجوار المباشر للقدس كانت تقوم "تْلولْ إِل – مَصابِن"،

التي زالت منذ أمد بعيد. وقد استخدمت مفرد "مَصبنة" كتسمية لأكوام مخلفات المصابن التي كانت تُطرح هناك. وعلى مسافة أبعد، يقع تلان مسكونان هما "تِل النَّصْبِة" قرب "اِلبيرِة" و"تِل مِرْيَم" قرب "مُخْماس".

وإذا كانت التلة بارزة أكثر بشكل منفرد، مال الناس إلى تسميتها "راس" (ج. "روس"). أما الأرض الجبلية المنبسطة المستطيلة، فتسمى "ضَهْر" أو "ضَهْرَة" (ج. "ضْهور")، التي يمكن أن تسمى أيضًا "قَنان". أما النتوء الصخري في الجبل، فيسمى "عَرْقوب"، وقد قيل لي إن هذه تسمية للجزء الأسفل من الساق[2]. ويسمى الضهر قليل الارتفاع "حَدَبِة"، أي "سنام"، في حين توصف التلة العالية بأنها "نِبا". وفي غير قليل من الأحوال تُسمى المرتفعات "بطن" [ترد "باطن" في النص الأصلي]. وتُستخدم هذه اللفظة لوصف موقعين يسمى كل منهما "بطن الهوى"، يطل أحدهما على "سِلوان"، ويقع الآخر قرب "لِفْتا". ويذكر سوسين أن معنى "باطن" هو "بَطن"، ويترجمها إلى "وادٍ فسيح، غور، بطن". أما قائمة الأسماء الخاصة بـ**مسح فلسطين الغربية** (*SWP*) التي لا تذكر "بَطن" قط، فدرجت على ترجمة "باطِن" (*knoll*) بمعنى "ربوة". أما الترجمة الصحيحة لهذه اللفظة، فالأولى أن تكون "نتوء"، وعادة ما يسمي الناس الجبل بهذا الاسم إذا كانت قمته منبسطة مستطيلة، في حين يُقصد بكلمتي "بَطْن" و"بُطْن"، "جوْف". وإذا كان للجبل قمة مستديرة سُمِّيَ "جِلْجَل". وتشبه كلمة "باطِن" في معناها كلمة "حَريقة" التي لا ترد في قائمة الأسماء ولا عند سوسين، وإنما تسمى بهذه التسمية لأنها تكون عرضة لأشعة الشمس الحارقة وتتسم بالجفاف الشديد. والتسمية الحقيقية للمنحدر هي "صَفْحَة"، ويسميه البدو "صَدْر"، في حين تصف "عَقَبة" ("منحدر") و"طيْحَة" ("منحدر نزول")، و"طَلْعة" ("مرتقى") الطرق المنحدرة أو الصاعدة، ولكنْ يمكن أن تُستخدم لوصف السفوح أيضًا إذا كانت فيها منحدرات أو مرتقيات. أما البدو، فيسمون الطريق الصاعدة "سَنْداية"، والطريق الهابطة "حَدْراية".

ويترجم سوسين كلمة "ثُغْرَة" بمعنى "ممر ضيق"، "شَق"، "مضيق جبلي"،

---

(2) تفضّل الدكتور كنعان فأبلغني أن المقصود بهذه اللفظة أصلًا هو العرقوب أو الكعب، ثم حُمِل المعنى على طريق ضيق يتلوى حول الجبل، أو على أرض جرداء صخرية واقعة على سفح الجبل.

وتترجمها قائمة الأسماء (في الصفحات 97، 352، 408) بمعنى *pass, frontier,* *gap*) (ممر، حَد، فجوة). أما التفسير الأدق، فهو "ثَغْرَة". ويتحدث الناس عن "ثُغْرَة" في جدار حقل، قاصدين بذلك المكان من الجدار الذي أحدثت فيه فجوة حيث يستطيع المرء العبور من خلاله. وقد تعني "ثُغْرَة" أيضًا ذلك الموضع الخرب من الطريق الذي ينبغي على المرء الحذر منه عند المرور به. وتُطلَق هذه الكلمة في المحل الأول على الموضع في الممر الجبلي الذي يمكن منه عبور الممر إلى الجهة الأخرى. وبناء على ذلك، يمكن ترجمة كلمة "ثُغْرَة" إلى "ممر" أو "معبر". أما معنى "الثُغْرَة" في العربية الفصيحة، بمعنى "الأسنان الأمامية" أو القواطع، فلا يعرفه الفلاحون. وكثيرًا ما تُستخدم "قُرْنة" ("زاوية") لوصف جبلٍ عالٍ بارزٍ فوق وادٍ أو منعطف، في حين تُستخدم ("رُكْبة") لوصف مرتفع منخفض عند ملتقى واديين، أو عند منعطفٍ لوادٍ.

تسمى جميع الأراضي الصخرية أو كثيرة الحجارة، أَكانت في مناطق جبلية أم سهلية، "وَعْر"، وتُطلَق هذه التسمية على الأراضي بصرف النظر عن نوع حجارتها. وبناء عليه، لا تقترن هذه اللفظة بلفظة "يَعَر" العبرية التي تسمى بها التشكيلات الصخرية البركانية. وإذا كانت الطريق شاقة، يصعب المرور فيها، أُسميت "وَعْرة"، لكثرة ما فيها من حجارة. وخلافًا لذلك، يسمى الـ"صخر" "عَراق"[3] (ج. "عِرْقان")، إذا جاء على شكل واجهة صخرية مائلة، ولا تعني هذه الكلمة "كهفًا"، كما حسِب سوسين، وإن كان هذا الشكل من الصخر يمكن أن يُخفي كهفًا أيضًا. ويسمي البدو هذا الشكل من الصخر "طوْر". وتسمى القطعة الصخرية المنفردة، وكذلك الصف الصخري الواطئ الذي كثيرًا ما يكون بقايا من كتل صخرية أكبر من قطعة صخرية كبيرة، "قَلْعَة"، والمادة التي يتشكل منها كل صخر، خلافًا للتراب، هو "صَخر"، وإذا قلتَ "الصَخْرَة"، انصرفت الأذهان جميعًا إلى تلك الكتلة الصخرية الظاهرة الموجودة في "قبة الصخرة" في القدس[4]. ويمكن أن يسمى الجدار الصخري الممتد على طول سفح وادٍ "زُنَّار"، أي ("حزام"). وإذا كان الكهف ضيق المدخل،

(3) يسمى بالقرب من الخليل "قُفْ".

(4) Gustaf Dalman, *Neue Petra-Forschungen und der heilige Felsen von Jerusalem*, pp. 111ff.

أُسمي "مْغارَة" (ج. "مْغايِر")، وتطلَق هذه التسمية أيضًا على القبور الصخرية الكثيرة الموجودة في محيط القدس. وإذا اتخذ الكهف شكل غار ذي مدخل واسع، أُسمي "سَهْوِة". أما إذا لم يكن مكونًا إلا من صخر ناتئ تقريبًا، أُسمي "شْقِيفِة"، التي يترجمها سوسين بمعنى "كتلة صخرية". وتسمى تلك البقعة من الوادي التي تدرأ الرياح وتصلح لإيواء الماشية، "جوْفِة" (تجويف). ويسمى الشق الصخري "شِحْروق" و"شَدّ"، ويسمى الثقب في الجدار الصخري "طاقة"، ويسمى الحوض في الأرضية الصخرية "مُقْر" (ج. "مْقور").

وفي أحيان كثيرة، لا تكون للمرتفعات أو لأجزائها أسماء خاصة بها، وإنما تُعرف باسم الأراضي التي تقوم عليها، فتكتسب هذه الأسماء قيمة طوبوغرافية، مثلما كانت الحال في أسماء قطعتي الأرض "الجثمانية" و"حَقِل دِما".

ولا تسمى الحقول الزراعية "حَقْل"، وإنما "أرض" (ج. "أراضٍ"). ويمكن أن يسمى الحقل الضيق المنفرد "ذيْل" "حاشية". وإذا كان الحقل على شكل شريط ضيق بين كتل حجرية أُسمي "زْقاق". وتسمى القطعة المنسبطة الكبيرة نسبيًا أحيانًا "قَطْعَة"، أي "جزء". ولم تتنبه قائمة الأسماء لهذه الكلمة، وحُسب أن صيغة الإضافة منها، أي من كلمة "قَطْعَة"، هي "قَطاط"، وتُرجمت إلى "crags" (جُروف). لكنَّ "قَطْعَة موسى" و"قَطْعَة كَنْوِر" (قائمة الأسماء 297، 345) ليستا جرفَين، كما أن اسميهما لا يُلفظان "قَطاط". وتُستخدم كلمة "جِسْر" (ج. "جْسور")[5] لوصف الحقل في وادٍ يرقى إلى أعلى بالتدريج، ويكون مقسَّمًا إلى مصاطب باستخدام الجدران الحجرية "سِنْسِلِة" (ج. "سناسِل"). في المقابل، فإن "حَبْلِة" (ج. "أَحْبال")، اسم للمصطبة نفسها الواقعة على السفح، وليست "التلة الرملية" (كما جاء عند سوسين). وخلافًا لجدار المصطبة الجبلية "سِنْسِلة"، فإن "اِرْباعَة" (ج. "اِرْباعات")، هي الجدار الحقلي الفعلي المبني من غير استخدام الملاط والحجارة، في حين تسمى الحجارة التي توضع كعلامات للحدود بين الحقول "رَما" (ج. "رمْيان"). أما كل "كوم حجارة" يُجمع من الحقول، فيسمى "رُجْم"

(5) إذا دخلت أداة التعريف على هذه الكلمة، أصبح لفظها في لهجة الفلاحين أشبه بكلمة "الدْسور".

(ج. "رُجوم")، في حين أن "القَنْطَرَة" (ج. "قَناطِر")[6]، هي تكويم مجموعة مفردة من الحجارة لتكون علامة للحدود، أو لتُبعد بنات آوى عن كروم العنب، أو لتكون "شاهِد"، أو "شهادة" ("مِشْهَد")، عندما يتلو المسلم الشهادتين حالما يتجلى له مكان مقدس عن بُعد أول مرة.

و"الحَاكورة" (ج. "حَوَاكير") هي الأرض التي تُزرع خضروات في محيط القرية القريب ("جِذْر")، و"الكرم" (ج. "كْروم") - التي يقتصر معناها عند سوسين على "كرم العنب" وحده - يُقصد به في الواقع كل أرض تُزرع بالأشجار المثمرة أو بالعنب، ولكنْ يُقصد بها في كثير من الأحيان تلك الأرض التي كانت مزروعة يومًا ما بالأشجار المثمرة، وباتت تُزرع منذ فترة بعيدة بدلًا من ذلك بالحبوب. وتسمى الأرض المزروعة أشجارًا مثمرة وخضروات، التي تُسقى من نبع ماء، "جْنيْنة". أما "البستان"، في المقابل، فيقصد به أهل المدن، في المحل الأول، الحديقة الفخمة المزروعة أشجارًا وأزهارًا وخضروات على نحو لا يزرعه الفلاحون البتة. ويُستخدم مصطلح "أَرْض سقي" عمومًا لوصف الأرض المروية، ومصطلح "أَرْض بَعْل" للأرض التي لا يرويها إلا المطر[7]. ويذكر سوسين أن كلمة "قَصْر (المأخوذة عن *castrum*)" تعني في الغالب بناء كبيرًا مثل القلعة أو القصر، أو أي بناء متين بشكل عام". ولكن هذه اللفظة - إلى جانب لفظة "مَنْطَرَة" التي تعني نقطة حراسة - إنما هي تسمية تقنية لوصف برج الحراسة الذي ينتصب في بستان الفاكهة، وغالبًا ما يكون بناءً غير مكتمل، ومبنيًا من حجارة غير مشذبة. وأحيانًا يسمى المبنى القديم الذي يتخذ شكل البرج، والذي يستخدم لغايات أخرى، "بُرْج". ومن الغريب استخدام لفظة "ضَهْر" أي "ظَهْر"، ولفظة "جوْرَة" أي "حُفْرَة" (ج. "ضْهور"، و"اِجْوَر") لوصف قطع الأراضي المنفردة الواقعة على ظهر مرتفع أو في وادٍ. وتُستخدم لفظة "جِلِدِة" لوصف الأرض الصخرية المنبسطة التي لا يكسوها غير طبقة ترابية رقيقة تنمو فيها في الربيع حشائش قصيرة، وقد تُستخدم الكلمة لوصف تلك الحشائش نفسها أيضًا. ويرجح سوسين أن كلمة

(6) يستخدم المرء في شمال فلسطين مصطلح "قَعْقور" (ج. "قَعاقِير").

(7) يُقارَن:

Gustaf Dalman, *Arbeit und Sitte in Palästina*, vol. 1, pp. 350f., 538.

"بياض" ربما معناها "أرض غير مزروعة"، لكنها في الواقع أرض ذات تربة قريبة من التربة الجيرية – السنونية، خلافًا للأرض المسماة "سُمار"، أي "الأرض الداكنة اللون"، في حين أن اللون المعتاد للأرض المكونة من الحجارة ذات التربة الجيرية الخالصة في نطاق الطبقات الطبشورية، القريبة من تورون وسينومان، هو بُنّي ضارب إلى الحمرة، بحيث يمكن أن يسمى هذا النوع من الأراضي "حْمار".

وتسمى الأرض البور غير المزروعة "بِرِّيَّة"، أي (الأرض الموجودة خارجًا) [برّا]. وهذه هي التسمية التي تطلَق عمومًا على "الصحراء" الواقعة على السفوح الشرقية لجبال منطقة يهودا [جنوب الضفة الغربية]. ولكن الناس يميزون أقسام هذه المنطقة من بعضها بأن ينسبوها إلى القرى المجاورة لها التي تتخذها مراعي لماشيتها، فيُقال "برِّيَّة العيْزرِيِّة" و"برِّية مُخْماس". ولا تدل هذه اللفظة نفسها إن كانت هذه الأرض الموصوفة بأنها بِرِّيَّة" على كونها صالحة للزراعة أم لا، شأنها في ذلك شأن لفظة "مِدْبار" العبرية التي تعني (مرعى). أما ترجمة هذه الكلمة إلى "بادية"، التي تصف في الحقيقة أرضًا منبسطة تكتسي في الربيع بحشائش وفيرة، فترجمة مضلِّلة، كما لا يجوز ترجمتها إلى "صحراء"، إلا إذا لم يُقصد بها تلك المساحات الرملية التي لا خضرة فيها البتة. أما الصحراء الكاملة، فربما كانت بالعربية "شول"، ولا يجوز إطلاق هذه التسمية إلا على مواضع محدودة فحسب في صحراء يهودا [قفار جنوب الضفة الغربية]. وتجد في "الصحراء" بمعنى "مرعى" حظائر الماشية المسماة "صِير" (ج. "اِصير") وهو جدار مستدير أو مضلع مبني من الحجر الغشيم، تبيت فيه قطعان الماشية من أغنام وماعز مع رعاتها إذا لم يجدوا كهوفًا صخرية يأوون إليها.

ويسمى الوادي باللفظة المألوفة له "وادِ"، التي يلفظها الفلاحون "واد" (ج. "وِدْيان"). ولا يُستدل من هذه اللفظة على ما إذا كان الماء يجري في الوادي أم لا. لذا، فقد استخدم سَعَدْيا هذه اللفظة لترجمة اللفظتين العبريتين "نَحَل" و"جَي" (يُنظر سفر اللاويين 40:23 ("نَحَل")؛ سفر التثنية 29:3 ("جَي")). ويمكن الإشارة إلى أن الوادي الذي لا ماء فيه يوصف بعبارة "وادٍ ناشِف" أو "وادٍ جاف"، والوادي الجاري بالماء بعبارة "واد مُي". وبالكاد يغيب عن بال العربي أن كل وادٍ، من حيث المبدأ، هو ما يجري فيه الماء في الشتاء. وبناء عليه، يسمى مجرى

الماء الجاف في قاع الوادي "واد" أيضًا. ولكنه في الوقت نفسه يولي اهتمامًا كبيرًا لمجاري الماء الدائمة التي تجري صيفًا كذلك، حتى أنه يفرق في المسميات بينها وبين تلك الأودية التي تتدفق فيها مياه الأمطار شتاء فحسب. ففي لهجة الفلاحين، يسمى مجرى الماء الذي يغذيه نبع ("عيْن"، ج. "عُيون") أو "سيْل"[8] الذي لا نوافق سوسين في أن معناه هو "جدول ماء المطر". ومن الطبيعي أن العيون التي تغذي السيل يمكن أن تنضب في يوم من الأيام، أو يمكن أن تتحول مياهها في اتجاه آخر بحيث يختفي السيل. كما يمكن أن يجري السيل على نحو دائم في جزء من الوادي فحسب، ثم ينضب في التربة، كما هي حال جدول نبع وادي "فارة" قرب القدس. وقد يحدث أحيانًا أن يسمى الوادي كله نسبة إلى اسم الجدول الذي يجري فيه. وبناء عليه، قيل لي في "الكرك" أنه يُقصد بكلمة "سيْل" الوادي الذي يجري فيه جدول، في حين يُقصد بكلمة "واد" الوادي الذي لا جدول فيه. ويفرق الناس بين الجدول الذي يتزود بالماء من نبع تحت أرضي، والماء الذي يجري شتاءً في الوادي عقب نزول المطر الغزير لفترة طويلة حتى يملأ أحيانًا بطن الوادي كله بمائه الهادر. ويصف الناس ذلك بقولهم:"بِطيح ("بِنْزل") الواد"، أي "يجري الوادي". ويتحدثون عن "ماء الوادي" ("مَية الواد")، لكنهم لا يصفونه بأنه "سيْل" أو "نَهْر"، حتى وإن بلغ عرضه نحو عشرة أمتار، كما يحدث أحيانًا في "وادي بيت حَنينا".

ويسمى النبع نفسه "عيْن"، أو بشكل أدق "عيْن نِبْع"، وذلك خلافًا لنوع آخر من العيون هو "بير نِبْع" أو "بير اِلعُد"، وهي البئر المحفورة في منخفض من الأرض ينبع الماء من قاعه. وتختلف هذه البئر بدورها عن البئر المسماة "بِير شِتَا"، أي "البئر التي تجمع ماء المطر" التي تكون محفورة في الحقول الزراعية أو في الأراضي البور. ولا ينبثق من "بير نِبْع" جدول ماء إلا في الأحوال الاستثنائية، مثلما هي الحال في بئر أيوب القريبة من القدس، والتي ينبثق ماؤها في الربيع[9]، ومن البدهي ألا ينبثق من كل نبع جدول صغير، وإن حصل ذلك، فإن طوله يتفاوت بتفاوت فصول السنة، وهو لا يصل في الصيف، في أي حال من الأحوال، من

---

(8) يُنظر:

Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, pp. 115f., 200, 529ff.

(9) Ibid. p. 205;

ويُنظر لـ B 2 أدناه.

جبال منطقة يهودا [جبال جنوب الضفة الغربية] إلى أي نهر أو بحيرة أو بحر. وأقل الينابيع شأنًا هي المسماة "مَصَّايِة"، وهي، وإن كانت ينابيع فوق أرضية، لا ينبثق منها جدول جارٍ، وإنما يقطر منها الماء قطرًا فحسب. وعنها يقول المرء: "بِتْمَصّي" أي "تقطر". والماء المتجمع من هذا النبع قليل، ولا يكفي لسقاية الماشية، لكن يمكن أن يروي الظمأ إذا تجمع منه ما يكفي لملء تجويف صغير في الصخر. كما يفرِّق الناس بين الجدول الناشئ عن هطول الأمطار، والنبع الذي ينفجر شتاء في أحد الوديان أو السفوح، كما يحدث أحيانًا في بعض النواحي القريبة من القدس، ما قد يؤدي إلى تشكُّل جدول صغير. وتسمى هذه الظاهرة عندها نبعًا شتْويًا[10]، وتسمى المياه الدافقة بقوة من هذا النبع أحيانًا "فَوَّار" "متدفق"، وهو الوصف نفسه الذي يُطلق على الينابيع الدائمة إذا كان الماء يندفع منها بالطريقة نفسها. ولا يُقصد بكلمة "غَدِير" في محيط القدس "بركة ماء"، كما ذكر سوسين، وإنما يُقصد بها موضع هادر بالماء في السيل الواقع على منحدر شديد. أما إذا وجِد في الجدول حوض من الماء الساكن، أُسمي "اِجْهِير" أو "بِرْكِة". وإذا كان في الجدول شلال سُمّي "مِشرع". ويسمى كل تجويف صغير في الصخر يمكن أن يتجمع الماء فيه "مِكْر" (وأصلها "نِكْر"). ويسمى ذلك الموضع من الجدول الذي تسقى عنده الماشية "موْرَد" أو "مِيراد"، ويسميها البدو أيضًا "مِشْرَع"، وليس "شرِيعَة"، وهو اللفظ الذي لا يعرفه الفلاحون إلا كاسم علم لنهر الأردن. وقد فسر لي بدوي هذا الاسم بردّه إلى "شارْعَة" (المأخوذة من مارْقَة (البَحْرَة)) بمعنى (السيل الجارف)، لكنه أقرَّ، في الوقت نفسه، أن في الإمكان تفسير اللفظة من خلال الفعل "بِشرعوا (أي "بِوَرّدوا") عَليْها النَّاس"، أي يسقي الناس مواشيهم عندها.

ويقتضي وجود "نهر" كميات كبيرة دائمة من الماء، وهذا يعتمد على طبيعة المياه الجوفية في المنطقة التي هو فيها؛ وبناء عليه، فهو جزء من الطبقة الأرضية السفلى. ولا يوجد شيء من هذا في محيط القدس؛ فعلى الرغم من أن "وادي الصَّرار" الذي يدخل بعضه في منطقة القدس يصب مع "نَهْر روبِين" في البحر الأبيض المتوسط، فليس ما يدل على وجود أي صلة مباشرة بين هذا النهر الصغير

(10) Ibid., p. 204.

في منطقة الكثبان بالأنظمة المائية في منطقة القدس، ولا حتى بالموسم المطري. ويجرى القول نفسه على "نَهْر العَوْجا"، أهم أنهار المنطقة الساحلية، الذي تتصل به الأراضي الشمالية الأبعد من القدس في جهتها الغربية.

في حين تُستخدم لفظة "وادي" دائمًا لوصف كل وادٍ كبير نسبيًا، يمكن أن تحظى فروع الوديان الأصغر حجمًا بأسماء خاصة بها، إذا كانت لها طبيعة خاصة، فيسمى الوادي الفرعي الأصغر حجمًا، إذا كان قاعه منسبطًا ولم تكن جدرانه شديدة الانحدار، "خَلّة" (ج. "خْلال")، وهي تسمية تذكِّر باللفظة الآرامية "حِلاَّ" و"حِللِّتا"، التي جاءت في الترجوم (سفر التثنية 16:34) ترجمة لكلمة "جَي" العبرية، في حين تُرجمت كلمة "نَحَل"، بكلمة "نَحلا" الآرامية (سفر التثنية 21:10). أما البدو فيسمونها "تِلْعَة". ويترجم سوسين، بحسب دوزي (Dozy)، كلمة "خَلَّة" بمعنى: *terrain bas et enfoncé* (أرض منخفضة وغائرة)، وهو ما لا يُجانب الصواب كليًا. ويميل الناس إلى تسمية الموضع المنخفض من الوادي "جوْرَة" بمعنى "حفرة" (يُقارن أعلاه، ص 7). وينبغي التمييز بين "خَلِّة" و"شِعْب" أو "شُعْب"، (وأصلها "شِعْب")، وليس "شَعْب" (كما جاء عند سوسين) التي تعني حرفيًا "تشعُّب". ولا تطلَق هذه اللفظة، بشكل تلقائي، على كل واد فرعي، وإنما على الشِعْب القصير المسافة ذي الجدران المنحدرة انحدارًا شديدًا. ويسمى مسيل الماء الجاري في مثل هذا الشِعْب "شِلاَّل"، وليس المراد بذلك أن يكون المجرى جاريًا بالماء (كما ذكر سوسين)، بل قد يسمى المجرى بهذا الاسم أيضًا حتى وإن كان جافًا لا ماء فيه.

ويسمى المنخفض الفسيح الواقع في منطقة جبلية "بِقْعَة"، وتصغيرها "اِبْقيْعَة". وقد استخدم سَعَدْيا هذه اللفظة في سفر التكوين (2:11) للكلمة العبرية "بِقْعات"، حيث يستخدم الترجوم الكلمة [الآرامية] "بِقْعَتا". وفي المقابل، استخدم اللفظة الفلسطينية – العربية "عُمْق" في مقابلة للكلمة العبرية "عيْمِق"، على الرغم من أن اللفظة العربية ليس لها المعنى نفسه الذي في العبرية. أما أن تُطلَق كلمة "بَقْعا" بشكل خاص على "واد كثير الماء بين سلسلة من الجبال" كما ذكر سوسين، فليس صحيحًا؛ فهذه اللفظة لا تطلَق إلا على المساحة الكبيرة نسبيًا الواقعة بين

المرتفعات. أما كلمة "سَهْل"، فلا تشيرإلى الطبيعة السهلية للمكان، من دون أن توحي بأنه يقع في موضع مرتفع. وإذا كان السهل رطبًا، وفيه مواضع خضراء صيفًا، أسمي، أو أسمي ذلك الجزء منه المتسم بهذه الصفات، "مِرْج"، وتدل كلمة "بَصَّة" على مستنقع، و"بالوع" هو اسم مكان منخفض لا تصريف للماء فيه، فتتجمع الماء فيه شتاء، مشكِّلة بركة[11]. وإذا وجِدت بحيرة حقيقية دائمة، فسوف تسمى "بَحْرَة" أو "بْحيْرة". وتطلَق كلمة "قاع" (أرضية) على المكان بصرف النظر عن درجة توافر الماء فيه. وتطلَق هذه اللفظة على أرضية البيت الريفي، خلافًا للشرفة التي تُتخذ غرفة للسكن "مَصْطَبَة"، وتُستخدم هنا اسمًا، لتصف توسعات الوادي الضيق التي تكون على شكل أحواض.

وتسمى كل طريق "دَرْب" أو "طَريق"، ويسمى الشارع الذي يمكن السير عليه بالعربات "سِكّة"، وعلى نحو أكثر وضوحًا "سِكّة كَرّوْسَة". وتسمى كل طريق جبلية مرصوفة بالحجارة "مِسْرَبِة"، وإن كانت منحدرة أُسميت "مِنْطَق"، وإن كانت سهلةً ملساء، "عَروضَة". وكنا ذكرنا أعلاه أسماء الصعدات والمنحدرات.

أما النعوت والأوصاف التي يمكن أن توصف بها المواضع، فعديدة جدًا. فيمكن أن تُنسب الأماكن إلى القرى أو البنايات أو الأشجار الكبيرة أو الكهوف، أو إلى أي شيء آخر لافت في المكان المراد تسميته، أو إذا كان موجودًا يومًا هناك. أما قطع الأراضي، فكثيرًا ما تُنسب إلى شخص كان مالكًا لها في يوم من الأيام، وظل لقبه، أو اسمه الحقيقي، عالقًا بها. ويُنسب المكان أحيانًا إلى صفة خاصة موجودة فيه تميزه من سائر الأماكن. ويحدث أحيانًا أن يكون اسم الموضع مأخوذًا من لهجة عربية ما عادت معروفة عند الفلاحين اليوم، أو من لغة أجنبية، وكثيرًا ما يغيِّر الفلاحون اسم المكان اعتباطًا، وإذا سألتهم عن معناه، أجابوك: "إنما هذا اسم لا معنى له"، وربما استعان بعضهم بالمعجم ليعرف معناه الأصلي. لكن، لا يجوز للباحث أن يفعل كما فعل بالمر (Palmer) في قائمة "الأسماء" في **مسح فلسطين الغربية** عندما لم يحدد من أين جاء بمعاني أسماء المواقع التي أوردها. فهل جاءت من الطريق المعجمية، أم أُخذت من أفواه العرب من غير أهل المكان المعني؟

(11) Ibid., vol. 1, pp. 200, 323, 524.

كثيرًا ما يعمد الناس في ذكرهم أسماء المواضع إلى حذف المسمى والاكتفاء بذكر صفته، خاصة إذا تحدثوا عن الجبال، فلا تراهم يقولون، مثلًا، "جِبِل الطور"، و"راس المُنْطار" وما إلى ذلك، وإنما "الطور" و"المُنْطار" فحسب. ويرجع ذلك إلى أن الناس لا تعرف دائمًا على وجه التأكيد إن كان المرتفع يسمى "جِبِل"، أم "راس"، أو "ضَهْر".

وكما أننا نكاد لا نجد في فلسطين نفسها أسماء للمجموعات أو السلاسل الجبلية، فكذلك لا نجد أسماء جامعة للوديان الموجودة في المناطق الجبلية. وهذا وضع يعيق الوصف الطوبوغرافي لهذه المناطق؛ إذ لا يمكن فهم طبيعة الأرض التي كثيرًا ما تبدو مختلطة، من غير الإلمام بالوديان الكبيرة في السفوح الشرقية والغربية، وليس لك أن تلم بالوديان إلا إن عرفتَ أسماءها. أما طريقة التعامل مع خرائط [فلسطين]، فيشوبها حتى الآن قدر كبير من التعسف؛ ففي كثير من الأحوال، تجد اسمًا معاصرًا لجزء من وادٍ، وإذا به يُجعل على الخريطة اسمًا للوادي كله. وتجده، إلى ذلك، لم يوضع في مكانه الصحيح، بل في مكان آخر، حيث لا يستخدمه أيٌّ من أهل البلد. وفي بعض الأحيان، اتُخذ من اسم قديم اسمًا للوادي كله من دون أن يؤخذ في الاعتبار أن أسماء المواضع كانت في الماضي أيضًا، في الغالب، ذات طابع محلي كما هي حالها اليوم، بل قد نجد خلطًا في أسماء المواقع حتى في خرائط **مسح فلسطين الغربية**، بما فيها العدد الكبير من أسماء المواقع، وإن لم تكن كاملة بطبيعة الحال، لأن أسماء المواضع لم تُنزَّل على الخرائط دائمًا في الموقع الذي ينبغي أن تكون فيه. فإذا تتبّع الرحّالة الخريطة، وسأل أحد أبناء البلد عن موقع وجده عليها، أجابه ذلك في الغالب بأن موضع هذا الوادي الذي يسأل عنه بعيد من هنا، فيما الاسم هنا مختلف. فإذا ما أُريد ضبط الأمور في هذه الخرائط، فلا بد، أول الأمر، من جمع عدد أكبر كثيرًا من أسماء المواضع، وأن تُنزل في مواضعها من الخرائط، وسيقتضي ذلك، بطبيعة الحال، إدخال تصويبات وتعديلات تفصيلية كثيرة على الصور الطوبوغرافية للخرائط التي أصدرها "المسح" الإنكليزي.

ولا بد للباحث في أثناء ذلك من أن يحتاط حتى لا يخدعه الجاهلون أو أشباه

العارفين، فلا يعرف أسماء المواضع إلا الفلاحون في نطاق حقول قراهم ومراعيها حصرًا، وحتى إن عملوا حمَّارين [أي في مهنة المكارة] وخرجوا من قراهم يوميًا. وعندما نقول كلمة الفلاحين، فإننا نقصد بذلك الرجال الأكبر سنًا من دون النساء. وكنت قد بدأت مثل هذا العمل في المحيط الأوسط الأعرض للقدس، وفي نواح أخرى من فلسطين، ولم تظهر نتائجه بعد. وقد تبين لي مقدار ما ينطوي عليه الأمر من صعوبات؛ فالباحث لا يتلقى المعلومات الصحيحة عن أسماء المواضع إلا إذا كان موجودًا في الموضع نفسه، أي عندما يتجول فيه بصحبة الدليل الذي سيسأله عن أسماء المواضع الموجودة في المكان. ويبين المثال الآتي مقدار ما ينبغي أن يكون عليه الباحث من حذر خشية الوقوع في الخطأ. فقد سألت يومًا رجلين من "شُعْفاط" عن اسم واد قريب فاختلفا، فقال أحدهما أخيرًا: إننا نعرفه باسم "وادي خَلَف"، فأجابه الآخر: ولكن "فرنْجيًا" (أوروبيًا) كان هنا، وقال إن اسمه "وادي الرُّمان". وكثيرًا ما يوافيك شخص بمعلومات مربكة أيضًا أمثال رجال الدين والمعلمين الذين يستقون معلوماتهم، مباشرة أو غير مباشرة، من الكتب أو الخرائط من دون أن يتحققوا منها على الواقع. وسأعمد هنا إلى توثيق أسماء المواضع في المحيط القريب من القدس، التي كنت سألت عنها سكان القرى المجاورة للقدس، وهي "العيسوية" و"الطور"، و"سِلوان"، و"المالحَة"، و"لِفْتا"، التي كانت مناطقها تصل أصلًا إلى أسوار القدس، إذ لم يكن للقدس ريف خاص بها. أما أهل المدينة فلا يعرفون أسماء المواضع، خاصة إذا كانوا ممن درسوا في المدارس الأوروبية، وليس لهم اتصال دائم بأهل القرى. ومن البدهي أنه لا يجوز استقاء المعلومات من الأدلّاء السياحيين المحترفين الذين يستقون معلوماتهم من كتب الدلالة السياحية. وعسى أن يحفز حب العرب لبلادهم على توثيق أسماء المواضع فيها، فيقيمون بذلك لتاريخ بلادهم نصبًا تذكاريًا ذا شأن كبير من الناحية التاريخية أيضًا.

وينبغي أن تتوافر في الخرائط الشروط الآتية:

1 - يجب أن توقع الأسماء الخاصة بالمواضع على خرائط خاصة ذات مقياس رسم كبير في مواطنها الدقيقة بعيدًا عن أي تعميمات. ومن المؤسف،

أن الخريطة التي أعدها **مسح فلسطين الغربية** (*SWP*) لمنطقة مدينة القدس والتي بلغت مساحتها عدة أمتار مربعة، بمقياس رسم 1:2000، والتي أُعيد إصدارها في عام 1925 في 46 خريطة، لم تنجز إلا قدرًا قليلًا من المطلوب في هذا الصدد، وعلينا أن ننجزه كله هنا.

2 – لا يمكن خرائط عامة ذات مقياس رسم أصغر، أن يسجل عليها إلا عدد محدود من أسماء المواضع، وينبغي لذلك أن يسجل على الوديان اسم أهم جزء من الوادي أو أشهر جزء منه، على أن يُكتب ذلك في المكان الذي يوجد فيه ذلك الموضع بالفعل.

3 – عند وضع الخرائط ينبغي أن يسمى الوادي الكبير الذي يجري في المناطق الجبلية، بحسب الاسم الذي يعرف به الوادي نفسه في المنطقة الساحلية، أو في وادي [غور] الأردن.

بناء على هذا المبدأ، يصبح في الإمكان أن نطلق اسم "وادي دِبْر"[12] على ذلك الوادي الكبير الذي يجري فيه الماء من شرق سلسلة جبل الزيتون ليصب في البحر الميت. ويطلَق هذا الاسم الذي لا يرد في خريطة **مسح فلسطين الغربية**، على المجرى السفلي للوادي، الذي يتدفق إلى الجنوب من "النِّبي موسى" في غور الأردن. ولست الوحيد الذي رصده هناك، بل رصده آخرون[13] أيضًا، ويعرفه فلاحو "شُعْفاط" و"الطُّور" و"بيت ساحور" معرفة جيدة.

ويجوز إطلاق اسم "وادي قِلْط" [القلت] و"وادي النِار" على الواديين الكبيرين اللذين يحدان "وادي دِبْر" من الشمال والجنوب. أما الأودية التي تحيط بالقدس على مسافة أبعد من الشمال والغرب والجنوب، فمصبُّها الأخير هو "نَهْر روبِين" جنوب يافا، ولكن اسم الوادي الرئيس فيها أي "وادي الصَّرار"، يقع بالتحديد

(12) ورد هذا الاسم خطأً "الدَّبْر" مسبوقًا بأداة التعريف لدى:
Baedeker & Benzinger, p. 121, footnote 6.

(13) de Saulcy, *Voyage*, vol. 2, pp. 170ff.; *Atlas, Itinéraire des pourtours de la Mer Morte*, vol. 2; Clermont-Ganneau, *Arch. Res.*, vol. 1, p. 10; Masterman, *PEFQ* (1902), pp. 160ff.,
(مع صور).

في المكان الذي يبلغ الوادي فيه السهل الساحلي. وبناء عليه، يمكن اتخاذ هذا الاسم ليكون اسم جمع للمجرى في المنطقة الجبلية.

ثانيًا: وسائل الإيضاح

استندت خرائط منطقة القدس الحديثة الصادرة تباعًا حتى عام 1925 على خريطة "مسح مصلحة المعدات الحربية للقدس" (Ordnance Survey of Jerusalem) التي صدرت في عام 1865 بإشراف تشارلز وليام ويلسون (Charles William Wilson). وتمتاز هذه الخريطة الموضوعة بمقياس رسم مقداره 1:10000 بأنها فائقة الدقة. وكنت وجدت نسخة أولية منها لم يتم تداولها في الأسواق، ولم ترسم عليها التضاريس لدى ورثة مستشار البناء شيك (Schick) في القدس، وهي موجودة اليوم في معهد الآثار الألماني في القدس. وفي ما يتعلق بالطرق والحدود بين قطع الأراضي، تتضمن هذه الطبعة التي لم تخصص للبيع تفصيلات أكثر كثيرًا من الطبعة النهائية التي رُسمت عليها تضاريس الطرق والحدود بين الأراضي، وهي لا تزال ذات قيمة كبيرة اليوم لكثرة ما أصاب هذه المعلومات من تغيير منذ عام 1865. وقد انتفعنا أنا وابني في عام 1925 انتفاعًا كبيرًا من الصور الفوتوغرافية التي صورناها. ويتبع هذه الخريطة المخططُ القيّم الذي أعده ويلسون للقدس، بمقياس رسم 1:2500، الذي يبين فيه الارتفاعات المختلفة في نطاق المدينة اليوم. وتميزت عنها خريطة وارن (Warren) المهمة للقدس ذات مقياس الرسم 1:2500، والمنشورة في (*Excavations in Jerusalem* (1884) Pl. II and III)، بأنها صورت القاعدة الصخرية للقدس وجوارها بحسب ما كانت معروفة حينذاك، فقدمت بذلك صورة جديدة لتضاريس المنطقة جديرة بالتنويه الشديد. واستندت إلى هذه الخريطة خريطة كومِل (Kuemmel) المسماة "خريطة مصادر طوبوغرافيا القدس القديمة" (*Karte der Materialien zur Topographie des alten Jerusalem*) (1904) ذات مقياس الرسم 1:2500، التي بيّن فيها باقي المباني المكتشفة التي وقعها وارن على مخططه، كما بينت النقاط التي اكتُشف فيها الصخر تحت سطح الأرض اليوم. وهنا لا بد من التنبيه إلى أن التضاريس التي تبينت بهذه الطريقة لا يمكن، بطبيعة الحال، الاستناد إليها في فهم طوبوغرافية القدس إلا بعد تدقيقها؛ فقد تغيرت التضاريس

عبر العصور تغيرًا كبيرًا نتيجة لتفتت الحجر الكلسي وانجرافه، ونتيجة لتراكم الأنقاض والرماد. واستند مخطط القدس الذي أعده صندوق استكشاف فلسطين (Palestine Exploration Fund) عام 1900، بمقياس رسم 3670:1 على خريطة ويلسون كذلك. ويكتسب هذا المخطط أهمية خاصة بما يتضمنه من نتائج كثيرة للتنقيبات الأثرية، ولما يتسم به من استعراض واضح للمنطقة اليوم.

لم تهدف الخريطة الخاصة بالقدس من ضمن خرائط فلسطين التي وضعها **مسح فلسطين الغربية**، والصادرة في عام 1878 (مقياس الرسم: 63360:1)، إلى تسجيل التفصيلات تسجيلًا دقيقًا، واكتفت، لذلك، ببيان تفصيلات المنطقة بيانًا تقريبيًا. ولمّا كانت الخريطة المسماة "خريطة محيط القدس الأوسع" (*Karte der weiteren Umgebungvon Jerusalem*)، التي أصدرها شيك وبِنتسِنغر (Benzinger) في عام 1896 اعتمدت على هذه الخريطة الأقدم، فلم تأت خريطتهما بجديد، بل كانت حتى مضلِّلة لأن الرسوم التي فيها، والتي تبدو أكثر دقة من سابقتها في خريطة **مسح فلسطين الغربية**، لم تعتمد على معاينتهما للواقع. ولم يزعم بِكَر (Becker) أن خريطته المسماة "خريطة سياحية للقدس ووسط منطقة يهودا" (*Exkursionskarte von Jerusalem und Mitteljudäa*) تمثل تطورًا في مجال وضع خرائط القدس، وكان أصدرها في عام 1913، بمقياس رسم 100000:1، وقد زودته أنا بأسماء الأماكن الواردة فيها[14]. وقد رمت هذه الخريطة إلى عرض الأراضي على نحو غير مألوف في فلسطين، وتميزت بأنها أحسنت إبراز موقع القدس بالقرب من السفوح الشرقية للتلال الفلسطينية الغربية. وجاء رسم الأراضي غير مرض في "المخطط الطوبوغرافي" (*Croquis topographique*) للقدس (11000:1)، الذي وضعه ب. هـ. فِنسنت (P. H. Vincent) في عام 1912، وضمّنه المجلد الأول من كتابه **القدس** (*Jérusalem*)، لكن لهذه الخريطة قيمة بفضل أسماء المواقع العربية الواردة فيها. ويرجح أن فنسنت بدأ بجمع تلك الأسماء في الوقت نفسه تقريبًا الذي بدأت أنا بجمعها، وسأشير إلى الفروق المهمة بيننا في "الوصف". ومن البدهي أنني لن آخذ الأسماء عنه من دون أن أشير إلى مصادرها.

---

(14) يُنظر في هذا الخصوص ملاحظاتي الواردة في:
ZDPV (1914), pp. 348ff.

أما الخرائط التي ظهرت قبل عام 1865، فلا يستحق الذكر منها غير خريطة فان دي فيلديس (van de Veldes) "خريطة لمدينة القدس ومحيطها" (*Plan of the Town and Environs of Jerusalem*) الصادرة في عام 1857، والتي اعتمدت على قياسات مساحية، وأرَّخ تُبلر (Tobler) في عمله **علم مخططات القدس** (Planographie von Jerusalem)، لخرائط القدس التي سبقتها وقوَّمها.

استُخدمت الخريطة العسكرية الألمانية ذات الرقم 19 التي صدرت طبعتها الثانية المنقحة في 12 حزيران/ يونيو 1918 بمقياس رسم 1:50000 لغايات الدفاع عن تركيا، ولغايات الهجوم. وهدفت الخريطة العسكرية البريطانية "القدس ب 5" (*Jerusalem B 5*) الصادرة في 21 آب/ أغسطس 1918 بمقياس رسم 1:40000 إلى تسهيل الهجوم. واعتمدت الأولى، التي لم تصدر إلا بعد أن أصبحت القدس بريطانية، على خريطة **مسح فلسطين الغربية** وقد صحّحَتها في بعض المواضع بناء على صور جوية. أما الخريطة الثانية فاعتمدت على قدر كبير من الملاحظات الجديدة، وهي تُعَدّ اليوم أفضل خريطة لهذه المنطقة، وإن كان مما يثير الشك أن رسم الأراضي فيها جاء مفصَّلًا جدًا باستخدام مسافات بين خطوط الكنتور مقدارها 65-70 قدمًا، على الرغم من عدم إجراء مسح جديد شامل للمنطقة. وجاءت أسماء المواضع في أماكن غير صحيحة أحيانًا، واستخدمتْ الخريطة في كثير من الأحوال - لأسباب تتعلق بالحرب - أسماء مبتدعة جديدة بدلًا من الأسماء القديمة. وبما أن الطرق قُسمت في هذه الخريطة إلى أربع فئات، فيتوقع قارئ الخريطة أن تكون البيانات عن الطرق دقيقة بشكل خاص. لكن، في ما يتصل بالقدس خاصة، فإن الخريطة تخلط أحيانًا بين الشوارع المرصوفة بالحصى، والطرق من الفئة الرابعة. أما التصحيحات التي يمكن أن تكون الخريطتان أدخلتاها على الخرائط السابقة، فقد جاءت مصادفة، لأن ذلك لم يأتِ بناء على تحرّ منظم للمنطقة.

هناك توثيقٌ خرائطيٌّ جديد لمنطقة القدس، كما تم تحديد ذلك الآن، أنجزه **مسح فلسطين** (*Survey of Palestine*) في عام 1924 وصدر في عام 1925 في 46 ورقة، بمقياس رسم 1:2000، وكانت المسافات بين الخطوط الكنتورية

أربعة أمتار. وينبغي الإشادة بما تتسم به هذه الخرائط من دقة في رسم تضاريس المنطقة (عدا تضاريس البلدة القديمة)، ولكن من المؤسف أن الخريطة تمثل مُعيَّنًا واقفًا على رأسه، يقطع الوديان والمرتفعات قطعًا عشوائيًا، والسبب في ذلك أن الخريطة تتبع حدود منطقة القدس التي لا تعكس التضاريس الطبيعية أبدًا. وفي أي حال، تُظهر الخريطة المنطقة الواقعة بين "شعفاط" شمالًا حتى المنطقة القريبة من "مار الياس" جنوبًا، ومن "دير ياسين" في الغرب تقريبًا، حتى "بيت حَنينا" في الشرق تقريبًا، على نحو يوضح كثيرًا من التفصيلات. أما المناطق الأحدث، مثل "جادة الملك جورج الخامس" ومستعمرة "الطالبية" اللتين كانتا موجودتين في عام 1925، فغير واردتين في الخريطة. ويؤخذ عليها كذلك أنها لم تسعَ إلى تدوين عدد كبير من أسماء المواضع العربية، كما أن بعضها وُضع في غير مكانه الصحيح، بل وقعت في الخريطة أخطاء فاحشة في تسمية المواقع، بحيث ذكرت أماكن لا صلة لها بالواقع إطلاقًا. وبينت الخريطة السكة العسكرية كاملة تقريبًا التي كان الجيش البريطاني قد بدأ يمدها بين 20 أيار/ مايو و6 حزيران/ يونيو 1918، وربما كان السبب في ذلك أن أساسها لا يزال ظاهرًا، وإن يكن من غير قضبان. لكن رسم السكة الذي لم يتسم بالدقة دائمًا، لم يخلُ في أي حال من نفع، إذ يبين كيف يمكن الوصول من محطة القطار إلى قمة جبل سكوبس في صعود تدريجي.

الأكثر ملاءمة ووضوحًا من هذه الخريطة هو التصغير الذي أصدره **مسح فلسطين** في عام 1926 للخريطة التي كنا نتحدث عنها للتو؛ فقد حُذفت منها الزوايا الأربع التي كانت في الخريطة السابقة، وجاءت بمقياس رسم 1:10000، والمسافات بين الخطوط الكنتورية مقدارها 20 مترًا. وثمة خريطة أخرى سعت إلى تسجيل إنجاز كبير، وهي "خريطة القدس" (*Map of Jerusalem*) التي صدرت في عام 1926، بمقياس رسم 1:5000، وبمسافات بين الخطوط الكنتورية مقدارها عشرة أمتار. أما الجهة التي أصدرتها، فهي **مسح مصر** (*Survey of Egypt*). وذكرت دورية **فلسطين** الإنكليزية (الصفحة الثالثة، 1927) أن "جمعية من أجل القدس" (Pro - Jerusalem Society) هي التي وقفت على إصدارها. وجاء القطاعان في الشمال والغرب فيها أصغر كثيرًا مما هما عليه في خريطة عام 1926، أما

الزاويتان في الشمال الشرقي والجنوب الغربي فجاءتا مملوءتين. ولا بد من أن نقول، للأسف، إن هذا الاختصار للخريطة الكبيرة من جهاتها كلها اتسم بالإهمال وعدم الدقة؛ فنجد "جادة الملك جورج الخامس" مدرجة في الخريطة، في حين أن مستعمرة "الطالبية" غير مدرجة.

ومن بواعث السرور الشديد، أن طيارًا عسكريًا بريطانيًا التقط في ظهيرة 18 شباط/ فبراير 1925 عددًا كبيرًا من الصور جُمعت معًا لتشكل صورة للقدس ومحيطها، حيث تُركت لي حرية استخدام النسخة الفوتوغرافية منها لغايات البحث العلمي. وتشمل هذه الصور ذات الحدود المتباينة، المنطقة من مستعمرة "تلبِيوت" اليهودية جنوبًا حتى "شُعْفاط" شمالًا، ومن "جبل الزيتون" شرقًا حتى مستعمرة "غفعات شاؤول" غربًا. أما سلسلة جبل الزيتون، فلم تشملها الصور. وبما أن حدود الصور المنفردة، ولعلها تنوف على العشرين، لم تتوافق تمامًا، وجُمعت في صورة واحدة قسرًا، فلم تخلُ الصورة الكلية من انزياحات وعدم انسجام بين أقسامها، وهو ما لا يستطيع تصويبه إلا من كانت لديه الصور الفرادى كلها.

وليس ثمة مادة توضيحية للقدس تعادل في قيمتها الصور التي التقطها الطيارون الألمان في عامي 1917 و1918، والتي نشرتُ مختارات قليلة منها في عام 1925 في كتابي **مئة صورة جوية ألمانية من فلسطين** (*Hundert deutsche Fliegerbilder aus Palästina*). ويشمل المنظران العامان في الصورتين الأولى والثانية، والمأخوذان من الشمال الغربي والجنوب الشرقي، المنطقة التي يراد البحث فيها هنا كلها تقريبًا. وتفيدنا الصور ذات الأرقام 4 و7–11 لدراسة الجنوب والغرب، والصور ذات الأرقام 12–14 و21 في دراسة الشمال، والصور ذات الأرقام 15–17 لدراسة الشرق. وقد تمكنت من استكمال الصور الجوية التي كانت متاحة سابقًا مما زودني به بعض الأفراد من صور جوية مهمة كانت في حوزتهم، ولم تكن موجودة في الأرشيفات الرسمية، وقد نشرتُ بعضها في هذا الكتاب. إلا أنني استخدمت في الوقت نفسه الصور المهمة ذات الصلة الموجودة في الأرشيف العسكري البافاري، وفي الأرشيف الوطني الألماني. فتكون ألمانيا

قد أكدت حبها للسلام يوم أتاحت استخدام صورها الجوية للغايات العلمية. ولا نعرف شيئًا حتى الآن عن الصور الحربية التي التقطها طيارو بريطانيا العظمى.

وفي ما يتصل بالرموز المشفوعة بالصور الجوية المستشهد بها هنا، فيرمز حرف (D) إلى المجموعة التي نشرتُها أنا، ويرمز الحرف (M) إلى الترقيم الذي أدرجه ب. مادر (P. Mader) في ملحق لمجموعتي، وهو ترقيم مجموعة الأرشيف العسكري البافاري في ميونيخ بشارع ليونرود شتراسه 57، وهو العنوان الذي يمكن من يشاء أن يطلب منه صور الأرشيف العسكري. وقد رمزت للصور المأخوذة من المصادر الأخرى برموز خاصة، ويمكن طلبها، في العادة، من الأرشيف الوطني الألماني في بوتسدام الموجود في براوهاو سبيرغه، ويكون مرموزًا لها عندئذ بالرمز (RA).

وينبغي ألا نغفل أخيرًا عن ذكر "خريطة الحائط المدرسية للقدس" (*Schulwandkarte von Jerusalem*) التي وضعها ب. شتِغمِلر (P. Stegmiller) في عام 1928، والتي جاءت من منظور الطير (قياساتها 135x68 سنتمترًا)، وطُبعت في ثلاثة ألوان بدار النشر يوزف كوزل وفريدريش بُستيت، في ميونيخ (Josef Kösel and Friedrich Pustet Verlag, München)، واستندت إلى الصور الجوية الألمانية، إلا أنها لم تعتمد عليها في زاوية التصوير، بل حددت المواقع عليها كما لو أنها صُوّرت من الجنوب الشرقي وعلى ارتفاع 800 متر. أما حدود تلك الخريطة الواضحة المطبوعة بألوان قوية، فهي "جبل الزيتون" في الشرق، ومنطقة طاليتا قومي في ضاحية يافا، ومستشفى العيون الإنكليزي في الجنوب، والمرتقى إلى "جبل سكوبس" في الشمال. وعلى الرغم من اتسام بعض المعلومات في الخريطة بعدم الدقة، فإنها تؤدي الغرض منها على الوجه المطلوب؛ إذ إنها شملت أحدث المستجدات في القدس. ولكن ينبغي أن يضاف إليها، إلى جانب مخطط القدس الحديثة، مخطط القدس التاريخية، كما كانت في زمن المسيح مثلًا.

وبما أن كثيرًا من الصور الجوية لا تبين المرتفعات والمنخفضات تبيانًا واضحًا نتيجة التقاطها من الأعالي، ولا يمكن رؤيتها واضحة إلا باستخدام المِجْسام (stereoscope)، فلا بد من الاستعانة بالصور الأرضية إلى جانب الصور الجوية. لكن المؤسف أن أكثر الصور الأرضية لم تُلتقط من زاوية جغرافية. أما

أهم الصور الملتقطة للقدس والجديرة بالذكر، فهي مجموعة من الصور التقطها شفوْبل من برج كنيسة رقاد السيدة العذراء ("دورميثيون" Dormition Church) ومن على "جبل الزيتون"، ومجموعة أخرى التقطها ابني في عام 1925 من "راس المِكَبِر". ويضاف إلى هاتين المجموعتين مجموعة من الصور البانورامية للقدس ينبغي الإشارة إلى ثلاث منها: 1 - الصورة التي التقطها في عام 1898 برونوْ هِنتشِل (Bruno Hentschel) (القاطن في شارع لايبنتس 22، في لايبزغ) من برج "كنيسة المخلص" (Erlöserkirsche)، وفيها ثغرة غير ذات بال في الجهة الغربية؛ 2 - الصورة الملتقطة من برج "كنيسة دورميثيون" في عام 1910؛ 3 - الصورة التي التقطها طيار ألماني في عام 1917 وهي تشمل الجهات الجنوبية الغربية (وفيها ثغرة مقدارها سنتمتر واحد) والغربية والشرقية لجبل الزيتون (من فوق برج الصعود)، ويمكن الحصول على نسخة منها من ك. هـ. كناوف (K. H. Knauf)، القاطن في شارع غوته 2، مدينة ينا (Jena).

تكتسب الصور التي التُقطت قبل تطور ضواحي القدس ومد شبكة الطرق في محيطها، أي قبل عام 1880، أهمية خاصة لأنها الوحيدة التي تُظهر المنطقة في صورتها الطبيعية. وكان من حسن طالعي أنني تمكنت من الحصول على مجموعة من هذه الصور من مالكيها، واستكملتها بصور قديمة لـ "صندوق استكشاف فلسطين" (Palestine Exploration Fund)، وبأخرى مملوكة لشركة ل. بونفيس (L. Bonfils) في بيروت وتستحق الذكر للسبب نفسه أيضًا الرسومات الواردة في كتاب إيبرز وغوته **فلسطين بالصورة والكلمة**[15]، والمأخوذة من صور فوتوغرافية. أما الرسومات الواردة في كتب مثل كتاب غايكي **تحيات مصوَّرة من الأرض المقدسة**[16]، فمبنية على قدر كبير من الخيال، خاصة في تصويرها المنطقة؛ ولذلك فهي بلا قيمة. وتمثل الصور الملونة للتضاريس الفلسطينية التي نشرها لودفيغ برايس[17] في كتابه **فلسطين وشرق الأردن** على قلّتها، حقبة جديدة (نشرته دار يوليوس هوفمان في شتوتغارت في عام 1925).

(15) Ebers & Guthe, *Palästina in Bild und Wort* (1883).

(16) Geikie, *Bildergrüße aus dem Heiligen Lande*, 4th ed. (1905).

(17) Ludwig Preiß, *Palästina und das Ostjordanland* (Stuttgart: Julius Hoffmann, 1925).

أما الخريطة المشفوعة بهذا الكتاب التي أعدها الخرائطي السيد ف. غورنغ من برلين، فسيقدم المؤلف معلومات عنها في موضع آخر من الكتاب. وقد أضفتُ إليها مسودة الكتابات، وكذلك مسودات الخرائط التاريخية الصغيرة التابعة لها. وشُفعت مربعات الخريطة بأرقام وحروف على هوامشها، وسأشير إليها أحيانًا في وصف المواقع.

وصف الأماكن

أ - المرتفعات

1 - سلسلة جبل الزيتون

"سلسلة جبل الزيتون" اسم عام لسلسلة من الجبال يقع حدها الأعلى في الجهتين الشرقية والشمالية الشرقية من القدس، وتنحدر في اتجاه غور الأردن. ولا تمثل هذه السلسلة فاصلًا بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الميت الذي لا تمسه إلا في طرفه الشمالي، ولكنها تفصل بين منطقتي "وادي دِبْر" و"وادي اِلنار" اللذين يصبان في البحر الميت. و"سلسلة جبل الزيتون" ليست اسمًا تاريخيًا قديمًا، ويفضل الإنكليز تسميته جبل "سكوبس"، وقد تبنّى اليهود مؤخرًا هذا الاسم أيضًا[1]. ومع ذلك، فإن هذه السلسلة تشكل فاصلًا مهمًّا بين منطقة السفوح الغربية لجبال جنوب فلسطين الوفيرة المطر، التي تكثر فيها المستقرات الدائمة، وبين منطقة السفوح الشرقية التي تتحول تدريجًا كلما سرتَ شرقًا إلى أرض قاحلة، ليس فيها غير عدد قليل من المستقرات الدائمة. ولهذه السلسلة أهمية خاصة في ما يتعلق بالقدس؛ فهي، نظرًا إلى ارتفاعها، تمنع الرياح الشمالية والشرقية من أن تؤثر بقوتها كلها في القدس، بخلاف الجهة الجنوبية الشرقية، حيث يتيح انحدار الجبال ونهاية السلسلة عند "وادي اِلنار" المجال للريح الجنوبية الشرقية الجافة في الوصول إلى القدس، حاملة معها تأثيراتها المزعجة المهيجة للأعصاب والجلد.

---

(1) يُنظر أدناه في هذا الخصوص.

وفي الوقت نفسه، أدى وجود سلسلة جبل الزيتون في موقعها هذا إلى أن تصبح القدس ضمن السفوح الجبلية الغربية الأكثر مطرًا، ما يعود بالنفع على آبارها بصورة خاصة، وأتاح قيام مدينة كبيرة في هذا الموقع (يُنظر القسم D أدناه).

ويمكن الاطلاع على سلسلة جبل الزيتون من خلال الصور الجوية *D* 1 = *M* 775, *D* 2 = *RA* Fl. 302 Nr. 60، والقدس مع المنطقة الشمالية الشرقية *RA*, Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, Abb. 30 = *RA*, Fl. 303 Nr. 92, *M* 777. 827, Fl. 301, 19. 1. 1918 *RA*, Fl. 301 Nr. 734. 735. 481. 485. 398 *RA*.

وتجري السلسلة في عدد من الربى التي لا تلفت النظر من حيث ارتفاعها قياسًا على ارتفاع قمة السلسلة، بقدر ما تلفت النظر من خلال اتساعها عرضًا. وكان غوتيه (Gautier)[2] قدَّر أنها تبدأ من "دار اِلمِعْبَدي"، أي من الجامعة العبرية شمالًا، حتى "باطِن اِلهَوا" (يُنظر أدناه) جنوبًا. ولكن، لا تمثل الجامعة العبرية في الواقع نهاية طبيعية لهذه السلسلة، وإنما لا بد لك من أن تحدد بداية السلسلة شرق طريق "نابلس" مباشرة، إلى الشمال من "راس اِلمِشارف" (يُنظر أدناه)، في الربوة المستديرة المسماة "راس دار صَلاح" (أو "راس صَلاح") (*B* 6)، التي ترتفع 828 مترًا[3]. وعلى الرغم من أن قمتَي "اَلمحْوَرة" ("المَحاور") و"القُعْمِة" ("قُعْمِة")[4] الواقعتين إلى الشمال، واللتين ترتدان قليلًا إلى الشرق، تتصلان بهذه المنطقة اتصالًا يكاد يكون مباشرًا[5]، فإنهما مفصولتان عن "راس صَلاح" في الواقع بفعل "شِعْب زيْدان"، وهو أول "خَلِّة اِلغُزلان"، التي تمثل أبعد فروع "وادي دِبْر" شمالًا، فتكونان بذلك جزءًا من مرتفعات الحد الفاصل بين "وادي اِلصَّرار" و"وادي قِلْط"، أي بين البحر الأبيض المتوسط ونهر الأردن الذي تصله سلسلة جبل

(2) *Encycl. Bibl.*, s. v. *Mount of Olives.*

(3) يُنظر:
M 651 and 832.

(4) Alt, *PJB* (1926), p. 22.
يؤكد ألت أن الاسم يُكتب ويُلفظ بالقاف. وفي الحقيقة، فإن الفلاحين العرب يرون عادة أن الكاف التي لا تُلفظ "تش" هي قاف. ولا بد من النظر في المعنى الذي ينسبونه إلى هذه اللفظة.

(5) يُنظر:
Gustav Dalman, *Orte und Wege*, Abb. 30 = Fl. 303 Nr. 92, *M* 649, Fl. 301 Nr. 735.

الزيتون وصولًا فحسب. فملتقى هذا الحد بالحد الفاصل بين "وادي دِبْر" و"وادي اِلنار" يشكل بداية سلسلة جبل الزيتون.

يصل ممر جبلي "راس صَلاح" من الجهة الجنوبية الشرقية بـ"راس سْويْلِم" الذي يتصل به "راس أبو حلاوة" (B7)، مشكِّلًا سفحه الشرقي (يُنظر: *M* 651, 653, 831, 832). وتذكر الخريطة الإنكليزية الجديدة أن ارتفاع أعلى نقطة فيه يبلغ 834.2 مترًا، في حين أنها بلغت بحسب قياسي835 مترًا، لأنني اتخذتُ أساسًا للقياس محطة القطار في القدس والمحدد ارتفاعها بحسب طريقة التسوية بـ747مترًا، آخذًا في الاعتبار الفرق في المكان البارومتري المعدني ودرجة الحرارة، وذلك في الثامن من آب/ أغسطس1906، مع العلم أن ذلك اليوم لم يشهد تغيرًا ملحوظًا في الضغط الجوي، بحسب ما دل على ذلك بارومتري الثابت. ويُستدل من ذلك أن هذه القمّة التي يمكن رؤيتها من القدس أعلى من قمة "راس اِلمِشارف"، التي تذكر الخريطة الإنكليزية الجديدة أن ارتفاعها هو818.7 مترًا. وبناء عليه، لا بد أن هذه القمّة هي أعلى قمم سلسلة جبل الزيتون، وهي أعلى قليلًا من أعلى قمة في غرب القدس الواقعة شمال شارع يافا، وارتفاعها هو 830 مترًا[6]. وقد غرس "الآباء البيض" المقيمون في دير القديسة حنة حرجًا من شجر الصنوبر وكرم عنب في "راس أبو حلاوة"، ما جعله بارزًا لعيون الناظرين. ويتصل بهذه القمّة من جهتها الجنوبية الشرقية متن جبلي عريض، عليه ثلاثة رجوم طولية من الصوان الداكن، تسمى "رجوم ثُغْرِة اِحْسيْن"، أو "رجوم اِلصُّوّان"، أو ببساطة "الصَّواوين" ("أحجار الصوان") (*M* 832). ويذكر **مسح فلسطين الغربية**، القدس، ص 411، أن اسم هذه الرجوم كان "رُجوم اِلبِهيمِة"، أما مارينو سانوتو (Marino Sanuto)، فيجعل موضع حجر بوهان (Stein Bohan)، في هذا المكان بالذات، لأنه رأى أن كلمة "إبْهام" العربية مشتقة، شأنها شأن كلمة "بِهيمِة"، من الجذر نفسه[7]! ولا يعرف الناس في "العيسوية" هذه الطريقة في التسمية. ويمتد أحد الجدران الثلاثة في اتجاه شمال – جنوب على امتداد الطريق القديمة للقمّة، ويتفرع الجدار الثاني منه متجهًا

---

(6) بحسب الخريطة الجديدة. أما خريطة **هيئة المساحة في القدس** (*Ordnance Survey of Jerusalem*)، فتذكر أن ارتفاع القمّة كان 2.2717 قدمًا إنكليزيًا، أي 14.828 مترًا.

(7) يُنظر "رُجْم البِهيمِة" تحت (3)، حيث "البِهيمِة" اسم مالكة الأرض.

إلى الغرب وإلى الجنوب الغربي، وينتهي الثالث بمربع مبني من حجارة كبيرة، وربما كان في يوم من الأيام حظيرة للماشية ("صِيرة"). وليست هناك آثار لبناء حقيقي، وربما نتجت الرجوم عن الحجارة المزالة من الحقول المجاورة، وبدت كبيرة بارزة للعيان، لوجود حدود قديمة جدًا إلى جانب الطريق. ولا يدل مظهر هذه الجدران على أنها بقايا لمعسكر حربي، على اعتبار أن هذا المكان يمكن أن يكون معسكرًا للرومان قبل محاصرتهم القدس[8]، وإن كان من المرجو أن تولى المسألة مزيدًا من النظر والتحقيق. وذكر ويلسون في خريطة **مسح القدس** (*Survey of Jerusalem*) المشار إليها أعلاه أن أعلى نقطة في هذه القمّة ترتفع 2685.5 قدمًا، أي 818.54 مترًا.

وتبرز من الجهة الغربية "تلة الصوان" أو "راس المِشارف" (*B* 6) المسمى أحيانًا "الشِرَفِة" (*D* 14 = *M* 788, *M* 832, 829, 827, 651, Fl. 301, Nr. 398, 735 *RA*)، وهو نتوء ذو سفوح منحدرة من ثلاث جهات. ويبلغ ارتفاعه غرب طريق "نابلس" الذي يقطع قمته 817.6 مترًا، ويرتفع من الشرق إلى 818.7 مترًا. وكان ويلسون قد قاس الارتفاع عند طريق "نابلس" بمقدار 2682 قدمًا، أي 817.47 مترًا. وقد سمي الموقع بهذا الاسم[9]، لأن القادم على طريق "نابلس" من الشمال، يرى القدس أول مرة عن قرب عند هذا الموضع وبكامل امتدادها؛ إذ لا يبعد غير كيلومترين ونصف الكيلومتر عن سور المدينة. وكان المسلمون في الماضي ينصبون في هذا الموضع أكوامًا صغيرةمن الحجارة "قعاقير"[10]، لتكون علامة على المكان الذي يظهر لهم أول مرة كمكان مقدس يزورونه، فكان هذا الموقع هو المكان الذي رأوا فيه أول مرة "حَرَم" القدس. ولكن ما عاد يُرى شيئًا من هذا اليوم. ويسمى الجزء الواقع غرب طريق "نابلس" من "راس المِشارف" "بَياض المِشارف"، بسبب لون حجارته الطبشورية. ويوجد فيه، إلى جانب الشارع تمامًا بئر تسمى "بير المِشارف"، التي لا يمكن أن تكون وفيرة الماء، ويوجد إلى الغرب منها قطع غريب مربع في الصخر، وكهف،

(8) للمزيد عن هذا الموضوع، يُنظر أدناه.
(9) تعد "مِشارف" صيغة جمع من "مِشْرَفِة".
(10) يُقارن:
T. Canaan, *Mohammedan Saints and Sancturies in Palestine* (1927), pp. 75f.

وبئران، وبعد ذلك، على السفح الجنوبي توجد بئر كبيرة وكهف آخر. ويستدل من وجود عدد كبير من كسر الآنية على أن هذا النتوء الجبلي كان مسكونًا في يوم من الأيام. ويبرز السفحان الغربي والشمالي لهذه القمّة في نهاية "وادي أُم اِلعَمَد" تمامًا، وهو فرع من "وادي الصَّرار"، الذي يرتفع هنا ليصل إلى الحد الفاصل في البلاد (*D* 14 = *M* 788, *M* 651, Fl. 301 Nr. 735 *RA*).

وتوجد في المساحة التي يلتقي فيها "راس المِشارف" و"رُجوم الصُّوَّان"، شرق طريق "نابلس" - إضافة إلى الحقول الزراعية وحدودها - إلى الشمال من نهاية منعطف الشارع الشرقي الذي ما عاد يُستخدم اليوم، أطلال بناء مربع مبني من الحجارة المشذبة، طول ضلعه 14 مترًا تقريبًا، وتُرى في داخله آثار لمربع أصغر حجمًا. وربما قام هنا يومًا برج حراسة، ولكن لا تظهر آثار لموقع مسكون، ولا لجدار معسكر روماني. ويبدو، في أي حال، أن الطريق التي تقطع التلة، تقطع سورًا في الجهة الشرقية، ما يستدعي نظرًا أدق وإجراء تنقيبات أثرية. أما خريطة **مسح فلسطين الغربية**، فقد أزاحت الاسم "راس المِشارف" شرقًا، بحيث يحسبه مستخدم الخريطة اسمًا لأعلى نقطة في قمة الصوان. ولم يكتف شيك بمتابعة هذه الخريطة بأن وضع بعد نصف كيلومتر إلى الشرق من طريق "نابلس"، بل أزاح أيضًا النقطة المثلثة المفترضة لهذا الموضع بمقدار 300 متر إلى الجنوب، كي يتسنى له أن يُظهره على خريطته[11]، بل إن الخريطة الإنكليزية الجديدة جعلت كلمة "Mt Scopus" على بعد 600 متر إلى الجنوب، على "شارع جبل الزيتون"، في المنخفض الموجود هناك، على ارتفاع يتراوح بين 780 و760 مترًا، مزيحة إياه بذلك تمامًا عن مكانه المطل. وحتى فنسنت، الذي جعل جبل سكوبس على خريطته غرب طريق "نابلس"، سمى الجزء من هذه السلسلة الواقع شمال وقف أوغستا فيكتوريا *Mont Scopus*، والجزء الواقع إلى الجنوب منه *Mont des Oliviers*، مع أن نصه[12] يصف السلسلة كلها من "راس المشارف" حتى جبل الزيتون نفسه بأنها *le mont des Oliviers*، ومن غير الممكن القول إنه أراد أن تكون هذه التسمية ذات بُعد تاريخي.

(11) أُزيحت للسبب عينه مقابر القضاة جنوبًا.

(12) Vincent, *Jérusalem,* vol. 1, p. 66.

وتوجد قبل قمة "راس المشارف" في اتجاه الجنوب قمم أقل ارتفاعًا، وتفصلها عنها الأراضي الزراعية الفسيحة المسماة "أَرْض اِلسُّمار" التي تمتد منحدرة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي[13]. وأعلى هذه القمم هي قمة "كَرْم الكَعْك (ة)"، وهي قمة دائرية تحوط بها المصاطب صاعدة عليها من الجهات كلها (*C* 6)، التي تسميها الخريطة الإنكليزية الجديدة "جِبل اِلمُدَوَّرَة"، وتذكر أن ارتفاعها هو 798.16 مترًا. وخلّف الناس هناك آثارًا قديمة كثيرة، فنجد فوق القمّة التي باتت مزروعة الآن بأشجار الصنوبر فرنًا مهجورًا لحرق الجير، وعلى الجهة الشمالية قبرًا صخريًا ومعصرة عنب. وأهم من ذلك أننا نجد بئرًا اسمها "هْرُبِّة السِّدْرة"[14]، وهي بئر على شكل صليب ذي أبعاد غير مألوفة، فطولها عشرة أمتار، ويتراوح ارتفاعها بين خمسة وستة أمتار، ويبلغ عرضها في الوسط ثلاثة أمتار، ولها فوهة واسعة. وهناك، إلى جانب هذه الآثار، أكوام من حجارة ومصاطب. واللافت في الجهة الجنوبية، وجود مصطبة تحيط القمّة، ثم تمتد في خط مستقيم تقريبًا في اتجاهٍ شمال شرقي حتى تبلغ الشارع، وقد تحسب أنها ليست طبيعية وإنما من صنع الإنسان، ولكن ليس ثمة دليل على ذلك. ولا نجد هنا أي أثر "للمعسكر الروماني" الذي وضعه شيك على خريطته أسفل "راس المشارف" غرب طريق "نابلس"، فشكل الجدران الحجرية والمصاطب الموجودة هناك لا يشبه مخطط المعسكرات، ولا بد أنها تمثل حدودًا بين الحقول الزراعية. وقد كان شيك افترض وجود معسكر في هذه المنطقة[15]، في حين ذكر **مسح فلسطين الغربية**[16] (*SWP*) أن دراسة أكوام الحجارة لم تفض إلى أي نتيجة إيجابية في هذا الصدد. وفي أحسن الأحوال، يمكن أن يقال إن الجدار الموجود أسفل "كَرْم الكعك" هو جدار معسكر، هذا إذا كان "كَرْم الكَعْك" نفسه هو مقر المعسكر المقصود. وتجد صورة ومصطبته الحجرية في *D* 12 = *M* 801، وتبين الصورة *D* 14 = *M* 816, *M* 829 الصلة بينه وبين "راس المشارف"، ولكنه ظاهر أيضًا في الصورتين *D* 1 و*D* 2.

---

(13) يذكر فنسنت هنا شرق طريق "نابلس" موضعًا اسمه "أَرْض المِسْقى".

(14) لا بد أنها سُميت بهذا الاسم نسبة إلى شجرة "سدر" كانت موجودة هناك.

(15) *PEFQ* (1891), p. 204.

(16) *Jerusalem,* p. 411.

وتمتد أرض "كَرْم الكَعْك" جنوبًا من خلال امتداد ضيق (785 مترًا)، فيه رجوم كبيرة من حجارة متناثرة، يرتفع أبعدها جنوبًا، الذي في سفحه الجنوبي محجر كبير، على هيئة تلة (*D* 12 = *M* 801, *M* 829. 830). وقد كانت عزبتان أقيمتا هناك قبل عام 1914، في حين أقام الدرك الإنكليزي معسكره في الجهة الشمالية بعد عام 1918. وتسمي الخريطة الإنكليزية القديمة وكذلك شيك هذا الرجم الذي يشبه التلة "رُجْم القَهاقِير"، ويغلب أن كلمة "قَهاقِير" ذات صلة بكلمة "قَعاقِير" (مفردها "قَعْقور")، أي رجم حجارة[17]. وكان هذا الاسم قد غاب في طي النسيان منذ أمد بعيد. وقد أفادنا الفلاحون والرعيان والحضريون الساكنون هناك لدى سؤالنا لهم أن اسم المنطقة كلها هو "وَعْر المُحَمَّديَّات". وتوجد بالقرب من الرجم الأكبر – الذي عثر فيه على أساسات لبيت مربع – قبور صخرية كان شيك قد وصف بعضها[18].

إلى الشرق من هذه المنطقة الواقعة على الطرف الآخر من طريق "نابلس"، توجد تلة أقل ارتفاعًا (*C* 6)، تفصل منخفض "أَرْض اِلسُّمار" عن "راس المشارف"، ويمكن أن تعد امتدادًا لـ "وَعْر المُحَمَّديَّات" في الاتجاه الجنوبي الشرقي. وتقع أعلى قمة فيها (784 مترًا) شرق طريق نابلس. وذكر ويلسون أن ارتفاعها يبلغ 2556 قدمًا، أي 779 مترًا، ويبلغ ارتفاعها بحسب الخريطة الإنكليزية الجديدة 782 مترًا، أما عندي فبلغ ارتفاعها 784 مترًا. ولهذه القمّة أرض صخرية، تسمى "وَعْر شِلِّيك"[19]، وتنحدر على شكل مصطبتين جنوبًا في اتجاه "وادي اِلجوز" (أوضح ما تكون في الصور *M* 528, Fl. 301 Nr. 398، ويمكن رؤيتها في *M* 788 = *D* 14, *M* 801 = *D* 12). وذكرت الخريطة الإنكليزية الجديدة في هذا السفح اسم "الشيخ جِرَّاح"، ولكنه يقع في الحقيقة على بعد 400 متر جنوبًا، على الطرف الآخر من "وادي الجوز". ويمكن أن يسمى الموضع في الواقع، كما ذكر فنسنت محقًا، "عقَبِة الشيْخ جرَّاح"، لأن "السفح" ("عَقَبِة") يفضي فعلًا إلى ضريح [حسام الدين عيسى] "الجرَّاح" المقدس. وهنا أيضًا جدران حجرية كثيرة، لكن

---

(17) يُقارَن أعلاه، ص 6.

(18) *PEFQ* (1891), pp. 201ff.

(19) ذكر فنسنت أن اسم هذه المنطقة "زين العرب".

لا توجد أي آثار لمعسكر. وعثر شيك[20] في الجهة الغربية، على الطرف الآخر من طريق "نابلس"، على أطلال عزبة قديمة لا تعرف طبيعة استخدامها. وفي الاتجاه الجنوبي الشرقي، ينخفض الارتفاع، وينتهي به الأمر على شكل نتوء. وعلى الطرف الآخر من "طريق جبل الزيتون" يقع بين ملتقى "وادي اِلجوز" وفرع شمالي من فروع وادي قِدْرون. وتقوم عزبة مفتي القدس المعروفة باسم "قَصْر المُفْتي" (*D* 6) والبستان التابع لها على هذا النتوء، الذي يبلغ ارتفاعه هنا 768 مترًا (يُنظر، بشكل خاص *M* 825. 826, 781، وأيضًا 781).

هناك نتوء آخر يمكن اعتباره تلة ثالثة، وهو يمتد جنوبًا من الطرف الشرقي لـ"راس المشارف" عند "رجم الصوان" في اتجاه "طريق جبل الزيتون"، مضيِّقًا "أَرْض اِلسُّمار". وقد قيل لي إن هذا النتوء اللافت بأرضه الطبشورية (*C* 6) يسمى "حُوّر المشارف"، ما يدل على أن الناس ترى أن "راس المشارف" يمتد حتى هذه المنطقة، حيث يبدو أن الخريطة الإنكليزية الجديدة تبحث عن وسطه الذي لن يكون قد بلغ عندها 800 متر. وتظهر هذه التلة ذات اللون الفاتح عند المنعطف الشمالي الغربي لـ"طريق جبل الزيتون"، الصاعد في *M* 788 = *D* 14, *M* 777, 828, 832، وتظهر القدس مع المنطقة الشمالية الشرقية في *RA* Fl. 301, 19. 1. 1918 *RA*, Fl. 301 Nr. 398 *RA*.

وإذا أُخذت في الاعتبار جميع المعطيات القديمة، ومعنى الاسم "راس المِشارف"، فينبغي أن يكون هذا الموضع هو المسمى "صوفِيم"، بعد أن تُضاف في أوله كلمة "هَار"، أي "جبل"؛ إذ إن معنى هذا الاسم هو "جبل المُستطلِعين"، ويُقصد بذلك في المحل الأول أولئك الذين يستطلعون الطريق إلى القدس، وإن كان يمكن أن نفترض أن المقصود إلى ذلك أن القدس وضعت هناك مستطلعين ليحرسوا الطريق الشمالية الشرقية، ولينذروا المدينة الواقعة تحتهم بنحو 80 مترًا بالخطر إن لزم الأمر.

وقد ذكرت المشنا [مجموعة الفتاوى والشرائع الدينية اليهودية الشفاهية

---

(20) *PEFQ* (1889), pp. 114ff.

المتناقلة أبًا عن جد] هذا الموقع (يُنظر Pesachim III, 8، ويُقارن Pesachim 49a, 81b, Tosephta, Pesachim II 13: "مَن غادر القدس، ثم تذكَّر أن معه لحمًا مقدسًا [الذي كان ينبغي أن يُحرق]، فإذا تجاوز 'صوفيم'، فعليه أن يحرقه حيثما كان، فإن لم يكن قد تجاوزه، فعليه أن يرجع، وأن يحرقه أمام الهيكل مستخدمًا خشب المذبح". ويُفهم من هذا أن "صوفِيم" هي موضع واقع على طريق مهمة، وهو يمثل حدًا بعيدًا لمنطقة القدس باعتبارها المدينة التي تضم المعبد. وبحسب ما جاء في Tosephta, Megilla IV 26, j. Berachoth 14b، ينبغي على المسافر أن يلتزم آداب سلوك معيّنة "ابتداء من "هصّوفِيم" دخولًا [إلى القدس]"، وذلك، في ما يبدو، لأن المعبد، الذي ينبغي مراعاة حرمته، يتجلى للناس منذ تلك النقطة. وجاء في المدراش [مواعظ كبار الحاخامين] الآية 18:5 من "نشيد الأنشاد" أن مجموعة من الربانيين - الأحبار الذين عاشوا في القرن الثاني صعدوا إلى القدس، فلمّا وصلوا إلى "صوفِيم"، مزقوا ثيابهم بعد أن رأوا المعبد المهدم الذي تجلى لهم من ذلك الموقع. ويؤكد التلمود الفلسطيني [مجموعة التفاسير والشروح الشفاهية الدينية المنقولة التي تضم المشنا والإضافات الفقهية، ويعد من أهم الشرائع والسنن اليهودية بعد الكتاب المقدس نفسه][21] أن هذا الفعل واجب على كل يهودي، بل تشدد اليهود في تطبيقه في الوقت الحاضر[22]. فيمكن أن نوافق إستوري هفارحي (Estori Haparchi)[23] في افتراضه أن "صوفِيم" موجودة في كل طريق مفضية إلى القدس، وبالتحديد في المكان الذي كان المسافر يرى فيه المعبد أول مرة. فإن صح هذا الافتراض، فلنا أن نفترض وجود "صوفِيم" آخر إلى جانب صوفِيم "راس المشارف" في جبل الزيتون شرقًا، وفي نواحي "جِبِل دَيْر أبو ثور" جنوبًا، في حين لم أستطع تحديد موضعه في طريق يافا في الجهة الشمالية الغربية تحديدًا دقيقًا، لأنه لا يمكن رؤية ساحة الهيكل [الحرم القدسي] من هنا لانخفاضه. لذا، لا بد أن نضيف بأنه جاء في "فصول الحاخام إليعيزر 31" (Pirke Rabbi Eliezer) أن أبراهام الذي كان قادمًا من بئر السبع - كما جاء في سفر التكوين (22:1) - رأى من عند

---

(21) j. Mo. k. 83b.

(22) Pēat hasch - Schulchān (Safed, 1837), p. 9a; Schaʿarē Dimʿā (Jerusalem o. J.), pp. 1f.

(23) *Kaphtor waphérah* (Berlin ed. 1852) 14a.

"زوفيم" [صوفيم] الجبلَ الذي كان عليه أن يضحّي بابنه يتسحاق عنده، وقد ميزته غيمة الجلالة الإلهية(24). ولأن الأمر يتعلق هنا بجبل الهيكل [الحرم القدسي]، فلا بد أن تكون "صوفِيم" واقعة جنوب القدس. ولكن هذا لا يمنع أن يكون المراد بِـ"صوفِيم" في المواضع المذكورة أعلاه مكانًا بعينه، وأن يكون المقصود أن يتصرف اليهودي عند مروره بالمواضع الأخرى المشابهة على النحو نفسه. ويمكن أن نستنتج من الأخبار التي رواها يوسيفوس (Josephus)(25) يقينًا أن المكان الذي يصفه بأنه εἱνφσα، أي "صافِين"، وهي المقابل الآرامي للكلمة العبرية "صوفِيم"، الذي يسميه باليونانية σχοπός" (مكان) المشاهدة [جبل المشهد]"، موجود في ذلك المكان الذي يرى فيه القادم من الطريق الشمالية "القدس والهيكل أول مرة". وليس المقصود بذلك بطبيعة الحال موقع "راس الطاحونِة" (893 مترًا) الواقع غرب الطريق الشمالية قرب "اِلبِيرة"، على مبعدة 14 كيلومترًا من القدس، الذي يمكن منه رؤية الجزء الغربي من القدس، وهو الجزء الأعلى، ولكن لا يمكن رؤية مكان الهيكل. وكان الصليبيون بنوا هنا كنيسة "القديس صموئيل من جبل جودي" (*Ecclesia Montis Gaudii*)(26)، التي كانت الغاية منها في الغالب الاحتفاء بالمكان الذي تظهر فيه القدس للقادم إليها أول مرة، شأنها في ذلك شأن كنيسة "القديس صموئيل" الموجودة في جبل صمويل. ولا بد أن σχοπός الذي ذكره يوسيفوس كان أقرب من هذا، ولا يطابق وصفه إلا "راس المشارف"، فيكون هناك الموضع الذي حيًّا فيه الكاهن الأعلى يَدُوَّع الإسكندر، بحسب ما جاء في السطر الخامس من الفقرة الثامنة من الكتاب العاشر من "العاديات" (*Antt.* XI 8, 5). وكان الرومان قد أقاموا لهم هنا معسكرات في مراحل مختلفة. فهنا أقام الحاكم الروماني للمدينة سيستيوس غالوس (Cestius Gallus) معسكره في طريق ذهابه إلى المدينة وعودته منها في أثناء حملته المخفقة عليها في عام 66 ميلادية، وذلك على بُعد سبعة إستادات (= 1344 مترًا) من القدس(27). وقد أنزل تيتوس هو الآخر، قبل محاصرته

---

(24) يُقارن:

Ber. R., pp. 56 (118ᵃf.).

(25) *Antt.*, XI, 8, 5; *Bell. Jud.*, V 2, 5.

(26) R. Röhricht, *ZDPV* (1887), pp. 201, 317.

(27) *Bell. Jud.*, II, 19, 4. 7.

القدس التي جاءها من الشمال، فرقتين على جبل سكوبس، على بُعد سبعة إستادات من المدينة، في حين عسكرت فرقة ثالثة على بعد ثلاثة إستادات أخرى من المدينة[28] [إستاد مقياس يوناني يساوي 200 ياردة] وكان قبر هيلينا، الذي يقابل اليوم قبور الملوك، على بُعد ثلاثة إستادات عن المدينة[29] بحسب يوسيفوس، أي أن القبر، بحسب تصوره، كان على بُعد يقل قليلًا عن نصف المسافة التي فصلت المعسكرات عن المدينة. فإذا كان سور المدينة الشمالي آنذاك يقع على بعد 450 مترًا عن باب دمشق [باب العمود]، وبحسب آثار السور المكتشفة الآن، فتكون المسافة بين ذلك السور وقبر هيلينا في الواقع 300 متر فقط، وعليه تكون الثلاثة إستادات المذكورة لدى يوسيفوس، التي تبلغ 576 مترًا، قد حُسبت حسابًا فيه توسع شديد. أما الإستادات السبعة (= 1344 مترًا)، فتصل من السور الشمالي الذي كان قائمًا آنذاك حتى "أَرْض اِلسُّمار"، أي إلى نحو 700 متر قبل مرتفع "راس المشارف". وكذلك إن عُد سور أغريبا على أنه السور الشمالي الحالي للقدس، فعندها لا تبلغ الإستادات السبعة إلى "عَقَبِة الشيْخ جِرَّاح"، أي نحو 80 مترًا على الطرف الآخر من "وادي الجوْز"، أي أنها لا تبلغ جبل سكوبس ولا في أي حال من الأحوال. ولا يمكن الوصول إلى قمته فعلًا إلا إذا أضفنا الثلاثة إستادات (= 576 مترًا) التي تفصل هذا المعسكر عن المعسكر الثاني [إلى الإستادات السبعة]. والواقع أن الأرض الواقعة شرق "كَرْم الكعك" ملائمة تمامًا لإقامة المعسكرات، ولذا افترض كُندَر (Conder) أن تيتوس أقام معسكره هناك[30]. وعندما يصف يوسيفوس[31] جبل سكوبس، في معرض حديثه عن معسكري الفرقتين، بأنه "الأرض المنخفضة التي تتصل بالمدينة من جهة الشمال"، فمعنى هذا أنه كان يعد السفح الجنوبي من "راس المشارف" جزءًا من جبل سكوبس. وعندها يغدو مفهومًا تمامًا لمَ أنزل تيتوس الفرقة الثالثة على قمة الجبل نفسها؛ إذ كانت مهمتها مراقبة المنطقة في اتجاه القدس، وفي الاتجاه

(28) Ibid., V, 2, 3.

(29) *Antt.*, XX, 4, 3.

(30) *PEFQ* (1874), pp. 111ff.

(31) *Bell. Jud.*, V 2, 3.

الخلفي أيضًا. ولعل ما جاء في خريطة **هيئة المساحة في القدس** (*Ordnance Survey of Jerusalem*) عندما وصفت قمّة الجبل الواقعة شمال جبل الزيتون كلها، من غير أي سند تاريخي، بأنها جبل سكوبس، هو ما حفز الأوساط الإنكليزية والأميركية في القدس على الحديث عن هذه المنطقة بالطريقة نفسها (يُقارن أعلاه في الصفحتين 21، 25)، وحتى اليهود أنفسهم أخذوا به مؤخرًا، وباتوا في الإعلانات الرسمية يذكرون أن جامعتهم تقع في "جبل صوفِيم"، على الرغم من أن الخبير صمويل كلاين (Samuel Klein)[32] يحدد موقعه شمالًا، وهو محق في ذلك تمامًا. ويبدو أن أولبرايت (Albright) أيضًا تأثر بهذا "التقليد" المعاصر عندما وصل بحدود "راس المشارف" حتى وقْف الإمبراطورة أوغستا فيكتوريا[33]. أما الذي أخذ بوجهة النظر الصحيحة، فكان فريتِلوس (Fretellus) الذي بحث في نحو عام 1130 عن "المكان المسمى سكوبس" في ناحية (Gaga) (وصحيحها Gaba، أي Gibea وهي قرية جيبيا) في شمال القدس[34].

وكذلك يقع على "راس المشارف" ذلك الموضع [نوْب] الذي هز عنده الأشوري القادم من جهة الشمال "يده على جبل بنت صهيون" (إشعيا 10:32)[35]، حتى وإن كانت "نوْب" المذكورة في الآية يمكن أن تقع في موقع أبعد قليلًا إلى الخلف؛ فالنبي إشعيا إنما ذكرها ليعرف الناس المكان المقصود بحديثه. وقد كان ألت (Alt)[36] قد اقترح أن يكون هذا قد حدث عند التلة المسماة "القُعْمِة"، مع أن تلك القمّة لم تُدرس دراسة كافية بعد. أما أولبرايت[37] وفوْغت (Voigt)[38]، فاقترحا أن يكون المكان موضع البحث هو قمة وقْف الإمبراطورة أوغستا فيكتوريا، ولكنهما لم يستطيعا أن يبيّنا كيف تختار حملة حربية قادمة من الشمال العسكرة

---

(32) Erez Jisrael, pp. 23f., 35.

(33) *Annual*, vol. 4, p. 139.

(34) De Vogüé, *Les Églises*, p. 428.

(35) Dalman, *PJB* (1916), pp. 54ff.; (1925), pp. 86f..

(36) *PJB* (1925), pp. 12f.

(37) *Annual*, vol. 4, pp. 139f.

(38) *JPOS* (1923), pp. 79ff.

في مقابل القدس في ذلك الموقع دون غيره، حيث يفصل الجيش عن المدينة واد عميق، يعيقه عن احتلالها[39]. وبناء عليه، فإن موقع معسكر سيستيوس (Cestius) وتيتوس (Titus) هو الموضع الوحيد المرجّح.

ينحدر "راس المشارف" في الشمال الغربي مباشرة في "وادي أُم اِلعَمَد"[40] العميق، وينحدر في الجنوب الغربي مباشرة في منخفض يلتقي هذا الوادي، فيلتقي قطعة أرض "كَرْم البَحْر" وقسمًا من أرض "الجيزِة" التي تمتد إلى مكان غير بعيد من "مقابر القضاة". وفي المقابل، تتصل بـ"كرم الكعك" وبـ"وَعْر المُحَمَّديَّات" مساحة مستوية تقريبًا (*C* 5)، التي يحدها شمالًا "وادي أُم اِلعَمَد"، التي تنحدر فيه انحدارًا تدريجًا، ويحدها غربًا أحد فروعه الجنوبية، وهو "خَلِّة اِلسَّعْدي"، ويحدها جنوبًا المنخفض الفسيح الذي ينحدر إلى "وادي اِلجوْز" (يُنظر: *D* 14 = *M* 788, *D* 12 = *M* 830, *M* 786, Fl. 301 Nr. 398). ويوجد فوق هذا السفح كثير من القبور الصخرية، وفي اتجاه "وادي أُم اِلعَمَد"، وفي الجهة الغربية القبور المسماة "قُبور القُضاة"[41]، وإن كان اسمها الدارج عند الفلاحين هو "اليِهوديِّة"، لأن اليهود يزورونها، والأَولى أن تسمى "قبر السنهيدرين"، لأن التقاليد اليهودية لا تقصد هنا "القضاة" بالمفهوم المستخدم في العهد القديم، وإنما مجمع القضاة الذي كان موجودًا في أثناء فترة الهيكل الثاني[42]. وإلى الشرق من ذلك، هناك مجموعة قبور أخرى لها واجهة مزخرفة، ويمكن أن تسمى "قبر الجوزة" نسبة إلى "بير الجّوْزة" التي تقع غير بعيد منها إلى الجنوب الشرقي، إلا أن التقاليد اليهودية آثرت، مثلي، أن تسميها "قبر العنب"، نسبة إلى زخارف العنب المصورة على جملونها. أما السفح نفسه، فاسمه "خَلِّة مِهْدي"، ويسمى الشريط الذي يعلوه

(39) يُنظر في هذا الخصوص:

Dalman, *PJB* (1925), pp. 86f.

(40) تجد في الخرائط الإنكليزية القديمة ولدى شيك "وادي السمار"، وهو ما لم أسمع به قط.

(41) لا تُلفظ "قُضاة"، كما جاء عند شيك وبِنتسِنغر وكذلك عند فِنسنت.

(42) يُنظر:

A. Luncz *Jerusalem*, vol. 1, p. 92,

(الجزء العبري)؛

B. Reischer, *Sepher Scha'are Jeruschalajim*, vol. 8.

"الجِّيزة"، كما أفاد لفتاوي مالك لأرض في "خَلّة اِلسَّعْدي". وقد جاءت في خريطة للأراضي الزراعية وضعها شيك الأسماء الآتية لقطع الأراضي، مرتبة من الغرب إلى الشرق: *Karm Dschissi* "كَرمْ جِسِّ" (وصحيحها: "جِيزة")، و*Der Hassein* "دِر هَسّيْن" (وصحيحها "ديْر حْسيْن")، ثم هناك أراض أخرى تقع إلى الجنوب من خط آخر تبدأ عند "بير اِلقوْس" (قرب قبور القضاة على الطريق المفضية إلى "بيت حَنِينا")، وها هي أسماؤها مرتبة أيضًا من الغرب إلى الشرق أيضًا: *Karm El Gos* "كرم الجس" (وصحيحها كَرْم الجّوْز)، *Karm tutti* "كرم توت" (وصحيحها كَرْم التوتِة)، *Karm Hallak Hamed Abu Dem* "كرم هَلَّك هَمِد أبُ دِم" (وصحيحها "كَرْم حَلاق حْميْد أبو ذان")، وتتصل بها إلى الجنوب من ذلك الأراضي *Nava Miss* "نَوَ مِس" (وصحيحها "نَواميس") و*Karm Amri* "كرم أمري" (وصحيحها "كَرَمي"). وذكر لي مرشدون أن الأرض الواقعة إلى الجنوب من "الجِّيزة"، أو "الجِّيَز" تسمى "النَواميس"، و"كَرْم اللِحَّام"، و"كَرْم أبو ذان"، وإلى الشرق من ذلك، "كَرْم الكَرَمي"، أو "مْقاطَع اِلكَرَمي"[43]. واسم الأرض التي فيها البرج القديم "قَصْر الكَرَمي"، الذي أسماه شيك "قَصْر الكَرْمِة"، وجعلها غرب الطريق المفضية إلى "بيت حَنِينا" وليس شرقها[44]. وإلى الجنوب من "اِلنَّواميس"، التي تشمل المنطقة حتى القبور الصخرية الواقعة على طريق "بيت حَنِينا"، تقع قطعة أرض قيل لي إن اسمها "جوْرة هيْرون"، وهي عند أبعد هذه القبور جنوبًا، قبل رجم الحجارة، الذي ينتصب على الطريق قرب مستنبت الأشجار الحكومي. وهذه المنطقة مهمة، وفيها آثار لطرق قديمة بين الطريق الحالية المفضية إلى "بيت حَنِينا" والطريق القديمة المفضية إلى "شُعْفاط". وقد انتقل عدد من الطرقات منذ أن وضِعت الخريطة الإنكليزية في عام 1865، فلا تستطيع الاستدلال منها على تلك الطرقات، إلا أني تنبهت إلى وجود خطوطها القديمة، التي لا يزال الاستدلال عليها ممكنًا من خلال جدرانها الحجرية. وربما وجِدت يومًا ما عزبة قرب "بير الجّوْزة"، لكن لا آثار هناك لبيوت ظاهرة، كما لا توجد آثار "للموقع القديم" الذي أثبته شيك في

(43) هذا اسم من كان يملك هذه الأرض، وقد قيل لي إن "كَرَمي" لها المعنى نفسه لكلمة "كَرَّام".

(44) تجد لدى فنسنت، غرب "كرم كِرَمي" اسمًا شاملًا هو "جوْرَة اِلغَزالِة"، ولكن هذا الاسم ينطبق على جزء من هذا المكان فحسب.

هذا الموقع. ويُلحظ في الطريق إلى "بيت حَنِينا" تحت "بير القوس" (يُنظر أعلاه) خمسة حجارة مقطوعة من دون تشذيب، يتراوح ارتفاعها بين مترين ومترين ونصف المتر، تنتصب في مكانين منبسطين لهما شكل نصف دائري تقريبًا، ثلاثة منها قائمة، واثنان مطروحان على جنبيهما. وقد تكون هذه الحجارة من مخلفات مقالع الحجارة[45]، ولكنها لفتت نظر السكان العرب، فهم يسمون الموقع "قَلْعَة الغولِة"، أي "قصر الغولة"، ويروون أنه كانت هناك غولة تعمل في خدمة سليمان، وكانت تنقل الحجارة إلى القدس، حاملة واحدًا منها على رأسها، وحجرًا تحت كل ذراع من ذراعيها، وأنها ألقت الحجارة في هذا الموقع، يوم بلغها نبأ موت سليمان[46]. وينبغي أن نعد حدود سلسلة جبل الزيتون من جهة الغرب في المنطقة الواقعة بين "خلِّة السَّعْدي" والمنخفض المؤدي إلى "وادي الجوز" في الطريق إلى "بيت حَنِينا"، لأن الأرض تعاود عند هذه النقطة صعودها، وتتصل بالقمّة الشمالية الغربية في مقابل القدس، بحيث ينبغي أن تعد هذه المنطقة منطقة جديدة. ويمكن الاطلاع على هذه المنطقة من خلال الصور الآتية: *D*12 = *M* 801, *M* 777. 786. 830, *D* 14 = *M* 788، وعلى الصورة الجوية الإنكليزية من عام 1925.

فإذا عدنا إلى "قمة الصوان"، وتتبّعنا سلسلة جبل الزيتون في اتجاه جنوب - شرق، التقينا أول الأمر المقبرة الحربية (war cemetery)، الواقعة بين القمّة وطريق جبل الزيتون المنعطفة نحو الجنوب الشرقي. ويرقد في هذه المقبرة، إلى جانب عدد كبير من الجنود البريطانيين، 16 جنديًا ألمانيًا (*C* 7). ويظهر مكان المقبرة واضحًا في الصورة الجوية *M* 832، وتظهر المقبرة نفسها في الصورة الجوية الإنكليزية من عام 1925 وفي الخريطة من عام 1926. وإلى الشرق تقع الأرض المسماة "مْحَطّ أبو عِرْق"، وتعبر بعدها الطريق مباشرة إلى "عَناتا"، التي تهبط في فرع من فروع "وادي سْليْم"[47]. ويُلاحَظ وجود متن يستطيل شرقًا، يحمل بداية اسم

---

(45) عدها دي خروت (de Groot) رحى. يُنظر:
J. de Groot, *Palestijnsche Masseben*, pp. 15f.

(46) يُنظر أيضًا:
J. E. Hanauer, *Folklore of the Holy Land* (1907), p. 74

(47) يُنظر أدناه، *B* 1.

"راس أبو صفيرة"[48]، ثم يمر بمنخفض يعلو قرية العيسوية (*C 7*) الواقعة على سفح المتن الجنوبي، ثم يعود فيصعد (783.14 مترًا)، ويسمى هناك "راس الجامِع"، نسبة إلى جامع القرية "جامِع الأرْبَعين"، لكن ينبغي أن يكون اسمه "راس القَنا"، بحسب ما جاء في الخريطة الإنكليزية، ثم يسمى الجزء التالي منه شرقًا "الحَرِيقة"، أو "حَريقَة حَسَن"، كما ذكر فان كَستِرن (van Kasteren)[49]. ويُكتب اسم هذه القرية الواقعة هنا العيسوية، ولا يجوز كتابته كما كتبه شيك وبنتسِنغر، مع أن لا صلة غير بعيدة باسم العلم "عِيسى"، أي "يسوع". ويسمي ابن هذه القرية نفسه "عيْساوي"، (ج. "عَساسْوة") كأنهم يشتقون النسبة من "عِسَّاوي". ويتعلق اسم المكان القديم، "لَيْشَة"، المذكور في سفر إشعيا (30:10) بهذه المنطقة[50]، وربما كان الاسم في أصله "الأَيشَة"، ثم تحول بتأثير من الاسم "عيسى" إلى الاسم العربي "العيَسَة"[51]، في حين أن لفظة العيسوية كانت في الأصل وصفًا لسكان المكان. ولا يراد بهذا القول إن "لَيشَة" القديمة كانت تقوم، شأنها شأن القرية اليوم، على سفح جبل، وإنما ينبغي البحث عنها عند "راس الجامِع"، أو على التلة اليهودية لسلسلة جبل الزيتون. ويظهر موقع القرية المعاصرة جليًا في الصورة الجوية *M* 832، وعلى نحو أقل وضوحًا في الصور *M* 834. 835. 777، وتظهر في محيطها الأوسع في الصورة رقم 30 في كتاب دالمان *Orte und Wege Jesu*³، وفي Fl. 303 Nr. 92, Fl. 301 Nr. 735. 481. 485، وتظهر القدس مع محيطها الشمالي الشرقي في *RA* (في الغالب Fl. 301).

وكانت قمة سلسلة جبل الزيتون انخفضت في المنطقة التي تعلو العيسوية، بحسب ما ذكر ويلسون، إلى 2643 قدمًا (أي 803.5 مترًا)، ولكنها لا تلبث أن تعود فتصعد من الطريق المفضية إلى العيسوية، المسماة "ثُغْرة العيْساوِيِّة"، مارة من فوق الوادي التابع لهذه القرية، لتنتهي بقمة جديدة يبلغ ارتفاعها 2724.8

---

(48) Vincent, *râs abou Sefîr*.

(49) *ZDPV* (1890), p. 100.

(50) Dalman, *PJB* (1916), p. 54.

(51) يُقارن: "اِلَأطْرون" (Latron).

قدمًا (أي 830.52 مترًا)[52]، ويبلغ ارتفاعها بحسب قياسي 831.5 مترًا، وبحسب الخريطة الإنكليزية الجديدة 830 مترًا. وتقع هذه التلة إلى الغرب من طريق التلة، أما شرقها فكان يقوم فيه بيت الإنكليزي غراي هِل (Gray Hill) الريفي الذي أعيد بناؤه الآن ليصبح "الجامعة العبرية" (*D* 7). وكانت هذه العزبة معروفة باسم "دار (أو وَرْشِة) اِلمعبدي (اِلمعابدي)". أما التلة، فكانت تسمى في "الطور" "راس أبو خَرُّوب"، وهذا يتفق مع وجود "وادي أبو خَرُّوب" إلى الشرق منه. ولا يعرف الناس في "العيسوية" هذه التسمية، وإنما يسمون الأرض الواقعة إلى الشمال من عزبة غراي هِل، "اِلمِدْبَسِة"، وذلك نسبة إلى معصرة قديمة كانت هناك، في الغالب. وأحيانًا يطلقون هذه التسمية على القمّة الجبلية كلها، التي يفترض غوْتيه[53]، واهمًا، أن اسمها "الصُّوَّان"، وهذا اسم لا يلائم هذه المنطقة. وتمتد هذه القمّة شرقًا، لتبلغ تلة أقل ارتفاعًا، هي "راس السِّلَم"، التي تسميها "قائمة أسماء **مسح فلسطين الغربية**" "راس السِّلاَّم"، مشيرة إلى حاكم للقدس كان اسمه سِلاَّم. وهي جلية تمامًا في الصور *M* 834, 835، وأيضًا في Fl. 303 Nr. 92 *RA*، وهي نفسها الصورة المنشورة في Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, Abb. 30، وتظهر أيضًا في *M* 827, Fl. 301 Nr. 398, 485, 735. وهناك، حيث تصعد الطريق من العيسوية بين هاتين التلتين الأعلى والأوطأ، توجد شجرة الخروب "خَرُّوبِة اِلعَشَرَة"، حيث يقدم الناس نذورهم، مشفوعة بالذبائح وبإيقاد المشاعل. وربما كان المقصود بذلك "العشرة المبشَّرون بالجنة" في الإسلام[54]. ومن الغريب أن مجير الدين [العُليمي][55] يذكر وجود "خروبة العشرة" على قمة جبل الزيتون، ويضيف أن زهرة، زوجة الأمير طوران العثماني، دفنت هناك في حوالى عام 840 للهجرة. فهل أخطأ في تحديد مكان الشجرة؟ وفي الغرب، يوجد في التلة التي تقوم عليها الجامعة العبرية، التي اقترحتُ تسميتها "التلة اليهودية"[56]، نتوء جبلي

(52) ذكر شيك، اعتمادًا على المقاييس الإنكليزية، أن ارتفاعها هو 820 مترًا.

(53) *Encycl. Bibl*; s. v. *The Mount of Olives.*

(54) Hughes, *Dict. of Islam.*

(55) Sauvaire, p. 272.

(56) *PJB* (1916), p. 74.

مهم، وإن كان أقل ارتفاعًا (817.2 مترًا)، وله سطح مستو. وقد ذُكر لي أن هذا النتوء، الذي يضفي على التلة ضخامة بيِّنة، يسمى البطن، وبحسب كليرمو غانو (Clermont- Ganneau)[57] أن اسمه "بطن البَطَّاش". وإلى الشمال من القمّة، تقع في السفح مقبرة المستعمرة الأميركية - السويدية، وإلى الجنوب تمتد بساتين أشجار فيها بيوت متفرقة تسمى "الشَّابِيِّة" (والمراد اِلشِّهابِيِّة)، لأن العزبة المسماة "قَصْر اِلشِّهابي" تقع هناك (يُنظر فنسنت).

في ما يتعلق بهذه المنطقة، بل في ما يتعلق بسلسلة جبل الزيتون عمومًا، تتخذ الصور الجوية *D* 15، والصورة رقم 30 في Dalman, *Orte und Wege Jesu*³ أهمية خاصة؛ إذ تظهر فيها هذه السلسلة، بما فيها امتداداتها شرقًا وغربًا، على نحو لا يمكن أي صورة أرضية إيضاحه، فإذا ما أضفت إلى ذلك الصورة *D* 2، باتت التفصيلات التي تعرضنا لها هنا كلها واضحة وفي متناول اليد.

وإذا انحدرتَ في منحدر آخر حتى 2660 قدمًا (أي 810.7 أمتار)، تصل إلى التلة المسماة "الزَّعْويْقَة"[58] الواقعة إلى الغرب من طريق التلة، التي يبلغ ارتفاعها 2682 قدمًا (أي 817.47 مترًا). وعند هذه التلة، تغير القمّة الجبلية اتجاهها من الجنوب الشرقي، متحولة في الجنوب قليلًا في اتجاه الغرب. وإلى الشرق من زاوية طريق التلة، توجد الأرض المسمّاة "أَرْض العَمود"، التي اتخذت هذا الاسم، في الغالب، نسبة إلى حجر ميلي (علامة حدودية) كان موجودًا هنا[59]. ويتصل بهذه المنطقة جنوبًا النتوء الصخري المسمى "ضَهْرة أُم اِلطَّلْع" (*D* 8) الذي يتخذ شكلًا مدببًا في امتداده الشرقي. وهذه هي الكتابة الرسمية للاسم، وليس "أُم الطَّلْعَة"، ولا حتى "المُطَّلَع"، كما سمعه كليرمو غانو[60]. وبناء عليه، لا يمكن أن يكون المقصود بهذا الاسم هو صعود،

---

(57) *Arch. Res.*, vol. 1, p. 273.

(58) ورد ذكرها لدى فنسنت "راس الزُّوَيقَة"، وقد جُعلت 300 متر شمال هذه النقطة، في مكان لا تلة فيه، في حين أن التلة التي تقع غرب مستشفى الإمبراطورة أوغستا فيكتوريا اسمها "راس المِدْبَسِة".

(59) لكن فنسنت ذكر هنا "خِرْبِة العَوامِيد"، وهو اسم يمكن أن يوحي بوجود خربة فيها أعمدة، يُقارن: Vincent, *Jérusalem*, vol. 1, p. 67.

(60) *Arch. Res.*, vol. 1, p. 273.

"طَلْعَة"، لطريق قديمة إلى أريحا موجودة على الطرف الجنوبي للتلة، بل يُقصد به قمة علو أو أي نقطة مراقبة واستطلاع "طَلْع". وإلى الجنوب الغربي من طريق جبل الزيتون على السفح الجنوبي لـ"الزَّعْويْقَة" - وربما هذا هو الاسم الرئيس للمرتفع كله - يوجد الحقل المسور "مَرْج التِّينِة"، فإذا مضيت غربًا وجدت "كَرْم الصَّيَّاد"، وشرقًا "حَبْلِة عَوّا"، ويليه المنحدر المسمى "عَقْبِة الصُّوَّان" الذي يشكل السفح الغربي لـ"أم الطَّلْع"، ويتعلق به منحدر طريق أريحا التي سبقت الإشارة إليها. ومنذ عام 1907، باتت قمة "أُم الطَّلْع" و"مَرْج التينِة" ملكًا لوقف الإمبراطورة أوغستا فيكتوريا التي أقامت هناك مستشفى تتبعه كنيسة على شكل قصر. وكانت الأفكار المعادية للألمان قد أضفت على المشروع الذي بُني من مصادر تمويل خاصة، طابعًا إمبراطوريًا[61]، واتهمته بالسعي إلى تحقيق أهداف سياسية ذات هوس جنوني مفرط[62]. ويفترض بالتلة التي يقوم عليها المستشفى أن تُسمى "التلة الألمانية" تمييزًا لها من التلة اليهودية التي تقوم عليها الجامعة العبرية. وتذكر الخريطة الإنكليزية الحديثة أن ارتفاعها على مستوى الشارع هو 813.12 مترًا. ولا يوجد ما يدل على أن هذه التلة كانت مسكونة في الماضي القديم، وإن وجِد قبر في أحد الكهوف مقطوع من حجر السينون[63]. ثم إن موضع نوب المذكور في سفر إشعيا (32:10) لا يمكن أن يكون هنا خلافًا لما قال به أولبرايت وفوغت (يُنظر ص 31 وما يليها). ويمكن مشاهدة الموقع من خلال الصور الآتية *RA* 1918 .1 .19 ,301 .Fl ,827 *M* ,836 *M* = 15 *D*، إضافة إلى الصور المتعلقة بسلسلة جبل الزيتون (يُنظر أعلاه).

---

(61) حتى فنسنت يصف المستشفى بأنه مستشفى ألماني قيصري.
Vincent, *Jérusalem*, vol. 1, p. 67,
وجاء في:
Sv. Jer. För. Tidskrift (1928), p. 45,
أن السلطان أهدى قطعة الأرض إلى القيصر.
(62) أسوأ الكلام الكذب الذي أوردته،
The New Age Herald (October 1920), p. 6,
ويُقارن ما جاء هناك بما جاء في:
PJB (1925), p. 87.
(63) Greßmann, *PJB* (1907), pp. 72ff.

يوجد على الامتداد الشرقي لـ "أم الطَلْع" بساتين الأشجار المسماة "كْروم بَطِّيخَة"، وتوجد إلى الأسفل منها مصطبة فيها قطع صخري من صنع الإنسان اسمه "الحَمَّام"، كما توجد البئران المهمتان "بير الدَّرَج"، أو "بير بَطِّيخَة" (طولها 11 مترًا، وعرضها نحو 6 أمتار، وعمقها 3.5 أمتار)، ولها درج، و"بير إبقيعدان" المسماة عند شيك "بير العَقَبِة". وتتصل هذه المنطقة من جهة الشرق بالمرتفعين المستقلين الأقل ارتفاعًا "راس اِطْمِيم" و"راس الشيْخ" الذي يوجد فيه المقام المسمى "شيْخ عَمْبَر"، وكلاهما ظاهر في الصورة Fl. 303 Nr. 92، عند نهاية السفح الشرقي لِـ "أُم الطَّلْع"، أولهما على بعد ثلاثة سنتمترات تقريبًا من طرف الصورة الأيمن. وقد قرر إدوين فوغت[64]، بناءً على الفخار الذي عُثر عليه في "راس اِطْمِيم" أنه موقع أثري، وأنه هو نفسه موقع "بَحوريم" المذكور في العهد القديم. فيمكن، إذًا، أن تُعد "خِرْبِة إبقيعدان" الواقعة في قاع الوادي في الجنوب الشرقي، التي لم تُسكن إلا في القرن الماضي، وريثة "بَحوريم" هذه. وربما كانت "بَحوريم" هي *Vicus Hermippus* التي ذكرها ثيودوسيوس (Theodosius)[65]، حيث يقال إن أبيمالك نام تحت شجرة تين 46 سنة[66]. ويبقى الدليل على وجودها على "راس اِطْمِيم" قاصرًا ما لم تُجرَ تنقيبات أثرية هناك. وافتراض أن بَحوريم التوراتية كانت في هذا المكان، مع أنها بعيدة عن الطريق إلى نهر الأردن، يلائم الخبر المذكور في سفر صموئيل الثاني (5:16؛ يُقارن الخبر في 17:19)، الذي يتحدث عن هرب داود إلى نهر الأردن، ولكنها تلائم بدرجة أقل الخبر عن مخبأ رسل داود الذين جاءوا عين روجِل [عين أم اِلدَّرَج أو عين القصّارين]، كما ورد في الخبر المذكور في سفر صموئيل الثاني (18:17)، وكان ينبغي عليهم أن يمروا من طريق "بيت فَاجي"، أو "بيت عَنيا" [العيزرية] عبر الوادي الواقع في الجهة المقابلة لجبل الزيتون ليصلوا إلى الموقع الذي نحن فيه، كي يتبعوا الطريق المفضية إلى نهر الأردن، وقد كان الأقرب، لو أنهم

---

(64) *Annuals*, vol. 5, pp. 67ff.

(65) P. Geyer, *Itinera*, p. 140.

(66) المقصود كرم عنب أغريبا، بحسب القصة الأسطورية المروية في أحد شروح سفر باروخ (يُنظر أدناه، 5 *A*).

سلكوا طريق "وادي الحوض". وكذلك يبدو أمرًا غريبًا أن ميخال سلكت تلك الطريق من "محنايم" إلى "حِبروْن" [الخليل] عبر "بَخوريم" كما هو مذكور في سفر صموئيل الثاني (16:3). أما كاتب الترجوم الذي يذكر اسم المكان "عَليْميْت" دائمًا بدلًا من "بَخوريم"، ففي باله مكان أشد انزواءً من بَخوريم. ومن اللافت أن سفر أخبار الأيام الأول (11:33) يذكر من بين أبطال داود شخصًا اسمه "عَزْمَوت ها بَحَرومي"، مما يفترض وجود علاقة بين "بَخوريم" والموقع المسمى "عَزْمَوت"، في ما يبدو.

وإلى الجنوب من "أُم الطَلْع"، تنخفض قمة سلسلة جبل الزيتون لتصل إلى 2604 أقدام (أي 793.7 مترًا) فوق العين الشتوية "عيْن الصُّوَّان" التي تقع عند "عَقَبةِ الصُّوَّان" (*D* 7)، حيث يبدأ الصعود إلى جبل الزيتون نفسه.

2 - جبل الزيتون

تشكل مجموعة تلال جبل الزيتون النهاية الجنوبية للسلسلة المسماة سلسلة جبل الزيتون، ويفصل واديان من الجهتين مجموعة التلال عن السلسلة فصلًا واضحًا، ولا يتركان بينهما من الجهة العليا غير تلة رفيعة تربط على هيئة ممر ضيق مرتفع، "أُم الطلع" بجبل الزيتون نفسه. وينشأ الفصل في الغرب من طريق الأخدود العميق الذي تحْدثه "عَقَبةِ الصُّوَّان" (يُنظر أعلاه)، أما في الشرق، فيتسبب بالفصل المنحدر الأكثر انبساطًا المسمى "وادي السَّهْل" والذي تسميه الخريطة الإنكليزية الجديدة "السَّاهِل"، الذي يقع على الجانب الآخر منه حوض "إبقيعدان". ويمكن تقسيم مجموعة تلال جبل الزيتون (*E* 7) إلى أربعة أقسام، مع أن فروق الارتفاع بينها قليلة:

1 - تلة الجليل في الشمال الغربي.
2 - تلة الصعود إلى السماء في الوسط.
3 - تلة الروس في الشرق.
4 - مقام مريم في الجنوب[67].

---

(67) يُقارن:
PJB (1916), pp. 61ff.; Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], pp. 277ff.

ويمكن الاطلاع على هذه التلال من خلال اللقطات المائلة Fl. 303 Nr. 92, *RA* = *Orte und Wege Jesu*[3], Abb. 30، ولقطة موجودة لدي مأخوذة من الغرب، واللقطة العمودية *M* 836 = *D* 15، ولقطة ثانية موجودة لدي، و*M* 837، وفي ما يتعلق بالسفح الغربي الصور *M* 792 = *D* 16، والسفح الشرقي الصور *D* 2 = Fl. 302 Nr. 60 *RA*, Fl. 301, 19. 1. 1918 *RA*, Fl. 301 Nr. 481, 485, 734, 735.

ولا يعد العرب اليوم إلا واحدة من هذه التلال المذكورة ليسمونها "جبل الزيتون"؛ فاسم "الطُّور" الذي اقترضته العربية عن الآرامية في فترة وجودها في فلسطين يُطلَق، في المحل الأول، على القرية المتصلة بموضع صعود المسيح إلى السماء (يُنظر أدناه)، ويسمى الجبل الذي يضم هذه القرية "جِبِل اِلطُّور". أما بيدِكِر وبِنتسِنغر[68]، فيعدَّان من ضمن "جبل الزيتون بالمعنى الأشمل" جبل سكوبس نفسه. ويرى غوته[69] أنه يتكون من أربع تلال، هي الجليل، و"جِبِل اِلطُّور"، وجبل الغضب، وجبل آخر إلى الشمال لا يذكر له اسمًا، ويغلب أنه يقصد "الزَّعْويْقَة". ويأتي مايسترمَن (Meistermann)[70] بالتقسيم الآتي: تلة الجليل، وتلة الصعود، وتلة أخرى لا اسم لها فيها قبور الأنبياء. غير أنك لا تجد سندًا يبيح هذا التوسع في تحديد مفهوم "جبل الزيتون"، لا في ما وصلنا من العصور الوسطى، ولا من العصور الأقدم منها. فتلة الجليل وجبل الغضب يختلفان عن "جبل الزيتون" منذ أقدم شواهد التراث [الديني] التي تذكرهما. كما أن العهد القديم والعهد الجديد لا يذكران "جبل الزيتون" بحيث يُفهم من ذلك أنه يشمل تلة الجليل وحدها. وقد جاء في سفر الملوك الثاني (13:23، يُقارن الملوك الأول 7:11)، أن المكان الذي مارس فيه سليمان وثنيته "وجِد قبالة أورشليم عن يمين (جنوب) هارهَمّشْحِيت" "جبل الهلاك"، ما يعني ضرورة أنه لا يجوز البحث عن هذا الموضع على "هار هَمّشْحِيت"، وإنما إلى

(68) *Palästina und Syrien*[6] (1904), p. 65.

(69) *Kurzes Bibelwörterbuch*.

يُنظر أدناه: Ölberg.

(70) *Guide de Terre Sainte*, p. 270.

الجنوب منه. فمن الراجح أن المقصود بـ"هار هَمّشْحِيت" هو جبل الزيتون، وأن اسمه قد غُيِّر بقصد في الفترات ما بعد التوراتية ليصبح "هار هَمِّشْحا" "جبل المسح"[71]، وذلك كما يقرأ التلمود البابلي[72] الموضع نفسه من سفر الملوك الثاني (13:23). ويبدو أن الترجوم على هذه الآية نفسها يفترض وجود "طور زيْتَيَّا" "جبل الزيتون" قبل "هار هَمِّشْحا". إن هذا التغيير الناشئ عن ذكر وثنيين في سياق متعلق بجبل الزيتون، يحذو حذو سفر إرميا (25:51)، حيث تُنعت بابل بأنها "هار هَمِّشْحيت". ويبدو أن الاسم "جبل المسح" قد أُطلق على جبل الزيتون لتميزه من جبال القدس الأخرى بوجود شجر الزيتون، مثلما أن الترجوم (اللاويين 25:7) يترجم كلمة "مِشْحا" بكلمة "ريْبو". أما التسمية القديمة المألوفة للجبل، فكانت "هار هَزّيْتيم"، أي "جبل الزيتون"، وذلك كما جاء في سفر زكريا (4:14)، يُقارن سفر الملوك صموئيل الثاني (30:15). وبالآرامية في الترجوم هو "طور زتَيَّا"، وجاء في الترجمة الفلسطينية السريانية للعهد الجديد "طورا دِزيْتيَّا"، أي العبارة نفسها التي يستخدمها سفر أعمال الرسل (12:1) مكان ἐλαιῶν. وقد تحول هذا الاسم عند العرب القدماء، فأصبح "طور زيْتا"[73]، أو "جِبِل زيْتا"[74]، أي "جبل الزيتون"، وربما لم يأت هذا التحول على هذا النحو إلا لأن كلمة "زيْتَيَّا" الآرامية اقترنت عند العرب بالزيت وليس بالزيتون. ويقتضي هذا الاسم أن يكون هذا الجبل هو الوحيد من بين الجبال في شرق القدس الذي كان مغروسًا بأشجار الزيتون، ولم يكن سواه مغروسًا بها. ويصف الاسم العربي القديم "جِبِل اِلخَمَر" جبل الزيتون أيضًا، بأنه الجبل "الذي خمَّرته الأشجار"، كما أنه يمكن أن يعني الجبل "الأجرد" المستور بأشجار[75]. ولا يُستبعد أن جبل

---

(71) R. h. S. vol. 2, p. 4; Midd., II, 4.

(72) b. Sabb. 56b,

ولكن ليس في المخطوطات.

(73) هكذا وردت عند مجير الدين (عاش حوالى عام 1500)، يُنظر:

Sauvaire, *Histoire de Jérusalem*, p. 192.

(74) المُقَدِّسي (عام 985)، يُنظر:

Gildemeister, *ZDPV* (1884), p. 164.

(75) مجير الدين، يُنظر:

Sauvaire, *Histoire de Jérusalem*, p. 193.

الزيتون كان في الماضي مغروسًا بعدد من أشجار الزيتون أكبر مما هي الحال عليه اليوم؛ إذ أدى بناء القرية، والأضرحة، والدير على قمة الجبل، ومقبرة مترامية المساحة على السفح في اتجاه الجنوب إلى تقليص المساحة المزروعة بأشجار الزيتون. إلا أن ذلك لا يعني أنه يمكننا أن نتوسع في إطلاق اسم "جبل الزيتون" شمالًا بحيث يتجاوز تلة الجليل، وذلك لأن الشواهد كلها التي تذكر "جبل الزيتون" تجعله يقع في مقابل القدس، أو في مقابل الهيكل مثلما ينص على ذلك صراحة سفر زكريا (4:14)؛ يُقارن سفر حزقيال (23:11)، ويوسيفوس Bell. Jud. V 2, 3، وMidd. II, 4، وPar. III 6، كما يمنع من ذلك بحسب المتوقع أن المناطق المزروعة بأشجار الزيتون كانت في المحيط القريب للقدس، وفي حمايتها، مع الأخذ في الاعتبار أن الحدود الشمالية للمدينة القديمة لم تكن تتجاوز الحدود الحالية، أي عند جبل الهيكل [الحرم القدسي]. يضاف إلى ذلك ما كنا ذكرناه أعلاه، عن أن سلسلة جبل الزيتون تنتهي شمالًا نهاية طبيعية، بحيث لا يمكن أن يطلَق اسم "جبل الزيتون" على المناطق التي تتجاوز تلك المنطقة[76].

أبعد التلال شمالًا هي تلة الجليل، وقد اكتست بالخضرة بعدما سكنها اليونانيون مؤخرًا، وزرعوها في نطاق أسوارهم بأنواع شتّى من الأشجار والكروم. وتتجه هذه التلة إلى الغرب، بحيث يشكل سفحها مع سفح "تلة الصعود" أخدودًا كبيرًا، وإن لم يكن عميقًا. وقد عدها بيدِكِر وبنتسِنغر، وكذلك غوته ومايسترمَن مِن أعلى تلال جبل الزيتون؛ إذ يبلغ ارتفاعها 818 مترًا. وبحسب خريطة ويلسون، فإن طريق التلة ترقى إلى الشرق من تلة الجليل إلى ارتفاع 2623.9 قدمًا (799.76 مترًا)، وتبلغ عند قرية "الطور" 2643.3 قدمًا (805.68 أمتار). وتذكر خريطة شيك للمحيط القريب من القدس أن الارتفاع هناك 806 أمتار، وتدل خطوطها الكنتورية دلالة قاطعة على أن تلة الجليل أوطأ منها. أما خط الارتفاع الدال على 800 متر في الخريطة الإنكليزية الجديدة، فيمر من تلة الجليل، وتلة الصعود إلى

---

(76) يتحدث رَشكه من دون أن يحتمل كلامه أدنى قدر من الصحة عن وجود جناح شمالي غربي لجبل الزيتون كانت تقوم عليه قرية "بيت عَنيا" إلى الشمال من القدس. يُنظر:
Raschke, *Werkstatt des Mrkusevangelisten*, p. 251.

السماء، والتلة الروسية، وتجعل أعلى نقطة في المنطقة، وهي 804.43 أمتار، إلى الشمال من منطقة الجليل اليونانية، وتذكر أن الارتفاع عند قرية "الطور" يبلغ 805 أمتار، وعند مقام الصعود 809 أمتار. أما أنا، فقست الارتفاع عند تلة الجليل فكان 812.5 مترًا، وعند مقام الصعود إلى السماء فكان 815 مترًا، ما يدل على وجود فارق أكيد في الارتفاع بين التلّتين. وهذا أمر تؤكده المعاينة، من بعيد أو من قريب، كما تبين، مثلًا، الصورة التي التقطها برونو هِنتشِل من برج كنيسة المخلص.

والاسم العربي لتلّة الجليل، منذ أن كتب تُبلر عنها هو "كَرْم الصياد"، وربما كان صحيحًا أن هذا الاسم كان القطعة الكبرى فوق هذه التلة في يوم من الأيام، لكنه لا يعني أن هذا هو اسم التلّة كلها[77]، خاصة أن تُبلر نفسه يذكر للتلّة اسمًا آخر هو "كَرْم أبو الهوا". أما الآن، فيتفق المسيحيون والمسلمون، القرويون والحضريون، على تسمية التلّة باسم "قِلاية"، وهم يقصدون بذلك في الواقع قطعة الأرض اليونانية الموجودة عليها. وما عادوا يطلقون اسم "كَرْم اِلصيّاد" إلا على قطعة موجودة في الجهة الشمالية الغربية منها. ومن أسماء الأراضي الأخرى الموجودة على التلّة، سمعتُ "كَرْم السِّياد" (أي "السَّيِّد") (حديقة السيد) (والمقصود ولي من أولياء المسلمين)، و"مِرْج اِلنَّعْجِة"، وتقعان على الشمال والشمال الغربي من الأرض التي يملكها اليونانيون، ما بينها وبين شارع التلة (يذكر فنسنت موضعًا اسمه "كَرْم اِلنَّعْجِة"، يقع شمال "راس أُم الطَّلَعَة"). وإلى ذلك، ذُكر لي أن "كَرْم الصيّاد" يقع في القسم الجنوبي من السفح الغربي لتلة الصعود إلى السماء، كما يوجد آخر في نواحي قبور الأنبياء.

وتسمي الكنيسة اليونانية تلة الجليل، بحسب ما جاء في النقش الموجود على مدخل أرضها، "الجبل في الجليل"، أي الجبل الذي استدعى المسيح أتباعه إليه بحسب ما هو مذكور في إنجيل متى (10.16:28)، وبحسب تأويل للآية

(77) بحسب بيدِكِر ومايسترمَن. وقد قال لي "الطُورَة". ذات مرة إن الاسم الصحيح هو "كَرْم السياد".

يرجع إلى القرن السادس الميلادي في أبكر الأحوال[78]. وقد أثبت ر. هوفمان[79] (R. Hofmann) أن الروايات الواردة في الأناجيل الأخرى عن استدعاء المسيح للرسل تقتضي أن يكون ذلك قد حدث قرب القدس، ويعتقد أ. ريش (A. Resch)[80] أنه يستطيع إثبات أن الأرض الواقعة إلى الشرق من جبل الزيتون تسمى الجليل استنادًا إلى ما ورد في سفر يشوع (17:18) وسفر حزقيال (8:47)، فيمكن أن يكون جبل الزيتون، في تقديره، هو المقصود بعبارة "الجبل في الجليل". غير أن الاقتراحين غير مقبولين لأن الشاهد في إنجيل متى (10.16:28) لا يُفهم منه أن المقصود بالجليل في هذا الشاهد مختلف عن دلالة الجليل في الشواهد الأربعة عشر الأخرى في السفر نفسه.

ربما تشكل المساحة الصغيرة المنبسطة الواقعة بين تلة الجليل وتلة الصعود، مع هذه التلة الأخيرة المكان الذي يسميه العرب "ساهِرَة"، المذكور في سورة النازعات (14)، وهو المكان الذي سيُحشر فيه من يُبعث يوم القيامة للحساب كما ذكر المُقَدَّسي عن ابن عبَّاس، ابن عم النبي محمد[81]. أما زكريا في سفره (4:14) فلا يذكر غير أن الله سيظهر على جبل الزيتون لينقذ شعبه، وأن الجبل سينشق إلى قسمين. وفي أواخر العصور الوسطى، انتقل الاسم، لأسباب لا نعرفها، من مكانه هنا إلى التلة المقابلة للسور الشمالي للمدينة، أي إلى ما أسماه ثينيوس (Thenius) وغوردن (Gordon)[82] الجلجلة، وأصبح هنا "الزَّاهِرَة". أما الشريعة اليهودية، فرأت

---

(78) *Brev. de Hieros.*; Geyer, *Itinera*, p. 155;

ويُقارَن:

G. Klameth, *Die neutest. Lokaltraditionen Palästinas*, vol. 2, no. 1, pp. 51ff.

(79) *Galiläa auf dem Ölberg* (1896), pp. 49f.

(80) *Das Galiläa bei Jerusalem* (1910).

(81) Gildemeister, *ZDPV* (1884), p. 165.

وكذلك ناصر خُسرو، كما جاء لدى:

Le Strange, *Palestine under the Moslems*, p. 219;

وخليل الظاهري، كما جاء عند:

R. Hartmann, p. 20.

(82) يُنظر:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, pp. 366f.

في قمة جبل الزيتون المكان الذي تُحرق فيه البقرة الحمراء تطهرًا[83]، ما يؤكد أن القمّة لم تكن مأهولة آنذاك. كما أنها كانت يومًا ما مكانًا لعبادة الله، كما ذكر سفر صموئيل الثاني (32:15). وكانت الفرقة العاشرة [الرومانية] ضربت في هذا المكان معسكرها الدائم في أثناء حصارها القدس بقيادة تيتوس، على بُعد ستة إستادات (1152 مترًا) عن المدينة[84]، ولكن آثار هذا المعسكر درست، وما عاد يُرى منها شيء. ويبعد جبل الزيتون عن القدس، بحسب ما جاء في سفر أعمال الرسل (12:1) طريق سَبْت، طوله 2000 ذراع، أي نحو 1000 متر. إلا أن المسافة الجوية من موقع الصعود إلى السماء إلى السور الشرقي "للحرم" لا تزيد على 750 مترًا، ما يدل على أن هذه الأرقام تقريبية، كما أن يوسيفوس بالغ كثيرًا في تقدير المسافة؛ لأن المعسكر كان يقينًا على تلة الصعود إلى السماء.

وتقوم على القمّة الفسيحة في "جِبِل اِلطور" (2643.3 قدمًا (=805.68 أمتار)) قرية "الطُّور" الصغيرة، شمال وشرق مقام الصعود إلى السماء الذي بات اليوم مقامًا إسلاميًا، وشمال وشرق قبر "سِتْنا رابْعَة اِلعَدَوِيِّة"[85] الذي ربما حل في محل قبر [القديسة] بلاجيا[86]. ويسمي أبناء هذه القرية أنفسهم "طوري"، (جمعها: "طُوَرَة"). و"الطُّور" هو اسم القرية كما يرد في سجلات الحكومة، وكما يسميها أبناؤها أيضًا[87]. ويُستبعد أن يكون اسمها "كِفْر الطُّور"، كما ذكر ويلسون وشيك؛ إذ إن أبكر الشواهد التي تذكر هذه القرية ترجع إلى القرن الخامس عشر. ولعل أهل القرية يميلون اليوم إلى الاعتقاد بأن الجبل اتخذ اسمه من اسم قريتهم.

وسترتقي إلى هذه القمّة، بحسب ما جاء في سفر حزقيال (23:11) صورة عظمة الله، وذلك من الهيكل الذي سيكون مآله الدمار. كما أن قدمي الإله ستطآنها

---

(83) *Par.* III 6, Midd., II 4.

(84) *Bell. Jud.*, V 2, 3-5.

(85) توفيت في القرن الثاني الهجري بحسب ما ذكر ر. هارتمن عن خليل الظاهري: "زبدة كشف الممالك" [في النص الألماني "الموالك"]، صفحة 31، الهامش 4. يُقارن:
Canaan, *Mohammedan Saints and Sanctuaries in Palestine* (1927), p. 284.

(86) Antoninus & Geyer, *Itinera*, p. 170.

(87) *ZDPV* (1879), p. 162; (1883), p. 124.

كما جاء في سفر زكريا (4:14) عندما يأتي لينقذ إسرائيل، ويقضي بين الناس. ومن على هذه القمّة أيضًا، سيعلن المسيح حلول يوم الحساب كما جاء في إنجيلَي متى (3:24 والآيات التي تليها) ومرقس (3:13 والآيات التي تليها). ومنها كذلك سيرجع حواريو المسيح بعد أن يكون قد استدعاهم إليه قبل رحيله عن هذا العالم ليكونوا شهوده، كما جاء في سفر أعمال الرسل (2:1). وليس ثمة دليل، في أي حال، على أن المسيح قد رحل من على قمة جبل الزيتون، كما افترضت تلك الرواية التي ترجع إلى القرن الرابع[(88)]، ويرجَّح أن ذلك قد حدث في مكان أشد انعزالًا، ربما كان على الطريق إلى "بيت عَنيا" - العيزرية اليوم. ويرجع مقام الصعود الحالي إلى بناء مسيحي من القرن الرابع[(89)]، وهو يقوم على مرتفع يعلو حوالى أربعة أمتار عن القمّة (ارتفاعه 809 أمتار عن سطح البحر بحسب الخريطة الإنكليزية الجديدة)، وينبغي أن يعد هذا المرتفع كومًا من الطمم؛ فالحجر المعروض في المقام الذي عليه أثر قدم المسيح ليس جزءًا من أرضية الجبل الطبيعية. أما التسمية في الخريطة الإنكليزية الأكبر مقياسًا والصادرة في عام 1926 لكنيسة صغيرة قائمة في طرف تلة الجليل، فهي "مكان الصعود إلى السماء عند اليونان"، وتلك التسمية تنم عن جهل؛ إذ إن التقاليد اليونانية في هذا الصدد لا تختلف عن التقاليد اللاتينية[(90)].

في الطرف الجنوبي للقمّة يوجد دير للراهبات الكرمليات، وقد عُثر في ساحته على كنيسة جبل الزيتون التي كانت قد بَنَتْها [هيلانة] أم الإمبراطور قسطنطين، حيث كان المسيح يعلّم تلاميذه في موضع مقابل للهيكل كما جاء في إنجيلي متى (3:24) ومرقس (3:13)[(91)]. والراجح أن المكان التقليدي الذي كان المسيح يعلم فيه موجود هناك فعلًا، أنه يشار إليه اليوم حيث تقطع الطريق الواصلة إلى

---

(88) الحاج من بوردو:

Geyer, *Itinera*, p. 23; Aetheria, *Itinera*, pp. 83, 86, 94.

(89) Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, pp. 283f.; Klameth, *Lokaltraditionen*, vol. 2, no. 1, pp. 96ff.; Vincent & Abel, *Jérusalem*, vol. 2, p. 366.

(90) يُقارن:

Joannides, *Proskynetarion*, vol. 1, p. 290.

(91) يُنظر:

Dalman, *Orte und Wege Jeus*³, p. 280; Klameth, *Lokaltraditionen*, vol. 2, pp. 2ff., Vincent & Abel, *Jérusalem*, vol. 2, pp. 337ff.

"بيت عَنيا" قمة جبل الزيتون، وحيث يمكن أن يطل المار من ذلك الموضع على القدس كلها. أما الإشارة إلى وجود كهف هناك، فإنما ترجع إلى ميل أهل ذلك الزمان إلى الاعتقاد بأن الكهوف كانت مواضع مهمة يتنزَّل فيها الوحي(92). وقد ذُكر لي أن اسم أرض الدير هو "القَصايِل"، في حين سمع كليرمو غانو أن اسمه "اِلبَثَنِيّة".

وتتصل بتلّة الصعود إلى السماء من الجهة الشمالية الشرقية من طريق جسر بري عريض أرض مرتفعة تُعَدّ أعلى جزء في هذه المجموعة، وقد باتت الكنيسة الروسية تمتلك أكثرها، فليس ما يمنع من تسميتها "التلة الروسية"، خاصة أن الاسم العربي المألوف لهذه الأرض هي "اِلمسْكوْبيِّة"، وأن الجرَّاسية التي بُنيت حوالى عام 1887 تسمى "جَرَسيَّة اِلمسْكوْب"، وهي التي تميز جبل الزيتون بعدما كان يصعب كثيرًا تحديد موقعه من بين سلسلة جبال يهودا قبل بنائها. وعدا هذه التسمية، يمكن تسمية الموقع نسبة إلى مقام "سْليْمان (سلمان) الفارسي"، الذي يقوم إلى الشمال من المسكوبية(93). وذكر لي الناس أن قطعة الأرض هذه كانت تسمى قديمًا "كَرْم مَسْعود" و"حاكورة صَلاح". أما المنطقة الواقعة شرق الجراسية، فتسمى "اِلباطن"، فيما تسمى المنطقة الواقعة إلى الغرب "ورا الدار"، ويسمى السفح الشرقي الذي تقع عليه طريق مفضية إلى وادي "الحردوب". وقد يكون للتلة الروسية أهمية تاريخية، إذا كانت هي المكان الذي كانت تشعل فيه النار إيذانًا ببدء الشهر الجديد بحسب التقويم اليهودي(94). ويبدو أنها اعتُبرت في يوم من الأيام المكان الذي صعد منه المسيح إلى السماء، كما يمكن أن يتبين مما ورد في إنجيل لوقا (50:24) وسفر أعمال الرسل (12:1) اللذين يذكران أن مكان الصعود كان في جبل الزيتون في الطريق إلى "بيت عَنيا"(95). ويبلغ ارتفاع أعلى

---

(92) S. Schmaltz, *ZDPV* (1919), pp. 132ff.

(93) يُنظر في ما يتعلق به:

I. Goldziher, *Mohammedan Studien*, vol. 2, pp. 37, 353

(94) R. h. S. II 4; Tos. R. h. S. II 2; j. R. h. S. 58a;

ويُقارن:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*3, p. 279.

(95) Dalman, *Orte und Wege Jesu*3, p. 284.

تلة هنا 2664.8 قدمًا (812.23 مترًا)، وبحسب الخريطة الإنكليزية الجديدة يبلغ الارتفاع أكثر من 808 أمتار، وبحسب قياساتي الخاصة عند "قُبّة اِلأرْبَعين" ("مُجاهِدين") يبلغ 817.5 مترًا. وتفيد بيانات الارتفاعات الإنكليزية أن أعلى نقطة في جبل الزيتون لا ترتفع إلا 108 أمتار عن وادي قِدْرون عند قاعه، و67 مترًا عند المصطبة العليا لساحة الهيكل [الحرم القدسي]، ولا ترتفع غير ثلاثة أمتار عن منطقة الكنيسة الإثيوبية، وتنخفض ثلاثة أمتار عن دار الأيتام السورية [شنِلّر]، في حين يزيد ارتفاع أعلى نقطة في القمّة الواقعة إلى الشمال الغربي من القدس عليها 21 مترًا. ويترتب على ذلك أن من غير الممكن رؤية البحر الأبيض المتوسط [من جبل الزيتون]، ولا حتى من جرّاسية الروس، وأن المرتفعات الواقعة غرب القدس تسد الأفق، بحيث إن شروق الشمس من على جبل الزيتون لا يتأخر، أو لا يتأخر إلا قليلًا، عن موعده الاعتيادي لدى ضاحية يافا في القدس.

ويلي ذلك متن جبلي ضيق، ينبغي أن يُعَدّ امتدادًا جنوبيًا لتلة الصعود إلى السماء، وهو ليس قمة مستقلة بنفسها. وتسمى تلة سفحه الجنوبي "القَعْدِة"، أو "القاعْدِة"، لأن مريم، في ما يقال، قعدت هناك في أثناء زيارتها جبل الزيتون و"بيت عَنيا" [العيزرية][96]، في حين تقع إلى الشرق من ذلك الأرض المسماة "اِقْطان خْويْط" (*EF* 7). وتذكر الخريطة الإنكليزية الجديدة أن ارتفاع التلة يبلغ 792 مترًا، في حين بلغ ارتفاع أعلى نقطة بحسب قياساتي 800 متر. وهذا هو أكثر أجزاء مجموعة جبل الزيتون انخفاضًا، الذي تنتهي به السلسلة أمام عيني الناظر. يلي ذلك سفح شديد الانحدار، يصل إلى الممر الضيق المسمى "مِدَق الطَّبْل" (عند مسير الموكب إلى قبر موسى) الذي تجري عليه الطريق الواصلة إلى أريحا، وارتفاعه 726.5 مترًا (*F* 7). وهناك امتداد أخير، أكثر انخفاضًا، ارتفاعه 672 مترًا، وهو "وَعْر اِلبيّار" الذي يهبط إلى الجنوب في آخر مساره في وادٍ فرعي ارتفاعه هنا حوالى 600 متر، من أودية "وادِي اِلنار".

---

(96) يُنظر:

Tobler, *Die Siloahquelle und der Ölberg*, p. 248.

حيث إن مكان الاستراحة، وفقًا له، لم يكن دائمًا في ذلك المكان.

وهناك امتداد آخر، لكنه يشكل ارتفاعًا مستقلًا بذاته، وهو "باطِن اِلهَوا"، (*F* 7)، أي "كومة الهواء" الذي يتصل بـ "مِدَق اِلطَّبْل" من الجهة الجنوبية الغربية. ويبلغ ارتفاعه قرب الدير البينيدكتي الموجود هناك 741 مترًا، ويتصل من طرفه الجنوبي بـ"وادي النار"، حيث يبلغ ارتفاعه 580 مترًا، وهو أدنى ارتفاع لسلسلة جبل الزيتون. وقد كتب تُبلر، و"قائمة الأسماء" لـ **مسح فلسطين الغربية**، وفنسنت اسم هذا الموقع كتابة صحيحة، وهي "باطِن الهوا"، في حين أخطأ شيك وغوته والخريطة الإنكليزية الحديثة، إذ كُتب "بَطْن الهوا" كما تلفظه فعلًا نساء قرية "سلوان" الواقعة على السفح الغربي لهذا الموقع، إلا أن رجال تلك القرية يقولون إن لفظة "باطِن" هي الصحيحة. أما تسمية الموقع باسم *mons offensionis*، أي "جبل الغضب"، فلم تُعرف إلا في العصور الوسطى، إذ جاءت أبكر الشواهد عليه لدى فريتِلوس[97] (حوالى 1130)، ولدى يوهان فون فورتسبورغ (Johann von Würzburg)[98] (حوالى 1165). ومع أن يوسيفوس[99] ذكر الجبل واصفًا إياه بأنه "التل الواقع بالقرب من الواد قرب سِلوَّان"، لكنه لم يذكر له اسمًا. وبحسب ما ذُكر أعلاه في ص 41، فإنه ينبغي فعلًا أن نفترض أن الحجارة الوثنية التي نصبها سليمان قد نُصبت على هذا الجبل لأنه يقع في مقابل مدينة داود. لكن ذلك لا يقضي بالضرورة أن تكون الحجارة قد نُصبت في أعلى الجبل، بل يوجد في الطرف الشمالي لقرية "سِلوان" صفيحة صخرية وسَّعها الناس، ينتصب في طرفها الغربي ارتفاعان على هيئة مذبحين، تصلح لهذه الغاية. ويسمي أهل القرية الموقع "الْعَصَارَة"، فهم يرون أن الموقع كان "معصرة" للزيتون أو للعنب. وقد أورد دو سولسي[100] رسمًا لمكان مقطوع في الصخر أسماه *Ruines de Siloam* "خرائب سِلْوَام"، وهو يقصد بذلك في الغالب معصرة عنب قديمة من دون أن يحدد مكانها الدقيق، ولم أستطع العثور عليها قط. ويظهر في الرسم منخفض منحوت في الصخر، يبلغ من الأمتار 1.30 عرضًا

(97) de Vogüé, *Les Églises*, p. 428.

(98) Tobler, *Descriptiones*, p. 166.

(99) *Bell. Jud.*, V 12, 2.

(100) de Saulcy, *Voyage autour de la Mer Morte*, Pl. XLV.

و2.20 طولًا، تحيط به درجة من ثلاث جهات. وينتصب في الجهة الخلفية على درجتين أخريين عمود عرضه 30 سنتمترًا وارتفاعه متر واحد، وفيه فتحة دائرية من جهته الأمامية. ويوجد على طرفي المنخفض أحواض رفيعة، وأمام المنخفض منخفض آخر، أعرض من الأول. ويُرى من بعيد "قبر بنت فرعون"[101] الذي كان يزينه إطار على هيئة هرم يسميه أهل "سِلوان" "قبر اِلمِنْشار"، لأنهم يُطلقون اسم "إلمِنْشار" على الصخر الذي بُني فيه القبر الذي قُطع مرات عدة. ولا يبدو أن إفريزه المصري الطابع، الذي يظهر في مدافن أخرى من "وادي قِدْرون"، شديد القِدَم. وينفرد هذا القبر عن القبور الأخرى بوجود كوة في الجهة اليسرى من جدار الحجرة الداخلية، وبالعمود المحفور في جدارها الخلفي، وبالتجويف الدائري الصغير المحفور تحت طرفها الأمامي. ولا أعرف شيئًا يشبه هذا إلا في البتراء[102]. وقد ذكر يوسيفوس قبل هذا التل وإلى الشمال منه، وذلك بحسب السياق لديه، "الصخر المسمى برج الحَمَام" الذي كان اسمه في الآرامية، على الأغلب، "كيفا دِشوبَكّا" (*kēphā dešōbakkā*). وقد رأى الدارسون أنه قصد بذلك "قبور الأنبياء" الموجودة في السفح الغربي لـ"القعدة"؛ إذ تشبه هذه القبور الكثيرة المحفورة في الصخر برج الحَمَام. فتكون هذه المدافن المسماة "برج الحَمَام" قد أضفت على السفح الذي تقع فيه، وعلى "القعدة" نفسها، اسم "صخر برج الحَمَام". غير أن النقوش المحفورة على المدافن تدل على أنها مدافن مسيحية، وينبغي تأريخها إما في القرن الرابع وإما في القرن الخامس الميلاديين[103]، وبناء عليه، فقد يشير الاسم الذي ذكره يوسيفوس حقيقة إلى برج حمام في الصخر، كالبرج الموجود في "وادي الصِير" بأرض مؤاب، وكذلك الموجود في "وادي قَدُّوم" أسفل الجهة الجنوبية من "باطِن اِلهَوا"، وبرج الحمام الموجود على تلة "المشورة الفاسدة"، وفي كهف واقع قرب "قوس آلام الإنسان" في القدس، هذا إن لم تكن كلمة περιστεών التي

---

(101) يُنظر:

Ibid., pp. 307ff., Pl. XLII.

(102) Dalman, *Petra und seine Felsheiligtümer*, pp. 70f.

(103) Clermont-Ganneau, *Arch. Res.*, vol. 1, pp. 345ff.; Vincent, *Rev. Bibl.* (1901), pp. 72ff.

ذكرها يوسيفوس تحويرًا اعتباطيًا إلى اليونانية من كلمتي "بِرصا" و"بِريصوتا" *pirsā* و *perīsūtā* [الآراميتين] اللتين تعنيان "وقاحة". ويمكن أن يكون المقصود بهذا الموقع البرج الصخري الغريب المسمى "اِلعُلْيِّة"[104] الواقع عند الصفيحة الصخرية المسماة "اِلعَصَارَة"، لولا أن جزأه العلوي يتضمن حُجرة دَفنٍ فيها ستة قبور أفقية، وهي التي هُدم صخرها في مرحلة لاحقة فحُولت إلى حجرة برج، وربما استُخدمت للسكن[105]. ويبدأ تحت "العَصَارَة" حائط صخري يمتد إلى أسفل قرية "سِلوان"، يسمى هنا "الزُّنَّار" لأنه يشبه الحزام في امتداده، وليس لأن "قبر بنت فرعون" الواقع فوقه عليه زخارف على هيئة حزام، في ما يُفترض[106]. ويقع هذا الحائط الصخري قريبًا جدًا من "باطِن اِلهَوا"، بحيث لا يمكن عده صخر الحَمَام الذي ذكره يوسيفوس.

تقع إلى الجنوب من "العَصَارَة"، على طول السفح، قرية "سِلوان" (*F* 6) لا "كَفْر سِلوان" (كما جاء لدى كارل ريتير (Carl Ritter) وشيك وبنتسِنغر)؛ إذ لا يرد في القائمة الرسمية للأسماء غير "سِلوان"[107]، وكذلك الحال لدى بيرغرين (Berggren) وويلسون. ويتسمى ابن هذه القرية "سِلواني" (ج. "سلاونة"). وجاء اسم القرية من الكلمة العبرية "شِلوَح"، أو "شِلوحا" *šilōaḥ*، أو *šilōḥā*، من اليونانية Σιλωάμ (إنجيل يوحنا 9:7)، وهو اسم لقنوات الماء وللبركة الواقعة قبالة القرية (سفر نحميا 3:15، سفر إشعيا8:6)، في حين تسمى البركة اليوم "بِرْكِة سِلوان"، التي تتبع قرية "سِلوان". وتضم هذه القرية مدافن القدس القديمة كلها التي يمكن أن تعد بديلًا من أقدم موقع للقدس على عين جيحون. وقد جاء ذكرها أول مرة لدى موندريل (Maundrell) في عام 1697، وهي قرية ذات أصول عربية من غير شك.

(104) تُنظر الصورة لدى:

Vincent, *Jérusalem*, vol. 1, p. 63.

(105) يُقارن:

Ibid., p. 63.

(106) Clermont-Ganneau, *Arch. Res.*, vol. 1, p. 313.

(107) *ZDPV*, vol. 2, p. 161.

ونجد آثارًا أكثر قِدمًا في المكان الذي ينحدر فيه السفح الجنوبي لِـ "باطن الهوا" (G 7) في اتجاه "وادي النار" حيث يصب "وادي قَدُّوم"، وتشير تلك الآثار إلى استقرار أكثر قدمًا. فعلى هذا السفح، وليس على السفح الشرقي[108]، تقع خربة "ديْر السِّنِة"[109] التي ذكرها مُجير الدين[110]. وتقع بالقرب منها بئر "البوْبَريَّة"، ذات المقاييس الخارجة على المألوف، فعرضها 11 مترًا، وطولها 22 مترًا، وارتفاعها 10 أمتار، ولبركتها الصخرية الحجم نفسه. واللافت، إلى الأسفل من هذه البئر، في منطقة "وَعْر البِيار" وجود صفائح صخرية، فيها تجويفات صخرية دائرية[111] مجموعها 82 تجويفًا، وعدد من الأحواض المنحوتة في الصخر، ومعاصر. وكان براندنبور زعم أنها معابد وثنية قديمة[112]. وتلي ذلك، في قاع الوادي، بئر أخرى ذات مدخل جانبي على هيئة برج الحمَام. وكان كليرمو - غانو[113] بحث في هذه المنطقة عن المكان المسمى "آصَل" (يغلب أن هذه هي صيغة الوقف من "آصيل") المذكور في سفر زكريا 5:14 والذي يصل إليه هذا الوادي، وكان يقطع في يوم من الأيام جبل الزيتون، لوجود وادٍ قريب من هنا اسمه "وادِي ياسول" (يُنظر أدناه، B 2). إلا أن سياق الآية المذكورة أعلاه يدل، من باب أولي، على مكان واقع إلى الشرق من جبل الزيتون، فينبغي افتراض أن "آصَل" تقع بالقرب من "خرْبِة إبْقيْعدان" (يُنظر أدناه، B 1).

وإلى الجنوب الشرقي من التلة تقع مجموعة منعزلة من الصخور تسمى "قَلْعَة باطِن الهوَا" التي ذكرها شيك وبِنتسِنغر باسم "قَلْعَة أَرْض السُّوَي"، في حين

---

(108) كما جاء في الخريطة الإنكليزية الجديدة.

(109) وقد ضبطت الاسم ضبطًا صحيحًا:

SWP Memoirs, vol. 3, p. 92.

أما قائمة الأسماء، ص 319، فجاء فيها "ديْرالسُّنَّيق".

(110) Sauvaire, p. 28.

(111) *PJB* (1908), p. 35, Abb. 4a.

(112) *Die Felsarchitektur bei Jerusalem*, pp. 171ff.

تُقارن ملاحظتي في:

P. Monatsschr. f. GWJ (1927), pp. 311ff.

(113) *Arch. Res.*, vol. 1, p. 420.

ذكرها شيك باسم "قَلْعَة السُّويَح"[114]. والواقع أن "أَرْض السُّويْح" تقع فعلًا على السفح إلى الغرب من هذه المجموعة الصخرية. أما "أَرض أبو صوي" [في النص الأصلي أبو سوي]، فتقع بعيدًا عن هذا المكان، بين "خَلَّة الطُّوري" و"خَلَّة الزِيادة". وفي المناسبة، ليست كلمة "سْويْح" ولا كلمة "سْوَي" اسمًا للقبر الصخري، كما ظنّ شيك وبِنتسِنغر، وإنما هما اسمان لمالكَي الأرض؛ فقد ذُكرت لي أسماء أفراد من العائلة المسماة "أبو صوي" [في النص الأصلي أبو سوي] المالكة لهذه الأرض والمقيمة في "سِلوان".

وبعدما كنا تتبّعنا الامتداد الجنوبي لجبل الزيتون، نتتبّع الآن امتداداته الشرقية. فمن الجهة الجنوبية الشرقية، يصل جبل الزيتون التلة الروسية وتلّة صغيرة لافتة اسمها "راس اِلشِّيَّاح"، وهي ممر جبلي منخفض (ارتفاعه 746 مترًا). أما ارتفاع تلة "راس الشِّيَّاح"، فتصل إلى 2520.4 قدمًا (= 768.22 مترًا) (في الخريطة الجديدة 767.4 مترًا (*EF* 8). ولا تظهر هذه التلة واضحة إلا في الصور الجوية *D* 2. 15 17 *M* 842. 843 = *M* 844، وكذلك *Orte und Wege Jesu*[3], Pl. 30، وصورة عمودية لجبل الزيتون موجودة لدي، و*RA*, Nr. 485, 481 Fl. 301, 19. 1 1918، وخريطة ويلسون. هذا في حين أساءت خريطة شيك رسم هذه المنطقة على نحو فاق ما كانت فعلته سابقتها الإنكليزية. وكان تُبلر[115] سمع اسم تلة "جِبِل سَيَاخ"، ويمكن فهم هذا الاسم على أنه تحوير لاسم "جِبِل السَّيَّاح"، أي "جبل الحُجَّاج". وفي أي حال، يُلفظ اسم المكان اليوم "شِيَّاح"، ويُفسر الاسم على أنه نسبة إلى نبات "الشيح" (Artemisium Herba Alba) الذي يكثر في تلك المنطقة، مع أن الاسم يمكن أن يكون مشتقًا أيضًا من "شَايِح"، التي تعني "حريص، مجتهد". وصارت العزب تنشأ في هذه التلة، التي يسمى سفحها الغربي "الشِّيَّاحات" وتدل الآبار والقبور الموجودة فيها على أنها كانت مسكونة في زمان أسبق، بحيث يجوز لنا أن نتساءل: هل كان موقع "بَيت فاجي" المذكور في أناجيل متى (21:1)، ومرقس (11:1)، ولوقا (19:29) موجودًا في

---

(114) *PEFQ* (1887), p. 152;

يُقارن:

ZDPV (1890), p. 231.

(115) Tobler, *Topographie von Jerusalem*, vol. 2, p. 424.

هذه المنطقة؟ وبناء عليه، افترض الناس ذلك حين بنوا الكنيسة الصغيرة فوق حجر ركوب المسيح الأتان، وهو الواقع على سفح تلة عند الممر المذكور أعلاه(116).

يتصل بـ"راس الشِّيَّاح" من الجهة الجنوبية منحدر مواز لسلسلة جبل الزيتون، أول ما يقع عليه مرتفع صغير يسمى "الدَّبلِة"، حيث تقع على سفحه الشرقي قرية "العيزرية" (*F*8)، كما يسميها مسيحيو القدس، لأنهم يصلون بين اسم هذا الموقع وقبر "أليعازر" الذي يزورونه هناك والمذكور في الأصحاح الحادي عشر من سفر يوحنا. أما أهل البلد المسلمون، فيسمون المكان "العيْزَرِيَّة"، نسبة إلى "العِيْزَر" [العُزير] الذي يجلُّونه، ويعده بعضهم أخًا لـ"اِلعازر"، ويتسمون لذلك باسم "عيْزراوي" (ج. "عَيَازْرة"). وينبغي البحث قرب ذلك القبر عن موقع "بيت عَنيا" المذكورة في أناجيل متى (1:21، 17؛ 6:26)، ومرقس (11:1)، ولوقا (19:29؛ 24:50)، التي تسمى في اللهجة الفلسطينية المسيحية "بيت عَنْيا". ويرجّح أن أولبرايت أصاب حين افترض أن اسمها مأخوذ من "عَنَنْية" في سفر نحميا (11:32)(117)، والواقعة في مناطق سكنى سبط بنيامين. ويتيح لنا الفخار الذي عثر عليه فنسنت في موقع "العيزرية" الأقدم أن نفترض أن "بيت عَنْيا" المذكورة في قصة المسيح كانت تقع إلى الجنوب من القبر، بحيث ربما كان موضع القبر على طرف المرتفع الذي تقوم عليه القرية. وتوجد على السفح الجنوبي غرب "العيزرية" الآبار المسماة "بِيار الرِّياسِة"، وفيها ما يقرب من 50 تجويفًا مختلف الأحجام لوضع الآنية فيها. ثم توجد قرب الطريق الواصلة بين القدس وأريحا الأرض الشجرية المسماة "السَّلالِم"، والمنخفض المسمى "أَرْض ديْر اِلمِعَرَّش" (تُنظر الصور الجوية: *D* 2. 15. 17, *M* 843, 846, Fl. 303, Nr. 136 *RA*, Fl. 301, Nr. 734).

وتتخذ مجموعة التلال المكوّنة لِـ"راس اِلشَيَّاح" أهمية فريدة لأنها هي التي توصل الفاصل المائي بين "وادي النَّار" ومنطقة "وادي دِبر" وليس الامتداد

---

(116) Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, pp. 268ff.,

حيث يُناقش الاسم "بيت فاجي" أيضًا.

(117) *Annual*, vol. 4, pp. 158ff.

يُقارن:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, p. 266.

الجنوبي لجبل الزيتون الذي يُعَدّ جزءًا من "وادي اِلنَّار". وإلى الجنوب من الطريق الواصلة إلى أريحا يجري الفاصل المائي عبر الأرض الزراعية المسماة "اِلكُبْسِة"، ومنها يمتد إلى الجنوب الجبل المسمى "ضَهْرة بير اِشْقيْر" حتى يصل إلى "وادي اِلنَّار"، المسمى هنا "وادي اِلسَّوَاحْرة".

وتجاور "الكُبْسِة" من الجهة الجنوبية الشرقية تلة "راس أبوديس" التي تسميها الخريطة الإنكليزية "راس العَقوب"، وتليها الأرض الشجرية المسماة "أَرْض أبو فِرْخ" والتلةُ التي تشرف منها قرية "أبوديس" (*G* 9) على جزء كبير من البرية. ونستدل على أن هذه القرية كانت تسمى يومًا "بيت أبوديس" من *Vita*[118] *Euthymil*، حيث ذُكرت هذه القرية أول مرة، والنسبة إليها "ديسي" (ج. "دايسِة"). وقد اقترح الباحثون اعتبار هذا المكان، الذي لم يدرَس دراسة كافية بعد، موضع "بَخوريم" التوراتي. وهي تصلح في الواقع لتكون المكان الذي اختبأ فيه رسل داود المذكورون في سفر صموئيل الثاني (17:18)، ولكنها لا تصلح لأن تكون المكان الذي فر منه داود عبر جبل الزيتون كما جاء في موضع آخر من السفر عينه (16:5). يُقارن ما جاء أعلاه ص 39. وتتخذ قرى "أبوديس" و"العيزرية" و"العيسوية" أهمية خاصة، لأنها تعد المواقع الحدودية للمناطق التي يستقر فيها الناس ويزرعونها، في مقابل المناطق البدوية التي لا تُستخدم إلا للرعي، أي المنطقة المسماة البرية التي لا تشكل سلسلة جبل الزيتون حدها، وإنما يتمثل هذا الحد في خط لم يجرِ تحديده على وجه الدقة قط، لعله يجري من عند الطرف الشرقي للتلة التي سنتحدث عنها الآن. وتصل حقول الحنطة إلى هذه المنطقة، إلا أن محاصيلها تغدو هنا أكثر اعتمادًا على كميات المطر الهاطلة في الشتاء من محاصيل المناطق الواقعة إلى الغرب منها. ولا نعرف إن كانت الظروف في الماضي مختلفة عن حالها اليوم، لغياب المعلومات عمومًا عن كميات الهطل في الفترات التاريخية[119].

(118) *Patrol. Graeca*, 114, Sp. 720.

(119) يُنظر:

Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, pp. 41, 98, 308.

وتتصل بِـ"راس الشِّيَّاح" تلة تتجه شرقًا، وتقطع "وادِي عَراق نازل"[120] و"وادِي اِلحوض"، وكلاهما من أودية "وادِي دِبْر". ويتبع لهذه التلة أيضًا، شمالي "العيزرية"، تلة مستعرضة اسمها "اِلحَدَبِة"، يقع أسفل منها "راس اِلبُسْتان"، في مكان أقرب إلى القرية، ويلي ذلك "ضَهْرِة بِير فَرْعون" والأرض الزراعية المسماة "اِلبُقْعان". ويتصل بهذه التلة جنوب طريق أريحا في الاتجاه الجنوب الشرقي تلة صخرية اسمها "الجَاسوس"، التي يفصلها واد عميق عن تلة "أبوديس" الجبلية. ويوجد على هذه القمّة حجر يسمى "جَحْش إليعازَر"، الذي يُعد المكان الذي التقى فيه المسيح مرتا (إنجيل يوحنا 11:20)[121]. ويتصل أيضًا بهذه الحكاية الدير اليوناني القريب "اِلجنينة" (*F* 9) الذي يسمى كذلك، في ما يقال، "بُرْج اِلحَمَار". وكانت التقاليد المسيحية قد نقلت هذه الحكاية منذ قديم الزمن إلى بيت فاجي[122]. يُنظر في هذا الخصوص الصور الجوية الآتية: من غير رقم (أبوديس) *M* 842. 843. 844 (= *D* 17), Fl. 303 Nr. 136 *RA*, Fl. 303 وبصورة خاصة *M* 846.

ويفصل السهل الصغير المسمى "إبْقيْعدان" جبل الزيتون عن سلسلة جبلية متجهة إلى الشمال الشرقي، تتصل في أولها بالامتداد الشرقي لقمّة "أُم الطَّلع" من خلال ممر منخفض (يُقارن أعلاه، ص 37). ويتمثل الحد الشمالي لهذه السلسلة الجبلية بالوادي المسمى "وادي مْغاير اِلضَبْع"، نسبة إلى الممرالمسمى بالاسم نفسه. ويصب هذا الوادي في "وادي اِلسِّدْر"، ويجري في الجهة الجنوبية للسلسة واديان فرعيان من أودية "وادي السِّكِّة"، وهما "وادي عَراق نازل" و"وادي السَّناسِل"، وبذلك تقع السلسلة الجبلية ضمن منطقة "وادي دِبْر". وتبدأ السلسلة بالقمّة المسماة "الزْعَيِّم"[123]، يليها مرتفع ذو ثلاث تلال اسمه "الزيامبة"[124]، وفيه بئر اسمها "بير الزنَّاقي"، وفيه أيضًا "خِرْبِة الزيامبة" التي لم تُدرس دراسة وافية

---

(120) وليس "مازِل"، كما جاء في الخريطة الإنكليزية.

(121) يُقارن:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, p. 268.

(122) Ibid., pp. 267f.

(123) van Kasteren, *ZDPV* (1890), p. 97.

حيث كُتبت كتابة غير دقيقة: *zaijim*.

(124) جاء في الخريطة الإنكليزية: *zambi*.

بعد، والواقعة بين التلتين الثانية والثالثة، ويقع هناك أيضًا المكان المسمى "خِرْبِة إبقيْعدان"، وهو مكان غير قديم في الغالب، قدَّر الباحثون أنه قد يكون بَخوريم [التوراتية] (يُنظر ص 38 وما يليها)، وتقع عند أسفل سفح تلك التلة الطريق الهابطة من سلسلة جبل الزيتون إلى أريحا، والمسماة "طريق الرومان". أما أعلى تلة في هذه السلسلة الجبلية، فهي، على الأغلب تلة "اِلمُنْطار" التي تلي "الزيامبة"، التي تتصل بها قمة أخفض هي "عَرْقوب الصَّفا"[125] و"خِرْبِة عَرْقوب اِلصَّفا" التابعة لها، التي تنتهي السلسلة الجبلية عندها. وتسمي الخريطة الإنكليزية الخربة "خِرْبِة عَلِي"، وهو اسم لم يعرفه أهل "الطور" و"العيسوية". وتذكر الخريطة العسكرية الإنكليزية أن ارتفاع "راس عَرْقوب الصَّفا" هو 603.8 أمتار، وأن ارتفاع "راس الزيامبة" هو 640 مترًا. ولكن النظر إلى سلسلة جبل الزيتون من الشرق يدل أيضًا على أنها تنتمي من دون شك إلى السفح الشرقي من الهضبة الفلسطينية الغربية، وأن هذه السلسلة التي تُعد آخر جزء من هذه الهضبة تشرف بارتفاعها على كل ما سواها. وهناك صورة جوية للسلسلة الجبلية كلها يظهر فيها جبل الزيتون وكذلك "أُم اِلطَلْع" والأراضي الشرقية، وتظهر أيضًا السلسلة في الصورة Fl. 301 Nr. 734. ويظهر "راس الزيامبة" في الصور Fl. 303 Nr. 137 *RA*، ويظهر السفح الجنوبي في الصور 842 .*D* 17 = *M* 844, *M* 843، وتظهر منطقة "أبوديس" بصورة خاصة في الصور Fl. 303 Nr. ? *RA*, Fl. 303 Nr. 136 *RA*.

3 – التلة الشمالية الغربية وفروعها

تتبع المناطق الأخرى التابعة للقدس من الشمال والغرب والجنوب مجرى "وادي الصرار" الذي يصب في البحر الأبيض المتوسط. أما المدينة نفسها، فتقع ضمن نطاق "وادي النَّار" الذي يصب في البحر الميت، كما يتبع لها في الشرق، على الطرف الآخر من سلسلة جبل الزيتون، "وادي دِبْر" الذي يصب في البحر الميت هو الآخر. وهذا يعني أن جُلّ منطقة القدس يقع في السفح الشرقي للمنطقة الجبلية، وفي السفح الغربي. لذا، فإن للفاصل المائي الواقع بين البحر الميت

(125) جاء في الخريطة الإنكليزية: *saffa*.

والبحر الأبيض المتوسط أهمية خاصة للجزء الغربي من القدس. وبناء عليه، فإن للتلّة الشمالية الغربية، بوصفها أعلى تلة في هذا الفاصل المائي، أهمية خاصة، لا يفيها الناس حقها من التقدير، خاصة إذا قيست بسلسلة جبل الزيتون التي تأسر عين الناظر إلى القدس. وتقع هذه النقطة العليا إلى الشمال من أعلى نقطة في الطريق الواصلة إلى يافا في المكان المسمى "وعْر اِلقَلْعَة" الواقع فوق برج مراقبة متداع على تلة باتت تقوم عليها اليوم المستعمرة اليهودية المسماة "روميما" (*D* 3)، وعلى مقربة من حوض التنقية التابع لتمديدات المياه الجديدة في القدس، التي أُقيمت في عام 1918. وذكر ويلسون أن ارتفاع أعلى نقطة في الشارع يبلغ 2684.9 قدمًا، أي 818.9 مترًا، وأن ارتفاع التلة نفسها يبلغ 2717.2 قدمًا، أي 828.7 مترًا، أما الخريطة الإنكليزية الجديدة فتذكر أن ارتفاع التلة 830 مترًا فوق مستوى سطح البحر، فهي أعلى من قمة جبل الزيتون بمقدار 16 مترًا. وهذه التلة هي أول ما يرى القادم من الغرب من القدس، على الرغم من أن مباني ضاحية يافا باتت اليوم تستر بعض المناطق التي كانت مكشوفة من قبل. وتظهر القمّة على الصورة الأفقية *D* 11 = *M* 787، تمديدات المياه جلية، في حين تظهر سكة الحديد الضيقة العرض التي تحوط هذه التلة أقل وضوحًا في الصورة (يُقارن ص 61 وما يليها)، ويُقارن *M* 823 والصورة الجوية الإنكليزية الملتقطة في عام 1925. ولا تظهر تمديدات المياه ولا السكة في الصورة *M* 821 الملتقطة في 12 أيار/ مايو 1918، ولا في الصورة *M* 775 = *D* 2، وهي صورة مائلة كثيرة التفصيلات التُقطت في 22 تشرين الثاني/ نوفمبر 1917.

وللتلّة الشمالية الغربية فرعان شماليان، يشتمل الغربي على القاع كثير الحجارة المسمى "وَعْر شيْخ أَحْمَد"، الذي يحتوي على حفرة عميقة تسمى "الهاوْيِة"[126]، البالغ عمقها 50 مترًا. ويظهر هذا الفرع في خريطة القدس لـ **مسح فلسطين الغربية**، ولدى شيك أيضًا، على بُعد يزيد على كيلومتر واحد إلى الشرق. ويتصل بتلة هذا الفرع شرقَ "وعْر شيْخ أَحْمَد" منحدر زُرعت فيه بساتين، اسمه "خَلِّة اِلطَّرْحَة" (أخطأ شيك فجعله في الوادي الواقع إلى الجنوب من دار الأيتام

---

(126) يُنظر في هذا الخصوص:
Warren, *Recovery*, pp. 265f.

السورية)، وهو ينحدر حتى يتصل بالمكان المسمى "وَعْر الضَّبْع". ويقع فوق قرية "لِفْتا" (C 2) على السفح الشمالي المكان كثير المنعرجات المسمى "باطِن اِلهَوا"، قرب الصخر المسمى "حَجَر الحيْطان"، وذلك بعد السفح المفضي إلى "غَرْس مَنْصور" والأرض الشجرية الصغيرة المسماة "اِلمِعَرَّشِة". وفي هذه القرية عين ينبع منها جدول يسمى في سفر يشوع 15:9؛ 18:15 "مَعْيان ميْ نِفتوَّاح" الذي يمثل نقطة حدودية بين أراضي سبطي يهوذا وبنيامين.

وتقع بين الامتدادين الشرقي والغربي الأرض المسماة "اِلمَقاسِم" التي تكثر فيها السلاسل الحجرية، كما تقع بينهما بدايات "خَلِّة اِلمْغارْبِة"(127) التي تلتقي امتداد "وادي أُم اِلعَمَد". ويبدأ الامتداد الشرقي عند صف من البيوت (D 4) يتبع دار الأيتام السورية، ويسمى النصف الأول منه "راس النَّادِر"(128)، نسبة إلى بيدر صخري موجود هناك، أزاحه شيك إلى جانب دار الأيتام السورية، اتباعًا منه لخريطة إنكليزية سابقة. وإلى الشرق من هذا المكان، ينتصب حرج من أشجار الصنوبر شاهدًا على رغبة المسيحيين العرب في زرع البلاد بالغابات التي ما عاد يوجد شيء منها في المحيط القريب للقدس(129). ويسمى الطرف الشمالي لهذا الامتداد "اِلقُرْنِة"، وتذكر الخريطة الإنكليزية الجديدة أن ارتفاع تلة الامتداد عند البداية يبلغ 823 مترًا، ثم يهبط حتى يصل إلى 796 مترًا.

وتتبع التلة الشمالية الغربية تلال أخرى في اتجاهي الغرب والجنوب، يبلغ مجموعها سبع تلال. وأول ما تلقاه منها هو قطعة الأرض المسماة "اِلبقيع"(130) الواقعة بين الطريق إلى يافا والطريق المتفرعة منها إلى "عيْن كارم"، والبالغ ارتفاعها 815 مترًا. ثم تلي ذلك أولى تلك التلال في الاتجاه الشمالي الغربي، وهي القمّة الجرداء المسماة "برْج الطوط"(131) و"رُجْم المِدافِع" الواقعة بين طريقي يافا الجديدة

(127) جعلها فنسنت في آخر مجرى الوادي الموازي الذي يبدأ إلى الشمال من دار الأيتام السورية.

(128) ترجم الناس لي كلمة "نادِر" على أنها "بيدر"، علمًا أن الكلمة المستخدمة عادة هي "بيْدَر". أما قائمة الأسماء، فترجمت الاسم: "الجزء الناتئ من جبل" "The projecting part of a mountain".

(129) في ما يتصل ببقايا الغابات في المحيط الأبعد للقدس، يُنظر: B 5.

(130) ذُكرت في الخريطة الإنكليزية باسم "البُقَيعَة".

(131) هكذا يسمى الناس "اِلتوت".

والقديمة، على الطرف الآخر من "شِعْب الجَمَل" التابع لِـ "جبلِ اِلحومِة" (C 2. 1). أما في الخريطة الإنكليزية، فتجد في هذا الموضع "خِرْبِة راس اِلعَلْوة". وتتصل بهذه التلة من الجهة الغربية مباشرة التلة الثانية، وهي تلة مستطيلة كذلك، وتدعى تلة قرية "ديْر ياسين" البالغ ارتفاعها 784 مترًا (CD 1). ويوجد في أعلى تلال هذه السلسلة الثانية في الاتجاه الغربي كهف كبير فيه كولمباريوم صغير [مقبرة وثنية رومانية قديمة]. وقرب أسفل الجبل من الجهة الغربية تقع "خِرْبِة عيْن الطوط"، وهي خرائب بناء مقبب، لكنك لا تجد هناك العين التي يُنسب المكان إليها، خلافًا للعين الموجودة في الجهة الجنوبية الغربية المسماة "عيْن الرَّوَّاس" التي يتيح ماؤها زراعة بعض الخضروات. أما سلسلة التلال الثالثة، فتتبع الطريق المفضية إلى "عيْن كارم" في اتجاه جنوبي غربي، وتتفرع منها ثلاثة فروع غربًا، أولها الذي تقع في آخره "خِرْبِة اِلعَقود" الصغيرة، يليه عند المنعطف الغربي للطريق المذكورة أعلاه الظهر الذي يقوم فيه مقام "شيْخ جِلجيل"[132] الذي لا قبر فيه. ويقع الامتداد الثالث "ضَهْرة اِلعابِد" جنوب الطريق. أما سلسلة التلال نفسها، فتنتهي جنوبًا بالمكان المسمى "راس اِلكَرّامي"[133]، الذي يتفرع إلى نهايتين، تقوم فوق الغربية منهما قرية "اِلمالحَة" (H 1)، المسماة بهذا الاسم نسبة إلى عين ماء مالحة موجودة هناك. ويسمى ابن هذه القرية "مالحي" (ج. "مَوالْحة"). وقد عُدَّت هذه القرية موقع "مَناحَة" في منطقة يهودا، المذكورة في سفر أخبار الأيام الأول (6:8) (يُقارن ما جاء في السفر نفسه 2:52، 54)، وموقع "مَنوحو" المذكور في الترجمة السبعونية اليونانية (سفر يشوع 15:59). ويمكن مشاهدة سلاسل التلال هذه في الصور الجوية *D* 2. 1, *M* 821، ويمكن مشاهدة سلسلة التلال الأولى في الصور *M* 751-754، وسلسلة التلال الثالثة في الصور *M* 773 و*RA* 1334 *D* 3 = Fl. 300 Nr.

في الإمكان أن نعد التلة الصاعدة في اتجاه غربي والمسماة "مُرْعَة اِلغُزْلان" (*EF* 3) القمّة الرابعة التابعة للتلة الشمالية الغربية، على الرغم من أن المنحدر المنبسط "وادي صَهْيون" يفصلها عنها. وتقوم على هذه التلة "خِرْبِة الذياب"

---

(132) يُقارن:

PJB (1919), p. 12.

(133) جاء في الخريطة الإنكليزية: "قِرامِي".

وخربة "الإِقْحوف"، وتنتهي التلة في الطريق الموصل بين القدس و"اِلمالحَة" بالبساتين المسماة "اِلموْصَلِّية". وبحسب الخريطة الإنكليزية من عام 1926، يبلغ أعلى ارتفاع لها 782.9 مترًا، وتنخفض عند قاعدتها الجنوبية لتصل إلى 708 أمتار. ولم تذكرها الخريطة الإنكليزية القديمة بتاتًا، وكذلك لم يفعل شيك، في حين ذكرتها الخريطة العسكرية الإنكليزية. وتظهر على الصور *D* 1 و*D* 2، ويظهر أولها في الجزء الأيسر العلوي من الصورة الجوية*M* 821، لكنها لا تظهر بوضوح، لعدم وجود ظلال في الصورة. أما الطرف الجنوبي، فيظهر في الصور *D* 7 = *M* 784[a] و*I* 12 من مجموعتي، وهي نفسها الصور *RA* 1918 .Fl. 301, 19. 1.

وتقع إلى الشرق من سلسلة التلال السابقة سلسلة التلال الخامسة، المتمثلة في ظهر ضريح "شيْخ بِدْر" (*DE* 3) الذي يمتد من التلة الشمالية الغربية نفسها غربًا. ويظهر هذا الاسم على الخريطة الإنكليزية الجديدة منزاحًا نصف كيلومتر إلى الجنوب. ويقع على هذا الظهر المكان المسمى "الفاخورَة"، وهو مكان كان يُصنع فيه الفخار في ما يبدو، وهو يقع وسط بساتين كثيرة الآبار، كما تقع على هذا الظهر، بعد منحدر، "خِرْبِة الخازوق". وبعدما تقطع الطريق الواصلة مباشرة بين القدس و"عيْن كارم" التلة، تنعطف في الاتجاه الجنوبي الغربي، وتنتهي عند التلة المسماة "وَعْر الرُّهْبان" التي تسميها الخريطة الإنكليزية "وَعْر الحُسَينِي" (*F* 3). وترتفع هذه التلة 786.80 مترًا، في حين يبلغ ارتفاع القسم الشمالي من سلسلة التلال في قسميه 824 و814 مترًا على التوالي، وبناء عليه، فهما يشكلان خط الأفق للقدس كما هو متوقع. وتظهر سلسلة القمم كلها في الصورة *D* 1، وتظهر الصورتان *D* 2 و*D* 11 معظمها، وتظهر الصورتان *M* 821 و*M* 823 أولها، والصور *D* 7 = *M* 784a. 818, *D* 4 = *M* 779, Fl. 301, 19. *RA* 1918 .1 آخرها، ويظهر في الصورة *M* 820 جزء يسبق آخرها.

وتقع سلاسل التلال هذه كلها ضمن نطاق "وادي الصَّرار"، ولا علاقة لها بالفاصل المائي بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الميت. وإنما تتبع هذا الفاصل المائي سلسلة تلال تبدأ من التلة الشمالية الغربية وتتجه في اتجاهين: أحدهما يتجه شرقًا، ثم ينعطف في اتجاه الشمال الشرقي، ثم هناك سلسلة تلال تتجه في اتجاه الجنوب الشرقي، لتتصل بعد ذلك بالامتداد الجنوبي للفاصل المائي.

فإذا تتبّعنا أول الأمر سلسلة التلال الشرقية، نجد الأرض الشجرية الواقعة على السفح الجنوبي، والمسماة "القَلُّوبِيِّة" التي تتصل بها قطعة الأرض الرئيسة التي تقوم عليها دار الأيتام السورية (أُسست في عام 1860) و"كَرْم أبراهام" (Abrahams Vineyard)، وهي في أصلها مؤسسة إنسانية أنشأتها جمعية إغاثة اليهود المضطهَدين (Society for Relief of Persecuted Jews)، وقد اشترت الأرض مؤخرًا دار الأيتام السورية (*D* 4). وكانت تقوم هناك قبل ذلك "خِرْبِة بِدْر"، وهي اسم لا يزال يطلَق اليوم على أسوار قديمة موجودة في بساتين دار الأيتام السورية، وهي وردت عند شيك مُزاحةً 400 متر إلى الشمال. أما الأرض الواقعة إلى الغرب من بناية "كَرْم أبراهام"، فأُسميت "اِلمَدابِس" أي "معامل الدبس"، نسبة إلى معاصر العنب القديمة الموجودة هناك. وأعلى نقطة في تلك الأرض نفسها هي التلة الصناعية المسماة "رُجْم البهيمِة"، وهو اسم أُطلق عليها نسبة إلى امرأة كانت امتلكت الأرض ذات يوم. ويسمى السفح المجاور لهذه الأرض، بعد مستعمرة يهود بخارى، "خَلِّة اِلقْرقّة"، أي "خلة الدجاجة البيَّاضة". أما الأرض التي تقوم عليها المستعمرة، فكان اسمها "كَرْم اِلغَزال" (*D* 5). ويبلغ ارتفاع ظهر التلة في دار الأيتام السورية 812.13 مترًا، وينخفض فوق مستعمرة بخارى إلى 796.94، وينخفض آخر الأمر إلى 763 مترًا في المنطقة التي يبدأ فيها "وادي اِلنَّار".

وينعطف الفاصل المائي بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الميت، بعدما كان يتبع أول الأمر هذا الظهر، فوق مستعمرة بخارى إلى الشمال، ويجري في اتجاه بدايات الامتداد الشمالي للتلة التي ذكرناها للتو. ويجري هذا الامتداد موازيًا للامتدادات الشمالية للتلة الغربية التي ذكرناها في ص 56 وما يليها، أي "وادي اِلشَّامي"، وهو اسم القسم الأخير من "وادي أُم اِلعَمَد". ونجد على هذا الامتداد، شمال "كرم أبراهام"، محجرًا قديمًا ومقبرة قديمة تُدعى "الحَمَّام". وتلي ذلك التلة الصخرية المسماة "حَصاحِيص الفَوَّاقة" [الفوقا]، وهي كثيرة المحاجر والقبور، وفيها حفرة صخرية يتبين في عمقها كولمباريوم عديم الشكل، والقمّة الأدنى ارتفاعًا المسماة "حَصاحِيص التَحَّاتَة" [التحتا] (*C* 4). ويُذكر أن ارتفاع الأولى هو 794 مترًا، ولا يزيد ارتفاع الامتداد المتجه إلى الغرب على 735 مترًا،

وهو الذي يسمى في الشرق "أَرْض خِرْبِة صَلاح"[134] نسبة إلى خربة فيها بئر على السفح الشمالي، ويسمى في الغرب "روس المْغايِر" نسبة إلى بعض المغاور. وتنحدر جدران "الزُّنَّار" الصخرية، في آخر الأمر، إلى "وادي اِلشَّامي".

ينعطف فاصل البلاد المائي عند "حَصاحِيص اِلفَوَّاقة" شرقًا، وينحدر إلى ممر ضيق لا يزيد ارتفاعه على 765.29 مترًا، يفصل في هذا الموضع "وادي اِلنَّار" عن "وادي الصَّرار" (C 5)، ويرقى من الجهة الأخرى إلى السفح الغربي لـ"كَرْم الكَعْك"[135]، ويمتد من هذه النقطة على طول طريق "نابلس" وصولًا إلى تلة "راس اِلمِشارف". ويصل من هناك على هيئة قوس متهجة شرقًا إلى "راس صَلاح" (B 6)، ثم يواصل مسيره شمالًا. وتظهر منطقة انتقال الفاصل المائي هذه، وكذلك مجموع التلال على هذه الجهة من التلة الشمالية الغربية في الصورة D 14 = M 788، ويظهر الوسط خاصة في الصورة D 12 = M 801، وكذلك M 786، ويظهر الانتقال وحده في أعلى الصورة M 830، ويُقارن ذلك بما يرد في وسط الصورة M 829. وقد ظهرت المنطقة أيضًا في الصورة الجوية الإنكليزية الملتقطة في عام 1925، غير أن وجود تظليلات مختلفة في الصور المجمَّعة هنا يجعل فهم الصورة عسيرًا.

بات من الممكن ملاحظة فروق الارتفاعات في الجهتين الغربية والشمالية الغربية من القدس من خلال تتبّع مسار سكة الحديد ضيقة العرض التي مدها الجيش البريطاني في حزيران/ يونيو وتموز/ يوليو 1918، والتي باتت تظهر منذ ذلك التاريخ في الصور الجوية الألمانية وفي الخريطة العسكرية الإنكليزية التي وضعت في 24 آب/ أغسطس 1918، ودخلت أيضًا في خريطة القدس الإنكليزية الجديدة. وتقع بداية هذه السكة قرب محطة سكة الحديد في القدس (G 5)، على ارتفاع 747 مترًا، وأُريد لها أن تصل إلى طريق "نابلس"، شمال "راس المشارف" على ارتفاع 793 مترًا. وكانت أصلًا تقطع الطرف الجنوبي الغربي من المستعمرة الألمانية، لكن هذا ما عاد ملحوظًا اليوم (ولكن يُنظر M 783)، ثم تتجه غربًا، مارة

---

(134) أخطأ شيك في كتابة الاسم فكتبه "اِلصَّلاح"، وأزاح الخربة في اتجاه السفح الغربي.

(135) يُنظر أعلاه، ص 26.

بمصح المجذومين [مستشفى الجذام أو مستشفى البُرص]، ثم ترتقي إلى ارتفاع 765.70 مترًا على تلة "القطمون" التي سيأتي الحديث عنها، حيث تنعطف شمالًا باستخدام تحويلة (G 4)[136]، في مقابل أبعد الامتدادات الجنوبية غربًا للتلة الشمالية الغربية، وترتقي إلى 776 مترًا، قاطعة ذلك الامتداد من وسطه في انعطافة لولبية إلى الجنوب، عند الجانب الغربي، متجهة شمالًا حتى تبلغ 801.75 مترًا، لتقطع عند هذا الارتفاع طريق يافا من الجهة المقابلة للمكان الذي يبلغ فيه الشارع أعلى ارتفاع له (يُنظر ص 56) (يُنظر M 823). ومن هذه التلة، دارت السكة الحديد حول الامتدادات الشمالية الثلاثة للتلة الشمالية الغربية، ودنت من الفاصل المائي في مكان يعلو قبور القضاة (يُنظر M 772 = D 12 وM 786)، ومرت من عند "راس الكعك" شمالًا، ودارت من الجهة الغربية حول "راس المشارف" (B 6). وبعدما كانت السكة قد انحدرت في وقت سابق حتى بلغت 762 مترًا، عادت فارتقت تدريجًا حتى بلغت 790 مترًا، ودنت بذلك من طريق "نابلس" في المنطقة المقابلة لِـ"راس صَلاح"، وسارت بعد ذلك في محاذاة الشارع شمالًا (يُنظر M 649).

ولا يكتمل الحديث عن الأفق الشمالي والشمالي الغربي للقدس من دون الحديث عن الجبال التي ترتفع فوق التلال المحيطة بالقدس من هاتين الجهتين. ونخص هنا بالحديث، في المقام الأول، تلة "النِّبي صمْويْل"[137] التي يبلغ ارتفاعها 894.59 مترًا، التي عدها غير واحد منذ روبنسون موقع مِتْسبا[138] [التوراتي]، والأولى أن يكون موقعها هو الجبل القريب من جِبْعَة الذي قُتل فيه سبعة من أبناء شاؤول (سفر صموئيل الثاني، 21:9)، والجبل الذي يذكره

---

(136) *Adv. Haer.*, vol. 46, chap. 5.

يُقارن:

PJB (1908), pp. 45f.

ويُنظر أدناه، *B* 5.

(137) في ما يتعلق بهذا الاسم، يُقارن:

PJB (1914), p. 22.

(138) يُنظر في هذا الخصوص:

PJB (1925), pp. 79ff.; (1926), pp. 140ff.; Jirku, *JPOS* (1928), pp. 187ff.;

ولرأي مختلف، يُنظر:

Alt, *PJB* (1926), pp. 11ff.

إبيفانيوس (Epiphanius)[139]، على أنه جبعة العليا الواقعة في مقابل غولغاثا القريبة من القدس. ويمكن أن يكون المقصود بالمكان "المرتفعة العظمى" في جِبعون (سفر الملوك الأول 4:3) التي يزيد في أهميتها موقعها المرتفع، مع أنه كان في القدس في تلك الأيام مواقع أخرى أقرب مسافة من تلك[140]. ولكن هذا لا يمنع، أن تعد الآية من سفر يشوع (26:18) "هَمتسبه" مدينة من مدن [سبط] بنيامين كما يفترض ألت، في حين تقع "مِتسبه" الأشهر على طريق القدس الشمالية. وتنطلق من تلة "النبي صمويل" في اتجاه القدس ثلاثة امتدادات ذات شأن تصل إلى "وادي الشامي"؛ فإلى الشمال الغربي من قرية "لِفْتا"، في مقابل التلة الشمالية الغربية، ينهض على الطرف الآخر من ذلك الوادي الامتداد المسمى "باطِن عَبْدِة" (*BC* 2) الذي توجد على الجهة الشرقية منه التلة المسماة "راس الطَّبيب". وتتصل بهذه التلة من الجهة الشمالية الشرقية تلة "خِرْبِة بيت قيقة"[141] (*B* 2. 3)، وتتصل بها بعد ذلك تلة خرائب القلعة المسماة "تلْيلية" (*A* 3) الواقعة بين "وادِي اِلمِزار"، وهو فرع شمالي من الوادي الرئيس والذي يسمى هنا "وادي بيت حَنينَا"، وانعطافة شمالية لِـ"وادي بيت حَنينا" الذي يسمى هنا "وادي اِلمْغارة". وكان فورر (Furrer)[142] أخطأ حين حسب هذه الخرائب موقع "جَلِّيم" المذكور في سفر إشعيا (30:10) التي ينبغي البحث عنها إلى الشرق من هذا الموقع. ويمكن أن يكون الاسم مشتقًا من لفظة "تِلِيل" (عنق)، إن لم يكن مشتقًا من لفظة "تليل" [هضبة]. وتصعد تلة "تلْيليا" بعد ذلك، لتصل إلى الظهر المسمى "راس اِلبَدّ"، الذي اتخذ هذا الاسم نسبة إلى معصرة زيت قديمة[143]، كما تقع على الجهة الغربية منه،

---

(139) *Adv. Haer.*, 46, 5.

يُقارن:

PJB (1908), pp. 45f.

ويُنظر ب5 أدناه.

(140) *PJB* (1914), p. 22.

(141) جاء اسمها في الخريطة الإنكليزية: "مِقيقة".

(142) وذلك في:

Riehm & Baethgens, *Bibl. Handwörterbuch*.

(143) ورد الاسم في الخريطة الإنكليزية ولدى شيك وبِنتسِنغر "الباد"، وذكرت قائمة الأسماء، ص 310 أنه يعني *conspicuous hilltop*.

عند التقاء سلسلتي تلال "بيت قِيقة" و"تلْيليا"، الخربة المهمة المسماة "اِلبُرْج"، التي ذكر بيدِكِر وبِنتسِنغر أنها تسمى أيضًا "خرْبة اِلجوْز" وأنها كانت في العصور الوسطى هي نفسها قصر يوسف الرَّامي، وإنما قيل ذلك لأن قرية "نِبي صمويل" كانت تُعد رامَة القديمة[144]. ولذا سهل أيضًا الربط بين القصر "أرماثيا" (Arimathia Arimathaia) [أي الرامة] المذكورة في أناجيل متى (57:27)، ومرقس (43:15)، ولوقا (50:23) وما يليها، وفي إنجيل يوحنا (38:19)[145]. ولا يقع أي منهما بطبيعة الحال في هذا الموضع. وفي أسفل [خربة] "اِلبُرْج" أطلال "خِرْبة صمْويْل"، التي تُحتسب [خربة] اِلبُرج "البُرْج" أحيانًا منها. وقد وضع شيك والخريطة الإنكليزية "خِرْبة صمْويْل" على تلة أخرى منخفضة جدًا، مع أنه يجب أن تكون قريبة جدًا من "اِلبُرْج" في اتجاه "راس اِلبَد"، على الرغم من أن **مسح فلسطين الغربية**[146]، ذكرها في مكانها الصحيح. ثم يفضي ممر ضيق أشد انخفاضًا إلى أكثر التلال إشرافًا، أي تلة النبي صمويل. ولم يولِ المصورون الجويون الألمان هذه المنطقة عناية كافية لأسباب لا أعرفها، فلا تظهر إلا في الصورة *D* 1.

التلال الأخرى الممتدة شرقًا على الطرف الشمالي لِـ"وادي أُم اِلعَمَد" لا علاقة لها بمجموعة "النبي صمويل"، لأنها مفصولة عنها بواد عميق. و"وادي أُم اِلعَمَد" هو الاسم الذي يُطلَق على الجزء الشرقي من "وادي اِلشَّامي" أو "وادي بيت حنينا". وأولى هذه التلال هي التلة المنخفضة المسماة "الرّكْبِة" التي تبدأ غربًا، ثم تمتد على هيئة ظهر اسمه "وَعْر اِلحَرْذوْن" يتصل سطح تلته بفاصل البلاد المائي، ويتصل جنوبًا بـ"راس اِلمِشارف" من طريق مصطبة ضيقة. وفوق هذه التلة (*A* 4. 5) تقوم "خِرْبة اِلمِغْرَم"[147] و"خِرْبة اِلراس" ("الراهِب")، وتقع إلى الشرق من ذلك، وعلى ارتفاع أقل انخفاضًا (800 م) قرية "شُعْفاط"[148] التي

---

(144) يُنظر:
Dalman, *PJB* (1926), p. 105.

(145) يذكر تُبلر شواهد قديمة على ذلك:
Tobler, *Topographie*, vol. 2, p. 885.

(146) *SWP Memoirs*, III, p. 125.

(147) جاء اسمها في الخريطة الإنكليزية "خِرْبة اِلمْراغِيب".

(148) يقال دائمًا إن هذا هو الضبط الصحيح لاسمها، وليس "شَعْفاط". يُنظر في هذا الخصوص: =

يسمى الواحد من سكانها "شُعْفاطي" (ج. "شعافْطة")، ويمكن أن نفترض أنه كان يقوم في مكانها في الماضي مكان اسمه "شافاط" أو "بيت شافاط". وقد قيل إن القرية أُسميت على اسم شقيق أحد ملوك القدس، وأنها كانت تقع شرق طريق "نابلس"، ويقوم مكانها اليوم دير من الأديرة. وتظهر هذه المناطق في الصورتين *D* 1 و*D* 2، وكذلك في الصور الجوية 651. 649. 648 *M*.

لكنَّ تلة "النبي صمويل" لا تشكل أعلى نقطة في منطقة يهودا، كما كان سيبّ (Sepp) قد افترض[149]؛ فمع أنه يعلو التلة الشمالية الغربية عند القدس بـ 66 مترًا، ويعلو "تلول الفول" (جبعة شاؤول) في الشمال بـ 55 مترًا، و"راس المِشارف" بـ 75 مترًا، وجبل الزيتون بـ 82 مترًا[150]، فإن "راس الطاحونة" الواقع قرب "البيرة"، والذي ينتهي عنده الأفق الشمالي للقدس، يكاد لا ينخفض عن تلة "النبي صمويل" إلا مترين. أما "جبل الطَّويل" الواقع في المنطقة نفسها، فأعلى منه بـ 8 أمتار. وفي جنوب القدس، يعلوه الجبل الواقع فوق "بيت جالا" بـ 26 مترًا، وتعلوه "شِرفة النِّبي دانيان" الواقعة قرب "الخَضْر" بـ 99 مترًا. أما في الغرب، فلا تقل التلة القريبة من "الجورة" ارتفاعًا عنه إلا بـ 15 مترًا، أي ما يزيد على 52 مترًا عن ارتفاع التلة الشمالية الغربية للقدس.

4 - تلة المدينة وتلة المدينة الغربية

تحدثنا في ما سبق عن سلاسل التلال الممتدة من التلة الشمالية الغربية في اتجاهات الشمال، والشرق والجنوب. أما موقع القدس نفسه، فيتعلق بسلسلة تلال عريضة ومسطحة، تنطلق من التلة الشمالية الغربية (*D* 3) في اتجاه الجنوب الشرقي،

= *PJB* (1925), pp. 79ff.

وقد كان بيرغرين ذكره في:

Berggren, *Guide Francais - Arabe Vulgaire* (1844), p. 510:

وادي شعفاط

(149) *Jerusalem und das Hl. Land*, vol. 2, p. 14.

(150) استقيت هذه الارتفاعات من الخريطة الإنكليزية القديمة، علمًا أن أرقام الارتفاعات الواردة في الخريطة العسكرية الإنكليزية كثيرًا ما تختلف عن الأرقام الواردة في هذه الخريطة. وقد استُنتج ارتفاع "جبل الطويل" استنادًا إلى العلاقة النسبية التي تظهر بينه وبين "راس الطاحونة" في الخريطة العسكرية الإنكليزية.

وتنخفض تدريجًا حتى تبلغ أدنى ارتفاع لها، وهو 630 مترًا، عند "وادي النار". ونحن نسمي هذه التلة تلة المدينة، ليس لأنها تحمل في أحد طرفيها القدس في أقدم صورها، وإنما لأنها تتوافر على مساحات واسعة أتاحت للقدس التوسع حتى الوقت الحاضر. ومما تتميز به سلسلة الجبال هذه أنها تتبع بكل تأكيد منطقة "وادي النار"، أي أنها تصب في اتجاه البحر الميت. وتتجه أعلى تلة في هذه السلسلة في الاتجاه الطولي في خط يتجه أول الأمر من القمّة الشمالية الغربية في اتجاه شرقي وجنوبي شرقي إلى الكنيسة الإثيوبية (*D* 5)، ثم يتجه في اتجاه جنوبي شرقي إلى "برج داود" (*E* 6) عبر الزاوية الشمالية الغربية للقدس القديمة. وينخفض ارتفاع هذه السلسلة من 830 مترًا حتى يصل إلى 2668.9 قدمًا (= 814 مترًا) (الخريطة الإنكليزية الجديدة 815.5 مترًا)، وذلك قبل تفرع الطريق الآتية من يافا إلى القدس إلى الخطين الواصلين إلى باب دمشق وباب يافا بقليل، ثم يبلغ الارتفاع عند الكنيسة الإثيوبية حوالى 2629 قدمًا (= 801.8 من الأمتار) (الخريطة الإنكليزية الجديدة 805.97 مترًا)، ويبلغ عند الزاوية الشمالية الغربية للمدينة إلى 2585 قدمًا (= 787.9 مترًا) (الخريطة الإنكليزية الجديدة 786.89 مترًا). وبعد هذه النقطة يتحول الخط إلى الاتجاه جنوبًا في خط مباشر، ثم لا يلبث أن ينحدر سريعًا في "وادي الرَّبابة" الذي يصب في "وادي النار". ولكن وجود هذا الامتداد لا ينفي وجود امتداد آخر لتلة المدينة يجري في اتجاه شرقي، ثم يعود في آخر الأمر لينعطف جنوبًا، عند مصب "وادي الربابة" في وادي النار. وبما أن الامتداد المتجه جنوبًا يقع إلى الشرق من الامتداد الذي ذكرناه أولًا، فيمكن تسمية هذا الامتداد تلة المدينة الشرقية، في حين ينبغي أن يسمى الامتداد الآخر تلة المدينة الغربية.

ويبدو أن تلة المدينة قبل انقسامها إلى تلتين، شرقية وغربية، ليس لها اسم جامع، لا في الماضي ولا في الحاضر، لأن الناس لم تُعِدّها وحدة قائمة بنفسها. ويكتفي يوسيفوس، عندما يتحدث عن هذه المنطقة في سياق الحديث عن حصار تيتوس للقدس، بذكر مواقع معينة فيها، وكذلك يفعل العهد القديم (سفر الملوك الثاني 17:18 وسفر إشعيا 2:36) الذي كان ينبغي عليه ذكرها عندما ساق خبر الحملة الأشورية على القدس. ويُستدل من ذكر "حقل القَصَّارين" في المراجع المشار إليها سابقًا على المواضع في هذه المنطقة التي لم تكن عارية من المسميات،

كما كانت الحال عليه في الفترة العربية في الأغلب؛ فكان في المنطقة عدد كبير من أسماء المواقع حتى عام 1865 حين نشأت ضاحية يافا، واستُبدلت بأسماء سواها. ويبدو أن المنطقة المنخفضة قليلًا الواقعة بين التلة الشمالية الغربية و"دائرة الصحة" (Department of Health) الحالية كانت تسمى "البصَّة" أي المستنقع. والسبب في التسمية أن طريق يافا التي تنحدر من 817.9 مترًا إلى 812.98 مترًا شرق المستشفى اليهودي المسمى "شَعاريْه تسيْدِق" (*D* 4)، ثم لا تلبث أن تعود فترقى إلى ارتفاع 815.55، قبل أن تعود فتنحدر بعد ذلك انحدارًا واضحًا، فربما كان الماء يتجمع في هذه المنطقة شتاء على هيئة مستنقع. ويوجد إلى الشرق معْلم قديم من معالم هذه المنطقة، وهو ضريح "الشيْخ قيْمِر" الإسلامي (*D* 5)[151] الذي أسماه مجير الدين [العُليمي] "القيْمَرِيّة"، وهو يضم ثلاثة قبور لأفراد من عائلة "قيْمَرِيّة" قُتلوا في المعارك العقائدية بين عامي 1251 و1266[152]. ويقوم بالقرب من هذا الضريح ضريح "النّبي عُكاشة"[153] ذو المئذنة. وفي هذا الموضع، وعلى ارتفاع حوالى 809 أمتار، تتسع التلة قليلًا في اتجاه الشمال، حتى تصل إلى النتوء الواقع إلى الشمال من مدرسة ليمِل (Lämelschule)، المسمى "البَياض". وتوجد في سفحها الشمالي أربعة قبور صخرية، اثنان منهم كبيران على نحو لافت، لكن إ. ج. شُلتس[154] ودو سولسي[155] لم يجداهما، مع ذلك، أهلًا لإعداد قبر ملكة حدياب. الذي لا يقع في هذا المكان، في رأي يوسيفوس. وقد اتخذ الناس أحد القبرين الكبيرين بئرًا هي "بير صامور". أما الآخر الذي يقع في مكان أخفض على السفح، فقد بات اليوم خَرِبًا، واتخذه الناس مغارة أسموها "مْغارِة اِزْريْنة". ويقع قرب القبر الأول، في مقابل مدرسة ليمِل، الكرم المسمى "كَرْم الرَّاس" الذي بات اليوم مأهولًا بالمساكن منذ

---

(151) ورد اسمه خطأً في قائمة الأسماء "كامِر"، ولدى شيك وبنتسِنغر "كِيمِر"، يُنظر كذلك:
T. Canaan, *Mohammedan Saints and Sanctuaries in Palestine,* p. 277.

(152) يُنظر:

Sauvaire, *Histoire de Jérusalem*, pp. 167f,

(153) Vincent, *'Okkāšeh*,

لكن يُنظر:

Canaan, *Mohammedan Saints and Sanctuaries in Palestine*, p. 298.

(154) E. G. Schultz, *Jerusalem* (1845), p. 65.

(155) de Saulcy, *Voyage autour de la Mer Morte*, vol. 2, p. 326; *Atlas*, Pl. XLV.

زمن. وأطلق اسم القبر الثاني على سائر السفح من الجهتين الشمالية والشرقية حتى مستعمرة اليهود المسماة شعاريه موشيه، فأُسمي "أَرْض إِزْرِيْنة".

وفي حين اقتصر وصف تلة المدينة أعلاه على التلة كاملة، نتحول هنا إلى وصف فرعها الغربي، الذي ينتهي في آخرها بتلة المدينة الغربية. هنا يوجد ظهر ينحدر بعد الزاوية الشمالية الغربية للمدينة، ويشغل معظمه "المجمع الروسي" (*E* 5) المسمى "المسكوبية" التي أُسست في عام 1859، و"حديقة المدينة" أي "اِلمَنْشِيَّة". وكان يقوم في مكان هذه الحديقة ميدان سباق "اِلميْدان"[156]، ولا يزال اسمه عالقًا ببعض قطع الأراضي التابعة للحديقة. ويبلغ عرض التلة هنا حوالى 110 أمتار، ويبلغ طولها، بما في ذلك امتدادها في اتجاه الجنوب الشرقي، 500 متر، ويبلغ انحدارها 8 أمتار. فيمكن القول إذًا إن هذا الانحدار يحدث ضمن منطقة سور المدينة المعاصر، ويمتد حتى يصل إلى منطقة باب يافا. وإذا نظرنا إلى المساحة التي يقوم عليها المجمع الروسي بالقياس إلى الأرض التي يقوم عليها القسم الشمالي الغربي من المدينة، نراها مرتفعة ومشرفة تصلح لأن تكون معسكرًا قادرًا على تهديد القدس، ومراقبة مدخليها الشمالي والغربي. لكن المعسكر الثاني الذي ضربه تيتوس ينبغي أن يكون في مكان أعلى من المكان الروسي، في مقابل الزاوية الشمالية الغربية لسور أغريبا على بعد إستادين (أي 384 مترًا) عن السور[157]، على الرغم من أننا لا نعرف على وجه التحديد المكان الذي كانت تقوم فيه تلك الزاوية. وفي المقابل، ينبغي أن يكون المعسكر الثالث الذي ضربه تيتوس بعد احتلال المدينة وتدمير سور أغريبا، في مكان أكثر انحدارًا؛ إذ إن يوسيفوس يؤكد أن تيتوس نقل معسكره "إلى الداخل"[158]، أي إلى منطقة السور الذي اقتحمه، وإن كان أبقاه في منأى عن مرمى الرماة المحتمين خلف "السور الثاني"، أي السور المحيط بضواحي المدينة.

---

(156) يُنظر:

Pierotti, *Jerusalem Explored*, vol. 1, p. 36.

وكذلك كتابه:

Pierotti, *Plan de Jérusalem ancienne et moderne.*

(157) *Bell. Jud.*, V 3, 5; 4, 3.

(158) Ibid., V, 7, 3.

يُقارن: 12, 2.

ويبدو أن المعسكر كان قريبًا جدًا من السور؛ إذ إن مدى الرماية في تلك الأيام كان قصيرًا جدًا، وهذا يستدعي، في ما يبدو، أن ننحدر بموقع المعسكر إلى منطقة الزاوية الشمالية الغربية للقدس المعاصرة، حيث يبلغ الارتفاع 787 مترًا، أي حيث يبدأ انحدار سطح التلة المشار إليها أعلاه. ويبعد هذا الموضع نحو 350 مترًا عن سور المدينة الشمالي الذي كان قائمًا في ذلك الوقت، وربما كان يبعد نحو 400 متر عن السور المحيط بضواحي المدينة، حيث نقدر أنهما كانا قائمين[159].

ويذكر يوسيفوس[160] أن موقع المعسكر الذي اختاره تيتوس حينذاك كان يسمى "معسكر الأشوريين"، وبالعبرية "محانيه أشور"، وبالآرامية "مَشْريتا دي أَشورايه". وهذا يعني أن الناس في زمن يوسيفوس كانوا يحسبون الخبر المذكور في سفر الملوك الثاني (35:19)، وفي سفر إشعيا (36:37)، عن معجزة موت 185,000 جندي أشوري في ليلة واحدة، قد حدث في ذلك المكان.

وينبغي أن يكون "حقل القَصَّارين" والشارع التابع له قريبين من تلك المنطقة، التي من عندها دنا قادة الجيش الأشوري من سور مدينة القدس قادمين من المعسكر في الغالب، كما جاء في سفر الملوك الثاني (17.26:18)، وفي سفر إشعيا (2.11:36). وسيأتي الحديث على ذلك عند الحديث عن الوادي الواقع إلى الغرب من القدس. ولكن ينبغي البحث في هذا الموضع عن "قناة البركة العليا" وعن "البركة العليا" المذكورتين في النصين نفسهما؛ إذ إنهما كانتا أمام السور الشمالي للمدينة في ذلك الوقت من جهة الغرب. فإذا كان يوسيفوس قد أصاب في قوله إن هذا السور الشمالي كان على الخط نفسه الموجود عنده اليوم "برج داود"، فنجد هناك "بِرْكِة حَمَّام اِلبَطْرَك" (*E* 6)[161] عند الطرف الشرقي لسفح

---

(159) Paton, *Jerusalem in Bible Times*, pp. 129, 147,

وهو يجعل السور المحيط بضواحي المدينة شمال سور المدينة الحالي، وهذا يستدعي بطبيعة الحال أن يجعل المعسكر في مكان أبعد شمالاً.

(160) *Bell. Jud.*, V 7, 3;

يُقارن: 12, 2.

(161) يُنظر وصفها لدى تُبلر:

Tobler, *Denkblätter*, pp. 44ff.

التلة الغربية، على ارتفاع 764.7 مترًا، في حين يبلغ ارتفاع مشط التلة عند باب يافا 770.5 مترًا. ويوجد في الجهة الشرقية سد اصطناعي يمنع انسياب الماء[162]. وفي الفترة الصليبية، كانت بركة مامِلّا تسمى *lacus Patriarchae*[163]، في حين كانت "بِرْكِة حَمَّام اِلبَطْرَك" الحالية تسمى *lacus balneorum* (بركة المستحمين)[164]. ولا بد أنه كان للحمَّامَين اللذين زيَّن بها هادريان القدس الرومانية[165] مرافق تزودهما بالماء، فربما كانت إحدى هاتين البركتين تتولى هذه المهمة. وفي أي حال، فإن لهذه البركة صلة بالبركة التي ذكر يوسيفوس[166] أنها كانت موجودة في المنطقة، وهي "المسماة أميجدلون" التي يغلب أن يكون لاسمها صلة ببرجي قلعة هيرودوس اللذين كانا قائمين في تلك المنطقة، بحيث يمكن أن نتصور أن اسم البركة مأخوذ من الآرامية "بِرِيْخَة مَجْدِلا" أي "بركة البرج". وبما أن هذه البركة لا تصلح، بحسب موقعها، لأن تكون مكانًا لجمع الماء المتدفق، ثم دفعه إلى منخفض، فلا بد أن الماء كان يصل إليها عبر طريق قناة اصطناعية تصلها بمنخفض يتجمع فيه الماء، كما كانت الحال فعلًا في البركة العليا التي سبقت الإشارة إليها. واليوم يصل الماء إلى هذه البركة من بركة "مامِلّا" (*E* 5) عبر قناة طولها 750 مترًا سنتحدث عنها أدناه في *B* 4. ولا بد أن الأمر كان مشابهًا في الماضي، وإن كان لكل من هاتين البركتين تاريخها الخاص، ولا يجوز أن نحسب أنهما كانتا في الماضي على هيئتهما المعاصرة اليوم. فلما أحس [الملك] آحاز بخطر حصار

---

(162) يُنظر:

Schick, *ZDPV* (1885), pp. 270, 283; (1891), p. 49,

الذي أثبت أن البركة كان تمتد يومًا بمقدار 18.3 مترًا في اتجاه الشمال.

(163) Wilhelm v. Tyrus, VIII, 2, Citez de Jher.; Tobler, *Descriptiones*, p. 215,

أما عبارة *tolus Patriarchae* التي ذكرها:

Röhricht, *Regesta*, p. 149,

نقلًا عن وثيقة أرشيف من عام 1178، فيغلب أنها تصحيف لعبارة *lacus Patriarchae*.

(164) Röhricht, *Regesta*, pp. 41, 112.

(165) كما جاء في: *Chronicon Paschale*،

وقد كان غيرميه دوران (Germer-Durand) قد حسب أن المترجم اللاتيني أخطأ، حين ترجم αισόμηδ بكلمة *balnea*. إلا أن هذا المعنى ثابت لهذه اللفظة في اليونانية المتأخرة، كما أن هناك شواهد عليه في كلام اليهود بفلسطين.

(166) *Bell. Jud.*, V 11, 4.

[الأشوريين] للقدس، بادر إلى التوجه إلى هذه القناة (سفر إشعيا 3:7)، ليُنظر في مقدار الماء المخزون في القدس، وليسعى إلى تأمينه إن تيسر له ذلك[167]. ونقدِّر أن الماء كان يصل إلى برك قلعة هيرودوس (*Bell. Jud.* V 4, 3) وإلى القناة التي كانت تدخل القلعة من عند برج هيبيكوس (*Bell. Jud.* V 7, 3) من القناة نفسها، كما يصل الماء من هذه القناة إلى الحوض التابع لبرج القلعة الواقع في مقابل باب يافا. وقد كان هذا الحوض في الفترة العربية متصلًا بقناة الماء المتصلة ببركة مامِلَّا[168]. أما بركة حمَّام بَتْشَبَع[169] الصغيرة التي طُمرت في عام 1884، فلا يمكن أن تكون بركة أميجدلون التي ذكرها يوسيفوس، لأنها تقع إلى الغرب أبعد مما ينبغي. وكانت هذه البركة حازت اسمها هذا بسبب قربها من برج داود استنادًا إلى الخبر الوارد في سفر صموئيل الثاني (2:11). وربما كانت البركة متصلة بقناة ماء عثر المنقبون على آثار لها داخل المدينة وخارجها في الاتجاه الشمالي الغربي من دون أن يعثروا على الموضع الذي كانت تبدأ منه (يُنظر أدناه د2).

تبين الصور الجوية مسار التلة على النحو الآتي: حتى الكنيسة الإثيوبية الصورة *D* 10 = *M* 800ª، وحتى المجمع الروسي الصورة *D* 11 = *M*787، ومن المجمّع الروسي حتى سور المدينة الصورة *D* 9 = *M* 799، وحتى الطرف الجنوبي للتلة، الصور *M* 785. 797. 803. 791، ولكن يُنظر أيضًا الصور العامة *D* 4 = *M* 779 و*M* 780. 778. 777.

ويبدو أن أحد أسماء التلة الغربية قديمًا، في الجزء الواقع شمال مدينة القدس قديمًا، هو جوْعا[170] الذي يعني "المزمجر"، بحسب ما جاء في سفر إرميا (38:31). وذكر النبي [إرميا] هذا الاسم إلى جانب "تلة جارب" باعتبارهما

---

(167) يُقارن:

Dalman, *PJB* (1918), pp. 66f.

(168) Wilson, *Ordnance Survey of Jerusalem*, p. 47, Pl. III.

(169) Krafft, *Topographie*, pp. 93, 185; Tobler, *Denkblätter*, pp. 70f.; Robinson, *Palästina II*, pp. 133f.; Berggren, *Plan von Jerusalem*, Finn, *PEFQ* (1886), p. 206.

(170) ذكر [الكاتب] السرياني "جِبْعاتا" بدلًا من "جوْعاتا"، وهو تصحيف لا معنى له، أما الترجمة السبعونية [اليونانية] فجاء فيها، غالبًا، "جازيتا".

نقطتين ينبغي أن يمر بهما خيط القياس للقدس المستقبلية، وذلك بعد أن كان قد أكد أن الخيط وصل قبل ذلك، بطبيعة الحال، نقطتي الحدود السابقتين، أي برج حننئيل وباب الزاوية. وقد عد الترجوم هذا البرج "برج بقُّوس"، وهو نفسه برج هيبيكوس الذي ذكره يوسيفوس[171]، وهو برج الزاوية الشمالي الغربي للمدينة القديمة في زمانه. لكننا نفهم من سفر نحميا (3:1) أن البرج كان قائمًا عند الزاوية الشمالية الشرقية للسور الشمالي الذي كان قائمًا حينذاك. وكذلك الأمر في سفر زكريا (14:10)، حيث يُعَدّ البرج طرف القدس الشمالي وينتصب بذلك في مقابل المعاصر الملكية، ومن الواضح أن النص يقصد أن البرج كان موجودًا في جهة الشرق. وبناء عليه، يقع باب الزاوية، الذي يسمى (بالعبرية "شَعَرهَبِّنَّا"، ويسمى في سفر زكريا (14:10) "شَعَر هَبِّنِّيم" في الزاوية الشمالية الشرقية، مشكِّلًا نقطة غربية، في حين يشكل باب بنيامين نقطة شرقية في مقابله. وربما كان واقعًا في مقابل "بُرج التَّنانير" (بالعبرية: "مِجْدال هَتَّنُّورِيم"، (ج. "تنور")) المذكور في سفر نحميا (3:11؛ 12:38)، ومن البدهي أن هذا البرج لم يسم بهذا الاسم إلا لقربه من الباب الموصل إلى تنانير المدينة، التي كانت تُجعل خارج المدينة إبعادًا للدخان الصادر منها[172]، وربما أقامها الناس على التلة المرتقية المقابلة لزاوية السور لأنها ملائمة لذلك. وهنا ينبغي أن نبحث عن "جوْعا" المذكورة في سفر إرميا (31:38) والمقابلة لباب الزاوية في الغرب أيضًا، بالاتجاه إلى الشمال، الأمر الذي سينتهي بنا إلى نقطة ما على القمّة الغربية. ويترجم الترجوم "جوْعا" [العبرية] بعبارة "بِريْخَة عِجْلا" [الآرامية] "بركة العجل"، أي أنه حمّل كلمة "جوعا" على معنى عِجل هادر، ويبدو أن كاتب الترجوم كان يعرف مكانًا اسمه "بِركة العِجْل" في شمال القدس، وإن كان ينبغي أن يقع المكان لديه شرق المكان الذي نحن بصدده.

اكتسب السفح الشرقي لهذه التلة، الواقع ضمن حدود القدس الحالية وضمن حدود إيليا كابيتولينا الرومانية (Aelia Capitolina)، أهمية عالمية، عندما حدد

(171) *Bell. Jud.*, V 4, 2.3.

(172) يُقارن:

Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, p. 243.

مسيحيّو القدس، بحسب علمهم، مطلع القرن الرابع مكان قبر المسيح، وكذلك مكان صلبه، المسمى غولغوْثا [الجلجلة]، على بُعد نحو 250 مترًا من سور المدينة الغربي (على نحو متعامد)، على قمة ترتفع 755 مترًا تقريبًا، بل اكتشفوا، بحسب تقديرهم، القبر نفسه أيضًا (*E* 6). ولما كان هذا الموضع غير لافت وواقع في وسط المدينة حينذاك، فهذا يؤكد أن الخبر الذي استندوا إليه في ذلك وثيق؛ فقد ذُكر أن الموضع يقع في نقطة بُني عليها معبد لأفروديت(173). وما يعزز هذا الخبر أن موقع غولغوثا، والمشتق اسمه من كلمة "جُلجُثتا" الآرامية أي "جمجمة"، يغلب أنه كان معروفًا لدى أكثر سكان القدس حينذاك، بصفة كونه المكان الذي صُلب فيه المسيح (إنجيل متى 33:27، إنجيل مرقس 22:15، إنجيل لوقا 33:23، إنجيل يوحنا 17:19) كما أن الأناجيل نفسها حثت المسيحيين دائمًا على السؤال عن هذا المكان إذا جاءوا القدس زائرين. ويستدل من وجود ثلاثة قبور صخرية في هذه المنطقة (يُنظر أدناه) على أنها كانت منطقة مدافن، ولم تكن واقعة داخل حدود المدينة في زمن المسيح. وإلى ذلك، أثبتت الملاحظات التي جمعها كومِل (Kuemmel)(174) عن القاعدة الصخرية للقدس أن كنيسة القيامة أُقيمت على نتوءٍ شرقي لتلة المدينة الغربية، التي كان ارتفاع قمتها الأصلي يبلغ نحو 758 مترًا، قبل أن تزال من أجل عزل قبر المسيح عن محيطه. وقد أحاط بهذه التلة من الجنوب المنخفض الهابط إلى وادي المدينة، ومن الشرق ومن الشمال الشرقي وادي المدينة نفسه الذي يهبط سفح التلة إليه. أما من الشمال، فكان يلتقيها سفح التلة الغربية، وفي الغرب كانت تشرف التلة الغربية نفسها على هذه التلة. وهذا يرجح أنه كان ثمة اسم خاص لنتوء التلة الواقع في شمال التلة الغربية للمدينة.

وهناك سؤال مهم ينبغي طرحه في هذا الصدد: من أي موضع تجاوز سور القدس الخارجي نتوء التلة هذه في زمن المسيح؟ وللإجابة عن هذا السؤال نقول:

---

(173) Eusebius, *Vita Constantini*, vol. 3, chap. 26.

يُقارن:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], pp. 368ff.

(174) Kuemmel, *Karte der Materialien zur Topographie des alten Jerusalem* (1904).

ينبغي ألا تكون بداية السور في قطعة السور الشمالية آنذاك قريبة جدًا من نقطة التقاء هذا السور بقلعة هيرودوس، لأن الرومان في أثناء حصارهم المدينة القديمة تمكنوا من إقامة متراسين أمام السور الخارجي، في الجزء التابع لسور المدينة من دون أن يمسَّا السور الشمالي لقلعة هيرودوس المعزَّز بثلاثة أبراج[175]. فإذا صح هذا، فإن تلك القطعة من السور المتجهة شمالًا، والواقعة شمال برج داود، التي رآها كل من ميرل (Merrill)[176] وشيك[177] من دون أن يتفحصاها تفحصًا وافيًا، ليست جزءًا من سور المدينة الخارجي، وإنما هي جزء من سور أغريبا أو سور القدس الروماني[178]. وعند ذلك لن يكون ثمة ما يمنع من أن يعد مكان غولغاثا المذكور في الخبر خارج السور الخارجي للمدينة في ذلك الوقت؛ إذ إن مدار هذا السور في اتجاه برج أنطونيا في الشمال الشرقي[179] يبعد أن يبلغ التلة من جهتها الغربية، وإلا لبُني على التلة كلها ابتداءً. ويُستدل من مرور السور على مسافة قريبة من "غولغوثا" على أن المنطقة هناك كانت منطقة عامة، وكان من الممكن تنفيذ أحكام الإعدام فيها، كما يدل في الوقت نفسه على وجود طريق قريبة كانت تبدأ من عند باب جِناث الذي ذكر يوسيفوس أن السور كان يبدأ من ذلك الباب ثم تجري الطريق محاذية للسور شمالًا، حتى تبلغ طريق القدس الشمالية. ولا بد أن هناك طريقًا أخرى كانت تجري من أمام الباب غربًا، لتتيح التقاء الطريقين الشمالية والجنوبية عند هذه النقطة، بحيث كان الالتقاء بين هاتين الطريقين مباشرًا آنذاك، في حين أنه لا يتحقق اليوم إلا من خلال الدوران حول المدينة. وإلى ذلك، يدل باب جناث الذي ينبغي أن يُشتق اسمه من لفظة "جِنَّات" الآرامية "جَنَّات"، على وجود بساتين في الأرض الواقعة أمام الباب، ربما كان أحدها بستان يوسف الرامي في موقع قريب من موضع الصلب (سفر يوحنا 19:14). والحقائق التي

---

(175) *Bell. Jud.*, V 9, 2; 11, 4.

يُقارن:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, pp. 397f.; Pronobis, *Hl. Land* (1928), pp. 97ff.; (1929), pp. 36f.

(176) *PEFQ* (1886), pp. 21ff., 72f; (1887), pp. 15f., 63ff.

(177) *PEFQ* (1887), pp. 217ff.; (1888), pp. 62f.; (1893), pp. 191ff.

(178) يُقارن:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, p. 397.

(179) *Bell. Jud.*, V 4, 2.

لا يرقى إليها الشك في هذه المنطقة هي، عدا القبر الصخري الذي اكتُشف في نحو عام 326 ميلادي وعُدَّ قبر المسيح(180)، القبر المجاور له الذي يوصف بأنه قبر يوسف الرامي، والقبر المسمى قبر الأقباط في الجهة الشمالية الشرقية(181)، وقبر الكاهن الأعلى يوهانس هيركانوس (المتوفى في 104 قبل الميلاد) الذي ذكره يوسيفوس(182). ولا يقيم الناس القبور الصخرية إلا في الأرض التي يملكونها، وتكون مداخلها في واجهات صخرية، بعضها هيأته الطبيعة، وبعضها الآخر هيَّأه الإنسان، إما لأنه استخدم المنطقة محجرًا، وإما لأنه أعد الواجهة الصخرية خصيصًا لتُستخدم قبرًا. وربما وجد كلا النوعين على السفح الواقع أمام سور المدينة الخارجي، الذي ينحدر بدوره في اتجاه الغرب، نتيجة لتضيُّق التلة الغربية أمام سور المدينة الشمالي. ولا بد أن هذا المكان، كما هي الحال في التلال المحيطة بالقدس كلها، لم يخل من مناطق صخرية جرداء، بحيث قرب عند الناس أن يسموا أي قبة مدورة "جمجمة". وبناء عليه، لا حاجة إلى القول إن المكان أسمي بهذا الاسم نسبة إلى جمجمة آدم الذي يفترض الناس أنه مدفون هنا(183). ورأى يريمياس (Jeremias)(184) أن صلب المسيح في منطقة غولغوثا نفسه دليل على أن الناس لم تكن قد اعتقدت حينذاك بأن آدم مدفون هناك؛ ورأى أن بيلاطس ما كان ليجرؤ على اتخاذ معبد يهودي مكانًا لتنفيذ أحكام الإعدام. لكن القبر ليس مكانًا مقدسًا، حتى لو كان المكان أُسمي نسبة إلى جمجمة آدم، فهذا لا يعني، في أي حال، أن يتخذ الناس ذاك المكان الذي يُفترض أن الجمجمة موجودة فيه

---

(180) يُنظر:
Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], pp. 376ff.

(181) Schick, *ZDPV* (1885), pp. 171ff.

(182) *Bell. Jud.*, V 6, 2; 7, 3; 9, 2; 11, 4; VI 2, 10.

(183) كما جاء عند أوريغانس (Origenes) في:
In Matth. 126 Cat.
ويعبّر عن وجهة النظر اليهودية إبيفانيوس في:
Adv. haer., XLVI 5,
في رسالة من باولا إلى مارتشيلا، يُقارن:
Klameth, *Die neutestamentlichen Lokaltraditionen*, vol. 1, pp. 106ff.; Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], pp. 365ff.

(184) Jeremias, *Golgotha*, p. 1.

مكانًا للإعدام. أما أرجح الآراء، فهو أن تسمية المكان باسم "جمجمة" هو الذي سحب على المكان حكاية قبر آدم في فترة لاحقة أضحت فيها السمات الطبيعية للمكان التي استدعت تسميته بهذا الاسم معروفة للناس. أما إبيفانيوس الذي لم ير صخرة غولغوثا إلا في ساحة كنيسة الصعود (Anastasis) التي بناها قسطنطين، فرأى أن لا بد من تفسير اسم المكان باعتباره يشير إلى جمجمة آدم، "لأنه لا يقع على مرتفع (ἄχρα)، بحيث يمكن تفسيره بمعنى 'الجمجمة'، كما هي حال مكان الرأس من جسم الإنسان (أي أعلى ما في الجسم)، ولا يقع على مكان مطَّل مشرف (σχοπιά). كما أنه ليس مرتفعًا قياسًا على الأماكن الأخرى؛ ففي مقابله يقع جبل الزيتون، وهو أعلى منه، وعلى بعد 8 أميال هناك أعلى موقع، وهو غاباون[185]، بل حتى القمّة (ἄχρα) التي كانت موجودة يومًا ما في جبل صهيون وقد أزيلت اليوم[186]، كانت أعلى منه".

ولا يُستبعد، في أي حال، أن يكون التفسير الوارد في الأناجيل لاسم هذا المكان باشتقاقه من كلمة "جمجمة" تفسيرًا شعبيًا، وأن كلمة غولغوثا ليست مشتقة من الكلمة الآرامية "جُلجُتا"، وإنما من الكلمتين الآراميتين "جَل جوْثا"[187]، فيكون المقصود بها إذن كومًا من الحجارة كان موجودًا في المكان المسمى جوْعا المذكور في سفر إرميا (31:38). فيكون الاسم بذلك أُطلق على مكان صلب المسيح بوصفه جزءًا من الأرض الواقعة في شمال القدس

---

(185) يُنظر أدناه، *B* 5.

(186) يقصد إيبفانيوس بذلك التلة الغربية، ويرى أن نقل طمم قلعة "أكرا الأشوريين" [تل صهيون] الذي ذكره يوسيفوس

Antt. XIII, 6, 6; *Bell. Jud.*, V 4, 1,

قد جرى عليها، يُنظر أدناه، *A* 6.

(187) أول من قال بهذا التفسير هو فيلهلم فون بلدنسِل (Wilhelm von Baldensel) في عام 1336، الذي ساقه كواريزميوس:

Quaresmius, *Elucidatio* V 2, 14,

يُقارن:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, p. 366,

أما اقتراح هاوبت القائل باشتقاق غولغوثا من كلمة "قِلْقِلْتا" (قذارة)، والبحث عنها تبعًا لذلك في منطقة التوفيْت جنوب القدس، فلا أحسبه يلقى قبولًا من أحد. يُنظر:

Haupt, *Proc. Amer. Phil. Soc.*, vol. LVIII (1920), p. 5.

نحو الغرب. ومن اللافت أن يتفق ذلك مع مكان غولغوثا المتعارف عليه عند الناس[188].

ويغلب أن منطقة المبنى الذي بناه قسطنطين على غولغوثا[189]، التي كانت على هيئة مستطيل عرضه 38 مترًا وطوله 140 مترًا، تمتد حتى تصل إلى شارع السوق في القدس الرومانية، هي نفسها منطقة معبد أفروديايت الذي أمر قسطنطين بإزالته وإزالة فنائه معه[190]. ولا بد أنه كان لهذا المعبد، كما هي حال معبد أرتميس ذي التصميم المشابه في جرش، عدا فنائه الرئيس، فناء أمامي شرقي ذو بوابة معمّدة، يصله بشارع السوق. وكان المسيحيون رأوا في القرن الرابع أن المعبد الوثني إنما بُني في ذلك الموقع بقصد تغطية منطقة قبر المسيح المقدسة لديهم، ومنعهم من الوصول إليها. ولكن الواقع يشير إلى غير ذلك؛ فعندما يراد إقامة معبد مجاور لشارع السوق يكون مخصصًا للإلهة حامية المدينة، فلن يكون ثمة مكان ملائم لإقامته أكثر من النتوء الشرقي للتلة الغربية. ومن البدهي أن الغاية من إقامة المعبد في أعلى مكان ممكن، هي أن تتبع له أفنية تتيح الوصول إليه من شارع السوق.

ويلي منخفض الفرع الغربي لتلة المدينة مرتفع جديد ممتد من جهة برج داود في حارة الأرمن الحالية (*F* 6)، يصل إلى ارتفاع 2550 قدمًا (= 777 مترًا)، كما يلي امتداد لهذا المرتفع يبلغ إلى 250 مترًا، يقع خارج السور الجنوبي الحالي للمدينة، وينخفض انخفاضًا يسيرًا حتى يصل إلى ارتفاع 2519.1 قدمًا (= 767.8 مترًا)، تليها، أول الأمر، أرض مسطحة يتراوح ارتفاعها بين 758 و752 مترًا، ثم منحدر

(188) يرى يريمياس أن هذا غير صحيح، لأن جوْعا المذكورة في سفر إرميا (38:31) تقع في الجنوب، إلا أن هذا يبدو لي مستحيلًا. يُنظر:

Jeremias, *Golgotha*, p. 1.

(189) يُنظر في ما يتعلق بهذه المنطقة:

Vincent, *Jérusalem*, vol. 2, pp. 154ff.; Schmaltz, *Mater ecclesiarum* (1918), pp. 13ff.; Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, pp. 381ff.

(190) Eusebius, *Vita Constantini*, vol. 3, chap. 26.

يُقارن:

PJB (1913), pp. 102ff.

حاد ينخفض إلى ارتفاع يتراوح بين 710 و680 مترًا. ولسلسلة التلال سفح شديد الانحدار من جهتها الغربية أيضًا، في اتجاه قاع الوادي الذي يبدأ انحداره جنوبًا ابتداءً من باب يافا، منخفضًا من 750 مترًا حتى يصل إلى 720 مترًا. أما من الجهة الشرقية، فالانحدار شديد أيضًا من الطرف الجنوبي لسلسلة التلال، الذي يتراوح انخفاضه بين 680 و640 مترًا. وتنتصب شرق الجزء الشمالي، إلى الجنوب من مستوى برج داود، تلة أمامية أصغر حجمًا، يقل ارتفاعها 15 مترًا تقريبًا، إذ يبلغ 2502 قدمًا (= 762.6 مترًا)، وهي تعد أعلى نقطة أمام هذا الجزء. وتنحدر هذه التلة انحدارًا شديدًا في اتجاه الشرق، ويقل ارتفاع السفح عند هذه النقطة 15 مترًا تقريبًا، في حين أن ارتفاعه في الماضي كان ضعف ذلك على الأرجح. وتكاد هذه التلة تبدو مستقلة بنفسها. ويستدل، أول الأمر، من انعطاف سلسلة التلال انعطافًا مباشرًا نحو الجنوب، بعد أن كانت تتجه حتى هذا الموضع نحو الجنوب الشرقي، على أنها جزء من طرف السلسلة الجنوبية، ولكن لا يلبث بعد ذلك أن يظهر المنخفض الفاصل بين هذا الطرف والجزء الشمالي من سلسلة التلال، فيبدو أنه كان متصلًا في يوم من الأيام بسفح يهبط إلى الوادي الذي يجري من جهة الغرب، الذي يوضح الفاصل على نحو أوضح. وتظهر صورة التُقطت في عام 1875 على نحو واضح أن المنطقة الواقعة أمام باب يافا هي أنقاض متراكمة، وهي لا تشكل السفح الطبيعي للتلة الغربية الذي كان يقع في مكان أبعد من ذلك، وينبغي دراسته دراسة دقيقة. وتغطي القلعة القائمة هناك اليوم جزءًا من الزاوية التي كانت موجودة هناك، كما أنها تخفي الوضع الأصلي لتضاريس هذه المنطقة. بعد ذلك، يفصل منخفض التلة الموجودة في الشمال عن تلة غولغوثا الأمامية، كما يقسم السفح الشرقي للتلة الغربية قسمين. وآخر الأمر، يبدأ من هذا المنخفض لسان، كان تُبلر لحِظَهُ، يتجه جنوبًا، وامتداده 100 متر تقريبًا، وهو يختصر بشدّةٍ الطريقَ الواصلة مباشرة بين التلة الغربية وقمتها الأمامية التي تمتد بعيدًا في الشرق، كما يُستدل على ذلك من مشاهدة هذه المنطقة اليوم. ولكن، من المؤكد أن الأنقاض الكثيرة التي أُلقيت إلى الجنوب من هذه المنطقة باتت تحدد اليوم شكل التلة؛ فمن غير المستبعد أن يكون وارِن محقًا في قوله إن ثمة طريقًا تصل، من هذه الجهة أيضًا، التلة الغربية

بقمتها الشرقية، وتختصر المسافة بينهما، بحيث يتراجع عرضها الأصلي ليصبح 60 مترًا فحسب. وبناء عليه، يتشكل هنا في الشرق تل خاص أخطأ كومل حين اقترح أن يُعد أكرا، أي قلعة الأشوريين في القدس. ولا نعرف الصحيح على وجه اليقين، غير أن الحشمونيين بنوا قصرهم عند الزاوية الشمالية الشرقية من التلة، وأنه يتميز من سائر المباني الأخرى بأن الواقف على سطحه كان يطل على الهيكل[191]. وليس في هذا ما يستدعي العجب؛ إذ إن أساسات القصر كانت تقوم على ارتفاع 750 مترًا، ولا بد أن سقفه كان يرتفع 770 مترًا، في حين قام الهيكل على تلة ارتفاعها نحو 740 مترًا فحسب. وقد سيق المسيح إلى أمام هيرودوس أنتيباس (إنجيل لوقا 7:23 وما يلي)[192]. إضافة إلى ذلك، لا بد أنه كان لهذه التلة الأمامية أهمية خاصة في تاريخ المدينة، لأنها كانت تقع قبالة الطرف الجنوبي للتلة الشرقية التي يغلب أنها سُكنت أولًا؛ فقد كانت أكبر منه، وعلى هيئة مربع لم يزد طول ضلعه على 225 مترًا، فكان بذلك أحد أصغر الأماكن في الزمن القديم. أما القمّة الرئيسة للتلة الغربية، فهي قمة ممتدة، وتبلغ مساحتها ضعف مساحة ذلك الطرف. غير أن ما يؤسف له جدًا أن القمّة الأمامية الشرقية لم تُدرس بعد آثاريًا.

لم تتميز القمّة الرئيسة للتلة الغربية بطبيعة الحال بأنها تعلو القمّة الأمامية، وتشرف بذلك عليها فحسب، وإنما، بصرف النظر عن علاقتها بالقمّة الأمامية، كانت مكشوفة تمامًا من ثلاث جهات. ومن الجهة الشمالية، كانت الصلة بين هذه القمّة والامتداد الصاعد مقطوعة، بسبب ما فيها من تضييق من الجهتين (يُنظر أعلاه)، بحيث لم يتبق بينها غير طريق ضيقة، وكان في الإمكان الحفاظ عليها دونما عناء إذا قُوِّيت تقوية شديدة. أما من الجهة الشرقية، فلا تزال تلحظ اليوم أن الشوارع المنطلقة من باب يافا في اتجاه المدينة تنحدر على نحو دائم، حتى يبلغ انحدارها 33 مترًا قبل الحرم بقليل، كما ذكر ويلسون، في حين أن ارتفاعها يظل، أول الأمر، على حاله الأصلية تقريبًا في الجهة الغربية، ثم يعود فينخفض

(191) *Antt* XX 8, 11.

(192) Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, p. 359.

بعد ذلك. وقد تهيأت بهذا على التلة الغربية مساحة عالية ملائمة لإقامة مدينة قديمة عليها، خاصة أن أهم طريق المواصلات في الجبال الفلسطينية الغربية تمر بالقرب من جهتها الغربية. وكان يقوم هنا في زمن المسيح ذلك الجزء من القدس المسمى "السوق العليا"، (بالعبرية: "هَشُّوق هَاعِلِيوْن"؛ وبالآرامية: "شوقا عِلّاء")[193]، كانت توجد في المدينة الأمامية الأكثر انخفاضًا سوق اسمها "السوق السفلى"[194]. وهذا أمر قريب المورِد؛ إذ يسَّر هذا الدخول إلى السوق من الشمال والجنوب والغرب، كما أنه سهَّل إدخال البضائع ودخول المتبضعين من خارج المدينة. وكان يوسيفوس الذي يسمي هذا الجزء من المدينة "المدينة العليا" يعتقد أن هذا المكان كانت تقوم عليه "قلعة داود"[195]، ويرى أن سور مدينة القدس القديمة الذي كان قائمًا حينذاك هو "أقدم" أسوار القدس يومها، وكان يَرُدُّ بناءه إلى داود وسليمان والملوك الذين حكموا بعدهما[196]. لكنَّه هو نفسه يتحدث عن تدمير البابليين القدس مرة وعلى يد الأشوريين مرتين[197]، فلا بد أنه إذن يتحدث عن تأسيس السور وعن الخط الذي كان يسير فيه. وينبغي رد ما كان موجودًا من السور آنذاك إلى هيركانوس الثاني[198]، ثم إلى يوهانس هيركانوس[199]، ثم إلى شمعون[200]، وفي آخر الأمر إلى نحميا[201]. لكن القناعة كانت قائمة دائمًا،

---

(193) Schek. VIII 1; Tos. Chull. III 23; Sanh. XIX, 14; j. Sanh. 30[b]; *Bell. Jud.*, V, 4, 1; Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], p. 288.

(194) Tos. Sanh. XIV 14; j. Sanh. 30[b].

(195) *Bell. Jud.*, V 4, 1.

يُقارن:

Antt., VII, 3, 1.2.

(196) *Bell. Jud.*, V 4, 1, *Antt.*, VII 3, 2.

(197) *Antt.*, X, 8, 5; XII 5, 4;

يُقارن:

1. Makk. 1, 31; XII 8, 3.

(198) *Antt.*, XIV, 8, 5; *Bell. Jud.*, I 10, 3.

(199) 1. Makk. 16, 23.

(200) *Antt.*, XIII, 6, 3.

يُقارن سفر المكابيين الأول 13:10؛ 14:37؛ يُقارن: سفر سيراخ 50:2، 4.

(201) *Antt.*, XI 5, 7.8;

يُقارن سفر نحميا 3-6، وسفر سيراخ 49:13.

في ما يبدو، بأن السور هو نفسه السور الذي أعاد نحميا بناءه وبناء بواباته القديمة كلها بعدما دمره البابليون، كما جاء في وصفه، متبعًا في ذلك الخط الذي بُني فيه السور في عهد الملوك. وبما أن نحميا أعاد بناء سور واحد، هو السور الخارجي من دون شك، فينبغي أن نتساءل إن كان سور المدينة الأمامية الذي يذكره يوسيفوس هو جزء من هذا السور، مع أن يوسيفوس نفسه لا يذكر شيئًا عن أصله، والافتراض أنه إنما يقصد بهذا السور "الأسوار الجديدة" التي بناها منسى[202]. وبناء عليه، فربما يكون القسم الأكبر من سور المدينة القديمة الشمالي قد أُعيد بناؤه في وقت لاحق لأسباب لا نعرفها. ويجوز لنا أن نفترض أن بناء قصر الحشمونيين الذي قال يوسيفوس[203] أنه بُني على قمة عالية مقابلًا للهيكل من الجهة الغربية، كان هو السبب في بناء سور من جهة القصر الشمالية، وذلك على آثار سور قديم على الطرف الشمالي للتلة الغربية. ثم لا بد أن هيرودوس كان معنيًا بأن يصل بين قلعته التي بناها في الطرف الشمالي الغربي للمدينة العليا والهيكل. ولا يستبعد، بطبيعة الحال، أن يكون تقدير الناس حينذاك لخط سير سور القدس في فترة ما قبل السبي، الذي يتفق مع رأي آبا شاؤول من القرن الثاني المتعلق بما يسمى بِـ"صاعِين" القدس وقدسيتهما المختلفة (يُنظر أدناه)، تقديرًا غير صحيح.

فثمة إذًا مبرر لا بأس به لهذه التأملات الجادة في الشكل الحقيقي للقدس في الفترة السابقة للسبي، ومن المفهوم أن الآراء تتباين في هذه المسألة تباينًا شديدًا؛ فما زلت تجد في هاناور (Hanauer)[204] من يقول بالرأي الراسخ الذي قال به يوسيبيوس (Eusebius)[205]، عن أن التلة الغربية هي مدينة داود، وأول مكان سُكن في القدس. وفي الجهة المقابلة يقف رجال مثل غيرميه دوران

---

(202) *Antt.*, X 3, 2.

(203) *Antt.*, XX 8, 11; *Bell. Jud.* II 16, 3,

يُقارن أعلاه ص 77 وما يليها.

(204) Hanauer, *Walks about Jerusalem* (1910), pp. 226ff.

أعيد طبعه في عام 1928 متضمنًا الآراء عينها. يُنظر:
Meistermann, *Guide de Terre Sainte*² (1923), p. 105.

(205) E. Klostermann (ed.), *Onomastikon*, p. 74.

(Durand)[206]، الأستاذ في نوتردام دو سيون (Notre Dame de Sion)[207]، ومنهم ألت أيضًا[208] ليقولوا إن القدس لم تتجاوز حتى زمن نحميا التلة الشرقية[209]، وبذلك يكون تصور يوسيفوس عن القدس غير صحيح أيضًا. ولا يصمد الرأي الأول لنتائج التنقيبات الأثرية، كما أنه لا يتفق مع الشواهد التوراتية. إلا أن ثمة حقائق ذات شأن كبير تعترض طريق الرأي الثاني. أُولاها وجود الاسمين: القدس وصهيون، وكلاهما قديم. أما القدس، فذُكرت في رسائل تل العمارنة التي تعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، في حين أن صهيون ذُكرت أول مرة في سفر صموئيل الثاني (7:5). وليس في هذا خروج على المألوف. أفلا ينبغي أن تقابل هذين الاسمين القلعةُ والمدينةُ، التلةُ الشرقية والتلةُ الغربية؟ ثانيًا، ليس لأحد أن يغفل عن أن التلة الغربية واقعة على طريق مهمة من طرق المواصلات في البلاد، وذات مزايا حبتها بها الطبيعة، تتعلق بالتجارة، وبالسيطرة على المناطق المحيطة، وفي إنفاذ الحملات العسكرية، مما لا يتوافر للامتداد الجنوبي للقمّة الشرقية الموجود في زواية بعيدة من أحد المنخفضات. ولا يجوز الاعتداد بعيون الماء الموجودة في الوادي وحدها؛ فبيت لحم وجبعة ورامة وعناتوت، إضافة إلى مواقع قديمة أخرى، لا عيون ماء فيها كلها. ثالثًا، ليس صحيحًا ما زعمه ألت عن عدم وجود مدن قديمة مكونة من مركزين كبيرين. وتتخذ هذه المدن في أكثر الأحوال هيئة قلعة تقوم في مكان مشرف، تحرس مدينة تقع في مكان أخفض منها. ومن أمثلة ذلك في فلسطين ربة عمون المؤلفة من "مدينة المياه" الخاصة بها (سفر صموئيل الثاني 27:12) التي لا بد أنها كانت عند الجدول في الوادي[210]، وكذلك طبرية القديمة الواقعة على البحيرة، وقلعتها الواقعة على مكان مرتفع.

---

(206) Germer-Durand, *Topographie de l'Ancienne Jérusalem* (1912).

(207) *La Palestine*[3] (1922), p. 78.

(208) *PJB* (1928), pp. 74ff.

(209) Vincent, *Jérusalem*, vol. 1, p. 164,

مقتنع، في أي حال، أن القدس كانت قائمة في زمن داود وسليمان على التلة الشرقية حصرًا.

(210) *PJB* (1907), p. 13,

وأخطأ فون بروكش عندما جعلها فوق جبل القلعة:

von Procksch, *PJB* (1909), p. 79

ويمكن، في أي حال، أن تتخذ مثل هذه المدن هيئة أخرى عندما يتحد المركزان في مدينة واحدة، كما حدث في روما في أول عهدها، فهي تكونت من التلّتين البلاتينية والكويرينلية. كما أن إسبارطة تكونت دائمًا من أربعة أو خمسة أجزاء لا يحوطها سور جامع(211)، وقد كان للاختلافات بين العشائر دور في ذلك. أما في فلسطين، فتجد هذا النوع من المدن، مثل غزة القديمة وغزة الجديدة(212) اللتين لا تزالان تقوم الواحدة إلى جانب الأخرى(213). أما خير الأمثلة على ذلك من فلسطين، فهو ديبون وقُرْحَة في بلاد المؤابيين، وهي مدينة مزدوجة، يقع أحد جزأيها على نتوءٍ للهضبة المرتفعة، على مقربة من طريق مواصلات رئيسة، ويقع جزؤها الآخر على امتداد ينخفض عن السابق 10 أمتار، حيث الوديان الضيقة، ويتصل بالجزء الأول عبر قمة شديدة الانحدار(214). وهذا الجزء الثاني الذي لا يطل على الأماكن المجاورة، كان، بحسب ما تدل المخلّفات على ذلك، قلعة قُرْحَة الحصينة التي بناها الملك ميشع، بحسب ما ذكر في نقشه. أما الجزء الآخر، فلا بد أنه ديبون القديمة التي ظلت، بوصفها سوقًا، ذات أهمية على مر الزمان. رابعًا، إذا كان ألت يرى أن من غير الممكن أن تكون مدينة داود قد كبرت في عهد الملوك لتشمل التلة الغربية، فيمكن الرد على قوله بالتساؤل إن كانت القدس موجودة في زمن داود نفسه على التلة الغربية، ولا يبدو مستبعدًا أن تكون الأسوار قد ضمت القدس وقلعة صهيون، حتى لو لم تكن المنطقة الواقعة بين الأسوار قد سكنت كلها بعد. وإذا صح أنه لم يكن من الممكن أن تتوسع القدس بين عامي 1000 و400 قبل الميلاد فتشمل التلة الغربية، فكيف يمكن أن تكون قد نشأت بين عامي 400 و200 قبل الميلاد المدينة العليا والمدينة السفلى والمدينة الأمامية التي وصفها يوسيفوس؟ وما وصفه يوسيفوس على أنه المدينة القديمة، ليس في الواقع غير مدينة القدس في الفترة الأشورية التي

---

(211) Thukydides, I 10.

(212) يُنظر:

Schürer, *Geschichte*[4] II p. 114.

(213) *PJB* (1924), p. 64.

(214) كما رأيت بنفسي، يُنظر أيضًا:

Schick, *ZDPV* (1879), Tafel I; Mackenzie, *PEFQ* (1913), pp. 57ff. (with plan).

وصفتها رسالة أرسيستاس المكتوبة في حوالى عام 200 قبل الميلاد، بأنها مدينة على هيئة مسرح واقعة في مكان مرتفع، ومساحتها 40 إستادًا، في حين يجعلها يوسيفوس 33 إستادًا. وتساوي مساحة 40 إستادًا 7.38 كيلومترات مربعة، و33 إستادًا 6.34 كيلومترات مربعة، أما المساحة الفعلية، بما في ذلك المدينة الجديدة التي أقامها أغريبا، فهي 5 كيلومترات مربعة، أي ما يساوي 26 إستادًا، فإذا ما استثنيناها بقي 3.6 كيلومترات مربعة، أي 18.7 إستادًا. أما ذكر الجبال في صيغة الجمع "الجبال المقدسة" (سفر المزامير 1:87) وذكر "جبل صهيون" في السفر نفسه (3:133)، فيدل في الأغلب على تعدد التلال في القدس المسوّرة، وليس على أن المراد من هذين الشاهدين التلة التي كان يقوم عليها الهيكل وتلة مدينة داود[215]. ولا بد أن نأخذ في الحسبان أن منطقة يهودا الصغيرة شهدت في تلك القرون عهودًا كثيرة الاضطرابات، ما كانت لتعين على توسع القدس لتصل ثلاثة أضعاف مساحتها الأصلية. خامسًا، لا يجوز أن نغفل الشاهدين الواردين في سفر يشوع (8:15؛ 16:18) بحجة أن عبارة "كَيْتِف هَيبوسي" يمكن أن تُفهم بأنها دالة على حق ملكية مدينة التلة الشرقية للتلة الغربية. فعبارة "اِلكَيْتِف" التي تتبعها دائمًا لفظة دالة على الاتجاهات، يترجمها الترجوم بعبارة "لِعيْبِر" [الآرامية]، وتُترجم إلى السريانية بلفظة "لِسِطْرا"، وكلتا الترجمتين صحيحة، لأن هذه العبارة تأتي سبع مرات في هذه الأوصاف للحدود، كما أنها تأتي مرة في سفر العدد (11:34)، ولا يكون معناها في هذه المواضع كلها إلا دالًا على العلاقة المكانية بين مكانين ولا تدل كلمة "كيتِف" في هذه الشواهد على مكان بعينه إطلاقًا، وهذا هو المعنى الأكيد لهذه اللفظة عندما ترد في أوصاف مواضع أخرى (سفر الملوك الأول 8:6؛ 39:7، سفر الملوك الثاني 11:11). وبناء عليه، لا يمكن ترجمة الآية (8:15) من سفر يشوع إلا كما يأتي: "وصعد التخم (من عين روْجِل) في وادي إبن هِنّوم إلى جانب اليبوسي [يبوس] من الجنوب = هي أورشليم"، وكذلك ينبغي ترجمة الآية (16:18) من السفر نفسه على النحو الآتي: "ونزل (التخم) إلى

(215) لا تندرج هنا الجبال التي يُنشد منها العون (سفر المزامير 1:121) مع أن مارتي (Marti)، ور. كِتِل (R. Kittel)، وبيتغن (Baethgen) يرون أن المقصود بها هو جبل الهيكل؛ إذ ليس هناك غير صورة مُطلٍّ يحدق بجبال محيطه كي يرى هل يحتاج إلى مساعدة.

وادي إبن هِنّوم إلى الجانب الجنوبي لليبوسي، وبعد ذلك إلى عين روْجِل". أما "اليبوسي"، فهو اسم للقدس استُخدم هنا عمدًا ليضفي على النص صبغة تاريخية؛ فالنص يقول عن القدس إن التخم بين منطقتي بنيامين ويهودا يمس القدس في وادي إبن هِنّوم من طرفها الجنوبي، ولا يصح هذا القول إلا إذا كان المقصود بذلك القدس القائمة على التلة الغربية إذ إن خط التخوم المارّ من عين روْجل والمتجه إلى الجبل الواقع خلف وادي إبن هِنّوم، الذي يُذكر في النص لاحقًا، لا يمكن أن يمس التلة الشرقية، وإنما التلة الغربية وحدها. فالراوي يعرف منطقة القدس معرفة وثيقة، فعندما يمر التخم شمالًا بمنقطة عَقْروْن (سفر يشوع 11:15)، يمكن افتراض وجود مسافة، لا على التحديد، بين عَقْروْن والتخم، كما يرى ألت. ولكنَّ الافتراض نفسه لا يجوز على القدس، لأن راوي [العهد القديم] معني بموقع القدس المحاط بالتخوم من جهات ثلاث(216). وعندما يحكي سفر القضاة (10:19 وما يليه) حكاية ذلك الرجل اللاوي الذي كان مسافرًا من بيت لحم إلى جِبْعَة، فصار "في مقابل يبوس - أورشليم"، وهناك اقترح عليه غلامه المبيت فيها، فلا يجوز أن نفترض، كما افترض ألت، أن يبوس تقع على بُعد 700 متر في منخفض لا يمكن رؤيته من الطريق، وأنه يجب أن نفترض أنها تقع، مع الأخذ في الاعتبار أن هذه الفقرة متأخرة في العهد القديم، في مقابل الطريق التي كانت تمر حينذاك من على الجهة الغربية من الجزء العلوي من وادي إبن هِنّوم، على مستوى التلة الغربية، خاصة لأن أورشليم هي يبوس تلك، لا قلعة صهيون.

ينبغي التشكك بشدة في ما قاله ألت عن القناة الصخرية التي تحمل ماء عين جيحون "إلى المدينة" كما جاء في سفر الملوك الثاني (20:20) و"إلى الجهة الغربية من مدينة داود" كما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني (30:32)، إذ رأى أن هاتين العبارتين نافلتان، لأن عين التِّنين كانت، في تقديره، واقعة في وادي المدينة في أي حال. ثم إن كلامه يثير مزيدًا من الاستغراب، لأن هذا الماء الذي تسوقه القناة إلى وسط المدينة ينبغي أن يُحمى من الأعداء بسور آخر عظيم. وكان من

(216) تُنظر مقالتي:
G. Dalman, "Die Stammmeszugehörigkeit der Stadt Jerusalem und des Tempels in Baudissin - Festschrift," pp. 107ff.

الممكن أن تكون الأمور مختلفة، لو أن ماء النبع الثمين هذا كان يُساق إلى مكان بين جزأين من أجزاء المدينة، بحيث يتوليان والسور الواصل بينهما حماية الماء.

أخيرًا، ينبغي أن نأخذ في الاعتبار أن البابين أو البوابات الثلاث الشمالية (باب السمك والباب العتيق وباب إفرايم) التي نفترض وجودها، بحسب ما ورد في سفر نحميا (3:3؛ 3.6؛ 39:12)، أكثر مما يحتمل الطرف الشمالي للتلة الشرقية الذي يبلغ عرضه نحو 250 مترًا، خاصة أن باب الغنم وباب الحراسة يقعان في الطرف الشمالي الشرقي أيضًا. وعندما يهدم ملك من ملوك إفرايم سور القدس "من باب إفرايم إلى باب الزاوية، أربعمئة ذراع"، بحسب ما ورد في سفر الملوك الثاني (13:14)، يكون اتجاه الفتحة التي أحدثها في السور محسوبة من باب إفرايم في اتجاه الغرب، لأن سور الزاوية الذي لم يذكره نحميا يتبع الزاوية الشمالية الغربية للقدس القديمة، وذلك بحسب ما جاء في سفري إرميا (38:31) وزكريا (10:14). فإذا افترضنا أن باب إفرايم هو المخرج الرئيس المفضي من القدس إلى أرض إفرايم، فيكون المقصود من هدم جزء من السور في الجهة الغربية هو أن تغدو التلة الغربية مكشوفة لا تحصينات فيها، وتصل مئتا متر في سور القدس القديمة في زمن يوسيفوس من منطقة "باب الجَنّة" إلى الزاوية الشمالية الغربية للمدينة القديمة في ذلك الوقت.

بناء عليه، يكون وجود القدس في الفترة السابقة للسبي البابلي على التلة الغربية أمرًا طبيعيًا، بغض النظر عن كون المدينة قد بدأت سوقًا، أو أسسها الملوك، وكانت بطبيعة الحال غير مسوّرة أول الأمر، ثم ما لبث أن تم وصلها بقلعة صهيون من خلال سور مشترك، وهو، في الأغلب، ما قصده سفر الملوك الأول (1:3؛ 15:9) حين ذكر أن سليمان بنى سورًا أحاط القدس. لكننا لن نحصل على نتائج أدق في هذا الصدد من غير تنقيبات عميقة وواسعة النطاق على مستوى التلة الغربية في قسميها، تشمل أيضًا الطمم الموجود على السفحين الغربي والشمالي. ولا يجوز أن يُعتد بنتائج تنقيبات بلِس[217] في التلة الغربية التي استطلعت حفرها

---

(217) يُنظر تقرير التنقيبات في:
Bliß, *Excavations at Jerusalem (1894-1897)* (1898).

وخنادقها في عام 1899، وكان عليها، بسبب مهمتها المحدودة وتقويم غير كافٍ للقى الصغيرة، أن تبقى بلا نتائج.

يتفق ما ذكره يوسيفوس عن أسوار المدينة في التلة الغربية مع الواقع على الأرض، كما أكدت صحة أقواله تنقيبات بلِس في قسمها الجنوبي، خاصة في ما يتعلق بالقدس المكابية والقدس الهيرودية. وامتد السور من زاوية المدينة الشمالية الغربية التي كانت تحميها قلعة هيرودوس(218) المحصنة بثلاثة أبراج من جهتها الشمالية، شرقًا في اتجاه الهيكل، بحيث كانت تصل الى الباب عن طريق جسر يعلو وادي المدينة(219). ويمكن تحديد مكان تلك الأبراج من خلال البناء المسمى برج داود الذي ينبغي أن يُعد القسم الأسفل منه بناء هيروديًا(220)، غير أننا لا نعرف بقايا أي برج من هذه الأبراج الثلاثة ظلت أساساته في برج داود، أهو الغربي، المسمى هيبيكوس، أم الأوسط المسمى فصئيل، وإن كانت قياساته ترجح أن هذا الأخير هو المقصود. وفي حين يعد التقليد اليهودي برج حننئيل المذكور في سفري زكريا (10:14) وإرميا (38:31) هو نفسه برج هيبيكوس، بحسب ما ورد في الترجوم، فيبدو أنه يسمي البرج الثاني باسمه هذا [فصئيل]. وفي أي حال، فقد اختير هذا الموقع لقلعة هيرودوس لتحمي المدينة من جهة التلة الغربية من أضعف نقطة فيها، ولتطلَّ، في الوقت نفسه، على المدينة(221) من تلك النقطة الوحيدة في سورها التي تصلح لهذه الغاية. لذا اتخذ ممثلو الحكومة الرومانية من هذا المكان مقرهم الفعلي، وينبغي أن تكون هنا أيضًا

---

(218) *Bell. Jud.*, V 4, 3.4; VI 9, 1; VII 1, 1,

ويُنظر المخطط.

(219) *Antt.*, XII 4, 2, *Bell. Jud.*, II, 16, 3; V 4, 2; VI 6, 2; 8, 1.

(220) يُنظر:

Schick, *ZDPV* (1878), pp. 226ff.; Wilson, *Ordnance Survey of Jerusalem*, Pl. III; Schick, *ZDPV* (1890), pp. 31ff.,

الذي يذكر أن بقايا برج قديم توجد في الوادي إلى الجنوب الغربي من القلعة.

(221) أكد ذلك يوسيفوس:

Antt., XV 7, 8;

ويُقارن:

Bell. Jud., V 5, 8.

دار الولاية التي جلس فيها بيلاطس، التي ذكرت في أناجيل متى (27:27) ومرقس (16:15) ويوحنا (28:18، 33)[222]. وعلى الأغلب يماثل الجسر الواصل إلى الهيكل القوس المسمى "قوس وِيلسون"[223] الواقع اليوم على السور الغربي لمكان الهيكل، إلى الشمال قليلًا من برج داود، ويبلغ ارتفاعه 22.25 مترًا وعرضه 12.8 مترًا. وبناء عليه، يكون موقع "باب السلسلة" هو موقع باب الهيكل الذي ذكر يوسيفوس[224] أنه يقع قرب الجسر، والأغلب أنه موقع باب كوبونيوس (Coponius) المذكور في المشنا[225]. وينشأ عن ذلك خط يتبع الطرف الشمالي للتلة الغربية ونتوئها الشرقي، ثم يعبر الوادي مارًا أول الأمر بطمم، ثم عبر قوس الجسر الذي تحدثنا عنه أعلاه، ولا بد أن فتحة الجسر كانت تُستخدم للعبور من المدينة الأمامية إلى المدينة الجنوبية، وكانت تستخدم بلا شك لتصريف ماء المطر. والأغلب أن مسار السور الغربي كان يتفق مع خط الطرف الغربي للتلة وخط سور المدينة اليوم. وقال يوسيفوس إن السور كان ينطلق من طرفه الجنوبي، عابرًا المكان المسمى "بيْسُس" أو "بيْسو"، وثمة قراءة أخرى هي "بيْشسوْ"، ولا بد أن أصلها هو "بيت صوْا" العبرية، أي "المزبلة"، متجهًا إلى باب الأسينيين[226] الذين كانوا يدخلون منه إلى المدينة عندما يأتون من مساكنهم الواقعة في الصحراء، الذي كان فعلًا على الجهة الجنوبية للتلة، حيث اكتشف بلِس بابًا قرب الزاوية الجنوبية الغربية. وبطبيعة الحال، فلا يمكن أن يكون الباب نفسه قد استُخدم لدخول الأسينيين الحريصين حرصًا شديدًا [على الطهارة]، ولإخراج القمامة من المدينة إلى السفوح حيث كان يلقى بها، فلا بد أنه كان لهم، على الأقل، مدخل خاص في الباب ورصيف خاص بهم[227]. ثم مضى السور الجنوبي شرقًا هابطًا السفح، ثم اتجه، بحسب

(222) Spieß, *Das Jerusalem des Josephus*, p. 23; Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, pp. 354ff.

(223) Wilson, *Ordnance Survey of Jerusalem*, Pl. XII; Warren, *Excavations*, Pl. XXXIII.

(224) *Bell Jud.*, VI 6, 2; *Antt.*, XV 11, 5.

(225) Midd. I 3.

(226) وإلا فيمكن اشتقاقها من "بِصُوع" "قطعة".

(227) يُقارن رسالة أرسيستاس 160؛ Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, p. 299.

يوسيفوس، "إلى عين سِلوان"، ثم نحو جهته الخارجية عند بركة سليمان شرقًا. إلا أن هذا الوصف غدا اليوم غير دقيق فقد أثبتت نتائج تنقيبات بلِس أن السور ينعطف قبل أن يعبر الواديَ بخمسين مترًا، وهو الذي تصب فيه عين سِلوان بعد خروجها من مجراها الصخري. وامتد السور شرقًا حتى آخر السفح، بحيث يكون قد التقى امتداده الذي ينعطف هنا في اتجاه الشمال الشرقي واديَ المدينة عند التقائه وادي قَدْروْن، ثم تابع مسيره على الطرف الشرقي للتلة الشرقية.

وفي الأغلب فإن السور العالي الذي بناه يوناثان ليفصل المدينة القائمة على التلة الغربية ومدخل الهيكل من جهة، وقلعة الأشوريين (سفر المكابيين الأول 12:36) من جهة أخرى كان سورًا موقتًا. ولو أريد لهذا السور أن يحقق الغاية منه على الوجه المطلوب، لكان ينبغي أن يبدأ من الزاوية الجنوبية الغربية لقلعة الهيكل آنذاك، وأن يقطع وادي المدينة بعد ذلك، وأن يجري على جهته الغربية، حتى يصل إلى السور المحيط بالمدينة في الجهة الجنوبية. ويمكن أن يكون السور الذي رآه غوته[228] وبلِس[229] في الجهة الجنوبية من الطرف الأقصى لبركة سلوان من بقايا هذا السور الذي بناه يوناثان.

بات الناس يعتقدون منذ زمن الحملات الصليبية[230] أن قبر داود يقع في الطرف الجنوبي للتلة الغربية (6)، خلافًا لما جاء في سفر نحميا (3:16)، وذلك ناشئ عن الفهم الذي كان أول من قال به يوسيفوس، وهو أن قلعة داود كانت قائمة على التلة الغربية. وتبقّى من القدس من الفترة السابقة على تدميرها بأيدي الرومان بعض البيوت بعد أن بنوا إيليا كابيتولينا في هذه المنطقة[231] ما دفع الناس في القرن الرابع إلى الاعتقاد بأن هذا هو المكان الذي كان يقوم فيه قصر قيافا، والبيت الذي اجتمع فيه أتباع المسيح بعد صعوده إلى السماء (أعمال الرسل 1:13)،

---

(228) Guthe, *Ausgrabungen bei Jeursalem* (1883), pp. 127ff.

(229) Bliß, *Excavations*, pp. 116ff.

(230) Tobler, *Topographie*, vol. 2, p. 148.

(231) Pilger von Bordeaux, Geyer, *Itinera*, p. 22, Epiphanius, *De mensuris et ponderibus*, XIV.

يُقارن:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], pp. 334ff.

وكذلك بيت مريم أم يوحنا الملقّب مرقص (أعمال الرسل 12:12)[232]، وأخيرًا مكان وفاة أم المسيح[233]، ومكان العشاء الأخير للمسيح[234]. وليس ثمة دليل البتة على صحة هذه الافتراضات. وربما افترض الناس ذلك بناء على التصور القائل بأن ذلك الجزء من التلة الغربية الذي لم يدخل ضمن القدس الرومانية هو صهيون، وأنه يمثل القدس الفعلية ذات التاريخ المقدس. وذكر لي الناس عند السفح الجنوبي مكان المقبرة اليهودية المسماة "جِبِل تَلِشكة"، وهو المكان الذي تذكره الخريطة الإنكليزية باسم "سَمْبوسكة". وفي آخر السفح الجنوبي الشرقي، فوق الطريق المفضية إلى ذلك المكان تقع "أَرْض اِلجِّدوَة"، إلى الشمال منها على السفح يقع "كَرْم مْصَلّى". وتسمى المصاطب التي ترقى إلى سور المدينة الحالي "البَواطِن" (المنحدرات)، خلافًا للمصاطب الواقعة عند السور الشرقي المسماة "ضْهور"، ما يقتضي أن يكون السفح كله تحت السور "باطِن" (يُقارن ص 4).

أما الصور الجوية ذات العلاقة بهذه المنطقة، فهي الصور العامة الآتية: *D* 5 = *M* 790, *D* 7 = *M* 784, *D* 3 = *M* 776, *D* 4 = *M* 779، وصورة للقدس من جهتها الشرقية (*RA*)، وعدا ذلك الصور ذات الأرقام *M* 780, 784a. 778. 779، أما في ما يتعلق بالطرف الجنوبي للتلة الغربية فالصور *D* 8 = *M* 806a, *M* 806. 805. 804. 783.

5 – التلّة الشمالية وسهل الملك

للجهة الشرقية من تلة المدينة، في الجهة الشمالية من المجمع الروسي، سفح ينحو في اتجاه شمالي شرقي، ولا يلبث أن ينساب بدايةً بقليل الانحدار، لكنه يعود فينحدر انحدارًا شديدًا في "وادي الجوز"، وهو الجزء الأعلى من وادي

---

(232) Theodosius, Geyer, p. 141.

(233) Beda, Geyer, p. 111;

يُقارن:

Barnabé, *Le Tombeau de la Sainte Vierge*, pp. 137ff.; Vincent, *Jérusalem*, vol. 2, pp. 421ff.

(234) *Doctrina Addaei*,

بحسب:

Vincent, *Jérusalem*, vol. 2, p. 453.

قِدرون. والمنحدر قليل الانحدار نسبيًا قياسًا على امتداده (ينحدر من 775 مترًا إلى 760 مترًا)، ويمكن اعتباره هضبة تمتد من منطقة المستشفى الإيطالي شرقًا، حتى تقطع شارع قبر الملكة هيلينا، لتبلغ باب هيرودوس (باب الزَّاهِرَة) إلى الشمال الشرقي من الطريق التي تصل إلى طريق "نابلس" وباب يافا، والمسمى الآن شارع سانت جورج، حتى تصل إلى خط يخترق دير الدومينيكان. ونحن نسمي هذا الموقع التلة الشمالية (*D.* 5. 6) خلافًا للهضبة العالية التي تقوم عليها المدينة. وكانت مساحة هذه الهضبة حتى الحرب العالمية [الأولى] مغروسة في أكثرها بأشجار الزيتون، حيث كان يطيب لمسيحيي القدس العرب أن يمضوا في الأعياد أوقاتًا طيبة فيها[235]، أما اليوم فلم يبقَ شيء من ذلك. وفي الماضي، كان يوجد عند ذلك الشارع معْلَمان معروفان في الطرف الشمالي الغربي من السهل، هما تلّتا "تْلول المَصابِن" التي وصفها ويلسون وصفًا دقيقًا، وكانتا تقعان غرب شارع سانت جورج، حيث تتقاطع تلك الطريق مع طريق بيت حنينا. أما التلة الكبرى التي اتخذها ويلسون نقطة للقياس المساحي، فكان ارتفاعها 7.3 أمتار، وأما الصغرى فكانت أقل ارتفاعًا[236]. وفي عام 1902 كانت التلة الأولى قد أُزيلت منذ زمن بعيد، في حين لم يُرَ من الثانية غير آثار قليلة. وكانت التلّتان نشأتا عن فضلات القلويات المستخدمة في مصابن القدس، إضافة إلى الفضلات الأخرى التي ألقاها الناس، من دون شك، هناك أيضًا[237]. ولمّا كان ثمة تلال مشابهة في نشأتها ومحتواها في "نابلس"، فليس هناك شك في أن الاسم العربي لتينك التلّتين يصفهما وصفًا دقيقًا[238]. ومع ذلك، رأى بعضهم أن لاسميهما علاقة بذلك المكان الطاهر الذي كان يُحمل إليه رماد الدهون من مذبح الهيكل، وحيث كانت

(235) Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, pp. 439f.

(236) جعلها بيرغرين على خريطته، واهمًا بالتأكيد، شرق طريق "نابلس".

(237) يُنظر:
Robinson, *Neuere bibl. Forschungen*, pp. 262f.; Tobler, *Topographie*, vol. 2, p. 14, Pierotti, *Jerusalem*, vol. 1, p. 239.

(238) يشكك تُبلر في المرجع المذكور أعلاه، وهو غير مجانب للصواب في هذا الفهم.

تُحرق أيضًا الأضاحي التكفيرية للطائفة[239]. وبحسب التقليد اليهودي[240]، كان مكان رماد دهون الهيكل هذا ("بيت هَدّيْشِن") يقع في شمال المدينة، وعندها ينبغي أن نتساءل إن كان ينبغي أن يكون سور أغريبا، أو، من باب أولى، سور المدينة الأمامي هو الأقدم من هذا الموقع. وفي أي حال، فإن "تْلول المَصابِن" تقع على خط مواصلات رئيس، ويغلب أن مساره لم يكن مختلفًا كثيرًا في الماضي، وبناء عليه، فلا يمكن أن يوصف بأنه "طاهر". وفي حوالى عام 1322 ذكر إستوري هفارحي ما يأتي: "بلغَنا أنه يوجد في شمال القدس ميدان للخيل (ستاديوم) بعيد عن مكان رماد الدهون الذي هو تلة صغيرة شديدة الانخفاض واقعة في مقبرة خارج القدس"[241]. ولا ينطبق هذا الوصف على المصابن الواقعة على بعد 600 متر قبل سور المدينة، خاصة أن لا وجود لأي مقبرة بالقرب منها. وقد ينطبق الوصف على التلة الصغيرة الشديدة الانحدار الواقعة شمال شرق دير الدومينيكان، شمال مقبرة "الزاهرة"، لولا أنها تلة حديثة تشكلت في زماننا نتيجة لتراكم الطمم. كما أن رأي اليهود في العصور الوسطى لا يزيد على أن يكون محض افتراض. وأرجح منه بدرجات أن يكون مكان رماد الدهون في موقع أقرب إلى الهيكل ضمن سور المدينة الحالي، أو قبله، على طرف وادي قِدْرون.

وإلى الجنوب تمامًا من المكان الذي كانت تقوم فيه "تْلول المَصابِن"، تقع الأرض المسماة "كَرْم الباشا" (*D* 5) مع الخربة المسماة "قَصْر الباشا". وإلى الشرق، على مقربة من طريق "نابلس"، يوجد الضريح الإسلامي المسمى "سعد وِسْعيد"، وهو الاسم الذي يُطلق على بساتين الزيتون الواقعة إلى الشمال منه، والتي تجري فيها الاحتفالات التي ذكرناها أعلاه. أما الأرض الواقعة بين بيت المطران الإنغليكاني ودير الدومينيكان، فتسمى "كرم الِضْباعي"، وإلى الشمال منها، غرب ملتقى الطرقات، يوجد "كَرْم الورد"، وعلى السفح الشمالي، غرب

---

(239) يُقارن سفر اللاويين 4:12، 21؛ 6:4؛ 27:16. وسفر اللاويين 4:12 (18ث)،
b. Jom. 68ᵃf.; Zeb. 106ᵃ; Sanh. 42ᵇ,

يجب أن يكون مكانًا منحدرًا خارج المدينة.

(240) Tos. Jom. IV 17, b. Jom. 68ᵇ.

(241) *Kaphtor waphérah* (Berlin ed.), 14ᵇ.

طريق "نابلس"، يوجد البيت القديم العالي المسمى "قَصْر العَمَاوي" الذي تتجلى فيه طريقة حماية البيوت العربية خارج المدينة. وتقع في مقابله من جهة الشرق "الجِّرَّاحِيَّة" (*D* 6)، وهي ضريح الشيخ جرّاح (المتوفى عام 1201)، وهو أحد أمراء عصر صلاح الدين(242). واللافت تلك الصفحة الصخرية تحت "الجِّرَّاحِيَّة" المسماة "بيادر الشَيْخ جِرَّاح" [في النص الأصلي نوادر، ولكن المؤلف ترجمها إلى الألمانية مستخدمًا كلمة بيادر]، حيث يوجد تحتها كهف فسيح. وتجد شرق تقاطع الشارع الواصل إلى باب دمشق وباب هيرودوس أثرًا من آثار القدس من فترة ما قبل التدمير الروماني، وهو قبر ذو فناء أمامي منحوت في الصخر، له درج عريض مكشوف، يمكن عده، بالتأكيد، قبر الملكة هيلينا ملكة حدياب [مملكة قديمة شمال بلاد الرافدين بين 15 و116 ميلادية، وكانت عاصمتها أربائيلو التي هي أربيل حاليًا](243)، لأن المعلومات الجغرافية القديمة، وفخامة البناء، وزخارف رواقه المعمارية تنبئ مجتمعة عن ذلك، كما عثر فيه على تابوت حجري عليه نقش آرامي وآخر سرياني لملكة من الملكات. وقد عُد هذا السهل الصغير الواقع شمال القدس، الذي تحدثنا عنه للتو، في أيام يوسيفوس "سهل الملك"، واسمه بالعبرية "عيْمِق هَمّيْلِخ"، الذي أقام فيه أبشالوم نصب قبره (سفر صموئيل الثاني 18:18). وكان هذا السهل يقع، بحسب يوسيفوس(244)، على بُعد إستادين، أي نحو 370 مترًا، من القدس، من جهة الشمال، إذ إن أبراهام كان عائدًا من دمشق إلى الخليل عندما التقاه مَلْخي تسيدق [ملكي صادق] مرحّبًا، وهو ملك شاليم، وهي التي كانت حينذاك القدس، بحسب العبارة الشارحة الواردة في سفر التكوين (17:14)، التي تنبه إليها يوسيفوس(245). ويترجم الترجوم كلمة "عيمِق" الواردة في الآية

---

(242) في ما يتعلق به، يُنظر مجير الدين، في:
Sauvaire, *Histoire de Jérusalem*, p. 167.

(243) Josephus, *Bell. Jud.*, V 2, 2; 3, 3; 4, 2; Wilson, *Ordnance Survey of Jerusalem*, *Pl.* XXV; de Saulcy, *Voyage autour de la Mer Morte*, Pl. XXVIII ff.; *Jérusalem*, pp. 224ff.; Pfennigsdorf, *ZDPV* (1904), pp. 173ff.;

يُقارن:

Schürer, *Geschichte des Jüdischen Volkes*, vol. 3, pp. 170ff.

(244) *Antt.* VII, 10, 3.

(245) *Antt.* I 10, 2.

السابقة بعبارة "بيت ريْسا" [الآرامية] والتي تعني "ساحة"، ويترجمها سَعَديا بكلمة "مِلْعَب"، ولهذه الألفاظ المعنى نفسه في الأغلب، ويبدو أن الناس تصوروا أن "سهل الملك" هو "ميدان لسباق الخيل". ويمكن أن ندع هذا الافتراض، فلا نبحث فيه، غير أن ثمة حقيقة مهمة هي أن المنخفض المتصل بهذا السهل من الجهة الجنوبية الشرقية يسمى "الميْدان"، حيث كانت تقام هنا في العهد العربي سباقات الخيل تشبه تلك التي ما زالت تقام في الأعراس القروية. وكان بالقرب من القدس "ميْدان" آخر على الطرف الشرقي للتلة التي يقوم عليها المجمع الروسي، أي قرب هذا السهل أيضًا، الذي كان ملائمًا بالفعل لهذه الغاية بالقرب من القدس؛ فقد اشتمل، على ما يبدو، أماكن عدة غير مزروعة تصلح لمثل هذا الاستخدام. ولمّا كانت الطريق الشمالية تمر بهذا السهل إلى القدس، فكان من الطبيعي أن يكون ذلك السهل هو المكان الملائم للترحيب بأبراهام، هذا إن كانت شاليم هي القدس، وكان "عيْمِق شاويْ" المذكور في سفر التكوين (17:14) هو فعلًا "سهل الملك" كما يفترض النص التوراتي[246]. أما وصف السهل بأنه ملكي، فناشئ عن أنه، وكذلك البساتين الواقعة في الجنوب (سفر نحميا 15:3)، كان مُلكًا للملك. ويقوم على هذا الافتراض نفسه أن أبشالوم أراد أن يُدفن هنا (يُنظر أعلاه)، وكذلك "الكهوف الملكية" التي يذكرها يوسيفوس عند حديثه عن هذه المنطقة[247]. ولعل السبب الرئيس في حرص الملوك على امتلاك هذه المنطقة هو مقالع الحجارة الموجودة فيها؛ فمشاريعهم العمرانية، من قلعة وهيكل وسور للمدينة، كانت تقتضي أن تكون الحجارة أقرب ما تكون إلى موضع إقامة تلك المشاريع، وأن تكون على أرض يملكونها. واللافت أيضًا أن حجر البناء الكلسي الموجود في هذه المنطقة يسمى اليوم "مِلكي"، أي "مَلَكيّ". ولا يصح الأخذ بالاقتراح الذي قال به

---

(246) أما أن الأغلب في الحقيقة أن شاليم مدينة ملخي تسيدق تقع في غور الأردن جنوب "بيْسان"، يُقارن:

PJB (1912), p. 34,

وأن "عيْمِق شَاويْ" كان تبعًا لذلك السهل الواقع بين "بيْسان" وشاليم هذه، فلا يعنينا هنا، كما لا تعنينا الاقتراحات الأخرى بتحديد موقع هذه المدينة التي جاء بها "التراث" المتأخر، التي تناولها هيرتسبيرغ (Hertzberg) بالبحث في:

JPOS (1928), pp. 169ff.

(247) *Bell. Jud.* V 4 2.

فون ألتن (von Alten)[248] بأن الفرع الضيق من وادي قِدْرون الواقع إلى الشمال من مكان الهيكل (يُنظر أدناه)، الذي بات اليوم مطمورًا في أكثره، هو موقع "سهل الملك"؛ إذ إن اسم السهل لا يتفق مع الطبيعة الجغرافية لذاك الفرع، لأن كلمة "عيْمِق" العبرية لا تعني واديًا ضيقًا، بل إن الترجوم يترجمها عادة بكلمة "ميْشَر" [الآرامية] والتي تعني "سهلًا"[249]. وإذا كان ينبغي علينا أن نقر بأن "سهل الملك" يتضمن أيضًا ذلك المنخفض الذي يهبط عند باب دمشق إلى ارتفاع 758.55 مترًا، وإذا كان في الأصل أشد انخفاضًا من هذا بكثير[250]، ويمتد منه واد آخر، فإن ذلك كله سيتبع الحديث عنه في ما يأتي. وهذا السهل هو "عيْمِق" المذكور في سفر إرميا (37:31) والواقع حينذاك شمال القدس، والمسمى "وادي الجِيَف والرماد" لأنه كان يُستخدم في القدس مزبلة للروث[251]. وعندما كانت القدس محوطة بالأودية، فمن المؤكَّد ان أهلها ألقوا الطمم والرماد والروث في الأودية الواقعة قبالة أبواب المدينة، ما كان يزيد في مساحة تلك التلال هناك، كما هي الحال اليوم في القرى العربية الواقعة على التلال. أما من الجهة الشمالية، فلم يكن ثمة سبيل إلا أن يكوّم الناس القمامة في المنطقة المنحدرة التي تبلغ سور المدينة، كما هي الحال اليوم عند السور الشمالي. وبناء عليه، فهذا لا يعني بالضرورة أن المساحة كلها باتت مزبلة في الماضي، ولكن يُفهم من قول إرميا، عندما يتحدث عن توسع القدس شمالًا، أن أراضي المنطقة ستتخذ طابعًا جديدًا كلية؛ ففي مدينة القدس المستقبلية التي ستُوسع، ستصبح الأرض التي كانت مزبلة أرضًا مقدسة إلى الأبد، حالها حال مدينة الهيكل التي نُذرت للإله منذ القدم.

وفي سهل الملك، أو بعبارة أدق، في الوادي الممتد منه، يقع "وادي الرؤيا" (بالعبرية "جَي حِزَّايوْن") المذكور في سفر إشعيا (5:22) الذي ينقب فيه الأعداء أسوار المدينة، عقوبةً أوقعها الإله عليها. وهؤلاء الأعداء هم في

---

(248) *ZDPV*, vol. 1, pp. 82ff.

(249) يُقارن أعلاه (ص 10) الكلمة العربية "بَقْعَة".

(250) بحسب خريطة كومِل، كان ارتفاع القمّة عن هذا الموضع نفسه 744 مترًا فقط.

(251) يحمل الترجوم هذه الفقرة على أنها دالة على جثث الأشوريين المذكورين في سفر الملوك الثاني (35:19) الذين اكتسحوا فجأة المعسكر المجاور (يُنظر أعلاه، ص 68).

الأغلب الأشوريون الذين ضربوا معسكرهم على التلة الغربية (يُنظر أعلاه)، والذين ملأت عرباتهم "سهول" القدس (بالعبرية "عَمَاقيم"). ويُذكر السهل نفسه في سفر يوئيل، ولكن من وجهة نظر أخرى هذه المرة، عندما يقول يوئيل إن الإله سيصدر يومًا ما حكمه العادل على الشعوب التي أساءت إلى إسرائيل. وهو يصور عملية تحقيق العدل لإسرائيل في صورة محاكمة "يجمع فيها الإله جميع الأمم، وينزلهم إلى سهل يهوشافاط (بالعبرية "عيْمِق يِهوشافاط") (سفر يوئيل 2:4)، أو "تصعد الأمم إلى سهل يهوشافاط" (سفر يوئيل 12:4). وعبارة "ينزلهم" عبارة ملائمة للسياق، إذ كان السهل منخفضًا بالقياس إلى الجبال المحيطة به التي ينبغي على الناس أن يصعدوا ليصلوا إليها. ومن الواضح أن "سهل الملك" و"سهل يهوشافاط" هما السهل عينه. وقد نُسب هذا السهل إلى الملك يهوشافاط لعلة لا نعرفها، لكن النص يُبرز اسمه هنا ليؤكد أن معنى اسم هذا الملك، وهو "الإله يحكم"، سيتحقق على أوضح وجه مستقبلًا حين يقيم الإله محاكمته في هذا المكان. ويلزم إجراء محاكمة "لجميع الأمم" وجود مكان فسيح، لا يتوافر في أي موضع من وادي قِدْرون. والواقع أن "سهل يهوشافاط" بات يُعَدّ دائمًا منذ أيام يوسيبيوس في هذا الوادي، لسببين، أولهما أن الإله سيظهر لمحاكمة الشعوب، كما جاء في سفر زكريا (4:14) على جبل الزيتون، والراجح أن السبب الآخر هو أن هذا الوادي كان يُعتبر هو نفسه وادي إبن هِنّوم الذي يُعد مكان تعذيب المخطئين في آخر الزمان[252]. أما من وجهة نظر يهودية، فقد آثر اليهود أن يعدوا تسمية السهل باسم "سهل يهوشافاط" تسمية رمزية لعدم وجود سهل يحمل هذا الاسم[253]. وكان سيريل (Cyrill) قد أشار إلى موضع أجرد يصلح ميدانًا لسباق الخيل، يقع بضعة إستادات فقط شرق القدس، تنطبق عليه أوصاف سهل يهوشافاط[254]. ولعله قصد بذلك المنخفض الواقع شرق

---

(252) يُنظر ما سيأتي أدناه، وكذلك مقالتي:

Gehinnom, PRE³ VII, p. 49.

(253) Midr. Tehillim 8, 8;

يُقارن:

Targ. Jo. 4, 2.

(254) في ما يتعلق بهذا الموضع من سفر يوئيل، يُنظر:

(4:2)(Migne, PG I 71, Sp. 388).

جبل الزيتون الذي سنتناوله بالحديث لاحقًا، ولست أعرف أحدًا آخر قال بمثل هذا الرأي غيره.

يتخذ "سهل الملك" أهمية خاصة في ما يتعلق بتاريخ القدس، لوجود أطلال سور قديم فيه كان روبنسون قد رآه هناك[255]. وهذا السور يمكنه أن يحدد العلاقة بينه وبين الزاوية الجنوبية الغربية للمدينة المعاصرة عند التلة التي يقوم عليها المجمع الروسي. ولا أستطيع، في أي حال، أن أوفق بين قياسات السور وزواياه التي ذكرها روبنسون و"أسوار الأساسات القديمة" التي ذكر ويلسون أنها تمتد شرق المستشفى الإيطالي في اتجاه شمال شرقي وشرقي. وقد عُثر في هذا الخط نفسه على أساسات لسور في اتجاه المكان الذي تلتقي فيه طريق "بيت حنينا" طريق "نابلس"، بحيث تقطع طريق "نابلس" على بُعد 460 مترًا تقريبًا شمال باب دمشق، ونحو 300 متر جنوب قبر هيلينا، ويمكن تتبّعها حتى حديقة معهد الآثار الأميركي الواقع على الشارع المفضي إلى باب هيرودوس. هناك، يبدو أن السور ينعطف في اتجاه جنوب شرقي، إلا أنه لم يُعثر على بقيته[256]. ورأى فنسنت[257] أن السور بناه اليهود الذين ثاروا في نحو عام 131 بعد الميلاد بقيادة باركوخبا، وأقرّ بأن ليس ثمة أخبار تاريخية تذكر هذا السور، لكنه، في الوقت نفسه، يرى تلميحًا إلى وجوده في النص الذي نشره شِختر (Schechter) بعنوان "جماعة العهد الجديد في دمشق"، إذ ترد فيه (19:4؛ 12:8، 18؛ 24:19 وما يليها، 31) عبارة "بونيه حَيِّص"، و"الذين يوصفون بأنهم يملطون [الحائط] بالطُّفال"، فيظهرون في النص بوصفهم خصومًا يتلقون اللوم. وبما أن هذه العبارة مأخوذة من سفر حزقيال (10:13 وما يليها)، للتعبير مجازًا عن استخدام مادة زائلة للوقاية، فيؤكد

---

(255) *Palästina*, vol. 2, pp. 108f.

فالتنصيب أو التحديد غير المسنود بشكل كافٍ من ناحية أثرية، يعيبه فنست، يُنظر:
Vincent, *Rev. Bibl.* (1928), pp. 80ff.

(256) يُنظر:
Albright, *Bulletin of the Amer. Schools of Or. Res.*, no. 19, pp. 19ff.; no. 25, pp. 1ff.; Sukenik, *Bulletin A. S. O. R.*, no. 26, pp. 8f.;

وتجد مناقشة وافية للموضوع لدى:
Vincent, *Rev. Bibl* (1928), pp. 92ff., 321ff., 328ff.

(257) *Rev. Bibl.* (1928), pp. 334ff.

ذلك النص أن ما يقوله الأعداء ويفعلونه زائلان لا بقاء لهما. ويحذّر شْتيْرك[258] بحق من أن يُحمَّل النص دلالات تاريخية خاصة. كما ينبغي ألا نغفل عن أن كلمة "حَيِّص" لا تعني "سورًا"، كما يترجمها فنسنت وشْتيْرك، وإنما تعني حائطًا فاصلًا من الحجارة القاسية، وليس سورًا بالمعنى الدقيق للكلمة. وبناء عليه، فمن الجائز في السنة السبتية أن يبنى "حَيِّص" من الحجارة وحدها لحماية الحقول من الانجراف في موسم المطر المقبل[259]. ولا يتبين من ذلك النص، في نهاية الأمر، أنه تالٍ لتدمير الرومان القدس، وأنهم ما لبثوا أن انهمكوا في إعادة إعمارها. ولكن، وحتى لو كان الأمر كذلك، فإن فنسنت لم يفسر لِمَ عمدت جماعة باركوخبا إلى بناء تحصينات بعيدة في الشمال عند المدينة بدلًا من أن تعيد بناء السور المحصن من خلال خندق كان بناه أغريبا الذي يرى فنسنت أنه كان في موضع سور القدس الشمالي اليوم. وفي عام 70 ميلادية، كان اليهود على قدر كبير من الضعف، فلم يتمكنوا من حماية خط الدفاع الذي كان متقدمًا لأبعد الحدود. فكيف حسبوا في زمن باركوخبا أنهم يستطيعون الدفاع عن مدينة وُسِّعت أكثر من ذلك توسيعًا لا نفع منه البتة؟ وبناء عليه، لا يمكن أن يكون هذا السور المكتشف غير السور الذي بنى أغريبا الأول أساساته بين عامي 41 و44 للميلاد بعدما منعه كلاوديوس من إتمام بنائه[260]. وقد أريد لهذا السور أن يكون تحصينًا شماليًا لمدينة القدس يحمي الأحياء التي نمت فتجاوزت حدود "المدينة الأمامية". وعلاوة على ذلك، يُدرك المرء أنه أريد من السور الصعود عاليًا إلى مرتفع المنطقة في الشمال، للحؤول دون تمكين جيوش غريبة من تثبيت نفسها هناك، كما فعل الأشوريون في السابق، وكذلك قطع المدينة عن المنافذ الشمالية والشمالية الغربية المهمة.

---

(258) Staerk, *Die jüdische Gemeinde des Neuen Bundes in Damaskus*, p. 57.

(259) Schebi. III 8, j. Schebi. 34d.

(260) بحسب تعبير يوسيفوس:

Bell. Jud., V 4, 2,

يُقارَن:

II 11, 6,

وتجد عنده معلومات مبالغًا فيها:

Antt., XIX 7, 2.

وبحسب ويلسون، بلغ ارتفاع أعلى نقطة في السور 2533 قدمًا (= 772 مترًا)، في الموضع الذي قطع فيه طريق "نابلس"، ثم عاد فانخفض بعد ذلك من جهة الشمال، وتجاوز تلتَي "البركة" و"الزَّاهِرَة" (يُنظر أدناه) وهذا أمر لا بد منه إذا ما أُريد لمساره أن يكون أكثر انتظامًا، وإذا صح ما ذكره يوسيفوس من أنه أُريد للسور أن يحيط بتلة بيزيثا، وهو أمر لم يتحقق إلا بتجاوز تلة الزاهرة. وإلى ذلك، ارتقى السور من جهة الغرب، متجاوزًا قمة التلة الأولى، وتوقف في الشرق حوالى 7 أمتار فقط خلف قمة التلة الثانية.

في الوقت نفسه، اكتملت القدس ذات النهاية غير المنتظمة من الجهة الشمالية، بهذا السور، وصارت المدينة الواقعة على التلّتين الشرقية والغربية، إضافة إلى امتداداتهما، وحدة حقيقية واحدة. وعندما يقول يوسيفوس(261) إن سور أغريبا كان له 90 برجًا، وإنه كان يفصل بين كل برج وآخَر 200 ذراع، في حين لم يكن لسور المدينة القديمة غير 60 برجًا، فإنما يرمي من ذلك إلى الإيحاء بأن مساحة المدينة شهدت توسعًا هائلًا، بحيث لا يمكن أن يكون للسور الشمالي فيها مسار يتبع خط السور الشمالي للمدينة اليوم. ويمكن تقدير طول هذا السور بنحو 1800 متر، في حين أن طول سور المدينة القديمة، من غير مكان الهيكل، حوالى 2700 متر. ويتيح اكتشاف المسار الجديد للسور الآن أن سور أغريبا هو نفسه سور المدينة القديمة، مفسحًا بذلك مجالًا كافيًا لأخذ مبالغات يوسيفوس المعهودة في الاعتبار. وإذا كان اليهود بنوا السور في أثناء الثورة على نحو من العَجَل، فليس من الحصافة أن ننتظر منهم بناء سور متميز. ومن الطبيعي أن يكون الناس، عندما بنوا إيليا كابيتولينا، قد استعانوا على بناء سورها الجديد بكل ما استحسنوه من مواد بناء عثروا عليها في الأنقاض، مزيلين بذلك الأجزاء الحسنة البناء بصورة خاصة إزالة تامة، وما كان لهم أن يتركوا سورًا آخر للمدينة قائمًا، حتى وإن كان أنقاضًا. ويصف يوسيفوس سور أغريبا على النحو الآتي(262): "بدأ (السور) الثالث من برج هيبيكوس، ممتدًا شمالًا حتى وصل إلى برج بسيفينوس (Psephinos)، ثم وصل إلى

(261) *Bell. Jud.*, V 4, 3.

(262) Ibid., V 4, 2.

نقطة مقابل نُصب هيلينا. ولمّا امتد حتى بلغ الكهوف الملكية، انعطف من خلال برج زاوية عند البناء المنسوب إلى الدباغ، لكنه عاد فتوقف عندما التقى السور القديم عند الوادي المسمى قِدْرون. "ويتيح اكتشاف السور الجديد افتراض وجود برج زاوية شمال غربي في منطقة المجمع الروسي"[263]، كما أن قرب السور من قبر هيلينا (يُنظر أعلاه) يتفق مع ما قاله يوسيفوس، وخاصة عندما يتحدث عن الباب الواقع بين برجي النساء، في مقابل نُصب هيلينا[264]، فلا حاجة بالتأكيد إلى افتراض وجود مسافة 750 مترًا كما يقضي بذلك الافتراض أن هذا الباب يقع عند باب دمشق الحالي. فهذا الباب، الذي لا بد أنه كان هو نفسه الباب الشمالي للقدس حينذاك، ينبغي أن نبحث، بالضرورة، في الموضع الذي يقطع فيه السور المكتشف حديثًا طريق "نابلس"، في حين يفيدنا وصف لعراك حدث أمام هذا الباب[265] بأن برجَي النساء كانا متقدمين قليلًا بحيث ضما المساحة الواقعة أمام الباب. و"الكهوف الملكية"، في الأغلب، ذات صلة بذلك الكهف الذي لا يزال يمتد اليوم تحت المدينة من السور الشمالي الحالي في اتجاه جنوب شرقي مسافة 200 متر، ولعله كان يمتد في الماضي في اتجاه الشمال أيضًا (يُنظر أدناه). وإذا تُرجمت كلمة διά [الواردة لدى يوسيفوس] بمعنى "خلال"، وهو أقرب المعاني الذي كنت آخذ به سابقًا، فلا بد أن سور أغريبا كان يجري مستعرضًا خلال منطقة الكهوف، ولكان مماثلًا للسور الشمالي الحالي في مساره، كما لا يزال فنسنت يرى اليوم. ولكن، بما أن هيرودوت (Herodot)[266] يقول إن "الشاطئ يتسع τής θαλάσσηςδιά [مستخدمًا اللفظة بمعنى آخر]، عند ذلك يغدو من الممكن أيضًا أن يوسيفوس لم يقصد أن السور جرى مستعرضًا عبر الكهوف، الأمر الذي لا يمكن أن يحدث من دون أن يؤدي إلى تدميرها، وهو الأمر الذي يتحاشاه السور الحالي

(263) ويقول بالرأي نفسه:

Gregg, *Moriah* (1900), p. 74,

بالاستناد إلى ملاحظاته آنذاك.

(264) *Bell. Jud.*, V 2, 2.

(265) Ibid., 3, 3.

(266) Herod., IV 39;

يُقارن:

Passaw, under *διά*.

أيضًا، فهو لا يمر فوق الكهف، وإنما إلى جانبه، وهذا يعني أن سور معهد الآثار الأميركي انعطف في اتجاه جنوب شرقي، وكان برج زاويته عند هذا المنعطف الذي لم يكن يقع عند وادي قِدْرون، في رأي يوسيفوس، ولا يمكن أن يقع في موقع زاوية المدينة الحالية الشمالية الشرقية. ولا يذكر يوسيفوس معلومات مفصلة عن مكان التقاء هذا السور "السورَ القديم"، ولكنَّ السور إذ يمتد من الزاوية الشمالية الغربية للمدينة القديمة، لا تكون نهايته شرقًا في برج أنطونيا التي لم يذكرها يوسيفوس، وإنما أبعد شرقًا، بحيث يجري في محاذاة الطرف الشرقي لتلة بيزاتا، بحيث تبقى منطقة "برْكِة بِني إسْرايين" خارج السور، أو أنه جرى على الطرف الغربي لامتداد القمّة الشمالية جاعلًا وادي بيزاتا في داخل المدينة، بحيث يبلغ "السور القديم" إلى الزاوية الشمالية الشرقية لمكان الهيكل. وبناء عليه، أمكن بذلك ضم تلة بيزاتا إلى المدينة، بعد أن كانت كبرت حتى أصبحت "مدينة أمامية" أخرى [للقدس].

يُضاف إلى ذلك أقدم أطلال "قَصر جالود" ومحيطها[267] التي ترجع في أبكر الأحوال إلى الفترة الرومانية، والموجودة ضمن الزاوية الشمالية الغربية للمدينة الحالية، ولا تتفق صفاتها مع صفات برج بسيفينوس المثمن الذي ذكره يوسيفوس[268]، وإنما هي أشبه ببرج تنكرد في فترة الحملات الصليبية[269]، وكذلك أشبه بالبرجين القديمين الموجودين عند باب دمشق[270] اللذين ينبغي أن يُدرسا دراسة معمَّقة. وهذه الأطلال هي من بقايا تحصينات مدينة إيليا كابيتولينا التي تظهر في فسيفساء كنيسة مادبا. وحين قام المرء ببناء هذه المدينة بحجم مدينة القدس الحالية تقريبًا[271]، كمنت النية في إقامة مستوطنة مركزة يسهل الدفاع عنها، ولها

(267) Schick, *ZDPV* (1878), pp. 18ff.; Wilson, *Ordnance Survey of Jerusalem*, *Pl.* XXVII, Vincent, *Rev. Bibl.* (1913), pp. 88ff.

(268) *Bell. Jud.*, V 4, 3.

(269) يُقارن:
Tobler, *Topographie*, vol. 1, pp. 66ff.

(270) يُنظر:
de Vogüé, *Le Temple de Jérusalem*, p. 124, Vincent, *Rev. Bibl.* (1927), pp. 516ff.

(271) جمع ميتشل مواد لتقييم جدار القدس الحديث:
Annual of the Am. Sch. of Or. Res. I, S. 28,
وما يليها، من دون فصل أوقات البناء المختلفة ومن دون استخلاص استنتاجات تاريخية. ثمة 70 رسمًا توضيحيًا مفيدًا مضمنًا.

صلة بالمعسكر الدائم لفرقة رومانية في منطقة قلعة هيرودوس[272]، على شكل مربع ومن دون اعتبار للطابع التاريخي للقدس. وقد اتخذ الناس الأودية الواقعة في الشرق والغرب وسيلة لحماية المدينة، أما من جهة الجنوب فقد انحصرت المدينة في التلة، محتمية أيضًا بالسفوح. ومن جهة الشمال، بنى الناس سورًا في خط مستقيم نوعًا ما، من واد إلى واد، وعززوه بالخنادق التي اخترقت القمم وكانت تمر بها، الأمر الذي عوّض غياب الحماية الطبيعية [لهذه الجهة من المدينة].

يتصل بقمة سهل الملك ثلاثة مرتفعات تتجه إلى الجنوب الشرقي، لكل منها تلة صغيرة بارزة من الجهة الشمالية من المدينة الحالية. وأبعد هذه المرتفعات غربًا هو أقصرها، وهو ينحدر بين الشارعين الآتيين من الجهة الشمالية الغربية اللذين يلتقيان عند باب دمشق (*E* 6) وأعلى تلة فيه هي قبة صخرية تعلو بعضها اليوم البيوت، ويبلغ ارتفاعها 2529 قدمًا (= 770.8 مترًا) (في الخريطة الإنكليزية الجديدة 768 مترًا)، تعلوها مساحة مستديرة مستوية ومنخفضة، يبلغ قطرها نحو 50 مترًا[273]، وهي صناعية، ولعلها ناشئة عن وجود محجر هناك[274]، كما يوجد قبر صخري عده كُندر (Conder) قبر المسيح[275]، ولذا اقترح شيك ذات مرة أن تعد التلة موقع غولغوثا[276]. أما بييروتّي (Pierotti)،

---

(272) *Bell. Jud.* VII 1, 1-3,

يُقارن:

Schürer, *Geschichte* I, pp. 634f., 643.

(273) Schick, *ZDPV* (1879), pp. 102ff.; *PEFQ* (1879), pp. 198ff.; (1893), pp. 298ff.

يُقارن:

Rev. Bibl. (1893), p. 633.

(274) يُقارن بالمساحة المنخفضة ذات الشكل الدائري تقريبًا الموجودة على التلة الأمامية بـ"راس المشارف" شرق طريق "نابلس" [جبل المشارف] والظاهرة على الصورة الجوية

D 12 = *M* 801, *M* 781. 828;

أما وصف شيك لها فلم يكن غير وصف جزئي، يُنظر:

ZDPV (1879), pp. 102ff.,

(275) *PEFQ* (1881), pp. 201ff.; (1883), pp. 69ff.

(276) يُنظر:

Zimmermann, *Karten und Pläne*, Taf. IV;

وكذلك:

Chaplin, *PEFQ* (1893), p. 86.

فقد افترض أن قبر الملكة هيلينا يقع هنا[277]، كما افتُرِض أن القبة هي جزء من سور أغريبا[278]. ورأى دوران أن هذا هو موقع البرج المسمى سيفينوس الذي كان يقوم عند الزاوية الشمالية الغربية لذلك السور. أما كُندر، فيؤْثِر أن يجعل هنا أحد البرجين المسميين "برجي النساء" اللذين كانا قائمين في هذا السور (يُنظر أعلاه)، غير أن ذلك غير ممكن؛ إذ لا توجد هنا آثار لسور مدينة، كما أن من غير الراجح أن يمر سور المدينة من هذا الموضع. أما إذا كنا مصيبين في افتراضنا أن السور المكتشف حديثًا هو سور أغريبا، فعند ذلك تسقط هذه الافتراضات كلها، وتكون التلة المستديرة المشار إليها واقعة ضمن هذا السور. وتشير التسمية العربية لهذا المكان باسم "أَرْض اِلبِرْكِة" التي ذكرها فنسنت على خريطته، على أن الناس يعدون هذا المنخفض الصخري حوض ماء. ومن المستبعد عندي أنه كان يُملأ بالماء. واكتُشفت هنا فسيفساء مسيحية تعود إلى فترة لاحقة، صُورت فيها طيور، وكُتب عليها نقش أرميني[279]. وفي عام 1901، عُثر في الجهة الجنوبية الغربية، وعلى ارتفاع أشد انخفاضًا، على فسيفساء من الفترة الرومانية تصور أورفيوس، ولا بد أنها ذات محتوى وثني، ونُقلت في عام 1904 إلى اسطنبول[280].

أما الامتداد الثاني، فإنه أشد من الأول أهمية بدرجات، وهو يتجه في أول الأمر في اتجاه جنوب شرقي، لكنه لا يلبث أن ينعطف جنوبًا. وهو يرتفع شمال سور المدينة الحالي إلى تلة مسطحة ارتفاعها 2549 قدمًا (= 776.9 مترًا)، تقوم عليها المقبرة الإسلامية المسماة "تُرْبِة الزاهِرَة" (*E* 6)، والصيغة القديمة لهذا الاسم هي "الساهِرَة"[281]، وهي عند مجير الدين[282] اسم للمقبرة، وعند فنسنت اسم

(277) Pierotti, *Jerusalem Explored*, vol. 1, p. 37.

(278) *Échos d'Orient* (1903), p. 172.

(279) Schick, *PEFQ* (1894), pp. 257ff.; Murray, *PEFQ* (1895), pp. 126ff.; Owsepian, *ZDPV* (1895), pp. 88ff.; Dashian, *ZDPV* (1901), pp. 165ff.

(280) Schick, *PEFQ* (1901), pp. 233f.; Vincent, *Rev. Bibl.* (1901), pp. 436ff.; (1902), pp. 100ff.; Strzygowski, *ZDPV* (1901), pp. 139ff.

(281) يُقارن أعلاه، ص 44.

(282) Sauvaire, *Histoire de Jérusalem*, p. 195; =

للمنطقة كلها الواقعة شرق هذه التلة. وتنقطع التلة بعد ذلك انقطاعًا لا بأس به، وتمتد داخل سور المدينة الحالي بارتفاع مقداره 2524 قدمًا (= 769.3 مترًا)[283]، ثم تنخفض انخفاضًا متدرجًا في اتجاه شرقي، بحيث لا يزيد ارتفاع أعلى نقطة فيها على شارع باب الأسباط، عند الزاوية الشمالية الشرقية للتكنة الواقعة في مكان الهيكل عند 2448 قدمًا (= 746.15 مترًا) ويستدل على أن هذا الانقطاع الصناعي في التلة من هيئة التلة عمومًا. ويدل على ذلك أيضًا منحدرات التلة التي يبدو جليًا أنها قُطعت عنوةً؛ إذ يبلغ ارتفاعها نحو 18.3 مترًا في الشمال، ونحو 11.6 مترًا في الجنوب (بحسب ويلسون)، وكانت، كما يبدو، أعلى من ذلك بكثير قبل أن تُردم المسافات الفاصلة بينها[284]. ويوجد في قمة المنحدر الشمالي من جهته الغربية ثلاث فتحات على هيئة مرتفعات مائلة إلى الصغر[285]، كما يوجد في وسطه مسطح يتصل به من جهته اليسرى كهف، طوله 42.6 مترًا، وعرضه نحو 30.5 مترًا، وارتفاعه 9.7 أمتار[286]. وتجد في المنحدر الجنوبي الآن مدخلًا صغيرًا إلى كهف ثانٍ، يقول وارِن[287] إن ارتفاعه ربما كان يبلغ نحو 16 مترًا قبل أن تُردم المساحة الفاصلة بين المنحدرين. أما الكهف نفسه، فكان عرضه نحو 100 متر، وطوله نحو 200 متر، وهو يتبع اتجاه التلة نفسها[288]. وتبلغ المسافة بين

= ويُنظر كذلك خليل الظاهري، **زبدة كشف الممالك**، تحقيق ر. هارتمان، ص 39، حيث يذكر وجود "اِلساهِرَة" شمال القدس.

(283) في ما يتعلق بالخط الأصلي لسطح التلة، يُنظر:
Schick, *PEFQ* (1890), pp. 246f.; (1901), pp. 402ff.; Wilson, *PEFQ* (1904), pp. 32f.

(284) في ما يتعلق بالسبب في وجود المسافات الفاصلة، يُنظر:
Schick, *PEFQ* (1890), pp. 11ff.; Wilson, *Ordnance Survey*, pp. 63f.; Pierotti, *Jerusalem Explored*, vol. 2, *Pl.* VIII, IX;

يُقارن:

I, p. 38; *Rev. Bibl.* (1914), p. 31ff., 426ff.

(285) وصفها ماكليستر:
Macalister, *PEFQ* (1902), pp. 192ff.

(286) بحسب شيك:
PEFQ (1902), pp. 37ff.

(مع خريطة ومتوسط)، يُقارن:
(1901), pp. 402ff.; Macalister, *PEFQ* (1902), pp. 131f.

(287) Warren, *Excavations, Pl.* XII.

(288) يُقارن: =

المنحدرين 150 مترًا تقريبًا من جهة الغرب، في حين لا تبلغ من جهة الشرق غير 50 مترًا تقريبًا، حيث يبدو للناظر كما لو أن شق المنحدرات جاء، في المحل الأول، من جهة الغرب. واستدعى تأمين السور القائم فوق المنحدر الجنوبي إجراء قطع عريض من جهة الغرب، خاصة أن أعلى قمة من قمم الجزء الشمالي من التلة موجودة هنا. ولم يزد ارتفاع القمّة من الجهة الشرقية على 770.8 مترًا، في حين أن ارتفاع المدينة في المنطقة المقابلة داخل السور بلغ 767.5 مترًا. ومن الوارد جدًا أن الكهفين كانا في الجهتين أوسع حجمًا، وذلك في الفترة التي سبقت نقب التلة. ويدل شكل الكهف في الشمال وشكل المغارة في الجنوب على أنهما ليسا طبيعيين تمامًا، وإنما اتخذا شكليهما الحاليين من خلال أعمال التحجير؛ فقد أغرى الناسَ بقلع الحجارة من هذين الكهفين الحجرُ الكلسي المميز الموجود فيهما والذي لم يكن يوجد إلا في الطبقات تحت-الأرضية. أما هنا، فيجدون نوعية جيدة من الحجر الكلسي المسمى "مِلِكي"، وهو الحجر الذي كان يُستعمل في البناء بسبب طراوته النسبية التي تلائم أدوات القطع المتاحة في الأزمنة القديمة. أما السبب في أن الناس كانوا ينقبون الكهوف ليستخرجوا الحجارة منها، فراجع إلى أنه لم تكن للحجارة الموجودة على السطح الجودة عينها التي للحجارة الموجودة في الطبقات الأدنى. وكان من العسير إنشاء محاجر مكشوفة، حتى قبل أن تُسكن التلة. وكان بلانكنهورن (Blanckenhorn)[289] قد لحظ أن الحجر الجيري المسمى "مِزّي" وهو لم يكن محبَّبًا يومذاك، كان يوجد في طبقة كبيرة فوق الكهف، وأنه كان على هذه الطبقة أن تنحدر جنوبًا حتى تبقى ضمن طبقة الحجر "المِلكي"، ولم يجد بلانكنهورن الحجر "المِلكي" في داخل الكهف إلا قرب الأرضية. وبما أن خط قطع الصخر يتعلق بمسار سورَي المدينة الروماني والعربي، فلا بد أن انقطاع التلة كان في الأصل أقصر مما هو الآن، وأن منطقة الكهفين كانت أطول، وكان لها مدخلان من الجهتين. ولمّا كان هذا المحجر مصدرًا مهمًا للحجارة المستخدمة في إنشاء المباني العامة كلها، كان لا بد من

Tobler, *Dritte Wanderung*, pp. 256ff.; Pierotti, *Jerusalem Explored*, vol. 1, pp. 226 ff.; vol. 2; *Pl.* VIII. = IX; Clermont-Ganneau, *Arch. Res.*, vol. 1, pp. 239ff.; Wilson, *Ordnance Survery of Jerusalem*;

تُنظر خريطة القدس [في هذا المرجع الأخير].

(289) *ZDPV* (1905), pp. 89f., Tafel II, Abb. 2.

جعله ملكًا للملوك. وكان هناك سبب آخر، في أي حال، لإتباع هذه المنطقة لسلطة الملوك، هو أن الكهوف، بما لها من امتدادات واسعة، كانت تصلح مخبأ للرعاع، بل كان من الممكن أيضًا أن تكون مبعث تهديد للمدينة، وهي الأسباب نفسها التي حدت بإدارة المدينة اليوم إلى وضع يدها عليها. فيمكن أن نتصور إذًا أن منطقة الكهوف هذه كانت نقطة مهمة شمال القدس، حتى أن يوسيفوس وصفها عند حديثه عن مسار سور أغريبا بأنها "الكهوف الملكية" [وهو وصف يمكن أن يقابل عبارة "معارات مَلْكا" الآرامية] (ص 97). وفي فترة لاحقة، يبدو أن الكهف الجنوبي يُذكر في التلمود[290] كمثال على الكهف البالغ الطول، وهو يسمى هناك "كهف الملك صِدقيًا، لأن الناس افترضت، على الأرجح، أن الملك هرب من خلاله إلى غور الأردن (سفر الملوك الثاني 25:4). أما إستوري هفارحي[291]، فيرى أنه أخطأ حين ذكر أن اسمه "كهف حزقيا"، وقال إنه يقع في داخل سور المدينة من جهة الشمال. ولم يكن الكهف مفتوحًا دائمًا؛ ففي عام 1853، لم يكن تُبلر[292] يعرف عن الكهف إلا من الروايات القديمة، لكنه عاد فعرف أن مدخل الكهف فُتح في حوالى عام 1850[293]، وهو أمر لا بد أنه حصل في عام 1847، لأن يهود القدس كانوا عارفين بأمر الكهف في ذلك العام[294]. وذكر المُقَدَّسي[295] في حوالى عام 986 ميلادي أن هذا الكهف يفضي إلى المكان الذي خُسِفت فيه الأرض بقارون وبعُصبته[296]. أما مجير الدين فذكر الكهف في عام 1495 باسم "مَغارة اِلكَتَّان"[297]، وهو اسم يمكن أن يُحمل على أحد وجهين: إما "مَغارِة الكِتَّان" وإما "مَغارِة الكَتَّانين". وحمل بعض الأوروبيين كلمة "كَتَّان" على أنها كلمة *coton* الفرنسية، وكان ذلك جهلًا منهم، فجعلوا من "مَغارة الكِّتان"

---

(290) b. Erub. 61b.

(291) Kaphtor waPherach 20a.

(292) Tobler, *Topographie* I, p. 661.

(293) Tobler, *Dritte Wanderung*, p. 184.

(294) Benjamin II, *Eight Years in Asia and Africa*, p. 25.

(295) Gildemeister, *ZDPV* (1884), p. 222.

(296) "سورة القَصص"، الآيات 75 وما يليها.

(297) Sauvaire, *Histoire de Jérusalem*, p. 196.

"مَغارة القطن". وكان هذا الكهف هو المحجر الذي استُخدم في عهود بعيدة جدًا، كما يُستدل على ذلك من الشكل المنحوت في جداره والذي له هيئة الملاك[298]. وكنتُ رأيت فيه كوّتين تشبهان الكوى الموجودة في البتراء، يتراوح ارتفاع إحدى القمتين بين 4 و11.5 سنتمترًا، وهي مدببة تقريبًا من الأعلى، ويتراوح ارتفاع الثانية بين 14 و31 سنتمترًا، وهي مستطيلة.

أما الكهف الذي فُتح في مكان أعلى في الشمال، فلم يُغلق في يوم من الأيام، لكننا لا نجد أخبارًا عنه تسبق فترة الحملات الصليبية، وبعد ذلك عده المسيحيون مكانًا سكنه إرميا أو باروخ. كما قيل كذلك أن أبيمالك ("عبيد مليك" في سفر إرميا (7:38)) نام 68 عامًا في كوة من كوى الكهف[299]، مع أن العمل المسمى "بقايا كلمات باروخ"[300] يتحدث عن ظل شجرة في بستان أغريبا. ويذكر ثيودوسيوس (Theodosius)[301] أن الشجرة كانت في مكان هيرميبوس (Hermippus) على الطرف الآخر من جبل الزيتون. أما المسلمون، فذكر بعضهم أحيانًا أن هذا الكهف هو الذي نام فيه الرجل المذكور في القرآن (سورة البقرة، الآية 258 [وليس 161])، مئة سنة، والذي ذكر البيضاوي أن اسمه ربما كان "العُزيْر". وكان يمكن أن يجعل اليهود هذا الكهف مكانًا لنوم حوْني راسم الدائرة، الذي استغرق 70 سنة، والذي نام في كهف قبل القدس[302]، أو تحت شجرة خروب[303]. وأوثق من هذه التسميات، التسمية العربية المألوفة "الهيْدَمِيِّة"، أو "الإِدْهيْمِيَّة" التي هي على صلة بمجموعة "فقراء" (Fakir) بنى لهم الأمير مُنجُك (Monjuk) مصلّى في المكان نفسه في عام 1359[304].

بعد بناء القدس الرومانية، باتت أهم صفة للمحجر بعد أن بطل استخدامه هو

(298) Clermont-Ganneau, *Arch. Res.* I, p. 243.

(299) Joannides, *Proskynetarion* I, p. 293.

(300) Ed. König, *Stud. u. Krit.* (1877), pp. 322, 324; Harris, *The Rest of the Words of Baruch*, chap. 5; James, *Apocrypha anecdota*, vol. 2, p. S4.

(301) Geyer, *Itinera*, p. 140.

(302) j. Taan. 66d, Midr. Teh. zu Ps. 126, 1.

(303) b. Taan. 23a.

(304) مجير الدين، في: Sauvaire, *Histoire de Jérusalem*, pp. 195f.

أنه صار خندقًا موسعًا لحماية المدينة. وربما استُخدم جزء من هذا الخندق[305] خزانًا للمياه، وكان ذا علاقة بالقنوات الموجودة شمال باب دمشق[306]، وبتمديدات المياه الواصلة إلى بركة شتروثيون عند أنطونيا، إلا أن الجزم في هذا الأمر يستدعي مزيدًا من الاستقصاء. وكان ثينيوس (Thenius)[307] في عام 1842 قد اعتقد أن بقية التلة واقعة أمام سور المدينة الحالي غولغوثا، وتبعه في ذلك الجنرال الإنكليزي غوردون (Gordon) في عام 1883؛ إذ رأى أنه إن تخيلنا التلة الشرقية على هيئة جسم رجل، وكانت قدماه عند بركة سلوان، وقلبه عند الهيكل، فينبغي أن تكون جمجمته عند تلة "الزاهرة"[308]. ولم يتيسر له أن يبرهن أن أسماء المواضع تنشأ عن مثل هذه الخريطة المتخيلة، ولكنه لا يزال يجد أتباعًا له، بعدما عُثر عند قاع السفح الغربي للتلة على قبر محفور في الصخر[309]، عُد، من غير أي دليل، القبر الحقيقي للمسيح، مع أن الراجح أنه واحد من قبور عدة ترجع إلى الفترة المسيحية عُثر عليها في منطقة دير الدومينيكان الفرنسي، أو حيثما كانت تقوم ذات يوم كنيسة إستيفانوس. واعتقد بعض الباحثين، بعد اكتشاف سور أغريبا الواقع على بعد 270 مترًا إلى الشمال (ص 95 وما يليها)، أن هذا يقتضي أن يكون مسار سور المدينة الأمامي في أيام المسيح، وهو أبعد شمالًا بمقدار كبير مما كان الناس يعتقدون حتى الآن، وأنه كان يشمل المكان

---

(305) يُنظر:

de Saulcy, *Voyage autour de la Mer Morte*, p. 338, *Pl.* XXV.

(306) يُنظر أدناه، *D* 2.

(307) *Illgens Zeitschr. f. hist. Theol.* (1842), book 4, p. 18.

(308) *PEFQ* (1885), pp. 79f.; (1904), pp. 38ff.

يُقارن:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, pp. 366f., 400

(309) وصفه شيك:

PEFQ (1886), pp. 155ff.; (1892), pp. 120ff., 199; (1901), p. 404;

يُقارن:

Miss Hussey, *PEFQ* (1899), pp. 130ff.

وقد نبه هاناور، وهو محق في ذلك، إلى أنه لم يُعثر أمام المدخل على حجر دائري:

PEFQ (1903), pp. 84ff.;

خلافًا لما قال مكاليستر:

PEFQ (1902), pp. 244f.

الذي تقوم عليه كنيسة القيامة، ما يقتضي البحث عن قبر المسيح على مسافة أبعد بكثير مما كان يُقدَّر قبل ذلك. ويمكن أن يذكّر منحدر تلة "الزاهرة"، بما فيه من ثقوب (يُنظر أعلاه) بمحاجر عيون الجمجمة، وفي ذلك تفسير لاسم المكان غولغوثا، كما أن قمة التلة يمكن أن تكون مكانًا ملائمًا للصلب. وقد عُثر مؤخرًا على أنموذج حجري صغير لكولمباريوم قرب القبر، وحُمل على أنه تذكار تركه هناك حاج في مناسبة زيارته معبد فينوس، فرأى بعض الباحثين في ذلك دليلًا على "صحة" قبر "الزاهرة"؛ إذ ذكر يوسيبيوس أن معبدًا لفينوس أُقيم فوق مكان قبر المسيح[310]. لكنَّ هذا الأنموذج يشبه أعمالًا أخرى كان يقوم بها الحارس الدنماركي لذلك القبر، المعروف جيدًا لدي، كما أن يوسيبيوس[311] لا يدع مجالًا للشك في أن ذلك المعبد ومكان القبر الموجود تحته كانا يقعان في داخل القدس الرومانية، حيث تقوم اليوم كنيسة القيامة[312]. فإذا خطَّأْنا مسيحيي القدس الذين عاشوا في نهاية القرن الثالث، فلن يبقى بين أيدينا دليل ثابت نهتدي به إلى المكان الصحيح للقبر؛ ففي القدس عدد كبير من التلال الصخرية التي يمكن أن تشبه الجماجم في شكلها، هذا إذا كان ينبغي تفسير كلمة غولغوثا من خلال شبهها بالجمجمة (ص 74). وليس هناك ما يثبت أن منحدر تلة "الزاهرة" كان له في زمن المسيح الشكل نفسه الذي له اليوم. وبناء عليه، تكون القمّة الشمالية للمرتفع الغربي (يُنظر أدناه، *A* 8) بغطائها الصخري والقبر الذي فيها، أولى كثيرًا بالأخذ في الاعتبار من تلك التلة البعيدة في الشمال، لأنها تقع غير بعيد عن "بيت القضاء" في قلعة هيرودوس.

ويعد اليهود المعاصرون اليوم تلة الزاهرة "مكان الرجم" (بالعبرية: "بيت

---

(310) يُنظر:

Hanauer, *PEFQ* (1924), pp. 143ff., 187ff.

(311) Eusebius, *Vita Constantini*, vol. 3, pp. 25ff.

يُقارن:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], pp. 368ff.

(312) يُقارن:

Vincent, *Rev. Bibl.* (1925), pp. 401ff.

هَسِّقيلا") من غير الاستناد إلى أي تقليد ديني قديم[313]. واستند الناس إلى هذا الأمر للقول إن كنيسة إستيفانوس التي بنتها الإمبراطورة يودوكيا (Eudokia)، وأعاد الدومينيكان اليوم بناءها، إنما تقوم في المكان الذي رُجم فيه إستيفانوس، بالاستناد إلى المكان الرسمي الذي كان اليهود يجرون محاكماتهم فيه[314]. أما ما تقوله التقاليد أو الأعراف القانونية اليهودية عن الأماكن التي تُنفذ فيها أحكام الإعدام، وأحكام الرجم خاصة، فلا يُستدل منها على أن ثمة أماكن مخصصة دون غيرها لهذا الغرض[315]، وإنما يقال إن المكان ينبغي أن يكون "خارج" مكان النطق بالحكم، وينبغي أن يكون في القدس خارج "المعسكرات الثلاثة"[316]، أي خارج المدينة[317]. وبما أنه ينبغي شرعًا رمي المحكوم من فوق مرتفع قبل تنفيذ حكم الرجم نفسه فيه، فيجب أن يكون المكان مرتفعًا بمقدار قامتين[318]، ما يدل على أن المحكوم كان يسقط عمليًا من ارتفاع مقداره ثلاث قامات، بل حتى خمس قامات[319]. فالظاهر أن الجدار الصخري لتلة "الزاهرة" الذي يزيد ارتفاعه على ذلك بكثير بدا لبعض اليهود اليوم مطابقًا لهذه المواصفات، ولم يبدُ لهم أن يتساءلوا هل كان هذا الجدار الصخري موجودًا في سياق التاريخ اليهودي في القدس. وتجد جنوب القدس مواقع أخرى أكثر تلبية لهذه الشروط الشرعية. فلا يذكر سفر أعمال الرسل (7:58) شيئًا عن مكان الرجم إلا أنه كان يحدث خارج المدينة، كما كان أمر بذلك سفر التثنية (17:5). ويتبين من الخبر أن طقوس الرجم لم تُمارس على النحو الذي كان يقتضيه الشرع الرباني. وفي ما عدا ذلك،

---

(313) يُنظر:

Klausner, *Jeschu han - Nozri*, p. 382, Lagrange, *St. Etienne*, p. 153.

(314) يُنظر:

Lagrange, *St. Etienne*, p. 74; Abel, in: Vincent & Abel, *Jérusalem*, vol. 2, p. 744.

(315) يُنظر ابن ميمون:

Maimonides, Mischne Thora, H. Sanh. XV 1. 2.

(316) Dalman, *PJB* (1909), p. 38, Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, pp. 305f.

(317) Sanh. VI 1, b. Sanh. 42ᵇ;

يُقارن:

Tos. Sanh. X 10; j. Sanh. 23ᵇ; Siphre, Dt. 149 (104ᵃ); 242 (118ᵇ); Siphra, Emor 19 (104ᶜ).

(318) Sanh. VI 5; Tos. Sanh. IX 6; Siphre, Num. 114 (34ᵃ).

(319) b. Sanh. 45ᵃ; Tos. Sanh. IX 6; j. Sanh. 23ᶜ.

فربما كان بناء كنيسة إستيفانوس في عام 460 شاهدًا على أن إستيفانوس رُجم في مكان قبالة الباب الشمالي للمدينة حينذاك، كما افترض ذلك ثيودوسيوس في حوالى عام 530[320]، أي أن تخطيط مدينة القدس الرومانية هو الذي حدد ذلك.

إذا كنا محقين في افتراضنا (ص 71) أن المقصود بالمكان المسمى "جوْعا" المذكور في سفر إرميا (38:31) هو السلسلة الغربية لتلة المدينة، فينبغي أن تكون "تلة جارب" المذكورة في الموقع نفسه من السفر (بالعبرية "جِبْعَة جاريب") موجودة في الشرق في الجهة نفسها. ولا يمكن إلا أن يكون المقصود امتداد تلة المدينة الذي تحدثنا عنه هنا، إذ لا توجد تلة أخرى ذات صفة مميزة غيرها تقابل التلة الغربية. وبما أن جارب كان أحد أبطال داود (سفر صموئيل الثاني 38:23، سفر أخبار الأيام الأول 40:11)، فربما أن الحكاية [التوراتية] جمعت بينه وبين التلة. أما الترجوم، فيقول في شرحه لهذا الموضع من سفر إرميا (38:31) إن التلة إنما سميت بهذا الاسم لأنها تقع "قُرْب جارب"، وهو يقصد موقع "جارب" المذكور في التلمود[321] قرب سلوان. وقد أجاز هيرشينزون (Hirschensohn)[322] هذا الفهم، ولكنه في الواقع غير ممكن.

حدث ما كان تنبأ به إرميا (38:31)؛ إذ توسعت القدس حتى تجاوزت حدودها الشمالية القديمة، وسكن الناس بصورة خاصة ذلك المرتفع الذي يتصل بتلة المدينة الشرقية. والسكنى في هذا المكان مغرٍ؛ إذ لا ينقصه الهواء الطلق ولا الإطلالة المشرفة، بل إن هذا المكان أكثر مواضع المدينة أمانًا، لأن القلعة الواقعة عند الطرف الشمالي لساحة الهيكل [الحرم القدسي] تحميه. ويذكر يوسيفوس[323] أن هذا الحي الجديد من المدينة، الذي لم يكن مسورًا قبل

---

(320) Geyer, *Itinera*, p. 141,

ويقصد أنطونيوس قبر إستيفانوس (Ibid., p. 176) (يُقارن سفر أعمال الرسل 2:8).

(321) b. Sanh. 103b.

يُقارن:

PJB (1912), p p. 26f.

(322) Scheba' Chokhmoth, p. 95.

(323) *Bell. Jud.*, V 4, 2; 5, 8; 19, 4.

ذلك، كان يسمى "بيزاتا"، وهو اسم يمكن فهمه بمعنى "المدينة الجديدة" [يقوم عليها اليوم حي باب حطة وهي باب الساهرة]. وفي الحقيقة، ربما لا يمكن رد الاسم إلى العبارة الآرامية "بيْ حَدَتَّا" أو "بيْ حَدَتا"، أي "المكان الجديد"؛ إذ ربما تكون عبارة "بيْ زَيتا" "مكان الزيت" أقرب مأخذًا[324]. أما أرجح التفسيرات، فهو اشتقاق الاسم من الكلمة الآرامية "بِزَعْتا" التي تعني "قطعة"، وذلك بناء على أن التقاليد اليهودية تقول إن القدس مكونة من "بِصْعِين" اثنين ("بِصاعين")، بات يُعد الأدنى منهما بعد السبي تابعًا لمدينة الهيكل، في حين لم "يُقدَّس" الأعلى منهما لأنه "عار القدس"، ولأن من السهل احتلال المدينة من تلك الجهة[325]. وهذا يتفق مع ما ورد لدى يوسيفوس[326] من تفريق بين مدينة جديدة عليا وأخرى جديدة سفلى. ويغدو الأمر مفهومًا تمامًا لو كانت "بِصْعا" السفلى هي "المدينة الأمامية" التي يذكرها يوسيفوس، وكانت العليا هي ذلك الحي من المدينة الذي توسع، وكان أضعف مكان في القدس يمكن الدفاع عنه، خاصة في وسطه الذي كان أوطأ من محيطه، وهو المكان الذي احتل منه تيتوس المدينة.

في ما يتعلق بمسار سور المدينة الأمامية، ذكر لنا يوسيفوس[327] أنه كان يبدأ من باب جناث (يُقارن أعلاه ص 73)، ثم يدور حول المنطقة الشمالية، لينتهي عند برج أنطونيا، أي شمال موضع الهيكل. ولسنا على يقين من مساره بعد ذلك، إلا أن السور لا يشمل تلة "بيزاتا"، وإنما يكتفي بوصل التلة الغربية بالتلة الشرقية، وهو ما يؤكده يوسيفوس أيضًا. ولمّا لم يكن لهذا السور غير 14 برجًا، في حين يقال إنه كان لسور المدينة القديمة 60 برجًا[328]، فيبدو أن طول السور عند يوسيفوس يساوي ربع طول السور القديم، فكأن طوله يساوي طول جهة واحدة من السور القديم فحسب. وبناء عليه، لا يمكن أن يكون القوس الذي رسمه السور شمالًا ذا

---

(324) Dalman, *Gramm. des jüd. - pal. Aram.*, p. 147.

(325) Tos. Sanh. III 4, b. Schebu. 16ª; j. Sanh. 19ᵇ.

يُقارن:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, p. 325.

(326) *Bell. Jud.*, V 12, 2.

(327) Ibid., V 4, 2.

(328) Ibid., V 4, 3.

أهمية خاصة، كما أن من المستبعد تمامًا أن يكون قد وصل إلى موضع باب دمشق الحالي، وإنما ينبغي أن نفترض أنه قطع النتوء الشرقي للتلة الغربية (ص 72)، من دون أن يهبط إلى قاع الوادي شمال المدينة القديمة، ثم انعطف، في أبعد الأحوال، عند تقاطع الشوارع داخل باب دمشق، ليسير، في آخر الأمر، في اتجاه جنوب شرق نحو برج أنطونيا. وهذا ما يجعل مساحة المدينة الأمامية مساوية لمساحة ذلك الحي من القدس الواقع بين طريق السوق ("طَريق اِلعَمود") والطريق الواقعة فوق مشفى الهوسبيس النمساوي ("طَريق اِلشَيْخ ريحان"). ولكن الأرجح أن السور انعطف عند طريق الآلام شرقًا، ثم اتجه إلى برج أنطونيا عبر وادي المدينة. ويذكر يوسيفوس أنه كان ثمة سور شمالي له برج متوسط (يغلب أنه كان عند باب في المنخفض)، وأن جزءًا منه كان يتجه جنوبًا[329]. ويُستدل من هذا على أن السور اتجه أول الأمر شمالًا، ثم انعطف شرقًا. ولم تُبقِ إيليا كابيتولينا الرومانية في أهم شوارعها وممرات أعمدتها من القدس اليهودية شيئًا يرى، وبالكاد جرت تنقيبات أثرية عميقة في أي موضع من هذه المواضع. وقد عُثر على قطعة من السور يتجه من الغرب إلى الشرق في أثناء بناء كنيسة القيامة في محل الكنيسة التي تعود إلى فترة الحروب الصليبية والتي كانت قائمة في مكانها، فافتُرض أن هذه القطعة من السور التي عُثر عليها عميقًا تحت الأرض جزء من الحد الغربي للمدينة الأمامية الذي كانت له عطفة هنا[330]. ولكن، لم تُجرَ، للأسف، أي دراسات لتحديد الطبيعة الدقيقة لهذا السور، كما لم تُسفر أي نتيجة البتة عن اطلاعي على المخططات الموجودة في الأرشيف، ولا مساءلتي لمعماريَين شاركا في البناء. ويثير موقع السور تساؤلات أخرى عن وظيفته؛ فهو يقع على ارتفاع 743.1 مترًا[331] مباشرة تحت عقبة ارتفاعها نحو 12 مترًا، فكان الأولى أن يكون السور فوق تلك العقبة

---

(329) Ibid., V 7, 4; 8, 1 f.

(330) قال بهذا الرأي:
Schick, *PEFQ* (1902), p. 46; Jeffery, *A Brief Description of the Holy Sepulchre*, p. 47;
وتجد تصويرًا مبنيًا على كثير من الخيال لدى:
Merrill, *Ancient Jerusalem*, p. 297;
أعاد نشره:
Hanauer, *Walks about Jerusalem*, p. 164.

(331) Kuemmel, *Materialien*, p. 32.

لا تحتها. وبناء عليه، يبقى من غير الممكن تحديد مسار سور المدينة الأمامية من الجهة الشمالية. والأمر الأكيد هو أن المدينة الغربية والمدينة الشرقية كانتا متصلتين على نحو ما، بحيث لا يمكن أن يدخل العدو بينهما، وأن شوارع السوق التي نشأت عند أهم نقاط المواصلات، كانت محمية في أجزائها الخارجية من قطاع الطرق خير حماية. ويسمي يوسيفوس ذلك الجزء من المدينة الذي يحميه "السور الثاني" "المدينة الأمامية"[332]، ويسميه كذلك "المدينة الجديدة"[333]، بل يسميه تسمية أكثر دقة: "المدينة الجديدة السفلية"[334]. وليس ثمة شك في أن هذه المدينة الأمامية هي "السوق السفلية" (بالعبرية "هَشُّوق هَتَّحتون"؛ وبالآرامية "شوقا تَحْتا")، ويُقال إن حنانيا بن عازور ردد فيها على غير الوجه الصحيح ما كان إرميا يقوله في السوق العليا (ص 78)[335]. فإذا كانت هذه السوق هي نفسها "القسم السفلي"، كما ينبغي أن نفترض (يُقارن أعلاه، ص 108)، فعند ذلك يكون من الثابت في التقليد اليهودي أن هذا الجزء من المدينة كان جزءًا من القدس حتى قبل السبي البابلي. ولا بد أن "المدينة المزدوجة" (بالعبرية "هَاعِير هَمِشْنِيْه"، أو "هَمِّشْنِيْهِم") المذكورة في أسفار صَفَنيا (1:10)، ونحميا (9:11)، والملوك الثاني (14:22)، وأخبار الأيام الثاني (22:34) هي نفسها المذكورة أعلاه[336]، وليس هنا ما يستوجب الاستيضاح غير معرفة إلى أي مدى استُخدم هذا الاسم في المدينة جنوبًا. ويُستدل من ذكر باب السمك إلى جانبها في سفر صَفَنيا (1:10) على وجود سوق للسمك هناك، وأنه كان في اتجاه الطريق الشمالية؛ إذ إن سفر نحميا (16:13) يذكر أن صوريين [نسبة إلى مدينة صور] كانوا يتجرون في القدس بالسمك، وعلى الأغلب أنهم كانوا يأتون به من الساحل عبر صعدة بيت حورون، وينبغي على المقدسي أن يذكِّر هنا بأن إذا كان السمك طازجًا، فينبغي أن يُحضر ويباع ويؤكل من دون تأخير. وليس بين أيدينا من الأخبار ما يعيننا على تحديد التاريخ الدقيق لقيام المدينة

---

(332) *Antt.* XIV 13, 4; XV 11, 5.

(333) *Bell. Jud.*, V 8, 1.

(334) Ibid., V 12, 2.

(335) Tos. Sanh. XIV 14; j. Sanh. 30^b.

(336) أخطأ الترجوم عندما جعل الموضع المذكور في سفر صَفَنيا (1:10) في العوْفِل [تلة الضهور]، والموضع المذكور في سفر الملوك الثاني (14:22) في المدرسة.

الأمامية وتأسيس سورها. وبما أن صَفَنيا يفترض وجودها ووجود بابها، فهذا يعني أنهما كانا موجودين في حوالى عام 630 قبل الميلاد. ويتفق مع هذا ما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني (33:14) عن أن منسى (Manasse) (المتوفى في 643 قبل الميلاد) بنى "السور الخارجي" للقدس من مدينة داود وحتى باب السمك، لكن هذا الخبر لا يبين لماذا توقف بناء السور عند باب السمك، ومن الذي تابع بناءه في اتجاه الغرب. وسيجد القارئ تتمة للحديث عن سور القدس الشمالي أدناه، *C* 1 [الطرق الشمالية]. وإلى جانب ذلك، تبين نظرة التشريع اليهودي إلى القدس باعتبارها مكونة من "قسمين"، خلافًا للنظرة التي ترى القدس مدينة كاملة تمثل إسرائيل في شريعة موسى(337)؛ فمدينة التلة الغربية ومدينة التلة الشرقية كانتا تعدان موجودتين أيضًا قبل السبي البابلي بوقت طويل.

ويظهر الامتداد الجنوبي للقمّة الشمالية في الصور الجوية *D* 13 = *M* 796, *M* 798، ويظهر النطاق العام لهذا الامتداد في الصور *D* 4 = *M* 779, *M* 777. 778. 781, *RA* Fl. 303, Nr. 92.

6 - التلة الشرقية للمدينة

نقصد بهذه التسمية ذاك الجزء من الامتداد الأوسط للتلة الشرقية الذي تحدثنا عنه، الواقع ضمن حدود القدس القديمة (*E* 6). ويذكر يوسيفوس(338)، الذي لم ينبئ يومًا عن حس جغرافي في وصفه للأماكن، وجود تلة ثالثة وأخرى رابعة للقدس، في حين أنه لا يقصد بالتلة الرابعة إلا امتداد التلة الثالثة شمالًا، وهي التي وصفناها قبل قليل. وهذا يؤكد أن خندقًا عميقًا يفصل هذه التلة عن قلعة أنطونيا التي تقع قبالتها، راميًا إلى بتر الصلة بينهما. ويقصد يوسيفوس بذلك أن القلعة تتبع في الواقع التلة الرابعة. ولا يزال في الإمكان رؤية منطقة قلعة أنطونيا وهي تظهر على أنها النتوء الأقصى للمنحدر حاد الامتداد الذي تحدثنا عنه، قبل

---

(337) Kel. I 6, Siphre, Num. 1 (1b); Bem. R. 7 (36b);

يُقارن:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*3, p. 305.

(338) *Bell. Jud.*, V 4, 2; 5, 8.

انسياحه في ساحة الهيكل [ساحة الحرم القدسي] الممهدة، حيث قُص عند زاويته الشمالية الغربية بقصد تسويته. ولا يزال هذا الخندق موجودًا حتى اليوم، وإن كانت المباني ملأته، وما زال في الإمكان تبين ملامح جداره الشمالي في المباني القائمة على طريق الآلام[339]. ويتراوح عرض هذا الخندق بين 65 و70 مترًا، ويبلغ طوله 185 مترًا. وبناء عليه، يبدو أنه فعلًا يعزل من جهة الشمال الصخر الذي يُرى داخل البرج عند الزاوية الشمالية الغربية، والذي يمتد 114 مترًا من الغرب إلى الشرق. ولكنْ، تكشّف عند الجهة الجنوبية من منطقة برج أنطونيا، في منطقة ساحة الهيكل [ساحة الحرم القدسي]، خندق آخر بات مطمورًا اليوم، عرضه 40 مترًا. وكان وَارن[340] افترض أن هذا الخندق هو الذي قطع الامتداد الصخري الذي لا يبلغ عرضه غير 90 مترًا تقريبًا، وكان له الأثر الأكبر في قطع التلة التي يقوم برج أنطونيا على طرفها، وفي فصلها تمامًا عن التلة التي يقوم عليها الحرم القدسي، أكثر مما فعل ذلك في هذا الموضع وادٍ عميق من جهة الشرق. ولم تحدد الاستكشافات هذا الوادي الذي نشر كومِل رسمًا له تحديدًا وافيًا حتى اليوم، لكنَّ تضيُّق التلة من الجهة الشرقية يمكن أن يعد أمرًا أكيدًا. ومن المؤكد، حتى مع اختلاف شكل المنطقة اليوم، أن الخط الكنتوري ينعطف من 2419 قدمًا (= 737.3 مترًا) على الجهة الشرقية للتلة الشرقية، بما يتراوح بين 110 أمتار و85 مترًا، مترًا مبتعدًا غربًا عن الزواية الشمالية الغربية للحرم، وهو يميل إلى الغرب، لكنه لا يلبث أن يعود فينعطف أول الأمر شرقًا ثم جنوبًا، ليحوط بالباحة العليا للحرم من جهته الشرقية، بحيث يكون الخط على بعد يتراوح بين 120 و140 مترًا من خط أبعد نقطة له في الغرب[341]. وكان وَارن، بناء على ملاحظات أخرى سنذكرها عند الحديث عن وادي قِدْرون، ربط هذا الخط بفرع من فروع هذا الوادي كان يمر في الأصل تحت الزاوية الشمالية الشرقية للحرم، واستنتج من ذلك أن التلة الشرقية كانت في اتجاه هذا الخط ذات سفح منحدر بات مخفيًا اليوم تحت الحرم.

---

(339) Clermont-Ganneau, *Arch. Res.*, vol. 1, pp. 49ff.; Barnabé, *Le Prétoire*, p. 5; Mommert, *Prätorium des Pilatus*, Tafel I, Professeurs de N.-D. de France, *La Palestine*[3] (1922), p. 129.

(340) Warren, *Excavations at Jerusalem*, Pl. II. IV. VI. IX. XXXVII.

(341) بحسب خريطة ويلسون.

ولا غنى عن هذه الحقيقة التي لا يمكن إنكارها في فهم الحدود الشمالية لمدينة القدس التي لم يتجاوزها الناس، على الأرجح، إلا في القرن الأول قبل الميلاد، عندما ازداد عدد سكان القدس.

أما الخندق الثاني، الأبعد جنوبًا، فكان يصل إلى تلك المنطقة التي لا يزال الصخر باديًا اليوم في أولها، وكان الهيكل، في ما يمكن تخيله، يقوم على بعد أقل من 100 متر منها. فلا بد أن نفترض، بعد فراغ سليمان مباشرة من بناء الهيكل، أنه قد تقرر حماية الهيكل وقلعة الملك المتصلة به، أو، في واقع الأمر، المحيطة به، من خلال خندق يحمي طرفها الشمالي. ولكن يمكن أن يكون سور المدينة أيضًا هو الحافز على حفر هذا الخندق، إذ كان على السور أن ينعطف في هذه المنطقة غربًا، كي يشمل الهيكل في داخله، فلا يبقى هنا غير سؤال واحد معلق هو: هل شمل السور المكان الذي ستقوم عليه قلعة أنطونيا أم استثناه؟ واعتمادًا على ما قاله يوسيفوس، ينبغي أن نفترض أن هذا المكان كان أقرب إلى الخندق الشمالي. واللافت في هذا المكان بركة مستعرضة في اتجاه شمالي غربي، يبلغ طولها بين 15 و40 مترًا[342]، لعلها بركة شتروثيون التي بنى الرومان في وسطها سورًا لحصار قلعة أنطونيا[343]. ويذكّر اسم هذه البركة باسم الممر تحت الأرضي لبرج ستراتون[344] في القلعة الحشمونية التي كانت قائمة في هذه المنطقة، خاصة أن لها في الاتجاهين الشمالي والجنوبي قنوات تحت أرضية يمكن أن تُستخدم لأغراض أخرى، إلى جانب مهمتها الرئيسة في نقل الماء من حوض ماء في الشمال إلى البركة، وأن تنقل الفائض من الماء جنوبًا إلى برك أو أحواض أخرى. فيجوز لنا أن نفترض أن الممر السري الذي ذكر يوسيفوس[345] أنه يصل برج قلعة أنطونيا بالمدخل الشرقي "الهيكل الداخلي"، له صلة بالقناة نفسها التي تجري جنوبًا مسافة 76 مترًا، ثم تنعطف شرقًا في اتجاه الهيكل. ويقع الطرف

(342) قُسمت الآن إلى حوضين، يُنظر:

Warren, *Excavations*, *Pl.* XXXVII,

يُقارن:

Wilson, *Ordnance Survey of Jerusalem*, *Pl.* XVII.

(343) *Bell. Jud.*, V 11, 4.

(344) *Antt.* XII 11, 2, *Bell. Jud.* I 3, 4.5.

(345) *Antt.*, XV 11, 7.

الجنوبي الضيق للبركة في مقابل المكان الذي يُفترض أن الزاوية الشمالية الغربية لقلعة أنطونيا كانت تقوم فيه. وبناء عليه، من غير المستبعد أن اسم البركة مأخوذ من اسم برج الزاوية الذي سبقت الإشارة إليه، وليس له علاقة، لا "بالعصافير" ولا بِـ"عِرْق الحلاوة". ووصف يوسيفوس(346) قلعة أنطونيا التي تتزود بالماء من البركة، بأنها على شكل مربع تقوم في زواياه أبراج، وهو يمتد في القاعات المعمدة المحيطة بفناء الهيكل الخارجي ويجوز القول إن هدم اليهود للقلعة هو الذي أضفى على الهيكل شكل المربع(347). وبناء عليه، فمن الصواب القول إن نطاق القلعة التي يصفها سفر أعمال الرسل (21:34) بأنها "ثكنة" الفوج الذي كان يتولى الحراسة، كان يصل إلى الخندق الجنوبي، ما يعني أن الأرض الصخرية التي مهدها الناس، والبادية اليوم في الزاوية الشمالية الغربية للهيكل، ناشئة عن تسوية للمكان لم تحدث إلا في القدس الرومانية (يُنظر أدناه). ويترتب على ذلك أن طول ضلع القلعة المربعة كان يبلغ حوالى 100 متر.

وقبل أن يبني هيرودوس قلعة أنطونيا، كانت تقوم في المنطقة نفسها "قلعة" (بالعبرية "بيرا")، بناها، بحسب يوسيفوس(348)، الكاهن الأعلى الأول هيركان

---

(346) *Bell. Jud.*, V 5, 8, VI 2, 9.

(347) Ibid., VI, 5, 4.

يُقارن:

Dalman, *Orte und Wege*^{3}, p. 303.

(348) *Antt.* XVIII 4, 3;

يُقارن:

XV, 11, 4

وورد ذكرها أيضًا في:

Antt., XIII, 11, 3; XIV, 1, 2; 4, 2; 16, 2; *Bell. Jud.*, I 3, 3; 5, 4,

وذُكرت "بيرا" في:

j. Pes. 35^{a};

يُقارن:

b. Jom. 2^{a}, Zeb. 104^{b}.

وهي برج قائم في "جبل البيت"، أي أنها كانت في أقصى فناء الهيكل [الحرم القدسي]، وينبغي، على الأغلب، التمييز بينها وبين قلعة الهيكل نفسها التي تسمى أيضًا "بيرا". يُنظر: سفر نحميا (2:8؛ 7:2)، سفر أخبار الأيام الأول (29:1، 19)، ويُنظر أيضًا:

Para III 1; Orl. II 12; Zeb. XII 5; j. Pes. 35^{b}.

(105-135 قبل الميلاد)، وكان الغرض من بنائها تأمين حماية أفضل للهيكل[349] ولكن الهدف الأكثر تحديدًا كان منع احتلال الهيكل من أي جهة من الجهات، إذ كان يمكن احتلال الهيكل في أي لحظة من جهة القلعة. ويمكن أن نفترض أن اليهود أرادوا أن تؤدي القلعة مهمتها على نحو أفضل تحت إشراف اليهود مما كان يراد من طموح قلعة الأشوريين إلى تحقيقه (يُنظر أدناه). وقلعة الأشوريين كانت قائمة في جنوب الهيكل، وقد هدمها اليهود في الفترة نفسها، لأنها فشلت في أداء مهمتها. ولم تعدم قلعة الأشوريين أبراجًا أو خندقًا، لكنها كانت في حاجة إلى تحسينات تولى هيرودوس تنفيذها. علاوة على ذلك، يُستدل من موقع القلعة، بما أن من المؤكد أن من مهماتها الأخرى حماية "المدينة الأمامية"، أن المدينة الأمامية ما كان لها أن تتوسع خارج نطاق القلعة، كما أن سورها الشمالي ما كان يمكنه أن يتجاوز الخط الذي يمر به اليوم طريق الآلام إلا بمقدار يسير، وهو ما يقتضيه، في الأحوال كافة، المقطع الصخري الموازي للسور من جهة الشمال.

نحن نعرف برجين كانا قائمين قبل فترة السبي البابلي وبعدها، وهما واقعان بين باب السمك المتجه شمالًا، وباب الغنم المتجه في اتجاه شمالي شرقي[350]. وسُمي البرج الأبعد شمالًا منهما "برج المئة" (بالعبرية: "مِجْدال هَمّيا") الذي اكتسب هذا الاسم لسِعته الكبيرة[351]. أما البرج الأبعد إلى الغرب منهما، فكان يُدعى "برج حَنَن إيْل" [حننئيل] نسبة إلى رجل مجهول، وهو يُعد النقطة الشمالية في القدس بحسب سفر زكريا (10:14)، ويعد النقطة الشرقية من حدودها الشمالية بحسب سفر إرميا (37:31)، ويبدو أنه كان كبيرًا على نحو استثنائي. ونميل إلى القول إنه كان يقوم حيث كان سور المدينة الشمالي السابق يتجاوز يومذاك التلة الشرقية شمال الهيكل، وهي منطقة قلعة أنطونيا. فيبدو من البدهي إذًا

---

(349) Aristeasbrief 100-104.

(350) سفر نحميا (3:1؛ 12:39).

(351) أما تفسير سَعَديا للاسم، فتفسير رباني بحق: "بيت الكنيس الأكبر، حيث كان يُقال 'آمين' مئة مرة في اليوم". يُنظر:
Mathews, *Comm. on Ezra and Nehemiah by R. Saadiah*, p. 24.

أن يتبع السور الممتد من الجهة الشرقية للتلة الشرقية طرف التلة الشمالي داخل منطقة الهيكل، وأن يمضي في اتجاه الممر الواقع بين قسمي التلة الشرقية. وبناء عليه، من الطبيعي أن يقع "باب السَّمَك" في الجهة الأخرى من التلة الشرقية؛ في الوادي حيث توجد طريق آتية من الشمال. أما "باب الغنم"، فالأغلب أنه اتخذ اسمه من الأغنام التي كانت تُساق من الشمال الشرقي ومن الشرق إلى الهيكل. كما كان الباب يسمى "باب بنيامين"[352]، لأن الشارع الذي يبدأ هنا يفضي إلى منطقة بنيامين المهمة الواقعة شرقًا.

ولسنا نعرف الشكل الأصلي لذلك الجزء من تلة المدينة الشرقية الذي يمكن أن نسميه تلة الهيكل؛ إذ تعلوه اليوم صفيحة الهيكل [ساحة الحرم القدسي] غير الأصلية، أي المسجد الحالي (*E* 6). وتنحدر الصفيحة من الشرق والجنوب انحدارًا يسيرًا، حتى تنخفض عند الزاوية الجنوبية الشرقية إلى 736.4 مترًا، لكنها تعود فترتفع قرب الطرف الغربي، وترتفع كذلك عند الطرف الغربي إلى أكثر من ارتفاع الطرف الشمالي، حتى تصل إلى فناء مربع أكثر ارتفاعًا، يتراوح ارتفاعه بين 743.4 مترًا و741.9 مترًا، ويرتفع عند الصخرة الواقعة تحت قبة الصخرة[353] إلى 743.7 مترًا. ونحن على يقين إن أبعد نقطة مرتفعة في التلة ليست مغطاة بالطمم، وهي النقطة التي نفترض أن الهيكل كان يقوم عندها في يوم من الأيام. أما إذا لم يكن هذا الفناء الذي لم يُدرس دراسة وافية، طبيعيًا، فمن باب أولى القول إن كل ما يحيط به في ساحة الحرم ليس طبيعيًا كذلك. ومما يُستدل به على أن المكان كله ليس في صورته الطبيعية الأصلية، تلك المساحات الفسيحة تحت الأرضية الموجودة في الجهتين الجنوبية الشرقية والجنوبية، والتي تُظهر أن طرف المكان الجنوبي البالغ طوله 80 مترًا هو من صنع الإنسان[354]، كما يُستدل من التفاوت في

---

(352) سفر إرميا (13:37)، سفر زكريا (10:14).

(353) تجد المخطط والمقطع العرضي لدى:
Dalman, *Neue Petraforschungen und der heilige Felsen von Jerusalem*, pp. 110, 112; Warren, *Excavations*, *Pl.* XXXIX.

(354) الحديث هنا عن "إسطبلات سليمان"، أو عن "قصر سليمان"، كما قيل في حوالى عام 333 (Geyer, p. 21)، وهي واقعة في الزاوية الجنوبية الشرقية للمكان، ومرتبطة بالدرج المزدوج الصاعد من =

ارتفاع الأرضيات في داخل السور المحيط بالحرم وخارجه على أن هذا المكان كله ليس في صورته الطبيعية الأصلية، بل إن التنقيبات دلت على أن يد الإنسان شكلت المكان بأكثر مما يوحي به النظر وحده؛ فعند زاوية المكان الجنوبية الشرقية تقع أرضيته على ارتفاع 741.9 مترًا من داخل السور، أما من الخارج، فيغور السور في الأرض عند ارتفاع 718.8 مترًا، ولكن أساساته تمضي في الأرض مقدار 23.5 مترًا أخرى، حتى تبلغ 694.9 مترًا[355]. واللافت بشدة، كانت نتائج التنقيبات في الزاوية الجنوبية الغربية[356]؛ فارتفاع أرضية الحرم في هذا المكان يبلغ 737.6 مترًا، ويبلغ ارتفاع الأرض خارج السور 727.5 مترًا. إلا أن المنقبين لم يصلوا إلى الأرضية الصخرية إلا على انخفاض 20.1 مترًا، أي على ارتفاع 707.4 مترًا، بعدما كانوا عثروا على عمق 7.3 أمتار على طبقة [مرصوفة] بالجص، ثم على عمق 11.6 أمتار أخرى على طبقة جصية ثانية. ولكنْ، على بُعد 27.5 مترًا إلى الشرق من ذلك عند السور الجنوبي، لم يجد المنقبون الصخر إلا على ارتفاع 698 مترًا، أي أنه ينخفض بمقدار 9.4 أمتار عن مستواه عند الزاوية الجنوبية الغربية. وفي هذا دليل على أن أكثر نقطة انخفاضًا في هذا الوادي الذي يجري في محاذاة الجهة الغربية للحرم القدسي، كانت تقع أصلًا ضمن نقاط الحرم القدسي، ولا يُراد أن يقال بذلك، بطبيعة الحال، إنه لم يكن هناك بناء فوق الصخر عندما بُني السور. وابتداء من هذه النقطة، تبدأ الأرضية الصخرية بالارتقاء من تحت السور شرقًا، لتصل في ثلثها الثاني، على بُعد ما يقرب من 100 متر من الزاوية الجنوبية الشرقية وهو أعلى مستوى لها، إلى ارتفاع يقل مترًا واحدًا فقط عن المستوى الحالي للأرض في هذا المكان، ألا وهو 725.4 مترًا[357]. وهذا يؤكد أن التلة تظل محافظة على اتجاهها الجنوبي الشرقي حتى هذه النقطة، ومن الصواب أن يُعد السفح جنوب

= الباب الثلاثي الموجود في الجدار الجنوبي (Warren, *Excavations*, *Pl.* XXV). ولاعلاقة لهذا بالدرج المزدوج الصاعد من الباب المزدوج الموجود إلى الغرب منها (Wilson, *Ordnance Survey of Jerusalem*, *Pl.* XVI, 1).

(355) Warren, *Excavations*, *Pl.* XX.

(356) Ibid., *Pl.* XXVII.

(357) Ibid., *Pl.* XXVI.

الحرم جزءًا منه، في حين ينبغي أن يعد الامتداد الضيق الذي يتجه بعد ذلك في اتجاه الجنوب وحدة قائمة بذاتها.

افترض يوسيفوس[358] أن سليمان نفسه كان قد وسّع مساحة قمة التلة في اتجاه الوادي، بأن بنى سورًا، ثم ملأ المسافة بين السور والقمّة. ونُسب بناء القاعة المعمّدة التي كانت تقوم على السور إلى سليمان كذلك (كما جاء في إنجيل يوحنا 23:10؛ وفي سفر أعمال الرسل 11:3؛ 12:5)، واعتقد الناس أن الفناء الخارجي للهيكل كان يصل إلى ذلك المكان[359]. والأولى أن يصح هذا الافتراض على الفناء الخارجي الذي كان يحوط هيكل سليمان وقصره. ولكنْ، مع ذلك، يُستبعَد أن تظل القاعة التي بُنيت في عهد سليمان قائمة، وإنما قد ترجع أساساتها إلى الفترة التي تسبق السبي. ويوسيفوس[360] على يقين أن هيرودوس وسع مساحة الهيكل مضاعفًا إياه، بعدما جرت توسعته قبل ذلك، فلا بد، والحال هذه، أن تكون تقوية نحميا للهيكل[361]، على يد الكاهن الأعلى شمعون الثاني (حوالى عام 200 قبل الميلاد)[362]، وعلى أيدي المكابيين[363]، قد دمرت القلعة الملكية التي كانت تقوم جنوب الهيكل، لتجيء توسعة هيرودوس فتُكسب موقع الهيكل، عدا زاويته الشمالية الغربية (يُنظر أعلاه)، اتساعه الحالي. أما أن يكون سكان المكان المجاور قد استخدموا التلة بيدرًا قبل أن تقام المباني فيها (سفر صموئيل الثاني 16:24 وما يليها؛ سفر أخبار الأيام الأول 15:21)، فأمر قريب المأخذ؛

---

(358) *Antt.*, VIII 3, 9, XV 11, 3; XX 9, 7, *Bell. Jud.*, V 5, 1,

يُقارن:

Dalman, *Orte und Wege*[3], pp. 310f.

(359) يُنظر:

Antt., VIII 3, 9.

(360) *Bell. Jud.*, I, 21, 1; V 5, 1;

ولا نعرف إن كان،

Ibid., V 5, 1;

إذ يذكر التوسعة الشمالية، يقصد البناء الذي بناه هيرودوس أم سواه.

(361) سفر نحميا (8:2).

(362) سفر سيراخ (1:50 وما يليها).

(363) سفر المكابيين الأول (60:4؛ 26:6، 62؛ 11:10؛ 52:13).

إذ إن المكان مشمس وكثير الهواء، ويقتضي استخدامه بيدرًا، بطبيعة الحال، أن تكون قمته صخرية، وألا تكون أرضه صالحة للزراعة. ومن البدهي أن التلة كانت ملائمة لإقامة معبد كبير مثل الذي بناه سليمان، حتى وإن لم يكن داود قد أمر بذلك كما يروي سفرا أخبار الأيام(364) الأول والثاني. ولا تتفق قياسات الهيكل الواردة في الروايات اليهودية، وفي الفصل "مِدّوْث" من المِشنا التي يمكن استخدامها لوضع مخطط للهيكل وأفنيته كما كان عليه قبل أن يدمره الرومان، مع قياسات الهيكل اليوم بفناءَيه(365)، بل تثير تساؤلات مهمة. ويشكل الفناء الخارجي للمعبد، المسمى "جبل البيت"، مكانًا، لا يصل جنوبًا إلا إلى الطريقين الصاعدتين من المدخلين القديمين، بل إنه لا يتجاوز من الجهة الشمالية الساحة العلوية الحالية للحرم القدسي. فيبدو أن الناس لم يعتبروا الأماكن الأخرى الواقعة في الجهتين الشمالية والجنوبية جزءًا من المعبد، ويتفق مع هذا من الجهة الشمالية أن الخندق (ص 113 أعلاه) يلي هذه المنطقة مباشرة، وهو الذي يمثل النهاية الطبيعية لمنطقة الهيكل. أما من الجهة الجنوبية، فيبدأ من عند الطريقين الصاعدتين سفح التلة الشرقية؛ ذلك السفح الذي لم يكن، في الأغلب، جزءًا من المعبد الأصلي. فتوسعة هيرودوس لفنائه الخارجي لم تكن ملزمة من وجهة نظر الشريعة اليهودية. كما أن الساحة العلوية الحالية لا تطابق تمامًا الفناءين الداخليين للمعبد القديم، إذ إنها تستطيل من الجهة الشمالية، كما أنها تبتعد، على الأرجح، عن الطرف الغربي للفناء الخارجي، أكثر من الفناءين الصغيرين، إذ إن اليهود يرون أن الفناء الخارجي كان أضيق ما يكون في الغرب، وأعرض ما يكون في الجنوب، وأضيق في الشمال منه في الشرق، وأضيق في الشرق منه في الجنوب(366). كما أننا لا نجد في الساحة العلوية الحالية المساحة المنخفضة الواقعة شرق الفناء الداخلي للهيكل المسماة

(364) سفر أخبار الأيام الأول (31:21) سفر أخبار الأيام الثاني (1:3).

(365) يُنظر رسمي للهيكل كما جاء وصفه في المشنا في ساحة الهيكل الحالية في:
PJB (1909), p. 55,
وإن كان ينبغي إزاحة الهيكل الداخلي إلى الغرب.

(366) Midd. II 1.

"دار النساء"[367] التي عُدت إضافة متأخرة[368]، لكنها كانت تعد، في الوقت نفسه، جزءًا أساسيًا من الهيكل[369]، وهي التي عُدت في أيام يَهوشافاط "الدار الجديدة" التي بُنيت إلى جانب الدار القديمة (سفر أخبار الأيام الثاني 5:20)[370]. ولا بد من الإشارة إلى أن الشكل الحالي لِـ "الهيكل" لا يستند تمامًا إلى شكل المكان كما كان في الفترة الهيرودية، وإنما إلى الشكل الذي اتخذه بعد إعادة بناء الرومان له. فلمّا كان العمل المسمى كرونيكُن بَسكاله (*Chronicon Paschale*)[371] [عرض للأحداث وفقًا لتسلسلها الزمني ظهر في عام 630 في الإمبراطورية الرومانية الشرقية باللغة اليونانية] يذكر أن مدينة إيليا كابيتولينا التي أسسها هادريان كان فيها "دوديكابيلون" الذي كان يسمى قبل ذلك "درجات" (ἀναβαθμοί)، كما كان فيها "كودرا" (أي كوادرا)، فهذا يعني أنه كان في القدس الرومانية بناء له اثنا عشر بابًا. وأيسر الأمور هو أن نفترض أن مكانه كان، على الأرجح، في ساحة الهيكل [الحرم القدسي][372]. ولا نجد حاجة في عد اثني عشر بابًا للمكان؛ إذ إن له اليوم أحد عشر بابًا مفتوحًا، وثلاثة أبواب مغلقة[373]. وشملت أعمال تسوية المكان نقل

---

(367) لم يسمَّ الفناء بهذا الاسم لأن استخدامه كان مقصورًا على النساء، وإنما لأنه ما كان ينبغي على النساء، عادة، تجاوز حدوده. يُنظر:

Josephus, *Antt.*, XV, 11, 5; *Bell. Jud.*, V 5, 2,

ولكن يُقارن:

Tos. Erach. II 1; *PJB* (1909), p. 34; Dalman, *Orte und Wege Jesu*^{3}, pp. 313, 315ff.

(368) Schebu. II 2; Tos. Schebu. II 8; b. Hor. 5^b; Pes. 92^a; Jeb. 7^b; Zeb. 32^b;

يُقارن:

j. Erub. 22^c.

(369) Kel. I 6-9; Bem. R. 7 (37^a); Siphre, Num. 1 (Friedmann ed. 1^b);

يُنظر:

PJB (1909), pp. 33f.; Dalman, *Orte und Wege Jesu*^{3}, pp. 304ff.

(370) b. Pes. 92^a, Hor. 5^b.

(371) Migne, *Patr. Gr.* 92; Sp. 613.

(372) يجعل فنسنت (Vincent, *Jérusalem* II, p. 13) منه سيركًا أو مسرحًا، مع أنه لا توجد شواهد أخرى تدل على مثل هذا البناء، ويرى أن المقصود بِـ "الدرجات" هي مقاعده. إلا أنه لا توجد شواهد أخرى على تسمية مثل هذه المباني نسبة إلى مداخلها أو إلى مقاعدها. أما الكودرا، فيرى فنسنت أنها ساحة الهيكل نفسه.

(373) مجير الدين (Sauvaire, *Histoire de Jérusalem*, pp. 127ff.)، يعد ثمانية أبواب في الجهة الغربية، وثلاثة في الشمالية، وواحدًا في الشرقية، ومجموعها اثنا عشر بابًا.

الجزء البارز من الصخر الذي كانت تقوم عليه قلعة أنطونيا عند الزاوية الشمالية الغربية (يُنظر ص 114 وما يليها) خاصة أن وجود القلعة بات في هذا الموضع نافلًا بعدما انتقل موقعها إلى المدينة. وعلاوة على ذلك، هدف هذا الإجراء إلى الحؤول دون إعادة استخدام هذه البقعة منعًا باتًا، بعدما جُعل معسكر الفرقة الرومانية على التلة الغربية معسكرًا دائمًا. وبناء عليه، تكون الكودرا هي الساحة العليا الواقعة في الوسط التي ينبغي أن تعد وحدة قائمة بذاتها، ويمكن أن تكون قد أُزيحت قليلًا عن الطرف الغربي، ليسهل تدمير الهيكل اليهودي تدميرًا تامًا، وهو العمل الذي تنسبه الكرونيكُن إلى هادريان. وجاء عن الحاخام تنحوما[374] أن هادريان رمى حجارة الهيكل خارجًا. ولا بد أن تسمية الدوديكابيلون القديمة "الدرجات" راجعة إلى سفر أعمال الرسل 35:21، 40) وإلى وجود الدرجات المحيطة بفناء الهيكل الداخلي التي يذكرها هيرونيموس (Hieronymus) في تعليقه على المزمور 119، وكذلك الأدبيات اليهودية[375].

أما معبد جوبيتر، الذي يذكر ديو كاسيوس 69:12, 1 (Dio Cassius) أن إقامته في مكان الهيكل القديم هي التي تسببت في قيام ثورة باركوخبا اليهودية[376]، فإن الكرونيكُن لا تذكره، كما أنها لا تذكر معبد أفروديت في المدينة، ربما لأنها قصرت الكلام على المباني التي بناها هادريان التي كانت لا تزال قائمة حتى فترة لاحقة. ولكنْ، ليس ثمة شواهد أخرى على وجود هذا المعبد؛ إذ إن عبارة الحاج من بوردو[377] القائلة: "في المعبد نفسه (*in aede ipsa*)، حيث كان هيكل سليمان"،

---

(374) Deb. R. 3 (18[b]).

(375) Midd. II 3; b. Sabb. 115[a]; Sanh. 11[b]; Ab. z. 10[a].

يُقارن:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], p. 314,

حيث اقترحت أن الدوديكابيلون هو الساحة العليا، وأن الكودرا هي المكان كله.

(376) يُقارن:

Strathmann, *PJB* (1927), p. 105;

وإذا صح الخبر عن أن السامريين أعاقوا السماح ببناء الهيكل اليهودي (Ber. R. 64, 136[a] f.)، فلا بد أن ذلك قد حصل قبل بناء معبد زيوس. يُنظر:

Derenbourg, *Histoire de la Palestine*, pp. 416ff.

(377) Geyer, p. 22.

الذي رأى أمام المذبح آثار دماء زكريا الذي قُتل بين المذبح والهيكل (إنجيل متى 23:35؛ سفر أخبار الأيام الثاني 24:20 وما يلي) عبارة غير واضحة الدلالة[378].

ولسنا على يقين إلا من أن تمثالين لهارديان كانا ينتصبان في هذه المنطقة، بحسب كلام الحاج[379]، وبحسب شرح هيرونيموس على سفر إشعيا (2:9) وعلى إنجيل متى (24:15) تمثال لجوبيتر وآخر لفارس في مكان قدس الأقداس. وتجد اليوم بالقرب من باب القدس الجنوبي نقشًا مكرسًا لجوبيتر سِرابيس تكريمًا لتراجان كُتب في عام 116 ميلادية[380]، ربما كان جزءًا من تمثال لجوبيتر. وفي منطقة الهيكل القديم، يوجد، كما روى الحاج كذلك، *lapis pertusus* [الحجر المثقوب] الذي كان اليهود يقيمون عنده سنويًا حفل ندبهم. فإذا كان هذا الحجر هو نفسه الصخر الظاهر الآن في قبة الصخرة، وأغلب الظن أنه كذلك، فيغلب إذًا أن معبد جوبيتر كان قائمًا إلى الشمال قليلًا، في وسط الساحة العليا اليوم. وفي أي حال، ما لبث هذا المعبد أن اختفى في عهد الأباطرة المسيحيين. أما في فسيفساء مادبا، فلم يُصور شيء في موقع المعبد. وأما في ما يتصل بالموقع الدقيق الذي كان يقوم فيه مبنى المعبد، فيقول اليهود[381] إن قدس الأقداس كان يقوم

---

(378) يرى إيكآرت أن المقصود هو معبد هادريان، يُنظر:
Eckardt, *ZDPV* (1906), p. 78,
ولكن الأرجح أنه لا يمكن أن يقصد بهذه العبارة إلا مكان المعبد القديم. واللافت في أي حال، أن يوسيبيوس
Theophanie XXIII (Greβmann ed.), p. 201,
يتحدث عن تدنيس معبد السامريين بعبادة الأوثان فيه، ولكنه لا يذكر غير تدمير معبد القدس الذي سيزول ما بقي من أنقاضه القليلة أيضًا، كما جاء في
Theoph. IV.
يُنظر كذلك:
Schlatter, *Geschichte Israel's*³, p. 452.

(379) أحد التمثالين هو تمثال الفارس الذي ذكره هيرونيموس، وربما كان الآخر في الواقع تمثال أنطونيوس الذي تجد نقشه المكرّس له، والذي أورده *Tito Aelio Hadriano Antonino*، مستخدمًا حجارة الجدار الجنوبي لساحة الهيكل.

(380) Thomsen, *Inschriften*, p. 21.

(381) j. Jom. 42ᶜ; Tos. Jom. III 6;
يُقارن:
Dalman, *Neue Petraforschungen und der heilige Felsen von Jerusalem*, p. 135; Jeremias, *Golgotha*, pp. 51ff.

فوق تلك الصخرة، التي تُعد حجر الأساس الأسطوري للأرض. ومن الصعب أن نجعل ساحات الهيكل قائمة شرق الصخرة وما يحاذيها، ما يضطرنا، من باب أولى، إلى افتراض أن مذبح الأضاحي المحروقة في الهيكل القديم كان يقوم على الصخرة[382]، وأن الهيكل نفسه كان يقوم إلى الغرب منها، وبهذا المعنى، لن يكون له متسع عندئذ في الساحة العلوية الحالية. وما يؤسف له جدًا، أنه لم تجرِ حتى الآن تنقيبات في هذه المنطقة، وأن المحاولات السفيهة للعثور على تابوت العهد زادت هذه التنقيبات صعوبة، علمًا أن شق خندق عميق مستعرض يمتد على طول الساحة، كفيل بالكشف عن المعلومات المطلوبة. ولنا أن نفترض، بطبيعة الحال، أن آثار الهيكل القديم زالت كلها تقريبًا يوم رماها اليهود تمهيدًا لإعادة بناء الهيكل اليهودي بعدما أذِن جوليان بذلك في عام 363[383]، إذ إنهم عدّوها نجسة.

والراجح أن قصر الملك سليمان كان يقع إلى الجنوب من الهيكل، على قمة التلة، بما في ذلك الفناءان الداخلي والخارجي (سفر الملوك الأول 7: 8، 12)، علمًا أن الخارجي كان في الغالب يحوط الفناء الوحيد للهيكل آنذاك. وثمة متسع للقصر في ذلك الجزء الممتد من الشمال إلى الجنوب بطول 175 مترًا، والواقع جنوب الساحة العليا.

ويرجح أن توسعة هيرودوس موقع الهيكل وبناءه البازيليكا الضخمة[384] هما اللذان غطيا المنحدر الطبيعي للتلة الواقعة في الجهة الجنوبية من موقع الهيكل الذي ظل حتى ذلك الوقت مكشوفًا، يُظهِر كيف كانت تلة الهيكل تجري إلى نهايتها في الاتجاه الجنوبي الشرقي (*F* 6). وهذا يتفق مع اسم ذاك الحي من المدينة الواقع في هذه المنطقة، أي "عوفِل" الذي لا بد أن يكون مشتقًا من كلمة "عوفِل" [أوفل أو تلة الضهور اليوم] والتي تعني "تورمًا"، أو "نتوءًا"، مع أن هذه الكلمة باتت تصف، شأنها شأن الكلمة اليونانية αρχᾶ، قمة محصنة أو قلعة بحسب

(382) Dalman, *Neue Petraforschungen und der heilige Felsen von Jerusalem*, pp. 137ff.

(383) Ammianus Marcellinus XXIII 1;

يُنظر:

Couret, *La Palestine sous les Empereurs Grecs*, p. 69.

(384) *Antt.*, XV 11, 5.

شواهدها في سفري إشعيا (14:32)، وميخا (8:4)، وفي نقش ميشع، وفي أغلب الظن في سفر الملوك الثاني أيضًا (24:5). وأُسمي بهذا الاسم موقع محاط بسور على التلة الشرقية في القدس، جاء ذكره في سفري أخبار الأيام الثاني (3:27) ونحميا (27:3)، كما ورد الاسم في سفر أخبار الأيام الثاني (14:33) اسمًا لحي في المدينة، يحوط به "السور الخارجي" الذي بناه مَنَسَّى. وذكر سفر نحميا (26:3 وما يليها، و21:11) أن عبيد الهيكل كانوا يسكنون هناك، في منطقة "باب الماء"، حيث كانت الطريق تهبط منه إلى عين جِيحون المسماة اليوم "عين إم الدَّرَج"، وتصل إلى هناك، كما هي حالها اليوم، من جهة الشمال. ويذكر يوسيفوس بجلاء تام في أثناء حديثه عن المنطقتين اللتين تولاهما قائدا القدس المدافعة عن حريتها، أن "أُفلاس" (بالآرامية "عُفلا")[385] تقع في محاذاة الهيكل تمامًا، حين يقول إنها والهيكل كانا من حصة يوهانس، في حين كانت الأكرا، أو المدينة السفلى [تقوم عليها اليوم حارة النصارى] حتى قصر هيلينا، تابعة لشمعون[386]، مثلما يفرق، في موضع آخر، بين "أوفلاس" من جهة والأكرا وقصر هيلينا من جهة أخرى[387]. وكذلك في وصفه مجرى سور القدس "القديم"[388]، يُقصد بكلمة "أُفلاس" تلك المنطقة التي يتصل فيها السور الشرقي للمدينة الممتد من الجنوب بالسور الشرقي للهيكل. وبناء عليه، فإن تسمية بقية التلة الشرقية كلها باسم "عوفل"، بما في ذلك امتدادها الشرقي الذي سنتحدث عنه لاحقًا، التي باتت تسمية رائجة أخذت بها خريطة القدس الإنكليزية الجديدة، تسمية لا مسوغ تاريخيًا لها. وكذلك حال الرواية اليهودية المفرطة في مبالغتها التي تقول إن في إمكان من يقف على قمة العوفِل، بعد المطر الشديد، أن يؤرجح قدميه في ماء وادي قِدْرون[389]، ولا يُقصد

(385) يترجم الترجوم على سفر صفنيا (10:1) (MS Or. Br. Mus. 2211) الكلمة العبرية "هَمشنه" بكلمة "عُفلا" [الآرامية]، أي أنه يساوي بين المدينة المزدوجة وعوْفِل.

(386) *Bell. Jud.*, V 6, 1.

(387) Ibid., VI 6, 3.

(388) Ibid., V 4, 2.

(389) j. Taan, 67ª; b. Taan. 22ᵇ; Tos. Taan. III 1.

يُقارن:

Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, p. 203.

بذلك إن كان واقفًا في مكان منخفض من التلة الشرقية، بدليل قول الرواية نفسها إن من الممكن الهرب من المدينة إلى تلة الهيكل في الظروف نفسها(390). أما القول إن قمة العوفِل تنتصب عالية فوق وادي قِدْرون، حتى أن الرجل الراكب دابة في الوادي يبدو في حجم بيضة القمل(391)، فلا يرقى إلى درجة الصحة، على ما قاله الحاخام بار حنا الذي يروي ذلك كمن عاشه بنفسه؛ إذ إن الارتفاع لا يزيد في أي حال على 70 إلى 80 مترًا.

يمثل "السور الخارجي" الذي بناه مَنَسَّى محاولة قديمة لجمع أحياء المدينة القديمة في التلة الشرقية في وحدة واحدة. وذكر سفر أخبار الأيام الثاني (33:14) أن السور امتد من جيحون إلى مكان ما قرب باب السمك شمالًا. ولمّا كان السور جرى "في الوادي"، فهذا يعني أنه لم يكن موجودًا على أطراف قمة التلة. ولا بد أن "السور الآخر" الذي بناه حزقيا (سفر أخبار الأيام الثاني 32:5) كان يتبع المسار التحصيني عينه الذي يُفترض أن حزقيا ما كان يغفل عنه. ويغلب أن هذا السور هو نفسه السور المسمى كافيناثا الذي بناه يوناثان الحشموني بعدما انهار السور عند الجدول في اتجاه الشرق (سفر المكابيين الأول 12:37). ويمكن أن يُشتق اسم السور من العبارة الآرامية ("حومِتا") "كافيْلِتا"، أي (السور) "المزدوج". وربما كانت قطعة من السور اكتُشفت على بعد 15 مترًا تقريبًا شرق الباب الذهبي(392)، حيث يبلغ ارتفاع الأرض 710.8 أمتار.

فإذا أخذنا هذه البيانات كلها في الاعتبار، ثم أضفنا إليها أن سفر ميخا (4:8) يعد "عوفِل ابنة صهيون" التي هبطت إلى برج القطيع مكانَ المُلك القديم في القدس، عندها يمكن القول إن "عوفِل" كان في الأصل اسمًا خاصًا لذاك الجزء من

---

(390) Taan. III 8; j. Taan 66^{d}; b. Taan. 23^{a},

وهو أمر قد يضطر إليه الساكنون في وادي المدينة.

(391) b. Taan. 22^{b}.

(392) Wilson & Warren, *The Recovery of Jerusalem*, pp. 156f., Warren, *Excavations*, *Pl.* XI;

ويعتقد كومل:

Kuemmel, *Materialien*, p. 89,

أنه يمكن أن يكون جزءًا من سور أغريبا، ولكنَّ ذلك السور لم يصل إلى هذه المنطقة.

التلة الذي كانت تقوم عليه قلعة سليمان. وفي مرحلة ما بعد السبي، عندما أصبح الهيكل هو الوحدة المعمارية السائدة في تلك المنطقة، التي حصلت لاحقًا على تحصين خاص بها (يُنظر أعلاه)، اقتصر استخدام اسم عوفِل على طرف التلة الواقع في خارج منطقة الهيكل، الذي عادت مساحته فتقلصت يوم وسع هيرودوس منطقة الهيكل توسيعًا كبيرًا في اتجاه الجنوب. وبما أن قلعة سليمان شملت في يوم من الأيام الهيكل ضمن أسوارها الخارجية أيضًا، فمن الممكن أن تكون التسمية [عوفِل] قد انسحبت على تلك المنطقة أيضًا، ولم تنتف عنها إلا بعدما لم تَعُد مقرًا ملكيًا.

منذ أن وصف كتاب أخبار الأيام موقع الهيكل باسم "جبل مُريّا"[393]، فجعلوه بذلك موقع التضحية بيتسحاق في أرض "هَموْريّا" (سفر التكوين 22:2)، باتت هذه المطابقة بين المكانين راسخة لدى اليهود، وتجدها لدى يوسيفوس[394]، وسفر اليوبيلات [من أسفار الأبوكريفا، والأبوكريفا كلمة يونانية تعني "أمور تم إخفاؤها" وتترجم إلى الكتب المنحولة أيضًا، وتشير اليوم إلى نصوص دينية غير معترف بها] (13:18)، ولدى الأدب الرباني[395]، مع أن هذه التسمية لم تكن شائعة قط، وما عادت إلى الظهور في الأدبيات إلا منذ عصر الحملات الصليبية[396]. وفي الواقع، فإن السياق في سفر التكوين (4:22) يحفزنا من باب أولي على البحث عن مكان بارز من بعيد في الأرض التي يجب البحث فيها. وقد فهمت الترجمة السبعونية والترجمة المسيحية الفلسطينية هذا الموضع على أنه يشير إلى "أرض عالية" (بالعبرية: "اِرص ها - رامِيًّا")، وحمله المترجم السرياني على أنه يشير إلى "بلاد الأموريين" (بالعبرية: "اِرص ها - أَموْريًّا"). إلا أن جبل الهيكل لا يمتاز بإشرافه على الأماكن الأخرى، لأن أعلى نقطة فيه ترتفع 743.6 مترًا، وهي أدنى بمقدار 33 مترًا من التلة الغربية للمدينة، كما أن النقطة الأعلى في القمّة الشرقية أخفض بنحو 66 مترًا عن جبل الزيتون. وللجبل إطلالة أكثر انفتاحًا من جهة الجنوب

(393) سفر أخبار الأيام الثاني (1:3).

(394) *Antt.*, I 13, 1; VII, 13, 4.

(395) Ber. R. 55 (117ª f.); j. Ber. 8ᶜ; b. Taan. 16ª; Pirke Rabbi Eliezer 31; Midr. Tanchuma on Genesis 22:2; Targ. Onk. Jer. I. II on Genesis 22:2.

(396) يُنظر:
Johannes v. Würzburg, Tobler, *Descriptiones*, p. 117; Maundrell & Wright, *Early Travels*, p. 472.

وحدها، ولكنْ من هذه الجهة يحجب "راس اِلمِكَبِّر" الذي يزيد ارتفاعه 53 مترًا الرؤية من بعيد. وفي سفر المزامير (2:125) تُشبه الجبال المحيطة بالقدس السور الحامي، وهو تصوير لا يصح إلا إذا كانت المدينة أقل ارتفاعًا من الجبال. وعندما يذكر سفرا إشعيا (2:2) وميخا (1:4) أن جبل بيت يهوه سيعلو مستقبلًا كل ما سواه، فإنهما لا يعنيان بذلك أن تغييرًا سيصيب يومًا ما الشكل الطبيعي لتلة الهيكل. وخلافًا لذلك، فإن سفر زكريا (10:14) يتحدث عن تغير خارجي سيصيب المنطقة؛ إذ يقول إن منطقة يهودا كلها من جَبْع إلى رِمُّون جنوبًا ستصبح منخفضة كغور الأردن، وإن القدس وحدها ستبقى مرتفعة وثابتة في مكانها. ويتحقق الأمر نفسه على نحو آخر، بحسب قول الحاخام يوحنان[397] أن القدس سترتفع ثلاثة فراسخ، أي 16,500 متر، فتغدو بذلك أعلى من أكثر جبال الأرض ارتفاعًا بمقدار الضعف.

في الأدبيات اليهودية التالية للفترة التوراتية[398]، يظهر مسمى "جبل البيت"، وبالعبرية "هار هَابَّيت"، وهو اسم يُطلَق على ذلك الجزء من الهيكل الذي لم يكن مقدسًا بالمعنى الدقيق للكلمة. وهذا الاسم صيغة مختصرة للاسم "هار بيت هَمِّقْداش" أو "جبل البيت المُقدَّس"، وهو يدل على أن اسم الهيكل فرض نفسه في الواقع على أي اسم آخر. وينبغي أن يُعد الاسم الفعلي للتلة الشرقية كلها جبل صهيون، وإن كنا لا نستطيع القطع إن كان الاسم "صهيون" اسمًا لموقع نشأ على امتداده الجنوبي، ثم صار اسمًا للتلة كلها، أم كان اسمًا للتلة، ثم صار الموقع يسمى به. ويرجَّح أن لكلمة "صهيون" المعنى نفسه كما لكلمتي "صِيّا"، و"صايون"، أي "الأرض القاحلة"، وهو وصف ينطبق عليها. فالتلة الشرقية اتسمت بأنها أرض صخرية لا يمكن زراعتها. وعندما تجد أن سفر الملوك الأول (1:8) يسمي مدينة داود صهيون، فهذا لا يدل إلا على أن صهيون أصبح اسم علم لمكان، وما عاد

---

(397) b. Bab. b. 75b.

(398) Kel. I 8; Midd. II 1; Par. III 3. 6; Tos. Kel. Bab. k. I 12; Siphre, Num. 1 (1b) Horovitz ed., p. 4; Bem. R. 7 (37a);

يُقارن:

PJB (1909), p. 38; Dalman, *Orte und Wege Jesu*3, pp. 304ff.

الناس ينظرون إلى معناه اللغوي. أما إشعيا (12:10)، فيذكر جبل صهيون بوصفه كيانًا مستقلًا إلى جانب ذكره للقدس. ويذكر سفر المكابيين الأول[399] جبل صهيون بوصفه جبل الهيكل، مفرقًا إياه عن مدينة داود، أو عن قلعة الأشوريين[400] التي لم تكن، في أي حال، بعيدة عن الهيكل، وكان في الإمكان الفصل بينهما بسور[401]. وكذلك كان جبل صهيون هو مكان الهيكل في سفر اليوبيلات[402]، ونجد ذلك مجددًا في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي (1:14) عندما يقف الخروف على جبل صهيون ومعه مئة وأربعة وأربعون ألفًا، في حين توجد معصرة غضب الإله العظيمة "خارج المدينة" (20:14). وهذا لا يمنع من أن إشعيا سبق له أن استخدم صهيون وجبل صهيون اسمَين للقدس في سياق ذكره المنزلة الفريدة للهيكل في العالم (5:4؛ 6:28)[403]. وهو إنما يذكِّر بهذه الصفة للقدس حين يورد "جبل ابنة صهيون" (32:10؛ 1:16)، أو عندما يؤنب القاطنات فيها (16:3 وما يليها؛ 4:4). وقد حفز هذا الموضع كتاب عزرا الرابع (7:10، 44) على استخدام اسم صهيون اسمًا للقدس، وإلى القول إن المسيًّا [المسيح] سيظهر على جبل صهيون (35:13)، انسجامًا مع ما تذكره المزامير (6:2؛ 13:132، 17) عن أن جبل صهيون كان مقرًا للإله وللملك كليهما. ويُستدل من تجنب يوسيفوس الدائم هذا الاسم انصرافه عن مثل هذا التصور المثالي، لأنه ما عاد متداولًا في الحياة العادية، مع أنه ظل مستخدَمًا في الاسم المؤنث "شيلام صيّوْن" أي "سلامة صهيون"[404].

---

(399) 1. Makk. 4, 37. 60; 5, 54; 6, 48. 62; 7, 33; 10, 11; 14, 26.

(400) 1. Makk. 1, 33; 7, 32; 14, 36.

(401) 1. Makk. 6, 18; 12, 36; 14, 36.

(402) Jubil. 4, 26; 8, 19; 18, 13.

(403) يُقارن: المزمور 3:48، 12 وما يليها؛ 2:87، 5؛ 1:126.

(404) يُنظر:

Klein, *Jüd.-pal. Corpus Inscriptionum*, pp. 12, 27, 30;

وكان هذا أيضًا اسمًا للملكة سالومة ألكسندرا، كما جاء في:

Vaj. R. 35 (97^b); Siphra Bechuḳḳothaj 1 (110^d), b. Sabb. 16^b;

ويحول يوسيفوس الاسم في:

Antt., XVIII 5, 4;

إلى سلامبسيو، يُقارن:

Dalman, *Jesus-Jeschua*, p. 13.

وتجد في الصور *D* 5 = *M* 790, *D* 6, *M* 780, *D* 16 = *M* 792 صورًا عامة لتلة الهيكل، وصورة للقدس في نطاقها الشمالي الشرقي في الصورة *RA*.

ويتصل بالتلة الشرقية من جهة الجنوب امتداد نحو اتجاه الجنوب تمامًا، لا يزيد عرضه على 100 متر، ولكن طوله يبلغ 500 متر، وتنخفض قمته من ارتفاع 706 أمتار تقريبًا إلى ارتفاع 660 مترًا. وبناء عليه، فهي تمثل أخفض مكان في نطاق المدينة القديمة (*F* 6). ومع ذلك، لا بد لنا من أن نعد هذا الموقع مدينة داود القديمة، وهو يقع اليوم خارج المدينة، من غير هيئة الوحدة الجغرافية المستقلة، لأن تراكم الردم والتربة المنجرفة من الوادي الذي يحاذيه من الغرب، يجعله يبدو اليوم كما لو أنه الطرف السفلي من التلة الغربية. ولا يزيد عمق هذا المنخفض، الذي بات يمثل هذا الوادي، عند خط قمة الامتداد الذي يجدر أن نسميه تلة مدينة داود، على 6 إلى 18 مترًا. ولكن وارِن لم يعثر على الأرضية الصخرية جنوب السور الجنوبي للمدينة الحالية، حيث ينبغي أن يمر الوادي، إلا على عمق 24.5 مترًا[405]. وعلى بُعد 120 مترًا من ذلك، رأى كروفوت (Crowfoot)[406] أن الأرضية الصخرية للوادي تنخفض 8.63 أمتار، أي 17.73 مترًا تحت قمة التلة، بل إن الأرضية الصخرية على بعد 300 متر من سور المدينة تنخفض 21.34 مترًا عن مستواها الحالي، أي أنها تنخفض 30.78 مترًا، وليس 9.45 أمتار عن قمة التلة، بحسب ما ذكر بلِس[407]. وينخفض الصخر عند الطرف الجنوبي للتلة 15.24 مترًا عن مستوى الطريق المفضية اليوم إلى هناك، أي 37.49 مترًا تحت أقرب قمة من قمم التلة. وبناء عليه، فمن الثابت أن تلة مدينة داود كان لها من الجهة الغربية منحدر شديد يتراوح ارتفاعه بين 15 و30 مترًا، وكان يضفي على التلة مظهرًا حصينًا، حيث كان له من الجهة الغربية، من عند وادي قِدْرون، سفح ينحدر انحدارًا شديدًا من 60 إلى 30 مترًا. وبطبيعة الحال، لا بد أن يؤخذ في الحسبان أن الإبقاء على قيعان الوادي سالكة لمرور ماء المطر مرهون بعدم وجود سدود على

---

(405) بحسب مخطط مؤرخ في 24 أيلول/ سبتمبر 1868 (نسخة عن شيك). يُنظر:
PJB (1915), p. 60.

(406) *PEFQ* (1928), p. 12.

(407) Bliß, *Excavations*, pp. 169, 102.

طول مجرى الوديان لتجميع مياه الأمطار، ولا حواجز من الأتربة والطمم. ولا بد أن عملية ردم الوادي الذي كان مسكونًا في المنطقة المشرفة على التلة وطمره بالأتربة المنجرفة بدأت في القديم، حتى باتت مكتملة اليوم، حتى أن سكان قرية "سِلوان" الذين يملكون هذه الأرض يزرعون التلة والمنخفض بالمحاصيل الحقلية والخضروات من غير أي عائق يعترضهم. وبناء عليه، فإنهم يسمون هذه المناطق "الضْهوْر"، أو "الضْهورة"، وهم يقصدون بذلك قطع الأراضي المفردة التي يسمى كل منها "ضهر" أو "ظَهْر"؛ فقرب سور المدينة تجد، على سبيل المثال، "ظَهْر اِلعَسْكَر"، وإلى الجنوب منه "ظَهْر اِلغول". وخلف هذه التسمية تكمن فكرة أن المنطقة كلها هي "ظَهْر"، وقد سُمي "ظَهْر سِلوان"، مثلًا، لأن "سِلوان" تمتلكه، أو "ظَهْر عيْن سِلوْان"، لأن عين "سِلوان" تنبثق من قاعدته. وأقدم اسم للموقع الموجود على التلة هو قلعة صهيون (بالعبرية:"مِصودَت صِيّون")، واتخذت بعد ذلك اسم "مدينة داود" (بالعبرية: "عير دافيد")، كما يتبين مما جاء في سفر صموئيل الثاني (7:5)، وأخبار الأيام الأول (5:12). ومن جهة أخرى، يتبين مما جاء في سفري الملوك الأول (1:8) وأخبار الأيام الثاني (2:5) أن هذا الاسم لم يحل تمامًا محل الاسم الأول الذي ظل مستخدمًا حتى في الفترة المكابية (يُنظر أدناه). ويُستدل مما جاء في سفري أخبار الأيام الثاني (30:32)، ونحميا (15:3؛ 37:12) أن مدينة داود كانت مطلة على بركة سِلوان وعلى بستان الملك، أي على الطرف الجنوبي للتلة الشرقية. وكان يوسيفوس أول من نعت القدس كلها، متعمدًا، بأنها مدينة داود، وجعل قلعة اليبوسيين وسكن داود موجودين على التلة الغربية[408]. وهذا يدل على أن الوادي الواقع بين التلتين كان قد امتلأ جزئيًا منذ ذلك الحين، ولم يبدُ أن من المحال أن يقيم داود مقره فوق التلة الغربية الأخاذة التي كانت تقوم عليها "المدينة العليا" وقتئذ. غير أن يوسيفوس ذكر ثلاث مرات[409] أنه كان للامتداد الجنوبي للتلة الشرقية رأس ما عاد موجودًا في زمانه، لأن شمعون الحشموني أزاله بعدما استولى على القلعة التي كان يحتلها الأشوريون حتى لا يبقى ثمة تهديد للهيكل. إلا أن سفر المكابيين الأول لا يذكر شيئًا من ذلك عند

(408) *Antt.*, VII 4, 2; *Bell. Jud.*, V 4, 1.

(409) *Antt.*, XIII 6, 6; *Bell. Jud.*, I, 2, 2; V 4, 1.

حديثه عن استيلاء شمعون على القلعة (13:50 وما يليها)، ما يدفعنا إلى القول أن هذه الحادثة وقعت، غالبًا، في مرحلة لاحقة. ولكن هذا لا يعني أنني أنكر خبر إزالة الرأس نفسه، لأننا لا نجد ذكرًا لقلعة على الامتداد الجنوبي للتلة الشرقية في أخبار احتلال الرومان للقدس، وأما "القلعة" ("أكرا") [قلعة الأشوريين] التي تذكر في أخبار ذلك الاحتلال، فإنما هي "المدينة السفلى"[410]. وإذا تصورت أن الرأس المزال كان مطلًا على عين جيحون، حيث يبلغ ارتفاع التلة حوالى 690 مترًا فوق سطح البحر، فينبغي أن يتراوح ارتفاع الرأس نفسه بين 30 إلى 40 مترًا، حتى يساوي في ارتفاعه ارتفاع تلة الهيكل تقريبًا. إلا أن التنقيبات التي أُجريت فوق التلة لم تبين حتى الآن أن الأمر كان كذلك. والأرجح أن الامتداد الذي يبدأ إلى الشمال برأس ارتفاعه 700 متر، يمكن أن يشكل تهديدًا للهيكل بسبب قربه منه، حتى وإن لم يكن مرتفعًا ارتفاعًا ملحوظًا.

ويتحدث يوسيفوس عن "وادٍ واسع"، كان يفصل تلة المدينة السفلى [تلة صهيون] عن تلة الهيكل المقابلة لها، ويقول إن الحشمونيين ملأوه بالطمم الذي جاءوا به من تلة الأكرا[411]. وقد حفز كلام يوسيفوس هذا الباحثين، وفي مقدمتهم غوته[412]، على الافتراض أنه كان هناك واد ضيق يمر عرضًا من خلال الامتداد الجنوبي لتلة الهيكل، فاصلًا جزءها الجنوبي عنها. وبناء على هذا الافتراض، يكون هذا الوادي هو الحد الشمالي الطبيعي لمدينة داود. واعتقد غوته أيضًا أنه اكتشف فوق عين جيحون حوضًا يتراوح عرضه بين 30 إلى 50 مترًا، ويبلغ عمقه نحو 9 أمتار، وهو يرى أن هذا الحوض يمكن أن يكون جزءًا من ذلك الوادي الضيق. ولا يصح أن نستبعد، بطبيعة الحال، أنه كان لقمّة التلة الشرقية، شأنها في ذلك شأن سلسلة جبل الزيتون، رؤوس عدة، ينفصل

(410) *Bell. Jud.*, V 6, 1.

يُقارن:

Antt., X 5, 4.

(411) *Bell. Jud.*, V 4, 1.

(412) Guthe, *Ausgrabungen bei Jerusalem*, pp. 245, 251ff.

الواحد منها عن الآخر من خلال المنحدرات الموجودة في القمّة[413]، فيكون يوسيفوس قد أوحى بتصور غير صحيح، لو أنه ذكر حديث عن "واد" فحسب، من دون أن يبين صراحة أن التلّتين الثانية والثالثة هما في الواقع جزء من سلسلة التلال نفسها، ولكنه لم يفعل ذلك عند حديثه عن "التلة الرابعة" التي تقع في مقابل قلعة أنطونيا[414]، وهي في الواقع امتداد للتلة الثالثة. وينبغي القول إن الأدلة التي بين أيدينا تبين عدم وجود أي وادٍ مستعرض يفصل الطرف الجنوبي لامتداد القمّة الشرقية فصلًا تامًا، بل إن وجوده أمر غير وارد أصلًا[415]. ويمكن أن يكون هناك منخفض من النوع المذكور أعلاه، خصوصًا إن لم تكن التلة التي تفصل الوادي عن تلة الهيكل موجودة. وبناء عليه، لن يكون المرتفع الجنوبي موجودًا اليوم. لذلك، لن يكون قد بقي للتلة غير منحدر منتظم إلى حد بعيد، وهو الذي يكمل "حشوة الوادي" تلك. ولا يمكن القطع بأي من هذا من غير تنقيبات دقيقة وواسعة المدى للمنطقة الواقعة جنوب الهيكل [الحرم القدسي]، ويظل من المحتمل، في أي حال، أن التصور المبالغ فيه الذي قال به يوسيفوس ومعاصروه عن ذلك الوادي هو ما أوحى لهم بأن الوادي كان مليئًا بالماء، لأن ذلك الوادي لم يكن ظاهرًا للعيان. ولكنْ، من الثابت أن سفح التلة من الجهة الشرقية ينعطف ابتداءً من الزاوية الجنوبية الشرقية للحرم في اتجاه الجنوب الغربي، قبل أن يبدأ الامتداد الجنوبي في اتجاه جنوبي تمامًا. وكان لا بد أن ينعكس هذا أيضًا على سور المدينة الذي يمر من هنا، كما أن تنقيبات وارن[416] أظهرت أن سور المدينة يمتد جنوبًا في المنطقة الواقعة إلى الجنوب من الهيكل مسافة 25 مترًا، لكنه يعود فينعطف في اتجاه جنوبي غربي، ويمضي مستقيمًا في هذا الاتجاه مسافة 220 مترًا. ولمّا كانت تنقيبات ماكليستر (Macalister)

---

(413) يُقارن شروحاتي في:
PJB (1915), p. 61.

(414) *Bell. Jud.* V 4, 2.

(415) على الرغم من ذلك، فإن كيرميس يجعل غدير جِيحون - الذي افترضه - الآتي من المجمع الروسي عبر هذا الوادي الضيق يصب في وادي قِدْرُون. يُنظر:
Kirmis, *Die Lage der alten Davidstadt*, pp. 17ff.

(416) Warren, *Excavations*, *Pl.* V. XL.

ودَنكن (Duncan)[417] قد أثبتت أن السور المتجه جنوبًا يبدأ على بُعد لا يزيد على 45 مترًا تقريبًا، فينبغي أن نفترض أن الانعطاف الذي مقداره 153 درجة لم يبدأ إلا على بُعد 20 مترًا تقريبًا شمال الأسوار التي تجري جريًا مستعرضًا، وتحد الامتداد الجنوبي من جهة الشمال (يُنظر أدناه). والراجح أن مسار السور لم يكن دائمًا منتظمًا في هذه المنطقة. لكن الحديث عن "الزاوية" (بالعبرية: "مِقسوَّع") في سفر نحميا (3:19 وما يليها)، والحديث عن الزاوية الثانية، وعن العطفة (بالعبرية: "بِنَّا") في سفر نحميا (3:24 وما يليها)، وعن البرج الذي يقوم على الزاوية في سفر أخبار الأيام الثانية (26:9) يدل على وجود انعطافات إلى الداخل والخارج ذات زوايا حادة في هذه المنطقة، خصوصًا أن سفر نحميا (3:26؛ يُقارن 12:37 من السفر نفسه) يذكر أن باب الماء يلي ذلك شمالًا. ومن خلال هذا يتضح كذلك ذكر الساحة "رحوب" الواقعة أمام باب الماء في سفر نحميا (8:1، 3) الذي يُفترَض وجوده كذلك في سفر صموئيل الثاني (15:17) عند الحديث عن "بيت هَمِّرْحاب"[418] (المساحة الرحبة)، وفي سفر أخبار الأيام الثانية (32:6).

رأى بعض الباحثين أن ماكليستر ودَنكن عثرا مؤخرًا على الوادي الذي كان غوته افترض وجوده في الصخر، على منخفض يجري مستعرضًا فوق قمة التلة، أسماه ماكليستر "وادي تسيدق"، في الجهة الشمالية الغربية من عين جيحون، على بعد 38 مترًا تقريبًا شمال المكان الذي كان غوته قد عثر فيه على الحوض. ولكنَّ الاطلاع الدقيق على التقارير ذات العلاقة[419] يبين أن الحديث هنا عن حوض مقطوع في الصخر، عرضه نحو 3 أمتار، وعمقه نحو 2.4 متر، أُريد منه أن يطيل مجرى التصريف الطبيعي لكهف من الكهوف، بحيث يتجاوز قمة التلة، وهو يتصل من جهة الغرب بمنخفض مسطح، يتسع تدريجًا، فيهبط إلى وادي المدينة،

---

(417) *Annual* (1923-25), Pläne.

(418) هكذا ينبغي أن تُقرأ العبارة، بدلًا من "بيت هَمرْحاق" التي لا تفيد هنا معنى مفيدًا؛ إذ إن المقصود ليس "البيت الأبعد"، وإنما، في أحسن الأحوال، بيت بعيد. يُقارن:
PJB (1915), pp. 49, 75f.

(419) *Palestine Exploration Fund, Annual* (1923-25), pp. 12f., 31f., *Pl.* I. IV.

في حين لم يُعثر على امتداد له من جهة الشرق، وإنما يُفترض افتراضًا أنه كان يمتد في تلك الجهة. وأسماه دَنكن "واديًا" في رسالة كتبها إليّ في 14/ 2/ 1926:

a slight depression in the rock surface, running from the Tyropoeon Valley to about two thirds across Field 5.

"انخفاض يسير في سطح الصخر يجري من وادي التيروبيين [وادي صانعي الجبن أو وادي الجبّانِين] إلى ما يقرب من ثلثي الحقل الخامس". وجاء في التقرير أن التراب الذي كان يملأ "الخندق" كان فيه كثير من الكسر الفخارية الراجعة إلى العصر البرونزي الأوسط (2000–1600 قبل الميلاد). ومن الجلي أن هذا المنخفض المنبسط الذي لم يكن ظاهرًا للعيان البتة في أيام يوسيفوس، لا صلة له بِـ"الوادي" الذي ذكره يوسيفوس. وأصاب دَنكن في قوله إن ذاك "الوادي" لا يمكن أن يكون بعيدًا هذا البُعد كله عن الهيكل، وإنما يفترض أنه كان يقع على بعد 100 متر شمالًا، قرب الطريق التي تجري في محاذاة سور المدينة الجنوبي، ثم تهبط إلى وادي قِدْرون. ومن المؤسف، مع ذلك، أن التنقيبات الإنكليزية التي أُجريت في الأعوام 1923–1925 لم تَتَّبع النتائج المهمة التي أظهرها في عام 1881 عمل غوته الدقيق.

في الطرف الشمالي لمدينة داود سنجد "المِلّو"، في أي حال، الذي بناه سليمان، كما جاء في سفر الملوك الأول (27:11)، ليسد به شقوق (بالعبرية:"بيْرص") مدينة داود، بعدما كان داود أحاطها بسور ابتداء من المِلّو فداخلًا، كما ذكر سفر صموئيل الثاني (9:5). والمقصود على الأغلب، أنه لم يشمل المنطقة ببنائه هذا، أي المنطقة التي بُني فيها المِلّو بعد ذلك. ولم يتصور الناس، في العهود القديمة أيضًا، أن داود لم يستكمل بناء سوره، فعدوا الفتحات التي ظلت في السور أبوابًا[420]، فتجد الترجوم في هذا الموضع من سفر الملوك الأول (27:11) يترجم كلمة "بيْرص" بكلمة "تَرْعَتا" أي "بوابة"، أو بكلمة "تَرْعاتا" أي "بوابات". ولا يمكن أن يكون المقصود بـ"الشقوق" هو أن الوادي الواقع في الجهة الغربية من مدينة داود يمثل نقطة ضعف فيها، لأنها كانت لا تزال قائمة

(420) b. Sanh. 101ᵇ.

وحدها في الوادي، ولا أن يكون المقصود أن الوادي يمثل فاصلًا بين القدس التي يُفترض أنها كانت قائمة على التلة الغربية، وبين مدينة داود، بحيث أُقيم المِلّو ليسد ذاك الوادي[421]. فإما أن يكون المقصود بكلمة "ملّوْ"ثغرة حقيقية كانت موجودة فعلًا في السور، وإمّا أن الناس افترضوا ذلك لاحقًا لأن المنشآت التي أقامها سليمان كانت تقع بين الأسوار التي بناها داود، أو ربما لم تكن كلمة "بيْرص" إلا مجرد لفظة توصف بها الثغرات الضعيفة في تحصينات مدينة داود. وهذه المبالغة ربما تكون قد نشأت عن أن داود أبقى على الجزء الأقوى من السور اليبوسي، الذي ينبغي أن نفترض أنه كان قائمًا عند الطرف الشمالي للقلعة اليبوسية، في حين استبدله سليمان ببناء أفضل منه، ربما يكون قلعة أصبحت تسمى بعد ذلك حصن مدينة داود. ويترجم الترجوم كلمة "مِلّوْ" [العبرية] بكلمة "مِلّيتا" ("مَلّيتا") [الآرامية]، التي يتخذها أيضًا لترجمة كلمة "سوْللا" العبرية أي "جدار الحصار"[422]. ويحمل نص الترجمة السبعونية كلمة "مِلّو" على أنها قلعة "αρχα̈"، وهي اللفظة التي ينبغي في الواقع أن لفظة "مِلّوْ" في سفر القضاة (9:6، 20؛ (يُقارن الآية 46 وما يليها ترد بدلًا منها كلمة "مِجْدال")، وفي سفر الملوك الثاني (12:21)[423]. أما في سفر الأخبار الأيام الثاني (32:5)، يُقارن سفر إشعيا (22:9) فتجعل هذه القلعة ومدينة داود شيئًا واحدًا، إذ يُذكر "مِلّوْ" ومدينة داود جنبًا إلى جنب، باعتبارهما الشيء نفسه.

وكشفت تنقيبات ماكليستر ودَنكن عن المنطقة الواقعة إلى الشمال الغربي من عين جيحون عن ثلاثة أسوار، بحسب ما جاء في تقريرهما المشترك[424]. وأبعد هذه الأسوار شمالًا، يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وهما يعدانه السور اليبوسي الخارجي الذي اخترقه داود. ويمتد موازيًا لهذا السور تقريبًا سور ثان، هو السور اليبوسي الداخلي، ولا يبعد عن الأول إلا مسافة تتراوح بين 6 و10 أمتار، ويقطعه سور ثالث، يمتد من الغرب إلى الشرق، واعتبراه السور الذي

(421) كما رأى فنسنت:
Vincent, *Jérusalem*, vol. 1, p. 185.

(422) سفر صموئيل الأول (5:20).

(423) يُقارن:
PJB (1915), p. 47.

(424) *Annual* (1923-1925), pp. 40 ff.; 79ff.; *Pl.* V. VI.

بناه داود. كما اعتبرا الأنقاض الموجودة في طرفه الشرقي هي نفسها "مِلّو" الذي يُفترض أن سليمان شيده في المكان الذي هدم داود فيه السور اليبوسي الخارجي، في حين افترضا أن سور داود بُني من الجهة الداخلية من هذا النقب. وتقع هذه الأسوار كلها على بعد ما يقرب من 18 مترًا شمال "وادي تسيدق" (يُنظر أعلاه). ولكنْ، على الطرف الجنوبي من هذا الوادي عُثر على بقايا سور رابع عرضه 8 أقدام، كما أخبرني عن ذلك الكاهن دَنكن في رسالة أرسلها إلي، وقد عده سورًا يبوسيًا مغرقًا في القِدم. فإذا أخذنا بهذا التأويل لهذه البقايا، بدا لنا الفهم الذي تقوم عليه الآية من سفر الملوك الأول (27:11) غير طبيعي، كما سيبدو لنا تأويل بقايا السور موضع شك. وفي أي حال، تبقى في هذا كله حقيقة ثابتة، وهي أن أسوارًا كانت تقوم هناك ذات يوم، وتمتد مستعرضة عبر قمة التلة التي يغلب أنها كانت تمثل الحد الشمالي للقلعة اليبوسية ولمدينة داود. ولم تأتِ هذه التنقيبات بأي معلومات أكيدة عن مِلّوْ الذي بناه سليمان. وبناء عليه، ليس لنا إلا أن نفترض أن مِلّو كان يمتد من منطقة الأسوار المكتشفة شمالًا. ومن المؤكد أنه كان يشمل قمة قلعة الأشوريين التي أزالها الحشمونيون. وعادة ما كانت هذه القلعة تسمى باسمها اليوناني "أكرا"، لكن اليهود في فلسطين كانوا يُطلقون عليها اسمًا أضفوا عليه السمة السامية "حَقْرة" (قياسًا، في الغالب، على كلمة "حقلة")[425]، وكان أنطيوخوس الرابع بناها في عام 168 قبل الميلاد لتكون حصنًا للقدس. ويرى سفر المكابيين الأول (33:1؛ 31:2؛ 32:7؛ 36:14) أن مدينة داود نفسها هي تلك القلعة بعدما أضيفت إليها تحصينات جديدة، وكانت تقوم على جبل صهيون (سفر المكابيين الأول 18:6)، وكان من مهماتها الأساسية تهديد الهيكل (سفر المكابيين الأول 36:1؛ 41:4؛ 18:6؛ 36:14)، علاوة على الإشراف على المدينة كلها التي كانت أسوارها كلها قد دُمرت. وحتى بعد أن دمر المكابيون القلعة، في حوالى عام 130 قبل الميلاد، ظلت "أكرا" تسمى قلعة صهيون عالقة

(425) Meg. Taan. II;

وكذلك أسميت قلعة صهيون في الترجوم على سفر صموئيل الثاني (7:5):"حَقْرا دِصِّيوْن". واستُخدمت اللفظة نفسها في وصف قلاع أخرى:

Targ. Jer. I 4; Mos. 13, 20; 32, 17; Arakh. IX 6.

بالتلة، حتى إننا نجد يوسيفوس يذكر أن اسمها أكرا، وأن "المدينة السفلى" تقوم عليها[426].

وبالقرب من الطرف الجنوبي لأكرا، بحسب المكان الذي حددناه لها، كانت تقع قبور الملوك، بحسب سفر نحميا (16:3)، حيث كان داود أول من دُفن هناك (سفر الملوك الأول 10:2)، وكان [الملك] آحاز آخر المدفونين (سفر الملوك الثاني 20:16 خلافًا لما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني 27:28). وكشف فايل (Weill) كهوفًا صخرية في هذه المنطقة تبعد نحو 100 متر عن الطرف الجنوبي للتلة، وترقى إلى سفحها، وتُعد، بحقٍ، من بقايا تلك القبور[427]. ويذكر سفر زكريا (10:14) أن أبعد مكان في القدس جنوبًا هو "معاصر الملك" (بالعبرية:"يِقبي هَمّيْلِخ"). ونميل إلى الافتراض أنها كانت موجودة خارج سور المدينة، لكنَّ تنقيبات فايل في موسم 1923/ 1924 كشفت على مبعدة 20 مترًا عن الطرف الجنوبي لمدينة داود داخل السور معصرة للعنب[428]، وقد قستُ أبعادها في عام 1925. ويريد فايل[429] أن يجعل منها مكانًا لتقديم القرابين تابعًا للقبر الصخري القريب، لكنَّ هذا التفسير لا يتفق مع طبيعة المكان. وهذه المنشأة تشبه المنشأة التي اكتشفها دَنكن في الطرف الشمالي لمدينة داود، التي قررتُ أنها معصرة[430]، وكانت قد بدت له في أول الأمر سجنًا للرهبان. وأقرب من هذا إلى السور الجنوبي نجد حوض ماء مربعًا، ربما كان أساسًا لبرج مساحته 10 أمتار مربعة تقريبًا[431]. ونميل

---

(426) *Bell. Jud.*, V 4, 1; 6, 1.

(427) يُنظر:
Weill, *La Cité de David* (1920), pp. 157ff.; *Pl.* V. XVII-XIX; Dalman, *PJB* (1915), p. 75ff.
ويرى فايل أن قبرًا اكتُشف في وقت لاحق، على بعد نحو 30 مترًا من الطرف الجنوبي للتلة، يعد واحدًا من القبور الملكية، ولكن ليس ثمة دليل بعد على أنه يرجع إلى الفترة نفسها. يُنظر:
Rev. d. Ét. J. (1926), p. 111.

(428) نجدها على الخريطة:
Mount Ophel in Palestine Exploration Fund, Annual (1923-1925).

(429) Weill, *La Cité de David* (1920), p. 112.

(430) *PEFQ* (1926), pp. 7ff.,
وعاد دَنكن ووافقني الرأي.

(431) يُنظر:
= Weill, *PEFQ* (1926), p. 173; *Rev. des Ét. Juives* (1926), p. 106;

إلى أن نقرن هذا البرج بالبرج الذي سقط في سلوان (سفر لوقا 13:4). وعند الزاوية الجنوبية الشرقية للسور يوجد درج نازل[432]، لا بد أن له صلة "بالدرج النازل من مدينة داود" المذكور في سفر نحميا (15:3؛ 37:12)، حتى لو كان "باب العَين" المذكور في سفر نحميا (14:2؛ 15:3؛ 37:12) المتعلق بالطريق المفضية إلى عين روْجِل، لم يُكشف عنه بعد.

وكشفت تنقيبات كروفوت[433] قرب الطرف الشمالي لقلعة صهيّون عن باب غربي يقع في طبقات عميقة ترجع إلى أقدم طبقات القلعة. ووجود الباب في تلك الجهة مفهوم تمامًا، لأن سفح التلة الغربية كان، قبل أن يُسكن، ذا أهمية اقتصادية للقلعة، ولأن الناس كانوا معنيين جدًا، بطبيعة الحال، بالوصول إلى قمة التلة الغربية التي كانت مسكونة حينذاك. إضافة إلى ذلك، فإن الوادي الذي كان يفصل التلّتين بعضهما عن بعض، كان نقطة الوصل الرئيسة للقلعة بطرق المواصلات الكبرى في البلاد التي تأتي من شمال ذاك الوادي. ويرى ألت[434] أن هذا الباب هو "باب الواد" (بالعبرية:"شَعَر هَجَّيء") المذكور في أسفار أخبار الأيام الثاني (9:26)، ونحميا (13:2، 15؛ 13:3)، والذي يقول سفر نحميا (31:12) إن موكب تدشين السور كان يبدأ من عنده. وينطلق ألت في قوله هذا مفترضًا أن القدس لم تكن قائمة في زمن نحميا إلا على التلة الشرقية حصرًا. وقد سبق ألت غيرميه دوران[435] في أنه انطلق من الفرضية نفسها، وسبق ألت في القول إن الباب يقع إلى الشمال عند الطرف الشرقي لتلة الهيكل. وهو يرى أن الباب سمي بهذا الاسم، أي "باب الواد"، نسبة إلى وادي "هِنّوم" الذي عده،

= ويُنظر كذلك:

PJB (1915), p. 68;

حيث نوقش الأمر بحسب الوضع السابق للتنقيبات. يُقارن هناك:

Tafel 2, Abb. 1.

(432) Weill, *PEFQ* (1926), p. 173.

ويُنظر كذلك:

Weill, *La Cité de David* (1920), p. 120; *Rev. des Ét. Juives* (1926), pp. 108f.

(433) *PEFQ* (1928), pp. 11ff.

(434) *PJB* (1928), pp. 87ff.

(435) Germer-Durand, *Topographie de l'ancienne Jérusalem* (1912), pp. 5ff.

موافقًا في ذلك فنسنت[436]، وادي المدينة، في حين يرى ألت أن المقصود هو وادي هِنّوم حقًا، ولكنه يجعل مكانه جنوب القدس، فيكون الباب سمي نسبة إليه لأن الطريق المفضية إلى الوادي تمر عبره. ويبدو لي أن الأقرب إلى الواقع أن يُسمى الباب نسبة إلى الوادي الذي يفضي إليه، خاصة أن وادي إبن هِنّوم يبعد 400 متر. غير أن هذه التسمية تبدو مستحيلة تمامًا، لأن ألت يرى أن الدخول إلى هذا الوادي لا يتحقق إلا من خلال بابين آخرين هما باب الزبل وباب العين لوجود سور يسد مدخله. ولا بد أن باب العين كان في الواقع "باب الواد" لمدينة داود. وقد انتهى ألت إلى تفسير اسم "باب الواد" من خلال فهمه استعراض نحميا لسور [القدس] ليلًا، الذي بدأ من عند "باب الواد" (سفر نحميا 2:13 وما يليها) حيث ترد عند الحديث عن طريق العودة (الآية 15) كلمة "نَحَل" [واد] الذي يُراد به، بحسب ألت، وادي المدينة، أي أنه لم يكن "جَيء". ولكنَّ هذا التوجه في التفسير ما كان ليخطر في بال أحد إلا إذا افتُرض أن القدس كانت في عهد نحميا قائمة على التلة الشرقية حصرًا. فإذا كان باب الواد واقعًا عند الجهة الجنوبية من التلة الغربية، على بُعد ألف ذراع (= 500 متر) من باب الزبل (سفر نحميا 3:13)، فيكون نحميا قد ركب على الطريق المفضية شرقًا إلى عين التِّنين (أي عين روْجِل، يُنظر أدناه) تحت سور المدينة الجنوبي الذي يمتد محاذيًا لوادي إبن هِنّوم، ثم ينعطف عند باب الزبل شمالًا. ثم سعى إلى الوصول من باب العين إلى بركة الملك، أي إلى داخل المدينة، ثم حاول أن يرى شيئًا من السور الشرقي للتلة الشرقية في الوادي (بالعبرية:"نَحَل")، أي من وادي قِدْرون. ولم يتسنَ له ذلك إلا ماشيًا، وهذا ناشئ عن طبيعة المنطقة، كما أنه يبين لِمَ لمْ يمشِ موكب التدشين في هذه المنطقة من فوق السور، وإنما صعد من الدرج النازل إلى مدينة داود (سفر نحميا 37:12)، ثم يعود نحميا إلى باب الواد. فكل شيء يصبح واضحًا على نحو استثنائي عندما ينوي نحميا الساكن على التلة الغربية أن يشاهد ذلك الجزء من سور القدس من دون أن يلفت نظر أحد ممن لا يمكن رؤيته من الأعلى. أما أجزاء السور الأخرى، فكان يعرفها، لأنها تقع في أماكن مرتفعة وعلى دروب مطروقة. وما كان مقدسي اليوم ليفعل إلا ما فعله نحميا؛ فمن سكن

(436) *Jérusalem*, vol. 1, pp. 132ff., Abb. 23.

على التلة الشرقية، ما كان في حاجة إلى رحلة ليلية على ظهر حمار، وإنما كان يكفيه أن يمشي في محاذاة التلة.

ويمكن الاطلاع على تلة القدس الشرقية من خلال الصور الجوية *M* = *D* 5 790، وعلى ساحة الحرم القدسي في الصورة الجوية *D* 6، وعلى الامتداد الجنوبي في الصور 841 .840 .839 .793 .789 *M*.

7 – الامتداد الشرقي للتلة الشمالية

يمثل الامتداد الثالث الشرقي للهضبة الشمالية ارتفاعًا يقع شمال سور المدينة الحالي، ذكر ويلسون أنه يبلغ 2538.4 قدمًا (= 773.7 مترًا)، في حين ذكرت الخريطة الإنكليزية الجديدة أنه يبلغ 770.7 مترًا. ويمكن تمييز هذا الارتفاع من سواه بوجود المبنى القديم لـ "الشيْخ مُحَمَّد اِلخَليلي"، وكذلك معصرة زيت لافتة، وشجرة صنوبر كبيرة تابعة للمكان المقدس المسمى "كَرْم اِلشيْخ" (*E* 6). وتوجد هنا، إضافة إلى ذلك، آثار لبواليع قديمة[437]. وروى بييروتي حكاية عربية تقول إن عزرا (العُزيْر) أعاد هنا كتابة الشريعة الضائعة، ما يدل على أن تأثير سفر عزرا الرابع (37:14 وما يليها) لا يزال ماثلًا. وفي المنطقة، ينبغي البحث عن "نصب القصَّار" حيث ذكر يوسيفوس[438] أنه كان موجودًا قرب الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة آنذاك. ورأى شلَتر (Schlatter)[439] أن المقصود هنا هو الكاهن الأعلى قيافا (هَقَيَّاف)[440] الذي حوّل يوسيفوس اسمه إلى "ςύεφαρχ" (= "قصَّار"). لكنَّ "القصَّار"، بالعبرية "هَكّوْبيْس"، وبالآرامية "قاصيْرا" أو "قَصَّارا" يمكن أن يكون أيضًا لقبًا لرجل غير معروف أُقيم له نُصب هنا. وكان هذا الامتداد قد قُطع عند بناء سور المدينة الروماني ليكون للسور خندق. وتمتد التلة داخل الزاوية المسورة للمدينة، ولكنها تمتد كذلك إلى خارجها من جهة الشرق، وتنتهي جنوبًا

(437) Clermont-Ganneau, *PEFQ* (1874), pp. 95ff., 98ff.; *Arch. Res.* I, pp. 248ff., Macalister, *PEFQ* (1902), p. 120.

(438) *Bell. Jud.*, V 4. 2.

(439) *Zur Topographie und Geschichte Palästinas*, p. 107.

(440) Par. III 5.

عند البركة الكبيرة المسماة "بِرْكِة [بِني] إِسرايين" شمال ساحة الهيكل [الحرم القدسي]. وكانت في الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة خرائب اسمها "بُرْج جِبِل خاني"، بحسب تُبلر[441]، فيبدو أن "جبِل خاني" هو اسم قديم لهذه التلة. ويسمى برج الزاوية "بُرْج لَقْلَق"، لأنه ربما كان يومًا سكنًا لطيور اللقلق. وفقد هذا الامتداد قدرًا كبيرًا من استقلاله الأصلي عما حوله نتيجة لردم الوادي من الجهة الغربية، لكنه لا يزال ملحوظًا داخل الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة وشمال سور المدينة. وقد وصل كوم الطمم الكبير الواقع أمام باب المدينة الشرقي إلى "باب الأَسْباط"، الذي ازداد في الآونة الأخيرة حجمًا بين هذا الامتداد وتلة المدينة الشرقية، بعدما لم تكن هذه الصلة موجودة أصلًا. وافترض إستوري هفارحي (1322) أن هذا المكان هو بوابة من بوابات جهنم الثلاث، وقال عن ذلك[442]: "من هذا الباب، الذي يسميه الناس الآن باب الأسباط، خارج المدينة، عند الزاوية الشمالية الشرقية لجبل الهيكل، يوجد مكان يكسوه الرماد". وربما كان هو ذاك المكان الذي قال عنه سفر إرميا (31:40) عند حديثه عن توسعة المدينة في خلاصنا الثالث: "كل الرماد وكل الحقول". ولمّا كان إستوري قد عد إتنا بابًا آخر من أبواب جهنم، فقد كان الرماد الذي رآه رمادًا نفثه بركان كان موجودًا هنا، لكننا لا نجد أي أثر للبراكين في أرض جنوب منطقة يهودا الكلسية. وربما أصاب لو أنه افترض أن الرماد الذي رآه ناشئ عن الأضاحي التي كانت تقدَّم، بحسب الروايات التي كانت شائعة في زمانه بطبيعة الحال، إلى الشمال من هذا الموقع (يُنظر أعلاه، ص 90). أما في الواقع، فإن وجود كوم من الردم والرماد في مكان باب قديم أمر غير مستغرب، ولا يستدعي تفسيرًا بعيد المأخذ. وكان كوم الردم هذا قد طمر طريقًا قديمة كانت تصعد مباشرة إلى "باب الأسْباط" من جبل الزيتون، ولم يبق ظاهرًا منها غير بضع درجات محفورة في الصخر فوق الزاوية الحادة التي يشكلها الشارع بعد أن يقطع وادي قِدْرون. وقد فسرت روايات أخرى متأخرة بعض الانخفاضات في الصخر نفسه على أنها آثار استشهاد القديس إستيفانوس، ما أدى إلى إقامة كنيسة إستيفانوس اليونانية في هذا المكان.

(441) Tobler, *Topographie,* vol. 1, p. 69.

(442) *Kaphtor waPherach* (Berlin ed.), p. 17^{b}.

يوجد على ذلك القسم من التلة الواقع خارج سور المدينة مقبرة إسلامية، هي "التربة اليوسفية" نسبة إلى شخص اسمه "يوسف" مدفون هناك، ويتميز قبره بإطار فانوس مرتفع. وتلفت النظر من جهة الجنوب البركة الصغيرة التي لم تذكرها المصادر القديمة قط، أي "بِرْكِة حَمَّام سِتْنا مِرْيَم" التي تبلغ أبعادها 28x32 مترًا تقريبًا، والتي يُفترض أنها تجمع الماء لحمّام مريم الواقع في داخل المدينة(443). وقد سمي الحمّام بهذا الاسم نسبة إلى مريم، لأن الباب المجاور يسمى أيضًا "باب سِتْنا مِرْيَم"، وإنما سمي الباب بهذا الاسم بدوره نسبة إلى قبر مريم الذي يقع في الوادي الذي يفضي إليه الباب. وذكر بيدِكِر وبِنتسِنغر أن باحثين كانوا حسبوا هذه البركة "عين التنين" المذكورة في سفر نحميا (13:2)(444)، لكنهم بحثوا عنها في وادي قِدْرون، مقدِّرين أنها الحوض الواقع أمام قبر مريم(445). وتحت البركة تقع، بحسب خريطة فنسنت، الأرض المسماة "حَكورَة الناموريِّة".

ومن المفهوم أن هذا الامتداد الشرقي ما عاد يُعتبر جزءًا من القدس القديمة، وأن المنحدر الذي فصل في الجنوب بينه وبين الامتداد الأوسط، كان يمثل الحد الشمالي للمدينة. وهذا يقضي بأن نتصور بأن سور المدينة الشمالي الشرقي يقع عند الطرف المقابل للتلة الشرقية للمدينة، أي داخل القسم الشمالي من الحرم. وذكر سفر نحميا (31:3 وما يليها؛ يُقارن 19:12) أنه كان في هذه المنطقة بابان: باب المراقبة أو باب "الحراسة" (بالعبرية:"شَعَر هَمِّفقاد"، سفر نحميا 31:4، "شَعَر هَمَّطّارا" سفر نحميا 39:12)، و"باب الغنم"، وكان يقع بينهما "مَصْعَد العَطْفَة" الذي يعني أن السور هناك ينعطف انعطافة حادة. وترد في سفر إرميا (12:37 وما يليها) إشارة إلى نقطة حراسة كانت موجودة في "باب بنيامين" الذي كان يفضي إلى أرض بنيامين، حيث كان الملك أيضًا يقيم أحيانًا (إرميا 7:38). وكان هذا الباب مخرجًا مهمًا موجودًا في الحد الخارجي

---

(443) يُنظر في هذا الخصوص:

Tobler, *Denkblätter*, pp. 435ff.

(444) يُنظر أدناه، *B* 2.

(445) Burchard, L. 68, 74; Fabri, *PPTS*, vol. 1, p. 464.

لقلعة الملك التي كان حبسها موجودًا هناك، حيث حُبس إرميا ذات مرة (سفر إرميا 37:21). وبناء عليه، يمكن القول إن باب الحراسة المذكور في سفر نحميا هو نفسه باب بنيامين هذا، ويمكن الافتراض أن طريقًا مهمة كانت تمر من هنا في اتجاه الشمال (يُنظر أدناه، *C* 1). وبهذا يصبح موقع باب الحراسة قريبًا جدًا، بطبيعة الحال، من موقع الباب الذهبي، بحيث يمكن أن نتساءل إن كان الباب الذهبي بُني في مكان ذلك الباب بحيث يكون الباب الشرقي المذكور في سفر نحميا (3:29) واقعًا إلى الجنوب منه (يُنظر أدناه، *C* 4). لذلك، سيكون "باب الغنم" على الطرف الآخر من زاوية السور مواجهًا الشمال تمامًا، وستكون البركة القريبة من باب الغنم، أي البركة المسماة "بركة بيزاتا"[446] (إنجيل يوحنا 5:2) واقعة خارج السور، هذا إن كانت البركة موجودة آنذاك، ولم تقع داخل المدينة إلا بعد بناء السور الروماني. ويجوز لنا أن نفترض أن قبر الملك ألكسندرياني (المتوفى في سنة 76 قبل الميلاد) كان موجودًا خارج سور المدينة على الطرف الجنوبي من هذا المرتفع، أي في منطقة كنيسة الآباء؛ إذ إن يوسيفوس ذكر أن القبر كان يقع قريبًا من ساحة الهيكل [الحرم القدسي] الشمالية.

يُنظر: الصور الجوية *D* 3 = *M* 776, *D* 4 = *M* 779, *D* 13 = *M* 796, *M* 778. 789. 793.

8 – التلة الغربية

لن نتطرق هنا إلى الامتدادات الجنوبية للتلة الشمالية الغربية التي قد كنا تحدثنا عنها في الصفحة 58 وما يليها؛ إذ إن التلة الغربية تفوق هذه الامتدادات أهمية في ما يتعلق بالقدس. وتحيط هذه التلة بالضواحي اللصيقة بالقدس، وهي تتفرع من رأس المدينة على ارتفاع 815.5 مترًا في مكان قريب من المكان الذي تقوم فيه دائرة الصحة (Department of Health) اليوم، ثم تشرع في الانحدار جنوبًا انحدارًا يسيرًا أول الأمر حتى تصل إلى المدرسة المسماة

(446) يُنظر أعلاه ص 145، وكذلك أدناه، *B* 2.

مدرسة راتِسبُن (Ratisbonne) التابعة لكنيسة القديس بطرس (*E* 4) (على ارتفاع 808.62 أمتار)، ولكنها تعود فتنعطف في الاتجاه الجنوبي الشرقي، وتنحدر على الطريق الموصلة إلى قرية "المالْحَة" لتهبط إلى ارتفاع 795 مترًا. وقد ذُكر لي أن الأرض الواقعة عند مدرسة راتِسبُن تسمى "القَصْعَة"، وأن السفح الواقع شمال الطريق القديمة الموصلة إلى "عيْن كارم"، حيث أُسكن اليهود اليوم في منازل بدائية، يسمى "الجِنْزير". وتتجه التلة بعد ذلك جنوبًا، لتعود فتبلغ فوق مصح المجذومين التابع للكنيسة المورافية [أقدم طائفة بروتستانتية التي يشدد أتباعها على الوحدة المسيحية والتقوى الفردية والتبشير والترتيل] إلى 797 مترًا، ثم تعود فتنحدر جنوبًا، وتنتهي على ارتفاع 740 مترًا. أما المنحدر الشرقي للتلة فيرتفع عند الجهة الغربية من باب يافا ليصل إلى تلة صخرية ارتفاعها 783 مترًا (*E* 5). وتظهر هذه التلة على خريطة التضاريس التي وضعها تسِمَرمَن (Zimmermann) وشيك، وعلى صورتها المعدلة كما عدلها غوته وسوسين، وكما عدلها شيك وبِنتسِنغر منزاحة 70 مترًا تقريبًا في اتجاه الجنوب. ويوجد هناك كهف فيه معصرة زيتون وقبور منحوتة في الصخر. ولنا أن نتساءل لِمَ لمْ يقترح الباحثون عن موقع غولغوثا الذين قالوا إن الموقع التقليدي المقترح غير ملائم، أن يكون مكانها في هذا التل، خاصة أن شكله يشبه "الجمجمة" (يُنظر أعلاه، ص 106). وقد اتخذت هذه التلة وسفحها الشرقي أهمية تاريخية في عام 70 ميلادية منذ أن عسكرت فيها إحدى فرق تيتوس "على بُعد إستادين من برج هيبيكوس"، ويرجح أنها كانت الفرقة الخامسة التي كان يقودها سيكتوس سيرياليس (Sextus Cerealis) الذي أصدر الأمر بالهجوم على الهيكل[447]. وتبين المسافة المذكورة هنا، ومقدارها إستادان أي 384 مترًا، أن الرواية تتفق مع الواقع اتفاقًا لافتًا، خاصة أن التل يقع غرب برج داود تمامًا. وكان السفح الشرقي هذا مكسوًا كله بأشجار الزيتون، إلا أن الجيش البريطاني أزال أكثرها حين أقام معسكره هناك. أما الأرض الواقعة شرق الطريق الواصلة بين

---

(447) *Bell. Jud.*, V 3, 5;

يُقارن:

V 2, 3; VI 2, 5; 4, 3.

مقبرة "مامِلّا" ومحطة القطار، فأُسميت على اسم الأرشمندريت نيكفوروس (Archimandrite Nikephoros) الذي كان قد اشتراها قبل 80 عامًا لحساب الدير اليوناني، فأُسميت لذلك "النكِفوْرِيّة" [النقفورية]، وتسمى كذلك "الكَفوريِة"، و"الكِفريّة"، و"النْكُفْريّة" (*F* 5). وذُكر لي أن الأرض الواقعة غرب هذه الطريق تسمى "كَرْم الحيِّة". أما فنسنت، فحصر هذا الاسم في المنطقة الوسطى تحديدًا، وذكر أن اسم القسم الشمالي منها، حيث أقيم مبنى جمعية الشبان المسيحيين، هو "كَرْم اِلرُّهْبان". وتوجد في مكان متطرف شمالًا من السفح الشرقي كنيسة صغيرة للقديس جاورجيوس، تسمى "مار جِرْيِس"، وتسمى أيضًا "الخَضْر"، ولكنها لا تشغل إلا جزءًا من الحيز الذي كانت تقوم عليه الكنيسة هناك سابقًا. واكتُشفت إلى الجنوب الشرقي من هذا المكان في عام 1892، على ارتفاع التلة قبل انحدارها الأخير، قبور قديمة، أصاب الباحثون عندما عدوها "نصب هيرودوس" الذي قال يوسيفوس إنه كان موجودًا في تلك المنطقة(448)، مستدلين على ذلك بالنمط الفني للتوابيت الحجرية التي عثر عليها هناك، وكذلك بنمط المقابر غير المألوف. ولا نعرف، إن كانت حجرة الدفن التي يمكن رؤيتها من هنا، والواقعة إلى الجنوب تمامًا من هذه المقابر، والمحفورة من ثلاث جهات في الصخر، ذات صلة بهذه المقابر. وغير بعيد عن هذا المكان توجد في الجهة الجنوبية خرائب برج يُسمى "قَصْر اِلعَصْفور"(449)، وإلى الغرب من ذلك يوجد مكان صغير اسمه "خرْبِة أبو وعير"، كما ذُكر لي اسمه، في حين كتب فنسنت اسمه "خرْبِة أبو أُعيْر"، وعلى الأغلب أن هذا هو الاسم الأقدم للمكان(450)،

---

(448) *Bell. Jud.*, V 3, 2; 12, 2.

إذا ما ذكر يوسيفوس هيرودوس، فإنما يقصد بذلك هيرودوس الأول تحديدًا، وبناء عليه، فإن المقصود هنا، على الأرجح، هو عائلة هيرودوس؛ إذ إن هيرودوس الأول مدفون في مكان آخر.

(449) Schick, *PEFQ* (1892), p. 115;

"قَصْر اِلعَصافير"،

Macalister, *PEFQ* (1901), pp. 397ff.

حيث يوجد وصف للخربة.

(450) يُقارن:

Schulz, *Jerusalem*, p. 39.

وحُرِّف بغير وجه حق إلى "خرْبِة أبو وَعِير"[451]. ويغلب أن هذه الأرض كان يملكها في الماضي شخص يُدعى "أبو وُعيْر"، وربما كان هو نفسه الذي قيل لي إن اسمه كان "الوَعْرِي" أو "أبو وَعْر"، وكان مالكًا للمزرعة الواقعة شمال "مار جِرْيِس" التي يلتقيها هنا الآن السد العابر للوادي. وكانت هذه الأرض كلها مملوكة حتى وقتنا الحاضر لأهل "المالحَة". وزعم كوَرِزميوس (Quaresmius) أنه رأى في غرب باب يافا، أي في التلة التي نحن بصددها، خرائب تزيد مساحتها على مساحة القدس نفسها[452]. وكان لا يزال من الممكن حتى قبل الحرب العالمية [الأولى] رؤية بقايا متفرقة من الخرائب في الجهتين الشمالية والغربية. وربما لم تكن هذه الخرائب في واقع الأمرغير أنقاض أبراج الحراسة التي كانت تقوم في أجزاء مختلفة من كروم الزيتون الواقعة على التلة، وربما كان كل منها متصلًا بفناء.

ويقوم على الجهة الشرقية من الطرف الجنوبي للتلة نفسها مبنى لمزرعة ألـ "نِكِفوْرِيِّة"، وتتسع التلة من جهتها الغربية، على ارتفاع 797 مترًا، إلى الشمال من مصح المجذومين المسمى "عون المسيح" (*F* 4). ويسمى هذا الامتداد الغربي حتى المنطقة الواقعة جنوب دير الصليب "اِلطالبية"، وربما جاء الاسم من "طالِب" الذي قد يكون اسم أحد مالكي مبنى المزرعة، مع الأخذ في الاعتبار أن الناس لا تلفظ اسم المكان "الطالْبِيِّة"[453]. ويوجد على التلة التي تكسو أكثرها صفوف صخرية، بركة صخرية قديمة، وبئر صغيرة اسمها "الخابِية". وتنحدر "الطَالْبِيِّة" إلى ارتفاع حوالى 760 مترًا، ثم يحدها بعد ذلك من الجهة الجنوبية الغربية امتداد مستقل بنفسه، يصل ارتفاعه إلى 776 مترًا يمتد حتى يصل إلى "وادي اِلصَّرار". ويسمى الجزء الأول من هذا الامتداد "حَرِيقِة اِلقوْس"، وتقوم عليه عدا "خِرْبِة بْراميا" و"خرْبِة الجَواريش". ومن أهم ما يوجد على هذا الامتداد بشكل خاص المقر الصيفي للبطريرك اليوناني المسمى "قَطَمون" (*G* 3)، وهو الاسم الذي يلفظه الأوروبيون "قَطَمون"، ويرجع الاسم إلى اللفظة اليونانية

(451) كما ورد في قائمة الأسماء *SWP*.

(452) *Elucidatio*, IV 1, 17.

(453) ذكرها شيك وبِنتسِنغر باسم "إِطالَبِيِّة"، وفنسنت باسم "اِطالْبِيِّة" [مع تسكين اللام].

Kατaμόναϛ. ويرجع تاريخ المبنى الحالي إلى عام 1890، ولم يكن تُبلر[454] قد رأى هنا في عام 1845 غير أنقاض. وجرى الناس منذ القرن الخامس عشر على القول أن هذا الموقع هو مكان سكن العجوز شمعون المذكور في إنجيل لوقا (2:25 وما يلي)، بل يدلّون على قبره تحت كنيسة هذه "الصومعة". وما يستحق الذكر أن الناس لا يزالون يسمّون المنطقة الواقعة إلى الشمال الشرقي من "قَطَمون" "حَبال سِمْيون" أي شمعون، على تقدير أن "قَطَمون" هو "سِمْيون" نفسه. والأمر يكتنفه الغموض في شأن كيف انتهى هذا الاعتقاد الشعبي إلى القول بسكنى شمعون المذكور في إنجيل لوقا في هذا المكان، فلربما سكن هنا شخص اسمه سِمْيون، ففسر الناس اسمه على هذا النحو، وقرنوا اسمه باسم الشخص المذكور في الإنجيل.

وينحدر سفح التلة الغربية حتى ارتفاع 753 مترًا، ثم يمتد منفصلًا بنفسه شرقًا، من خلال تلة صغيرة اسمها "راس الدَّبُّوس" التي تعني أيضًا "رأس العصا الغليظة" 2479 (*F* 5) قدمًا (= 755.6 مترًا)، وذكرت الخريطة الإنكليزية أن ارتفاعها هو 760 مترًا. أما التلة نفسها، فمكونة من صخور جرداء ربما استُخدمت في بعض الأحيان بيدرًا، وقام فيها يومًا برج. كما أن ثمة آثار قبور في سفحها الشرقي الذي كان استُخدم في المحل الأول مقلعًا للحجارة، فإذا ما اتجهنا شمالًا وجدنا على التلة المسماة "الحَرِيرِيِّة" مشغل الحرير المتداعي الذي بناه نيكِفوروس، وأمامه من الجهة الغربية محطة قطار القدس.

ولمّا كان الوادي الذي يسيل بين قمم التلال الغربية والمدينة يصب في البحر الميت، فتكون قمم التلال الغربية جزءًا من الفاصل المائي للبلاد؛ فهي تجري على مستواه، لكنها تعود فتنعطف مبتعدة شرقًا عن تلة الطالبية، لتقطع طريق الخليل من الجهة المقابلة "لِـ"راس الدَّبوس"، ثم تنعطف في اتجاه جنوب شرقي، في اتجاه التلة المسماة "جِبِل دَيْر أبو ثوْر"، التي سنتحدث عنها لاحقًا، بحيث تعود فتسير في اتجاه شمال جنوب بعدما كانت اتجهت غربًا، محيطة بالقدس في انعطافتها هذه، خارجة عن هذا الاتجاه عند "راس المشارف".

---

(454) Tobler, *Topographie*, vol. 2, pp. 893f.

للتلة الغربية أهمية تاريخية، ويرد في الآيات ذات العلاقة في سفر يشوع (8:15، ويُقارن 16:18) ما يلي: "... الجبل الذي قبالة وادي هِنّوم غربًا الذي هو في طرف وادي الرفائيين شمالًا"؛ فالجبل المذكور هنا لا يمكن أن يكون إلا "الطالبية"، أو التلة الغربية كلها. وتبين هذه الآيات الحد الفاصل بين [منطقتي] يهودا وبنيامين، رامية إلى القول إن القدس كانت بنيامينية، على الرغم من أنها محوطة من ثلاث جهات بمناطق تابعة لسبط يهوذا[455]. ورسم الحد بين السبطين إلى هذه النقطة من "عيْن روْجِ" أي "بيِر اِيُّوب"، مرورًا بوادي هِنّوم (= "وادي الرَّبابِة")، ثم ينعطف عند الجبل المذكور في اتجاه نبع الماء المسمى "نفتْوَّح" (= "عيْن لِفْتا")، أي أن الحد يجري من "الطالبية" إلى "القَصْعَة" على امتداد التلة الغربية في اتجاه التلة الشمالية الغربية، وليمعن بعد ذلك في الامتداد غربًا. ويكاد لا يتبع مدينة القدس نفسها غير الأودية المحيطة بها كلها، عدا جهة الشمال، حيث كان وادي الملك يصلها بالمناطق التابعة لسبط بنيامين. ويمكن بطبيعة الحال أن تتوسع شمالًا في ذلك الاتجاه؛ إذ يُستبعد أنه كان هناك مكان مأهول قديمًا بينها وبين "راس المشارف". ويشهد سفر القضاة في موضع (21:1) على أن القدس بنيامينية، لكنه في موضع آخر (8:1) يجعل سبط يهوذا، خلافًا لذلك، هو الذي احتل القدس.

إضافة إلى ما اتخذته التلة الغربية من أهمية نتيجة لعسكرة الفرقة الرومانية فيها (ص 142) في أثناء الحصار الروماني للقدس، فقد وجد تيتوس فيها مكانًا ملائمًا لإقامة جدار الحصار من جهة الغرب، وهو الجدار الذي بناه حول القدس بعدما استولى على السور الذي قد كان بناه أغريبا حول المدينة. وقد قال يوسيفوس عن جدار الحصار هذا[456]، والذي لم يُعثر على أي أثر له، أنه اتجه شمالًا بعدما كان أحاط المدينة من جهة الجنوب، وظل ماضيًا في سيره شمالًا حتى بلغ القرية المسماة "νωζνίβερέςοχϊο"، أي "بيت الحمَّص"[457] حتى شمل ضمن محيطه نُصب هيرودوس.

---

(455) تُقارن مقالتي المنشورة في:

Baudissin-Festschrift, p. 109ff.

(456) *Bell. Jud.*, V 12, 2.

(457) " ليس "بيت البازيلا"، كما تُترجم العبارة عادة؛ إذ إن "البازيلا" (*pisum sativum*) ليست نبتة =

ولم يذكر أحد غير يوسيفوس اسم هذه القرية. ولو ترجمنا الاسم إلى العبرية لكان "بيت ها أفونِين" ("أَبّوْنِين")، وإلى الآرامية "بيت حِمِّصِين"، إلا إذا كان المقصود بهذه القرية قرية "بيت رفائيم"، كما مهد يوسيفوس لقرائه ليفهموا نصه هذا الفهم بحيث تكون كلمة "ςοβερ΄Ε`" دالة على مكان العالم السفلي. أن كلمة "رِفائيم" تدل أيضًا على سكان العالم السفلي، كما جاء، مثلًا، في سفر إشعيا (9:14)، وربما قامت هذه القرية في ما سبق في موقع قرية "راس الدَّبوس" الذي يصلح على نحو خاص ليكون موقعًا لقرية قديمة صغيرة. وبناء عليه، تكون مستعمرة التمبلريين [الهيكليين] الألمانية المسماة "رِفائيم" الموجودة في السهل الواقع إلى الجنوب الغربي من هذا المكان، خلفًا حديثًا لتلك القرية القديمة التي كانت تزرع جزءًا من سهل رفائيم. وإذا كان جدار الحصار قد شمل ضمن حدوده نُصب هيرودوس، وإذا كان نُصب هيرودوس هو فعلًا المقبرة الموجودة عند "قَصْر اِلعَصْفور" (ص 142 وما يليها)، فيكون الجدار قد أُقيم إلى الغرب من النُصب على طول الطريق التي تصل محطة القطار بمقبرة "مامِلَّا". ومن المؤكد أن في الشمال كانت هناك نقطة ثابتة فوق الامتداد الشرقي للتلة الغربية عند معسكر الفرقة الخامسة (يُنظر أعلاه)، وأنه كان يصعد من هذه النقطة في اتجاه شمال شرقي إلى معسكر تيتوس في منطقة المجمع الروسي (ص 68).

ويمكن مشاهدة بداية التلة الغربية على الصور الجوية *D* 11 = *M* 787, *D* 10 = *M* 800a، ويمكن مشاهدة بقيتها على الصور *M* 785, 785a, 804، أما منطقة "قَطَمون" فيمكن مشاهدتها على الصورتين *M* 817 و818.

9 - التلة الجنوبية

نظرًا إلى صلة هذه التلة بالفاصل المائي، والتي كنا قد بيناها في البند الثامن أعلاه، فيمكن أن تُعِدّ القمّة السابعة نفسها الامتداد الأخير للتلة الشمالية الغربية.

= أصيلة في الشرق، ويدل على ذلك اسمها الدخيل في العربية "بازلا"، "بازِيْليَا" (المأخوذ من *piselli* الإيطالية)، يُقارن:

Vollers, *ZDMG* (1897), p. 319.

وفي الحقيقة، تُعِدّ التلة الجنوبية جزءًا من طرف قشرة السطح الأصلية لفلسطين، التي تنعطف ابتداء من هذه النقطة في اتجاه الشرق، انعطافًا ناشئًا عن انهدام غور الأردن. وكان من الممكن أن تتصل بها سلسلة جبل الزيتون لولا أن صدعًا فصل بينهما، وفتحَ الحتّ بوابةً في الاتجاه الجنوبي الشرقي أدت إلى نشوء مساحة في الاتجاه الجنوبي الشرقي، وهي التي تقوم القدس عليها اليوم. وبناء عليه، فإن هذه التلة تمثل، من حيث المبدأ، امتدادًا لسلسلة قمم الجزء الغربي من فلسطين المتجهة من الشمال إلى الجنوب من خلال هذه التلة.

تمثل التلة الجنوبية مكانة خاصة بين التلال المحيطة، لأنها تشرف على المنطقة المحيطة بها كلها؛ إذ يبلغ ارتفاعها 2548.9 قدمًا (= 776.9 مترًا) في حين ذكرت الخريطة الإنكليزية الجديدة أن ارتفاعها يبلغ 775 مترًا. أما من جهة الغرب، فتنخفض التلة عند الفاصل المائي (يُنظر أعلاه) إلى 747.5 مترًا تقريبًا، وتنخفض من جهة الجنوب، قبل أن تبلغ الارتفاع الجديد الناشئ عن امتداد الفاصل المائي جنوبًا، أي 756 مترًا، وتنحدر من جهة الشمال انحدارًا شديدًا إلى وادي إبن هِنّوم (660-700 متر)، وتنحدر من جهة الشرق انحدارًا متدرجًا في اتجاه "وادي اِلنَّار" (حوالى 600 متر) (يُنظر أدناه). وتسمى قمتها (*G* 5.6) "جِبِل دير أبو ثور" أو "جبل أبو ثور" ("الثوري")، وعادة يلفظ الناس كلمتي "ثور" و"ثورِي" على صورة "طور" و"طورِي"[458]. وإنما سُميت التلة بهذا الاسم نسبة إلى المحارب المسلم أحمد القدسي الذي يقال إنه شارك في المعارك راكبًا "ثوره"، وإن ابن صلاح الدين أقطعه في عام 1198 ميلادي هذا الجبل له ولذريته من بعده[459]. ويحكي الناس أيضًا أن "أبو ثور" كان يرسل ثوره إلى سوق المدينة وحده ليأتيه بما يحتاج إليه. وكان المكان يسمى، حتى ذلك الوقت، "دير مار قِبوس"، نسبة إلى دير يوناني، سُمي على اسم كنيسة بروكوبيوس التي كانت قائمة هنا في

(458) يُنظر أيضًا:

Canaan, *Mohammedan Saints and Sanctuaries in Palestine*, p. 286

(459) مجير الدين، في:

Sauvaire, *Histoire de Jérusalem*, pp. 191f., 290f.

فترة الحروب الصليبية[460]. وأسمى المسيحيون الجبل في ذلك الحين *mons Gion* (*Gihon*) (جيحون)، وزعموا أن سليمان مُسح ملكًا عند جيحون (سفر الملوك الأول 1:38 وما يليها)[461]. وفي فترة لاحقة، قيل إن هذا المكان هو مكان "المشورة الرديئة" [المشورة الفاسدة أو المشورة الشريرة] التي تشاورها كبار الكهان [في قتل المسيح] والمذكورة في إنجيل متى (26:3 وما يليها، يُنظر إنجيل يوحنا 11:47 وما يلي)، أي أنهم جعلوا قصر قيافا، الكاهن الأعلى في ذلك المكان، ربما لأن اسم قيافا يشبه "قِبوس"، أو ربما بسبب قرب هذا المكان من "حقل الدم" (يُنظر أدناه). ونجد في الجهة الجنوبية من التلة شجرة "ميْس" (*Celtis australis*)[462]، بالعربية "ميس" (يزعم الناس حتى اليوم أنها الشجرة التي شنق يهوذا [الأسخريوطي] نفسه عليها (إنجيل متى 27:5، سفر أعمال الرسل 1:18). ولعل بوركهارد (Burchard) (في حوالى 1280) كان أول من أسمى التلة الجنوبية كلها *mons Acheldemach*، ونقل مسمى "جيحون" إلى غرب القدس، حيث أطلقه على تلة "النِّكِفوْرِيِّة" [النقفورية] وعلى محيط بركة "مامِلَّا"[463]. أما يوسيفوس[464] فيقول إن التلة الجنوبية هي" الجبل الذي عسكر بومبي عنده"؛ فقد وُصف الجبل آنذاك بأنه "جبل معسكر بومبي عنده"، فتكون العبارة الدالة على ذلك بالعبرية هي "هَر محانيه بومبيوس"، تقابلها العبارة الآرامية الدالة على المعنى نفسه:"طورا دِمَشرِيتا دِبوْمبيْيوس". والمعسكر المقصود هنا هو المعسكر الذي نزله بومبي قادمًا من أريحا في عام 63 قبل الميلاد، منتظرًا نتيجة الصراع

---

(460) Wilhelm von Tyrus, VIII 4;

يُنظر:

Röhricht, *Regesta*, pp. 143, 147.

(461) Wilhelm von Tyrus, VIII 4, Theoderich, *SWPJerusalem*, p. 46; Johann v. Würzburg, Tobler, *Descriptiones*, p. 158, Fretellus, *PPTS*, p. 40.

(462) يُنظر:

Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, p. 67.

(463) Laurent, pp. 63, 65, 76;

يُنظر:

Fabri, *PPTSI*, p. 540.

(464) *Bell. Jud.*, V 12, 2.

بين الأميرين الحشمونيين: هيركانوس وأرستوبوليس في القدس[465]. ولذلك، ينبغي أن نفترض أن بومبي لم يسلك الطريق المألوفة من أريحا إلى القدس، وإنما انحرف جنوبًا مارًا بسهل "البقعية"، ليصل إلى طريق الخليل من مكان قريب من بيت لحم. وثمة احتمال آخر، في أي حال، يتمثل في أنه سلك طريقًا أخرى، صاعدًا الطريق الواصلة إلى القدس من شمال جبل الزيتون. أما السبب في اختياره هذا الموقع لإقامة معسكره، فالأرجح أن هذا المكان كان خير موضع يمكن منه مراقبة المدينة والهيكل كليهما، ويمكن كذلك السيطرة على الطريق الذاهبة إلى الخليل. وبعد ذلك، حينما استسلمت المدينة، وعزم الرومان على حصار الهيكل، نقلوا معسكرهم إلى الجهة الشمالية منه، أي في منطقة "كَرم الشيخ"[466].

ويتصل بقمة "جِبل دير أبو ثور" من جهة الشرق التي يعلوها كثير من البيوت اليوم، مساحة مائلة تكسوها كروم زيتون، تليها حقول زراعية، وهي تهبط تدريجًا إلى 640 مترًا، ثم لا تلبث أن تنحدر انحدارًا شديدًا إلى "وادي النار". وتسمى المساحة كلها (*FG 6*) "الشماعَة"[467]، ويسمى انحدارها الأخير في اتجاه الوادي "وَعْر الشماعَة". والأغلب أن صيغة "شَمَاعَة" هذه تعريب للفظة *chaudemar*، أو لعبارة *champ de mar*، وهو الاسم الذي أطلقه الناس على "حقل الدم" في أثناء الحملات الصليبية[468] لأنهم ترجموا الكلمة الأولى من عبارة "حَقِل دِما" [الآرامية] بكلمة *champ* [حقل]، وتركوا الكلمة الثانية على حالها[469]. ويفصل واد ضيق، يدعى "الخلة" أو "الشمَاعَة" عن امتداد شرقي آخر، تسمى قمته "الراس"، وهي تعلو الامتداد نفسه بمقدار لا بأس به؛ إذ يبلغ ارتفاعها 715.2 مترًا،

---

(465) Josephus, *Antt.*, XIV 4, 1.

(466) *Antt.*, XIV 4, 2.

(467) ذكر شيك وبِنتسِنغر اسمها خطأ "اِلشَمَع"، وذكرها شيك باسم "*El Shamah*" في:
PEFQ (1890), p. 67

أما الخريطة الإنكليزية الجديدة، فذكرت الاسم بصيغة "شمَّاعَة".

(468) Michelant & Raynaud, *Itinéraires*, pp. 45, 157.

(469) Tobler, *Descriptiones*, p. 487.

اقترح أن العبارة مشتقة من عبارة *champ des morts* [حقل الموت]، ومن المستبعد عندي أن يكون ذلك محقًا.

أما ذروة هذه القمّة الصخرية المسماة "راس الراس"، فتتميز بوجود منخفض محيطه 8.20 أمتار[470]، ربما كان موضعًا في ما مضى لبرج من أبراج الحراسة. وكان فان كَستِرن[471] (van Kasteren) رأى هناك عددًا من التجويفات الصخرية التي لم أفلح في العثور عليها على الرغم من سعيي الدؤوب في سبيل ذلك. وعلى السفح الجنوبي توجد الأرض المسماة "كَرْم القمر"، وعلى السفح الشمالي اعتقد شيك أنه رأى آثار مسرح، فعدَّه المدرج الذي بناه هيرودوس[472]، ووافقه شورر (Schürer)[473]، ودوران[474]، وآخرون في ذلك. ومما يخالف هذا الرأي، مخالفة غير ملزمة، أن يوسيفوس قال إن هيرودوس بنى مسرحًا في القدس، وأراد بذلك أن يقابل بين هذا المسرح والمدرج[475] الذي بناه هيرودوس "في السهل"، قاصدًا، من دون شك، المدرج الذي بُني في أريحا[476]، والذي كان واقعًا في "السهل" أو في "السهل الكبير"[477] في غور الأردن. ولا ينطبق هذا الوصف، في أي حال من الأحوال، على هذا الوادي الضيق الذي يُفترض أن المدرج قد بُني فيه، ومن الممكن أنه كان مسرحًا فحسب، في أحسن الأحوال. إلا أن المنخفض الذي يُظن أنه مكان المسرح، ينبغي أن يُعد منخفضًا طبيعيًا، كالمنخفضات الأخرى التي توجد في هذه المنطقة. كما أنه لا يوجد أي أثر لدرجات المسرح أو لخشبته، ولا نعثر على أي مدخل إلى هذا المكان النائي. وفي الطرف الغربي للمكان، الذي يُفترض أنه

---

(470) يُنظر:

PJB (1908), p. 34.

(471) *ZDPV* (1890), pp. 76ff.

(472) *PEFQ* (1887), pp. 161ff.

(473) Schürer, *Geschichte des Jüdischen Volkes*, vol. 1, p. 388.

(474) *Échos de N. D. de France* (1896), p. 72.

(475) *Antt.*, XV 8, 1.

(476) *Antt.*, XVII 8, 2.

ربما كان هو نفسه ميدان سباق الخيل الذي بُني في أريحا

Antt., XVII 6, 5; 8, 2,

والذي يظهر في الصور الجوية. يُنظر:

Dalman, *Hundert deutsche Fliegerbilder*, Nr. 70, 71;

أو ربما كان المسرح نفسه المذكور في:

Antt., XVII 6, 3.

(477) *Antt.*, XVIII 2, 2; *Bell. Jud.*, IV 8, 2.

كان هو المسرح، يوجد قبر صخري حسن الحال، فيه حجرتان تحتويان 14 قبرًا أفقيًا في كوة حائط. ولا يعرف الفلاحون الذين يفلحون أراضيهم في المنخفض أي شيء عن وجود حجارة مشذبة في المنطقة، فيحسن إذًا حذف هذا "المسرح" من خرائط القدس. وكان فنسنت قد أدرجه أيضًا ضمن خريطته. وفي ما عدا ذلك، وعلينا أن نفترض أن مسرح هيرودوس بُني بالقرب من ميدان سباق الخيل الذي كان في المدينة بين قصر الملك والهيكل[478] حيث ينبغي أن يكون المسرح في أي حال. وعلينا أن نفترض أن المسرح بُني على السفح الشرقي للتلة الغربية في منطقة السور الغربي للمدينة اليوم، قرب "برج اِلكِبْريت"، لأن طوبوغرافية المكان ملائمة لبناء المسرح هناك. بل ربما مسرح مدينة القدس الروماني الذي ذكره كرونيكُن باسكاله (*Chronicon Paschale*)، في هذه المنطقة أيضًا.

يمتد الفاصل المائي من قمة "جِبِل أبو ثور" في اتجاه جنوبي مباشر، عابرًا، أول الأمر، الأرض الزراعية المسماة "كَرْم الشّيْخ" شرقي طريق الخليل، ثم التلة المسماة "راس اِخْضيْر" وعبر القناة المسماة "جبِل القنا" التي يتصل بها من الجهة الشرقية السهل المسمى "البقعة"، ليتابع مسيره عبر تلّتي "مار اِلياس" (830 مترًا) و"الطالبية"، ثم يتبع في مسيره إلى بيت لحم المرتفع الذي تجري عليه الطريق إلى الخليل. وتبرز قمة "راس المكبر" العالية (*H* 6)[479]، باعتبارها امتدادًا شرقيًا لـ"كرم الشيخ"، لأنها أعلى من التلال المحيطة بها من الشمال والشرق والغرب، والتي يبلغ ارتفاعها بحسب الخريطة العسكرية الإنكليزية 797 مترًا[480]، في حين يرتفع الفاصل المائي إلى الغرب منه إلى 792 مترًا. ولهذه القمّة موقع مميز في محيط القدس؛ إذ يتمكن الواقف فوقها من تبين طبيعة موقع المدينة، إذ يطل على الأودية المحيطة بها، ويتبين أيضًا علاقة القدس بالانحدار الشرقي للمناطق الجبلية الذي يبدأ من عند سلسلة جبل الزيتون، على نحو فريد، لا يتيحه الإطلال من فوق القمم الأخرى[481]. وزُرع بعض أجزاء من القمّة بأشجار الزيتون. ونجد

---

(478) *Antt.*, XVII 10, 2; *Bell. Jud.*, II 3, 1.

(479) أخطأ شيك وبِنتسِنغر فكتبا اسمه بشكل خاطئ "راس اِلمُقابِر".

(480) لا تظهر الخريطة الإنكليزية الجديدة ارتفاع القمّة كلها بسبب محدوديتها المصطنعة.

(481) يُنظر في وصف هذه الإطلالة: =

على أبعد السفوح في الاتجاه الشمالي الشرقي شجرة زيتون يسميها الناس "زيْتونِة النبي"، ويقدسونها زاعمين أن [النبي] محمد رمى القدس من هناك بالسهام[482]. وزعم لي بعضهم أن النبي صلى هناك، في حين أن "سيدنا عُمَر" صلى في "الحرم". ولمّا كان الجبل محوطًا من جهة الشمال بِـ"وادي ياصول"[483] ومن جهة الجنوب الغربي بِـ"وادي العين"، ولمّا كانا كلاهما متفرعين من "وادِي النار"، فيكون الجبل بذلك تابعًا لمنطقة البحر الميت والمنحدر الشرقي للبلاد. ولمّا كان هذا الجبل بعيدًا، فلا نجد له ذكرًا في العهد القديم، إلا إذا كان في اسم "وادي ياصول" أثر باق من اسم المكان "آصيل" المذكور في سفر زكريا (14:5)، كما يعتقد كليرمو غانو[484]، وإن دلت كلمة "ياصول"، التي تعني" قدُّوم المحراث"، في المحل الأول، على الانعطافة الموجودة في مسار الوادي. فإذا ما صحت الصلة بين "ياصول" و"آصيل"، فينبغي البحث عن هذه الأخيرة في موضع "بيت ساحور العتيقة" الواقعة جنوب "وادِي ياصول" على نتوء شرقي لِـ"راس المكبر".

تظهر التلة الجنوبية في الصور الجوية D 3 = *M* 776, *D* 7 = *M* 784, *M* 784a. 783. 805. 809. 810. 814، ويظهر معها "راس اِلمِكَبِّر" في الصور *M* 780. 782. 813، وتظهر ضمن محيطها الواسع في الصور *M* 842, *D* 1 = *M* 775.

= *PJB* (1921), pp. 10ff.

(482) وذلك بحسب ما ذكر: Clermont-Ganneau, *Arch. Res.*, vol. 1, p. 299.

(483) وليس "وادي ياسول" كما جاء عند شيك وبِنتسِنغر.

(484) *Arch. Res.*, vol. 1, p. 420. ولكن يُنظر أعلاه أيضًا، ص 151.

ب - الأودية

1 - "وادي دِبْر"

لا توجد، على الأغلب، صلة بين اسم "وادي دِبر" (ص 14) الذي يُطلق على آخر شوط في مجرى الوادي المتعلق بالماء المتدفق من الجهة الشرقية من سلسلة جبل الزيتون، وبين الموقع التوراتي "دبير" المذكورة في سفر يشوع (7:15) الذي يُفترض أنه موجود في غور الأردن إلى الشمال من المكان الذي نحن بصدده هنا. ويجري هذا الوادي في المناطق التابعة لسبط يهوذا، ويمكن أن نتساءل إن كان أي من فروعه يصل إلى المنطقة التابعة لسبط بنيامين. ونحن لسنا بصدد تتبّع فروعه كلها، في أي حال، وإنما سنحصر كلامنا في تلك الفروع التي تمس منطقة القدس. وسنبدأ كلامنا بالحديث عن فرعين من فروع "وادي دِبر" يلتقيان جنوب "خان حَثرور". يسمى الشمالي منهما في هذه المنطقة "وادِي اِلسِّدْر" نسبةً إلى شجر السدر (*Zizyphus Spina Christi*) الذي يوجد بعضه في هذا الوادي. وقد أطلق شيك وبنتسِنغر هذا الاسم على وادٍ يقع إلى الجنوب من هذا الوادي، على طول الطريق الموصلة إلى أريحا. أما الخريطة الإنكليزية، فقد ذكرته في مكانه الصحيح. ويصب في "وادي اِلسِّدر" من الجهة الشمالية الغربية واد فرعي قصير اسمه "وادِي أبو نْجوم". وقبل ذلك، أي قبل أن تنزل طريق أريحا إلى الوادي عن طريق "ثُغْرِة البيضا"، يتفرع من "وادي السِّدْر" في اتجاه الشمال "وادِي قَبْر الخوخة"[1] الذي يقطع هذه الطريق. ثم يتفرع الوادي الذي نتتبعه من الأسفل إلى أعلى إلى فرعين عند الخربة المسماة "البركة" والمكان المنبسط المسمى "دار القنا"[2]. أما الفرع الشمالي، فاسمه "وادِي اِلرَّوابي"، وتُرى على جهته الجنوبية،

---

(1) تقع إلى الشمال من هذا المكان كما ورد في الخريطة الإنكليزية (*Thoghret ed - Debr*) في حين ذكرها دو سولسي باسم (*Thour - ed - Dabor*) في:

de Saulcy, *Voyage*, vol. 2, p. 132,

وقيل لي أن "ثُغْرِة دِبْر" ("اِلدبَر") تقع إلى الغرب. وقيل لي أيضًا إن هذا المكان يمكن أن يسمى "راس وادِي دِبْر"، لأن الوادي الذي يمر عند "اِلنّبي موسى" جنوبًا يبدأ من هنا.

(2) هنا دل الناس فان كَستِرن على الخربة المسماة "خِرْبِة اِنخَيلة":

= *ZDPV* (1890), p. 116,

غير بعيد من المكان الذي يلتقي عنده الفرعان، جدارًا صخريًا شاهقًا، فيه كهوف محفورة تسمى "العُليليات". وفي مقابل ذلك كله تُشاهد عين الماء الضعيفة التي أُعيد الكشف عنها مؤخرًا المسماة "عين الرَّوابي" التي اقترح بعض الباحثين عدها "عين شمس" (بالعبرية:"عيْن شيْميْش")، التي تمر بها الحدود بين منطقتي سبطي يهوذا وبنيامين كما جاء في سفر يشوع (7:15، يُقارن 17:18) في جريانها نحو عين روجِل. وتتصل بـ"وادِي الرَّوابي" من الشمال "خَلِّة الشَّعِير"، التي تبدأ شرق قرية "عناتا" (*A* 9) كان اتصل بها هي نفسها من جهة الشمال ذراع فرعي يسمى "خَلِّة أبو جميع". وهنا تجدر الإشارة إلى قرية "عناتا" وإن أشبهت موقع "عَناتوت" القديم اسمًا، إلا أنها لا تقع في الموقع نفسه تمامًا. وبعد ذلك، يتصل "وادي الرَّاوبي" بالمنخفض الخصب المسمى "وادي الزيْتون" الواقع جنوب "عناتا"، ويتابع الوادي مسيره متخذًا اسمين جديدين هما "وادِي قاسِم"، ثم "وادي سليْم" حتى يصل إلى "راس أبو حلاوة" التابع لسلسلة جبل الزيتون (B. 7) الذي يحيط به الوادي بذراعين: أولهما من جهة الشمال يسمى "خَلِّة الغزلان"، ويسمى في مجراه الأسفل "اِلجَّاعِيَّات"، وثانيهما من جهة الجنوب الذي يسمى "اِجْوَر الرُّمَّان"، ويسمى في مجراه الأسفل "اِجْوَر شِمِه". وإلى ذلك، يلتقي "وادِي اِلرَّوابي" من جهة الشمال "شِعْب زيْدان"، وهو شعب قصير، وتلتقيه من جهة الجنوب الغربي "خَلِّة الغزلان" ثانية، وهي غير "خَلِّة الغزلان" المذكورة أعلاه، فهذه تتبع منطقة "العيسوية"، وتلك تتبع منطقة "شُعْفاط". وبناء عليه، فلا غبار على استخدام الاسم نفسه مرتين. وبين "وادي اِلرَّوابي" و"خَلِّة الشَّعِير" (يُنظر أعلاه) توجد الخربة المسماة "دير السِّد"[3] التي أُنزلت على الخرائط في موضع يبعد كثيرًا إلى الجنوب من هذا الموضع، أي قرب "دار القنا". وفي الواقع، ينبغي ألا يُخلط بين هذه الخربة والخربة الموجودة في ذلك الموضع.

ويمتد من الجهة الجنوبية الغربية من "دار القنا" واد اسمه "وادي مغاير الضبع" يتسم كذلك بالضيق وبارتفاع الجبال من حوله أحيانًا (*D* 9). ويسمى هذا الوادي

= إلا أن "خِرْبِة النخيلة" تقع إلى الشمال من هذا المكان عند "راس النخيلة"، لكن الناس توسعوا في استخدام الاسم، فأطلقوه على هذا المكان أيضًا.

(3) كتب شيك وبِنتسِنغر اسمها خطأ "دير الست"، أي دير السيدة.

في "الطّور" "وادي الرَّاوبي" أيضًا، لكنه لا يسمى كذلك عمومًا في "العيسوية" وفي عناتا، ويُستحسن حذف هذا الاسم على الخرائط. ويتصل بهذا الوادي شمال "راس الزيامبة" واد فرعي هو "وادي أبو خَرُّوب" الذي كان اسمه "خَلِّة العجوز" عند بدايته جنوب التلة اليهودية لسلسلة جبل الزيتون (ص 36)، في حين يبدأ شمال التلة نفسها، عند الأرض المسماة "الحمارة"، "وادِي مفَضِّل" ("مْفَظِّل")[4]، ليلتقي "خَلِّة العجوز" بعد أن يمر بقرية "العيسوية" (*C* 7).

أما الوادي الرئيس لهذه المنطقة، فهو "وادي مغاير الضبع"، وهو لا ينبع، كما ذكرت الخرائط، من قمة جبل الزيتون، وإنما يستمد ماءه من المساحة الصغيرة المنبسطة المسماة "إبْقيْعْدان" التي تسمى عادة "إبْقُعْدان" (*D* 8)[5]، وهي التي أخطأ شيك تمامًا في تحديد موضعها. ومن غير المفهوم عندي، كيف جعل كُندَر (Conder) وكيتشنر (Kitchener) في *SWP* Memoirs III, p. 2 مجرى الماء شرق الفاصل المائي من بيت إيل حتى القدس يصب في "وادِي فارة"، أي في فرع من فروع "وادِي القلت"، وعدَّا، في الوقت نفسه، "وادي الرَّوابي" فرعًا منه أيضًا، مع أن خريطتهما تدل على غير ذلك، لأن "وادي القلت" والأودية التابعة له لا يدنوان من الفاصل المائي إلا عند الطرف الشمالي لسلسلة جبل الزيتون، جنوب "تليل اِلفول" (يُنظر ص 22)، وهذا الاستنتاج لا قيمة له في ما يتعلق بالمناطق القريبة من القدس. وتشاهد هذه المنطقة في الصور الجوية Fl. 301, Nr. 734. 485، وكذلك في صورة جوية موجودة في مجموعتي لا أعرف مصدرها.

ويتفرع من "وادي السِّدْر" إلى الجنوب الشرقي من "خان حَثْرور" واد ثان مهم يُسمى، بعد أن يقطع مسافة طويلة صاعدًا، "وادي السِّكّة"، لأن الطريق إلى أريحا ("سِكّة") تسير فيه. ويمر الوادي أول الأمر بجوار المنطقة المنبسطة المسماة "مْقَب السِّمْن" الظاهرة في الخرائط، ثم يمر بجوار المنخفض المسمى "اِجْباي

(4) جاء اسمه عند فان كَستِرن: "أم الفضل"،
ZDPV (1890), p. 114.

(5) ذكر اسمها لدى شيك وبنتسِنغر وفي الخريطة الإنكليزية "بقيعة ضان"، في حين أن مرافقي العربي كتب اسمها بحروف عربية في كلمة واحدة: "إبْقُعْضان"، ولا شك في أن معناها هو "بُقيعة الضأن". ولا تزال كلمة "ضان" ("ظان") مستخدمة حتى اليوم في وصف الذبيحة الكبيرة.

الجَّاموس"، ويلتقيه في "وادي السْنيْسِل" [السناسل]، بعدما يكون التقاه فرعان آخران جنوبيان من عند "راس الزيامبة"، أي من الشمال الغربي. وبعدما كان هذا الوادي نفسه متجهًا إلى الغرب، يعود فيتخذ مجراه المعتاد في الاتجاه الجنوبي الغربي. ويوجد على طرفه الأيسر الصخر المسمى "عَراق الشْمِيس"[6]، الذي ورد اسمه خطأ في الإنكليزية "عَراق الشِّمس". ثم يوجد بعد ذلك، في الجهة المقابلة، القطعة الحجرية المسماة "حَجَر أبو ضْهور" الذي قيل لي عنه إنه يخفف آلام الظهر إن أنت أسندت ظهرك إليه[7]. وكان الحاجَّان بوركهارد (1283 ميلادية)[8] وفليكس فابري (Felix Fabri) (1483)[9] عدَّاه حجر بوْهَن المذكور في سفر يشوع (6:15) الموجود في غور الأردن. ويصب في هذه المنطقة الواديان الفرعيان القصيران الآتيان من الجنوب: "وادي الحريق" و"وادي الجِمِل"، ويصب فيهما من جهة الشمال "وادي عَراق نازِل"[10]. ويرجع أصل هذا الوادي إلى ثلاثة أودية فرعية تنبع من جبل الزيتون، أحدها هو واد كثير أشجار الزيتون اسمه "وادي اللِّحَّام" (*E* 9)[11]، وهو يجري من طريق بين "بيت فاجي" والعيزرية، وثانيها هو "وادي النْكاشِة" الذي يتفرع منه واد صغير هو "الدِّبِة"، وهو يجري من "بيت فاجي"، أي من منطقة "راس اِلشِّيَّاح" (ص 52). أما ثالث الأودية، فهو "وادي السَّهْل" الفسيح الذي يتصل به واديان فرعيان، هما "خَلِّة الجَّاي" و"خَلِّة العين" التي تتبع لها عين ماء غير ذات شأن تنبع من تلة الجليل في جبل الزيتون مع صلته بِـ"ضَهْرِة أم الطَّلْعَة". وبعدما تتحد هذه الفروع الثلاثة، يجري الوادي الرئيس من الطرف الجنوبي للسهل المسمى "ابقيْعْدان" من دون أن يمر فيه. وبناء عليه، وعلى الرغم من أن

---

(6) أسماه فان كَستِرن "جِبل اِشْمِيس"،
ZDPV (1890), p. 92.

(7) يُنظر أيضًا:
Canaan, *Aberglaube und Volksmedizin*, p. 89.

(8) نشرة
Laurent, p. 62.

(9) *PPTS*, vol. 2, p. 70.

(10) كتب شيك وبِنتسِنغر والخريطة الإنكليزية اسم هذا الوادي خطأ، فقد جاء عندهما "مازل"، كما أنهم أخطأوا في تحديد مكانه على الخريطة.

(11) اعتبر فان كَستِرن هذا الاسم اسمًا للمساحة المسماة "اِبقيْعْضان"،
ZDPV (1890), p. 97.

هذا السهل يمثل منخفضًا بين جبل الزيتون وسلسلة "راس الزيامبة" (ص 55)، إلا أنه لا يتلقى الماء الآتي من جبل الزيتون، في حين يقع جبل الزيتون كله، حتى الجهة الجنوبية من التلة الألمانية من سلسلة جبل الزيتون (ص 37 وما يليها) من الجهة الشرقية في نطاق "وادِي عَرَاق نازِل".

يتخذ "وادي السكة" في آخره اسمًا جديدًا، هو "وادِي الحوض"، نسبة إلى البئر المسماة "الحوض" (*F* 9) التي تستقي من نبعة تقع فوق الوادي، ثم يجري الوادي في مجرى عميق فيه ارتقاء متدرج، لكنه لا يلبث أن يختفي فجأة، بحيث لا تستطيع الطريق المارة بالوادي الصعود إلى تلة "العيزرية" إلا على طريق متعرجة. ويفضي إلى التلة ثلاثة شِعاب، يجري أولها في اتجاه غربي، وهو "شِعْب النْعِيم"، وثانيها في اتجاه الجنوب هو الأرض الصاعدة المسماة "المخلص"[12]، وتتبع له العين المسماة "عين مِهنْدِس" والبئر التي تستقي من المياه الجوفية المسماة "بِير العود"[13]، وثالث الشعاب هو "وادِي وَهبة"[14]، الذي يجري في الاتجاه الجنوبي الشرقي.

وهناك فرع آخر رئيس لِـ"وادِي دِبر"، هو "وادِي أبوديس"، وهو ينخفض فوق "وادِي أبو هِنْدِي" بين امتدادات "وادِي السِّكِّة" قرب "العيزرية" وبين "وادي النار" المار من الجهة الجنوبية الغربية. و"وادِي أبودِيس" امتداد لِـ"وادِي المِدَوَّرَة"، وهو يمر شمال قرية "أبودِيس" (*G* 9)، ويتفرع منه "وادِي بَصَّة" في اتجاه "العيزرية"، بحيث ينبغي أن يعد مدخلها، المسمى "الجسور"، نهايته أو بدايته. وعلى هذا النحو تتصل منطقة "العيزرية" من جهة الجنوب بِـ"وادِي أبو هِنْدِي"، إلا أنه والأودية التابعة له يشملون منطقة "أبوديس" تمامًا.

وتُظهر الصور الجوية "وادِي السِّدْر" في المنطقة التي تقطعه فيها طريق أريحا، ثم تظهر "وادِي السِّكِّة" في مجراه كله حتى يرقى إلى "العيزرية"، يُنظر: *D* 17 = *M* 844, *D* 18 = *M* 857, *M* 854. 852. 851. 850. 842, Fl. 304, Nr. 820. ويُنظر في

---

(12) ذكره فان گستِرن باسم "وادي اِلمِخْلاس"، في: Ibid., p. 93.

(13) ليس "بِير اِلعِيد" كما جاء عند شيك وبِنتسِنغر.

(14) ذكره فان گستِرن باسم "وادي وَعْبِة"، في: Ibid.

ما يتعلق بأودية سلسلة جبل الزيتون: *D* 1 (Fl. 302 Nr. 60 *RA*), Fl. 303, Nr. 92 *RA*, *M* 834, Fl. 301, Nr. 734.

اكتسب "وادي اِلسِّدْر" والأودية التابعة له أهمية تاريخية غير ناشئة عن أنه يتضمن طرقًا توصل القدس بغور الأردن، وإنما، في المحل الأول، ناشئة عما ورد في سفر يشوع (7:15، يُقارن 17:18) من أخبار تدل على أن الحد بين سبطي يهوذا وبنيامين يمتد من الجِلْجال في مقابل عقبة أَدومِيم جنوب الوادي، وعبر التخم إلى مياه "عيْن شيْمس" أي "عين الشمس"، وهناك كانت مخارجه إلى "عيْن روْجِل" أي "عين القصارين". ويبين الأصحاح الثامن عشر من هذا السفر (17) أن عين الشمس ينبغي أن تقع شمال "عين القصارين". فإذا صحّ أن "عين القصارين" هي "بِير إِيُّوب" (*F* 6) الموجودة اليوم في "وادِي النار"، كما سنبين لاحقًا، فعندها يصبح من غير الممكن قبول القول الشائع إن عين الشمس هي نفسها "عيْن الحوض" الواقعة في "وادِي السِّكّة"[15]، لأن "عين الحوض" تقع شرق "بِير إِيُّوب". ويجري القول نفسه على "عين اِلرَّوابي" (ص 153) التي اقترحها فان كَسترَن ووافقه بول (Buhls) في اقتراحه[16]؛ إذ إنها عين ماء صغيرة، لا يستخدمها الناس حتى لسقي الحيوانات، كما أنها بعيدة جدًا، بحيث يبعد تمامًا أن تكون اتُخذت علامة دالة على الحدود. وينبغي أن نتساءل تمامًا إن كانت الآيات المذكورة فعلًا قالت بالفعل إن "عين الرَّوابي" تقع شمال "بِير إِيُّوب"؛ فقد كانت التقاليد اليهودية القديمة حددت المسار الشمالي للحدود تحديدًا دقيقًا، جاعلة الجهتين الجنوبية والشرقية من الهيكل واقعتين في حدود سبط يهوذا، وجاعلة الجهتين الغربية والشمالية منه واقعتين في حدود سبط بنيامين[17]. فلا بد أن هذا التقليد كان بحث عن "عين الشمس" في شمال شرقي القدس. ويرغب التقليد اليهودي في أن يجعل لسبط يهوذا حصة في المعبد كي يتاح لمجلس

---

(15) وهذا رأي فنسنت أيضًا: Vincent, *Jérusalem*, vol. 1, p. 115.

(16) *ZDPV* (1890), p. 116.

(17) b. Jom. 12ª, Meg. 26ª; يُقارن: b. Zeb. 118ᵇ.

كبار الكهنة أن يجتمع في يهودا المحظية بالسلطة[18] كما جاء في سفر التكوين (49:10). ولكن، من المؤكد أن هذا الفهم لا يتفق مع فهم سفر يشوع الذي يعد القدس كلها بنيامينية. لكنَّ هذا الفهم للتقليد اليهودي يمكن أن يحفزنا على القول إن "عين الشمس" هي نفسها العين الشتوية "عين الصُّوان" الواقعة على السفح الغربي للتلة الألمانية، فيمكن أن تكون هذه العين قد أُسميت "عين الشمس" لأنها تنبع من حيث تشرق الشمس على القدس. وإذا كانت تلك الآية من سفر يشوع (15:7) لا تقصد أن العين نفسها كانت هي الحد الفاصل بين السبطين، وإنما الجدول الصغير المنبعث منها، فعند ذلك لا ينعطف الحد إلا في الموضع الذي يصل فيه الجدول إلى الوادي. هناك يمكن أن تكون "عقبة أدوميم" المذكورة في سفر يشوع (15:7) هي "طَلْعَة الدم"، والتي تعد جزءًا من ارتقاء الطريق الصاعدة من أريحا إلى تلة "خان حرثور" وإلى القلعة الخَرِبة "قلعة طلعة الدم" المعروفة منذ العصور الوسطى. أما الجدول الذي يقع إلى الشمال من ذلك الموقع، الذي لا يُذكر له اسم، فينبغي أن يكون "وادي القِلْت"؛ إذ لا يوجد جدول آخر سواه في هذه المنطقة. وعندئذ، يرجح أن يكون "جِلْجال" الواقع في مقابل العقبة هو تلة "قَلْعَة الدَّم"، باعتبارها أكثر تلال هذه المنطقة لفتًا للنظر. أما إذا قرأنا اسم المكان "جِلِيلوْت"، بحسب النص الوارد في سفر يشوع (18:17)، فعندها تحلُّ في محل الجِلْجال تلك الأرض التي تقع في أعلى الطريق. فإذا رُسم الحد من هذه النقطة باتجاه "عين الصِّوَّان" قدمًا، فلا بد أن يكون "وادي السِّدْر" وبعده "وادِي مغايِر الضَّبْع" جزءًا من الحد الفاصل أيضًا. وإلى الجنوب من التلة الألمانية يقطع الحد سلسلة جبل الزيتون، ليمضي بعد ذلك جنوبًا جاريًا في وادي قِدْرون. ولو أنه جرى في خط مستقيم في اتجاه عين "نِفْتوَّح"، أي "عين لفْتا"، لكان أدخل القدس في حدود سبط يهوذا، لكن جريانه جنوبًا ألحق المدينة بسبط بنيامين. ويبدو أن الوعي

(18) لا تستند نظرتنا هنا إلى تأمل دقيق للتفصيلات الواردة في الأصحاح الخامس عشر من سفر يشوع، وإنما تعتمد على التفسير الوارد في
Siphre. Dt. 352 (145^b); Midrash Tannaim on Dt. 33:12 (216f.); Midrash Lekach Tob on Dt. 33, 12, b. Zeb. 54^b.

بحيث يتعذر القول، كما ذهب فنسنت، إن وادي المدينة المقصود هو وادي إبن هنوم، ولن يأتي هذا الفهم بكثير، في جميع الأحوال؛ إذ لن يجعل غير جزء من المعبد من حصة سبط يهوذا. يُقارن:
Dalman, *Baudissin-Festschrift*, pp. 112ff.

كان قويًا بوجود مناطق تابعة لسبط يهوذا في غرب القدس وشرقها، وإلا لربما توافرت سبل أخرى للبرهان على أن القدس كانت بنيامينية. وثمة، في أي حال، ما يعيق الأخذ بهذا الفهم الذي قلنا به حتى الآن، وهو أن "عَنَنيَا" (سفر نحميا 11:32) التي سكنها البنياميون بعد عودتهم من السبي هي نفسها "العيزرية" التي ينبغي، بحسب الفهم الذي سقناه أعلاه، أن تكون واقعة في حدود سبط يهوذا. ولكنْ، يمكن أن يكون هذا الرأي قائمًا على تصور يرى أن وادي إبن هِنّوْم هو الذي يمثل الحد الشمالي لسبط يهوذا (سفر نحميا 11:30)، وأن الحد يجري من هناك في خط مستقيم في اتجاه الشرق. عند ذلك، يمكن أن تظل منطقة "العيزرية" بنيامينية، في حين تعد منطقة "أبوديس" يهودية. غير أن من الممكن الخلاص من هذه الصعوبات كلها إذا صرفنا النظر عن "عين الصُّوَّان" التي يبعد أن تكون قد اتُّخذت علامة على الحدود، لأنها لا تجري إلا شتاء، وأن نعد، كما كنتُ اقترحتُ يومًا[19]، "عين شيْميْش" الاسم الفعلي لجِيحوْن، أي "عيْن إم اِلدَّرَج" الحالية. ثم يجري الحد من منطقة "خان حَثْرور"، على طول "وادِي السِّكَّة"، ثم يجري في محاذاة المنطقة الواقعة جنوب بيت عنيا – العيزرية، وفي محاذاة أبعد المناطق جنوب قمة جبل الزيتون، ثم يهبط من شمال "بطن الهوى" إلى وادي قِدْرون. ولذلك، يكون اتجاه الحد من الشمال إلى الجنوب الذي ذكره سفر يشوع مقتصرًا على المسافة القصيرة المحصورة بين "عين أُم اِلدَّرَج" و"بير أَيُّوب"، ويغدو من المفهوم أن وادي ابن هِنّوم يشكل القطاع الأكبر من الحد في هذه المنطقة. ويُفهم من ذكر ماء عين الشمس أنها هي وجدولها الصغير تتبع القدس، وأن منطقة سبط يهوذا لا تبدأ إلا في الجهة الأخرى منها. ولا يطرأ أي اختلاف على الحد، حتى إذا قلنا إن المقصود بعين الشمس ليس عين جِيحوْن، وإنما "عين السَّباحي" الواقعة تحت الزاوية الجنوبية الشرقية للهيكل (يُنظر أدناه)، والتي كان فنسنت أول من نبه إليها، وإن كان ذلك سيجعل الالتفاف من حول "العيزرية" أصعب لوقوعها إلى الجنوب قليلًا. ولكنَّ قلة شأنها يستبعدها هي الأخرى من أن تكون علامة على الحد.

(19) Dalman, *Baudissin-Festschrift*, pp. 119f.; *PJB* (1918), pp. 48ff.

2 - "وادِي النَّار"

يُطلق اسم "وادِي النار" على ذاك الوادي الذي تتحد فيه الوديان الملاصقة للقدس مباشرة (*F* 6). وهذا هو الاسم الرئيس الذي يُطلَق على هذا الوادي من منبعه حتى مصبه في البحر الميت. أما اسمه "وادي اِلنَّار"، فيرجع إلى الاعتقاد المعروف عند فلاحي "سِلوان" أن هذا المكان سيكون هو المكان الذي يُعاقب فيه الله الكفار يوم القيامة. ويمكن تبين مقدار العلو الذي ستبلغه النيران يومها، في اعتقادهم، من عمود قائم على سور الحرم، أي النقطة التي سيبدأ من عندها جسر الوثب ثم يصل إلى جبل الزيتون، وهناك سيقع الكفار من فوقه في النار. ويعرف بعض الناس الوادي باسم "وادِي جهنَّم" أيضًا، وهو الاسم الذي كان قد ذكره إبن عبد ربه (حوالى 930) والمُقدَّسي (حوالى 945)[20]. وهذه التسمية ناشئة عن أن المسيحيين كانوا منذ القرن الرابع ميلادي قد عدوا وادي إبن هنّوْم هو نفسه وادي قِدْرون الوارد ذكره لدى يوسيبيوس وهيرونيموس[21]. وليس ثمة دليل على أن الناس قديمًا أطلقوا الاسم العبري "نَحَل قِدْرون" على هذا الوادي. وحيثما ذُكر هذا الاسم، قُصد به مكان قريب تمامًا من القدس؛ فقد ذكرت الأخبار اليهودية مكانًا باسم "سهل الموقد" (بالعبرية:"بِقْعَة بيت مِقْلا")، كان يمكن أن يؤتى من حقله المشمس أحيانًا بحزمة شعير عوْمِر لأن شعيره ينضج قبل شعير سواه من الحقول، وقد جعلته الأخبار اليهودية جزءًا من "وادي قِدْرون"[22]، ولعلها قصدت بذلك "وادِي اِلسَّواحْرِة" (*G* 7) المتجه من الغرب إلى الشرق، وهو امتداد من امتدادات "وادي اِلنار". ومن المؤكد أن "نَحَل هَشِّطِّيم"، الذي سيقوم ذات يوم بتزويد نبع ينبثق من المعبد بالماء (إنجيل يوحنا 18:4) ولكنه ليس "وادِي السنْط" الخصب

---

(20) Gildemeister, *ZDPV* (1881), p. 91; (1884), p. 164.

(21) E. Klostermann (ed.), *Onomastikon*, pp. 70f.;

وفي ما يتعلق بالفترة اللاحقة، يُنظر:

Eucherius & Baeda, Geyer, *Itinera*, pp. 127, 309.

(22) Tos. Men. X 21;

يُقارن:

b. Men. 85^{b},

ولكنَّ اسم وادي قِدْروْن لا يُذكر في هذا المرجع.

الذي يجري في مناطق تلال يهودا[23]، وإنما يغلب أن يكون أدنى مجرى "وادي النار" الذي يجري في الصحراء، ما استحق من دون شك أن يسمى "وادي السنْط"، مثلما استحق ذلك "وادي سِيَّال" الذي يجري إلى الجنوب منه[24]. ويذكر سفر حزقيال (8:47) أن الجدول الذي سينبثق من تحت عتبة الهيكل ذات يوم في مستقبل الخلاص، سيجري خلال الأرض الشرقية إلى غور الأردن وإلى البحر الميت. وقد يرد إلى البال أن المقصود بذلك هو "وادِي النار"، لولا أنه يجري جنوبًا، ويصب في البحر الميت مباشرة. ولا تذكر الآية أعلاه أي واد بعينه، كما لا يفعل ذلك سفر زكريا (8:14) الذي يورد أن ماء حيًا سيتدفق ذات يوم من القدس، في جميع أيام السنة إلى البحر الميت وإلى البحر الأبيض المتوسط كليهما. وليس ثمة ما يمنع من القول إن الماء سيجري إلى البحر الميت خلال "وادِي النار" الجاف. وسنتطرق إلى صلة هذا اليوم بيوم القيامة عند حديثنا عن وادي إبن هنّوْم.

سنبدأ الآن بتتبّع "وادي اِلنار" من الجنوب الشرقي حتى يتفرع في فرعين رئيسين يحيطان بالقدس، وستكون بدايتنا من منعطف الوادي الذي يقطع زاويته "وادِي اللبَّان" قبل أن يلتقي تلك الزاوية المفضية إلى مار سابا. ولا ترى على الجهة الشرقية أول الأمر بعد "عيْن اِلشِّيح" غير ذلك الوادي الفرعي الصغير المسمى "وادِي العبد" الواقع تحت "أبوديس". وأنا لم أسمع بهذه العين أبدًا، وإنما هذا هو اسمها بحسب ما ورد في الخريطة الإنكليزية، ولعلها هي نفسها "عين الحلبة" التي يزعم الناس أن ماءها يعين النساء على الحمل. وعلى الجهة الغربية، يوجد "وادي العين" الذي هو الأطول (تسميه الخريطة الإنكليزية "وادي أبو علي")، والذي يصل من خلال فرعه "الخارجة" آتيًا من الجنوب إلى قمة "راس المكبر"، ويليه "وادي أبو علي" الذي يرافق امتداد الجبل نفسه المسمى "صُوَّان

---

(23) يُقارن:

PJB (1909), p. 13.

(24) توجد أشجار السنط في الأجزاء الأخيرة من "وادي اِلنار" أيضًا، كما هي الحال في محيط أريحا وشرق نهر الأردن (على الرغم مما ورد عن شفاين فورت (Schwein - furth) لدى لوْف: Löw, Flora II, p. 381 الذي ينكر ذلك). أما في الأجزاء العليا من الوادي، فتدل أشجار السِّدْر (*Zizyphus Spina Christi*) وأشجار "العَرْقَد" (*Z. Lotus*) على أن درجات الحرارة هناك أعلى.

المِكَبِّر" من جهته الشرقية، وآخر ما نلقاه من الأودية، إلى الشمال الشرقي من التلة، الوادي القصير المسمى "وادِي اِلصَلَع" (*GH* 7)، الذي يتبع له "صِعْب بيت ساحور" ("العتيقة").

يسمى الوادي الرئيس عند مروره تحت "راس المكبر" "وادي السَّواحْرة"، لأن البدو الحاليين "السَّواحِرة" الذين كانوا في ما مضى فلاحين يسكنون فوق "بيت ساحور العتيقة" لا يزالون يدفنون موتاهم فيه. وعلى الجهة الشرقية من الوادي[25] توجد كهوف، يسميها الناس "مغايِر عيسى"، زاعمين أنها الكهوف التي خبأت فيها مريم المسيح طفلًا يوم هربت به. وغربًا توجد مجموعة من القبور الصخرية. في الشمال، في مقابل "راس اِلمِكَبِّر" يصب من الشمال في الوادي الرئيس الذي يتجه هنا غربًا واد فرعي يجري من جبل الزيتون (*EF* 7)، يسمى في قسمه الأعلى "وادِي عَبْد الله"، وفي وسطه "وادِي قَدُّوم"، وفي قسمه الأسفل "وادِي دَيْر اِلسِّنِّة" نسبة إلى خربة تقع في جهته الغربية تحمل الاسم نفسه (يُنظر أعلاه، ص 51). هنا كتب شيك وبِنتسِنغر على خريطتهما المسماة "خريطة محيط القدس القريب" (Karte der nähren Umgebung Jerusalems) لعام 1895 الاسم "وادِي الرَّدْم"، في حين كتبا على خريطتهما المسماة (Karte der weiteren Umgebung Jerusalems) "خريطة محيط القدس البعيد" "وادِي قَدوم"[26]. فمن الواضح أنهم سمعوا اسم الموقع "رَدْم"، وعلى ما يبدو أن "رَدم" غير المعروفة بتاتًا في "سلوان"، قد سُمعت خطأً بدلًا من "قَدُّوم". ومن منطقة "مْدَق الطَّبْل" الواقعة على طريق أريحا (يُنظر أعلاه، ص 48)، يلتحق بهذا الوادي من الجهة الشمالية الغربية فرع اسمه "وادِي الطَّبَّال" (*F* 7)، الذي أخطأ شيك فأسماه "وادِي ديرالسِّنِّة". وقد جعل شيك "وادي طَبَال" (كتب اسمه هكذا) في ثنية موجودة في السفح الغربي للوادي التي ربما ينبغي أن تسمى "أَرْض الأَسمية" ("أصمية"). ويصب في "وادِي قَدُّوم" من الشمال الشرقي

---

(25) ورد هذا صحيحًا لدى شيك:

ZDPV (1880), p. 32.

في حين جعله فان كَستِرن في موضع آخر:

ZDPV (1890), p. 81.

(26) أخطأ تُبلَر وبيدِكِر وبِنتسِنغر (Baedeker - Benzinger[6], p. 123)، فكتبوا الاسم "وادي كَطُّون"؛ إذ إن "قَدُّوم" تعني "فأس صغيرة، بلطة".

واد فرعي قصير في أثناء مروره بالأرض المسماة "وَعْر محْمد". ونجد في خريطة فنسنت شرق "وادِي الطَّبَّال" مكانًا اسمه "وَعْر الغلسان"، أي "منحدر العُنصُل"، كما سمّى فنسنت أعلى مجرى "وادِي قَدُّوم" إلى الشمال من طريق أريحا "وادِي الجِمّة". ويقع على السفح جنوب "وَعْر مْحَمَّد"، أول الأمر، حوض "بِير اِلشَّامي" الذي تتصل به قناة ممتدة محفورة في الصخر. ونجد بعدها المغارة المزدوجة المسماة "عِراق البد"، مع بقايا معصرة زيتون، ونرى في آخر الأمر الكلولومباريوم المسمى "إم اِلطواقي" الذي يشتمل على نحو 300 طاقة، عمق كل منها وارتفاعها وعرضها 20 سنتيمترًا. ويغلب أن هذا الكلولومباريوم لم يُستخدم مدفنًا، وإنما استُخدم، شأنه شأن مثيله في "جِبِل دِيْر أبو ثوْر"[27] وشأن الكلولومباريوم الأبسط منه في "ديْر السِّنّة" (ص 51) في "حَصاحِيص الفواقة" شمال القدس (ص 60) لصيد الحمام البري الذي يحط هناك ليلًا، باستخدام طريقة لا تزال شائعة إلى اليوم.

فإذا مضينا غربًا، وصلنا إلى شِّعبَي الوادي الجانبيين القصيرين الواقعين إلى الشمال، وهما "خَلِّة الزيادِة" و"خَلِّة الطوري" اللذان يقسمان سفح "بطِن الهوَى" الجنوبي. ويحوِّل "وادِي النار" وجهته هنا إلى الشمال الغربي، فيلتقيه من الجنوب الغربي واد كبير نسبيًا، هو "وادي ياصول" (*G* 6) الذي كتبت "قائمة الأسماء" في **مسح فلسطين الغربية** وشيك بِنتسِنغر اسمه خطأً بحرف السين، علمًا أن "الياصول" هو "قدّوم المحراث" (في ما يتعلق باسم المكان "آصيل" أصَل المذكور في سفر زكريا (5:14)، الذي يُفترض أن له علاقة بهذا الاسم يُنظر ص 51 و151). ويلي ذلك، على الجهة نفسها، الوادي القصير المسمى "الخلّة" الذي ينحدر مع "وَعْر البيطار" في الوادي الرئيس انحدارًا سريعًا. ولمّا كان اسم هذا المكان "الخلّة" فحسب، فربما كان اسمه الكامل "خَلِّة اِلشَّماعَة"؛ إذ إن هذا هو اسم التلة المتصلة بها من جهة الشمال (ص 149). أما شيك، فيسمي الوادي مباشرة "وادي اِلشَّمَع".

---

(27) يُنظر:
Schick, *ZDPV* (1885), pp. 46ff; Tafel II.

وإلى الشمال من مخرج "وادي ياصول" تنبثق من الطرف الجنوبي للوادي الرئيس عين شتوية اسمها "عيْن اللوزة"، والأرجح أنها اتخذت اسمها من شجرة لوز. ولا تجد ذكرًا لهذه الشجرة في المصادر القديمة، لكن الناس يرون أنها عين سلوام المذكورة في إنجيل يوحنا (7:9)، لأن ماءها يشفي العيون الملتهبة[28]. وعلى الجهة المقابلة، وفي زاوية مواربة، وضع فنسنت "عيْن الشَّقَف" في ذلك المكان ونعتها هي الأخرى بأنها عين شتوية[29]. وفي وسط الوادي الذي يسمى في هذا المكان "وادي بِير إِيُّوب"، توجد بئر ماء جوفية عمقها 38 مترًا تسمى "بِير اِيُّوب"[30]، (F 6)[31]، وكان المُقدَّسي (985 ميلادية) أول من ذكرها بهذا الاسم[32]، وإنما أسميت بهذا الاسم، لأن أيوب الذي يُزعم أنه سكن مغارة شرق البئر (مْغارِة اِيُّوب)، شَفَتْهُ ماء البئر من علته، كما تقول الحكاية. فقد جاء في سورة ص (الآية 41) أنه اشتكى من البلاء الذي أصابه قائلًا: "أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ"، فأجابه الله في الآية التالية (42) "ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ"[33]. ويخيّل أن الآيتين استوحتا في صياغتيهما الاسم العبري لهذه البئر "عيْن روجِل" (يُنظر أدناه)، وأن "روجِل"، أي الراكض، هو أيوب. وغربي البئر، يوجد مقام إسلامي اسمه "مَقام إِيُّوب"، تتصل به بركة صغيرة، ولا ماء فيها اليوم. وعلى السفح الشرقي، المسمى "حَبِلِة الشيْخ" فوق المغارة يوجد 15 تجويفًا دائريًا في الصخر، نسب إليها فنسنت[34] أهمية دينية، مع أنه يمكن

---

(28) T. Canaan, *Mohammedan Saints and Sanctuaries in Palestine* (1927), pp. 65, 111.

(29) *Jérusalem*, vol. 1, p. 95.

(30) يلفظها الناس في "سِلْوان" على نحو واضح "بيْر إِيُّوب".

(31) في ما يتعلق بشكل هذه البئر، يُنظر:
Wilson, *Ordnance Survey of Jerusalem*, pp. 84f., Pl. XXII; Dalton, *PEFQ* (1923), pp. 165ff.

(32) Gildemeister, *ZDPV* (1884), p. 164.

(33) أشار إلى هذه الآية القرآنية أبو محمد القاسم نقلًا عن السيوطي (1470 ميلادية)، يُنظر:
Le Strange, *Palestine*, pp. 222f.,

وفي ما يتصل بالحكايات الشعبية المعاصرة عن أيوب، يُنظر:
Clermont-Ganneau, *Arch. Res.*, vol. 1, p. 360f.; Hanauer, *PEFQ* (1900), p. 362; *Folklore of the Holy Land*, pp. 17ff.; Meyouhas, *Bible Tales in Arab Folk-Lore*, pp. 24ff.

(34) Canaan, *Mohammedan Saints and Sanctuaries in Palestine*, p. 100, footnote 2.

أن تكون لها وظيفة تجارية[35]. ولا ينضب الماء من هذه البئر العميقة أبدًا، ويؤثر أهل "سِلوان" شرب مائها على شرب ماء "عيْن إِم الدَّرَج". وينبغي أن تعد "بِير إِيُّوب" هي نفسها "عين روجِل" التوراتية التي يعني اسمها، كما ورد في الترجوم، "عين النسَّاجين"، مع أن كلمة "روجِل" نفسها ليست الكلمة التي تُستخدم عادة للدلالة على "النسَّاج"، وإنما يمكن أن نفترض أن هذه التسمية راجعة إلى استخدام آلة في رفع الماء من البئر كان تشغل بالدوس عليها بالأرجل (يُنظر سفر التثنية 10:11)[36]. وما يؤكد أن "بِير أَيُّوب" هي نفسها "عيْن روجِل" هو أن الأخيرة تظهر في وصف الحدود بين سبطي يهوذا وبنيامين في سفر يشوع (7:15؛ 16:18) في هذه المنطقة بالتحديد، وأن سفر الملوك الأول (9:1) يتحدث هنا عن موضع مقدس مختلف عن موقع جِيحوْن المذكور في الآيتين 33 و38، ولكنه يقع، مع ذلك، في مكان قريب منها، بحيث يصل ضجيجه إليها ثم يؤكد ذلك أيضًا أن سفر صموئيل الثاني (17:17) يقول إنها تقع قرب القدس، ولكنها في مكان بعيد عن الأعين. وإلى ذلك، ذكر يوسيفوس[37] أنها تقع في بستان الملك وتبعد إستادين عن المدينة، وأن بساتين الملك القريبة منها تهدمت نتيجة زلزال أصاب البئر. وقد سمّى البئر ἠγωρΕή (ἠγωρρΕ) لأنه أراد أن يسميها اسمًا يذكِّر بالصيغة ιμυνγήρ، وبصيغة الماضي منها αγωρρέ التي تعني "قَسَمَ" "كَسرَ"، وهو يذكر خبرًا أسطوريًا زاعمًا أن زلزالًا ضرب هذه المنطقة في زمن عُزيا (سفر عاموس 1:1، وسفر يشوع 5:14) مدحرجًا نصف الجبل الغربي مقدار أربعة إستادات[38] شرقًا، وهو ما لا تجد له أثرًا البتة في منطقة "بير إِيُّوب". ويمكن، في أي حال، أن يكون أصل هذه الحكاية أن زلزالًا دحرج صخرة كبيرة من السفح الشرقي،

---

(35) يُنظر مناقشتي للتفسيرات المحتملة:

PJB (1908), pp. 30ff., Abb. 2.

(36) يُقارن:

Gustav Dalman, *Arbeit und Sitte in Palästina*, vol. 1, pp. 555f.

علمًا أن في الإمكان تفسير الآية من سفر التثنية (10:11) على نحو آخر أيضًا.

(37) *Antt.*, VII 9, 7; 14, 4; IX 10, 4.

(38) هذا مثال حسن على تزيد يوسيفوس في الأقوال؛ فالإستادات الأربعة تساوي 738 مترًا، وتساوي كذلك المسافة بين بئر أيُّوب والمنعطف الشمالي لوادي إبن هِنّوم، في حين أن عرض قاع الوادي هنا هو 70 مترًا فقط.

فاستقرت عند البئر. وليس المقصود بذلك الحجر الموجود اليوم عند "بير إِيُّوب"، وهو مكعب يتراوح طول ضلعه بين 70 و80 سنتيمترًا، إذ يبدو أنه من صنع الإنسان، وتوجد حجارة أخرى مشابهة له في محيط البئر. وقد عده ر. كِتِل (Kittel)[39] حجر الزَّاحِفة (بالعبرية "إِيْبِن هَزوْحيْليت") الذي كان عند بئر روجِل كما ذكر سفر الملوك الأول (1:9)، ولكنه أخطأ في اقتراحه هذا؛ إذ يستحيل أن يكون لهذا الحجر الذي لا يتسم بالضخامة[40]، والملقى هناك منفردًا في الأرض الغرينية القريبة من البئر، قيمة كبيرة في محيط عين روجِل قبل 3000 سنة. وإلى ذلك فهو، في ما يبدو، لا يظهر بعد في صورة قديمة عندي للمكان. وربما يكون الناس قد دحرجوه إلى هناك، ليسهِّل على النساء اللاتي يملأن قِربهن بالماء أن يحملنها بعد ملئها، كما هي الحال اليوم. والأولى، في الحقيقة، أن يكون حجر الزَّاحِفة هو قطعة الصخر التي تُفهم من حكاية يوسيفوس التي سقناها. ومن غير المستحيل أن يكون "الحجر" المقصود هو الصخر المتعلق بالمغارة التي تكاد تنغرس اليوم كلها في الأرض، لأن كلمة "إيْبن" يمكن أن تعني في سفر التكوين (24:49) صخرة [فضلًا عن حجر] أيضًا. وكانت التسمية العبرية لهذا الحجر [إِيْبِن هَزوْحيْليت] أوحت لكليرمو غانو[41] بأن يتخذ التسمية العربية "زَحْويْلِة" للمرتقى الصخري الأملس إلى قرية "سِلوان" المائل البالغ 5 أمتار تقريبًا، والواقع في مقابل "عيْن إِم الدَّرَج"[42] دليلًا على المكان الحقيقي لذلك الحجر، وعلى موقع "عيْن روجِل". وكلمة "زَحْلَق" هي الكلمة المألوفة في منطقة القدس للتعبير عن معنى "تزحلق"، وأما كلمة "زَحْليْقة" فتدل على المكان الذي يسهل التزحلق عليه، وكلمة "زَحْويْلِة" هي صيغة تصغير لكلمة "زَحالِة"، وهو المكان الذي يسهل التزحلق منه أيضًا. ويستخدم الناس، إلى جانب هذه الصيغ، كلمتي "سَحْسيْلة"

---

(39) *Studien zu hebr. Archäologie*, pp. 171ff.

(40) يتراوح عرضه بين 70 و80 سنتيمترًا، ويبلغ ارتفاعه 70 سنتيمترًا، وتجد بقربه حجارة أخرى مشابهة له في الحجم والقياس، وطول ضلع الواحد منها 65 سنتيمترًا.

(41) *PEFQ* (1870), pp. 251f.

وتبعه في ذلك:

Warren & Conder, *Survey of W. Pal., Jerusalem*, pp. 293f., 420f.

(42) يُنظر الشكل لدى:

Paton, *Jerusalem in Bible Times*, p. 38.

و"سَحْويْلِة" للتعبير عن المعنى نفسه. وتجد في المعجم كلمات أخرى دالة على هذا المعنى: "زَحْلول"، "زَحْلوفَة"، "زَحْلوقَة"، "زِحْلِيْطَة". ويريد فنسنت[43] أن يحمِّل معنى "مكان التزحلق" على "إيْبِن هَزوْحيْليت" الذي دل على صخرة فيها موضع للتزحلق كانت قرب "بِير إِيُّوب". ولكنَّ عبارة "حجر المتزحلِق" التي ينبغي أن نسبقها بكلمة "ديْرخ"، أي "طريق"، تدل على حجر سُمي بهذا الاسم نسبة إلى حيوان متزحلق كالثعبان مثلًا، من دون أن يدل ذلك بالضرورة على كائن مقدس، كما حَسِبَ كاتب الترجوم يوم ترجم كلمة "زوْحيليت"[العبرية] بكلمة "ساخوتا" [الآرامية] التي تعني "إطلالة"، خارجًا بها عن معناها الأصلي[44]. فإذا صح هذا، فكيف مشى نحميا (سفر نحميا 2:13) يوم اتجه غربًا في ركوبه خارج السور الجنوبي للقدس، في الاتجاه المفضي إلى "عين التنين" (بالعبرية:"عيْن هَتَّنِّين")، ولا يمكن أن يكون المقصود بهذه الآية إلا أنه مشى في الطريق المفضية إلى "بير إِيُّوب" التي لا تزال تتجه اليوم من قاعدة التلة الغربية، التي لا تنحرف في الاتجاه الجنوبي الشرقي مبتعدة عن السور، إلا قبيل وصولها إلى المكان الذي كان يقوم فيه قديمًا باب الزبل. وبناء عليه، يكون اسم "عين التنين" اسمًا قديمًا لِـ"عيْن روجِل"[45]. واللافت أن كاتب العهد القديم العبري لا يسمي "بير إِيُّوب" "بئرًا"، وإنما يسميها "عَين". وفي الأصحاح 24 من سفر التكوين أن "البئر"

---

(43) *Jérusalem*, vol. 1, pp. 140f.

(44) جاء في الترجمة السريانية "كيْفا رَبيتا"، ما يدل على أنه قصد صخرة عالية.

(45) هذا هو رأي كِتِل:

Kittel, *Studien zur hebr. Archäologie*, pp. 178f.

ويُذكر في:

Zab. I 5, Siphra, Mezora' (75^{c})

موضع غير بعيد عن شِلوَّاح، يسمى "جَدْيوْن"، أو "جَدْ ياوان"، أي "جاد اليونانية". وربما كان المقصود حجر "زوْحيليت". ولكنَّ Tos. Zab. I 10; b. Sanh. 63^{b} يقرأ "شِيلوْ" بدلًا من "شِلوَّاح"، وعند ذلك يمكن أن يكون المقصود "جراب" الواقعة على بُعد ثلاثة أميال عن شِيلوْ، حيث كان ينتصب يومًا تمثال الإله الذي نُقل إلى دان (سفر القضاة 18:30)، يُنظر:

b Sanh. 103^{b}

الذي ربما صار بعد الفترة المسيحية معبدًا وثنيًا. يُنظر:

PJB (1912), pp. 26f.

وربما كان هذا هو المكان القديم لبعل جاد في دان كما ذكر سفر يشوع 11:17، الذي صار يُعد حينذاك، على ما يبدو، مماثلًا للإله اليوناني بان.

المذكورة في الآية 11، تُسمى "عينًا" في الآيات 13 و16 و29 وما يليها، و42 وما يليها، و45 كلها. كما أن بئر يعقوب العميقة المذكورة في إنجيل يوحنا (4:6) تسمى πηγή وليس φρέαρ. وإلى ذلك، كشفت تنقيبات وَارن[46] في عام 1869 في الجهة الجنوبية الغربية قرب البئر عن مغارة تحت أرضية، يمكن النزول إليها عبر أدراج وممرات. فإذا كانت هذه المغارة هي المكان الذي كان الناس قديمًا يجدون فيه الماء المتجمع، ففي ذلك تفسير واف لاستخدام كلمة "عَين". وكان العرب سدوا البئر الحالية قبل أن يحاصر الصليبيون القدس، إلا أن جرمانوس أعاد كشفها في عام 1184[47]. وتجد في مصدر عربي ذكرًا لحفر هذه البئر[48]. وقال مايسترمَن[49] أن البئر حُفرت في عام 513 ميلادية. إلا أن ذلك مستبعد لأسباب عديدة منها أن فيضان الماء في الشتاء بشدة أسفل البئر الحالية، لا بد أنه حفز الناس دائمًا على الوصول صيفًا إلى المياه الموجودة في المستويات الأدنى. ولا بد أن جريان الماء من هذا النبع شتاء، وهو الذي كان مجير الدين أول مَن ذكره، هو السبب الرئيس في تسمية هذه البئر "عينًا"، بصرف النظر عن الطريقة التي كان الناس يصلون من خلالها إلى مستويات المياه الأدنى، فلا بد أن الماء كان يجري من هذه النبع دائمًا.

وإلى الشمال، ينفتح هنا حوض يجري في القسم الشرقي من أرضه المنبسطة التي يتراوح ارتفاعها بين 608 و616 مترًا. وتُرى أول الأمر، في شمال "بِير إِيُّوب"، الأرض الجرداء المنبسطة "البيادر" التي يستخدمها أهل "سِلوان" كما يُستدل على ذلك من اسمها، والتي أمسكتُ أنا نفسي بالمذراة فيها في عام 1925. وتلي ذلك أرض القرية المزورعة بالخضروات والمغروسة بالأشجار (البساتين)، والتي تمتد نحو 550 مترًا ويبلغ عرضها نحو 80 مترًا، وترقى إلى عند "بِير إِم اِلدَّرَج"، وتسمى هذه الأرض "البستان" فحسب. وتوجد على الجبل الشرقي مصطبة صخرية تسمى "بيْذَر عِريْبِة" فيها مغارة. وفوقها تبدأ قرية "سِلوان" التي تمتد 800 متر على طول

(46) Warren & Conder, *Jerusalem*, pp. 372ff.; Warren, *Excavations, Pl.* XLIII.

(47) Weil, *Geschichte der Kreuzzüge*, II 2, pp. 248f.; Vincent, *Jérusalem*, vol. 2, p. 967.

(48) Sauvaire, *Palestine*, p. 188.

(49) *La Palestine*², p. 173.

الطرف الشرقي للوادي، وإليها تؤول ملكية المنطقة كلها، بما فيها الأرض التي كانت تقوم عليها مدينة داود. ومن هنا يتخذ الوادي اسم "وادِي سِلوان"، بينما يعد حوض الوادي "وادي بِير إِيُّوب"، ولكنه جزء من "وادِي النار".

ولا بد أن البساتين التي في الوادي (*F* 6) كانت تسمّى في الماضي "بستان الملك" (بالعبرية:"جَنْ هَمّيْلِخ") الذي كان، بحسب ما جاء في سفر نحميا (15:3)، قرب باب العين الذي كان يفضي، من دون شك، من منطقة الطرف الجنوبي لمدينة داود إلى عين النسَّاجين، أو إلى عين التنين. وعن هذا الموقع نفسه يتحدث سفر الملوك الثاني (4:25)، وسفر إرميا (7:52) ويذكران أن تسدقيا هرب إلى غور الأردن من القدس التي حاصرها نبوخذنصر، فخرج من "طريق الباب بين السُورين" (يُقارن سفر إشعيا 11:22)، مارًا من شمال بستان الملك هو أننا لا نجد في منطقة القدس ماء جاريًا يصلح لري الأرض إلا هنا. ولا نقصد بحديثنا هذا "بِير إِيُّوب" لانخفاض منسوب الماء فيها، وإنما المقصود هو "عيْن أُم اِلدَّرَج" التي تقع في الأعلى، والتي سيلي الحديث عنها الآن، فمنها ينبعث قدر كاف من الماء، يكفي، ماضيًا وحاضرًا، لسقي الخضروات في غير موسم المطر، بل كانت تروي أيضًا الأشجار المثمرة كالتين والرمان والكرمة[50].

فوق قرية "سِلوان" يتخذ الوادي اسمًا جديدًا بدلًا من "وادِي سِلوان"، هو "وادِي طَنْطور فَرْعون" الذي يمتد حتى قبر أبشالوم (يُنظر أدناه). وعلى الجهة الغربية، أي تحت تلة مدينة داود، نجد "عيْن أُم اِلدَّرَج"، أو "عيْن البدرية" نسبة إلى امرأة من الأولياء[51]. أما المسيحيون، فيسمونها "عيْن السِّت"، زاعمين أن مِرْيم غسلت حفاضات ابنها هنا. ولكن العين تسمى أيضًا "عيْن سِلوان الفوقا" لأنها،

---

(50) يُنظر:

Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, pp. 101, 126, 554ff.

(51) يُنظر في ما يتعلق بها:

Kahle, *PJB* (1910), pp. 72f., 94,

وكذلك:

Canaan, *JPOS*, vol. 7 (1927), pp. 72ff.; Canaan, *Mohammedan Saints and Sanctuaries in Palestine*, pp. 305ff.

إلى جانب "عيْن سِلوان" نفسها الواقعة عند مصب قناة شِلوَّاح، مصدر الماء لهذه القرية. وفي الجهة المقابلة، يفضي درب يكثر استخدامه في نقل المياه إلى "حارِة الفوقا"، وهي الجزء الشمالي من "سِلوان"، ويصعد الدرب بعد جدار صخري ارتفاعه 5 أمتار تقريبًا، ويسمي الناس هذه المنطقة المائلة "الزَّحويْلة" (مكان التزحلق) (يُنظر أعلاه، ص 165)، وهذا ما حفّز كليرمو غانو وكُندَر على القول إن هذا هو المكان الذي كان يوجد فيه الحجر المسمى "زوْحيْليت" المذكور في سفر الملوك الأول (1:9) وأعتقدا أن "عيْن أُم اِلدَّرَج" هي نفسها عين النسَّاجين. لكن من المؤكد أنها هي العين المسماة "جِيحوْن"؛ فمع أن "جِيحوْن" لا تقترن في سفر الملوك الأول (1:33، 38:45) بأي عين ماء، ولا يتبين من النص إلا أن المكان المسمى بهذا الاسم، والواقع تحت مدينة داود بحيث ينحدر الماشي من المدينة إليه، كان في موقع يستطيع المرء سماع الضجيج من عنده حتى عين النسَّاجين. كما يتبين أن المكان كان مكانًا عامًا مقدسًا، يصلح لإجراء طقوس مسح الملك بالزيت. ولكنْ، في سفر أخبار الأيام الثاني (30:32) يُقال صراحة إن حزقيا سد مخرج مياه جيحون الأعلى وأجراها تحت الأرض إلى الجهة الغربية من مدينة داود. وهذا يؤكد أن المقصود بالقناة المذكورة في سفر الملوك الثاني (20:20)، التي نقل الملك من خلالها الماء إلى المدينة، وذلك من طريق الحفر في الصخر (سفر سيراخ 17:48) [من أسفار الأبوكريفا، والأبوكريفا كلمة يونانية تعني "أشياء تم إخفاؤها" وتترجم إلى الكتب المنحولة أيضًا، وتشير اليوم إلى نصوص دينية غير موثَّقة ولا تعترف بها المؤسسة الدينية الرسمية] هي قناة جِيحون دون سواها. ولمّا كانت "عيْن أُم اِلدَّرَج" هي العين الوحيدة في محيط القدس التي ترفد قناة صخرية بالماء، فلا بد أن تكون هي نفسها جِيحوْن. وتعني كلمة "جِيحوْن" "يفور" أو "يتدفق"، وتذكّر بكلمة "فَوَّار" العربية، وهو وصف ينطبق على هذه العين، ليس لأن ماءها يفور ثم يجري في قناة طويلة فحسب، بل لأنها تتميز أيضًا بأن الماء يندفع في حوضها من الأسفل على نحو مائل، ويغدو قويًا في بعض الأحيان، وهو ما ذكره الحاج من بوردو[52] في عام 333 ميلادية، ولكنه كان يتحدث، وهذا لافت، عن بركة سلوان، لأنه كان من غير الممكن الوصول إلى هذه العين حينذاك

(52) Geyer, *Itinera*, p. 22.

إلا في ذاك الموضع. ولمّا كان "باب الماء" المذكور في سفر نحميا (3:26؛ 8:1، 3؛ 12:37) الواقع في الجهة الشرقية من مدينة داود متعلقًا بـ"عيْن أُم الدَّرَج"، ولمّا كان علينا أن نفترض أنه كانت للعين بوابة دائمًا، فلا بد أن هذا الباب هو الذي نزل سليمان من خلاله إلى جِيحوْن. ويُستدل من معنى كلمة "جِيجوْن" على أن هذا الوصف للعين ليس اسمها الأصلي، وأن "عين الشمس"، كما يتبين من سفر يشوع (15:7؛ 18:17) يمكن أن يكون اسمها الأصلي (يُنظر أعلاه، ص 158)، وهي تتدفق في اتجاه الشرق، شرق مدينة داود، وهي تشبه في ذلك "عين المعبد" المذكورة في سفر حزقيال (47:1) التي تتدفق في اتجاه الشرق كذلك من تحت عتبة بيت المعبد. بل يجوز لنا أن نعد "عين المعبد" الأنموذج الذي يمكن أن تسعى عين الشمس إلى محاكاته؛ إذ توجّبَ ذات يوم على "عين المعبد" أن تحقق للبلاد ما لم تستطع "عين الشمس" تحقيقه قط. وربما يكون المكان استقى من نسبة العين إلى الشمس درجة من القداسة كانت سببًا في اختياره مكانًا لمسح سليمان بالزيت.

وتسمى هذه العين اليوم "عيْن أُم الدَّرَج" لأن الناس يهبطون إليها مستخدمين درجًا تتخلله بسطة، يفضي إلى قبو اصطناعي ينخفض تسعة أمتار. ولا بد أن العين لم تكن دائمًا على هذه الحال. أما وارِن[53]، فيفترض أن قاع وادي قِدْرون كان أعمق من مستوى العين بثلاثة أمتار، ويبعد عنها نحو 20 مترًا. وقبل أن يحوَّل مجرى ماء العين، كان ماؤها يتجمع في حوضها، ثم يفيض ليجري في الوادي على هيئة جدول صغير يسقي المزروعات في قاع الوادي الذي ينبسط هنا. غير أن ذلك بات غير ممكن منذ أن حُوِّل مجرى ماء العين، وكان ذلك في أول الأمر من طريق قناة اكتشفها مايسترمَن في عام 1902[54]، وهي تنخفض 45 سنتيمترًا عن حوض العين، وتجري جنوبًا في محاذاة طرف التلة الخارجي. واقتضى تخزين ماء العين في الحوض وجود نفق اكتشفه وارِن في عام 1867[55] فوق الحوض ينحدر من أعلى، مائلًا أول الأمر، ثم يصبح عموديًا منحدرًا 13 مترًا تقريبًا حتى يصل إلى

(53) Warren, *Excavations*, *Pl.* III.

(54) *PEFQ* (1902), pp. 35ff.

(55) Warren, *Excavations*, Pl. XLIII.

ماء الحوض، بحيث يستطيع أهل المدينة الساكنون فوقه سحب الماء منه عندما يُسد مدخل الحوض السفلي المفضي إلى العين، لمنع الأعداء من الوصول إلى الماء[56]. وربما استُخدمت معه، وفي الوقت نفسه، تلك القناة التي اكتشفها شيك في عام 1886[57] التي كانت تجري على طول الطرف الخارجي للتلة التي ما كان الماء يجري فيها إلا إذا بلغ ارتفاعه 2.05 مترًا. ولا بد أن إحدى هاتين القناتين هي "مياه شيلوه الجارية بِسُكوت" المذكورة في سفر إشعيا (6:8) والتي لام الملك آحاز الشعب على إهمالها في زمانه. أما كلمة "شِلوَّاح"، فتتصل بالفعل "شِلَّح"، الذي يعني "أسال"، كما هي الحال في سفر حزقيال (4:31) وفي المزامير (10:104)، كما تعني الأداة المستخدمة في الإسالة، أي "القناة"[58]. وأسميت في فترة لاحقة الأرض التي يسيل فيها الماء، وتسقى بالقنوات "بيت هَشِّلاحِين"[59]. ولا بد أن القناة التي كانت تبدأ عند مدخل العين القديم والمسماة "القناة" أبطلت عمل جميع القنوات ومخارج العين. وتجري هذه القناة 512.50 مترًا في خط يتخذ هيئة حرف S، خلال تلة مدينة داود، بحيث يصب في نهاية المطاف في وادي المدينة على الطرف الغربي من التلة، فاتحًا بذلك مدخلًا جديدًا للعين[60]، محققًا بذلك الهدف عينه الذي كانت تحققه القناة التي شقها حزقيا، كما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني (30:32)، ويُنظر سفر الملوك الثاني (20:20) وسفر سيراخ (17:48).

---

(56) أكثر فنسنت وآخرون من الاستعانة بهذا النفق في تفسير الآية الواردة في سفر صموئيل الثاني (8:5)، وهذا أمر غير جائز. يُنظر:

PJB (1915), pp. 39ff.

(57) *PEFQ* (1886), pp. 88ff., 197ff.

(58) يُنظر:

Barth, *Nominalbildung in den semit. Sprachen*, p. 62,

صيغة "قِطَال".

(59) Bab. b. II 13, III, 1;

يُنظر:

Vogelstein, *Landwirtschaft*, p. 13.

(60) يُنظر:

Warren, *Excavations*, *Pl.* XLII,

خاصة:

Vincent, *Rev. Bibl.* (1911), pp. 567ff.; *Jérusalem sous terre* (1911);

وتُنظر عدا ذلك مناقشاتي في:

PJB (1915), pp. 65ff.; (1918), pp. 47ff.

عُثر في عام 1880 على نقش عبري قديم[61] يرجع إلى زمن هذا الملك، محفورًا في الجدار قرب مخرج القناة. ويتحدث النقش عن لحظة التقاء العمال الذين كانوا يحفرون القناة من الجهتين، ولا شك في أن ذلك جرى عندما شُقت القناة، وإن لم يعين النقش زمان حدوث ذلك. وربما كان مدخل العين سُد مرات عدة عبر التاريخ. ومع أن نحميا يذكر "باب الماء" (سفر نحميا 3:26؛ 12:37) الواقع على الجهة الشرقية للعوفِل، فإن هذا يحتم وجود طريق مفتوحة تصله بعين جِيحوْن. ويضاف إلى ذلك أن هذا الباب كان قديمًا جدًا؛ إذ ما كان لسليمان أن يسلك راكبًا على بغلته طريقًا أشد انحدارًا من هذه في طريقه إلى جِيحوْن، كما جاء في خبر سفر الملوك الأول (44، 38، 1:33). لكنَّ يوسيفوس[62] لا يعرف عينًا في منطقة القدس تقع في الطرف الجنوبي لوادي المدينة غير عين شِلوَّاح، ولا يذكر عين جِيحوْن إلا عند حديثه عن زمان داود بوصفها عينًا واقعة خارج المدينة[63]. ولم يكن في القدس في زمان يوسيفوس سبيل للوصول إلى ماء نبع إلا من خلال المخرج الجنوبي للقناة. ولكنَّ هذا المخرج نفسه استُخدم لري "بستان الملك"، وأتاح ارتفاع مستواه (636.1 مترًا) لقنوات الماء الصغيرة أن تروي جزءًا من وادي قِدْرون، وأن تؤدي المهمة نفسها تقريبًا التي كانت تؤديها القنوات الأقدم على نحو أكثر مباشرة من خلال فتحاتها الجانبية. وقد بيَّنت تنقيبات فايل الطريقة التي كان يجري فيها ذلك[64]. كما أن التقاليد اليهودية تقول إن المياه المستخدمة في تنظيف الهيكل وفي التبرع استعدادًا لعيد العُرُش[65] لم تكن تُستقى من جِيحوْن، وإنما من شِلوَّاح التي كانت ضمن حدود المدينة[66]، أي من مخرج القناة. وتذكر تلك التقاليد أيضًا أنه لم تكن لتوسعة القناة أي أثر

(61) Schick, *ZDPV* (1880), pp. 54ff.; Kautzsch, *ZDPV* (1881), pp. 102ff., 260ff.; Guthe, *ZDPV* (1881), pp. 250ff.; Lidzbarski, *Handb. der nordsem. Epigraphik*, vol. 1, p. 439.

(62) *Bell. Jud.*, II 16, 2; V 4, 1. 2; 6, 1; 9, 4; 12, 2, VI 7, 2; 8, 5.

(63) *Antt.*, VII 14, 5.

(64) *Rev. d. Ét. Juiv.* (1926), p. 116;

ويُنظر:

Dalman, *PJB* (1918), pp. 54f.

(65) Par. III 2; Sukk. IV 9f.

(66) J. Chag. 76^{a}.

إيجابي[67]، وأن ماءها نقص في أثناء الحرب ذات مرة[68]. ووصفتها التقاليد اليهودية بأن ماءها لا يعلو عليه ماء سواه[69]. كما ورد في إنجيل يوحنا (9:7، 11) أن المسيح أرسل الشخص الذي ولد أعمى إلى بركة شِلوَّاح، لأنه الموضع الذي توجد فيه العين التي تشرب منها القدس[70]. وأوقعت التقاليد نفسها اللوم على حزقيا لأنه سد "جِيحوْن العليا"[71]، ربما في إشارة إلى ما كان ورد في سفر إشعيا (8:6) (يُنظر أعلاه)، لكنها لم تطالبه بإعادة فتحها. ويغيب ذكر "جِيحوْن" حتى القرن الرابع عشر ميلادي، عندما تُذكر بوصفها عينًا منذورة لمريم[72] من دون أن يدرك الناس صلتها بعين شِلوَّاح. وما عاد لهذه العين بعد ذلك أي أهمية في ما يتعلق بالقدس أبدًا، فقد كان ماؤها قليلًا لا يستحق أن يسعى الناس إلى سحبه إلى الأعلى بطرق صناعية، ولو أن الناس فعلوا ذلك، لحُرم "السلاونة" من حاجتهم إلى الماء، ولقضت على بساتينهم التي تنتفع المدينة من محاصيلها.

ويضيق الوادي في المنطقة التي تعلو "عيْن أُم اِلدَّرَج" حتى يصبح شِعبًا ضيقًا، لكنه لا يلبث أن يعود فيتوسع قليلًا عند الطرف الشمالي لقرية "سِلوان"، حيث تنتشر قبور اليهود حتى تبلغ قاع الوادي. وذكر فنسنت[73] أنه كان هنا، تحت الزاوية الجنوبية الغربية للحرم القدسي، عين ماء اسمها "عين السَباخي" (والأصح لفظها "السباحي") ينبثق منها ماء قليل. وكنت قد رجوت السيد البروفسور شتُمَر (Stummer) أن يستفسر عن أمرها، فلم يجد إلا إجابة من "سِلواني" عجوز قال له إن العين طُمرت، لأنها ما عادت تجود بالماء. ثم يعود الوادي فيضيق، لوجود جدار

---

(67) Tos. Arakh. II 6.

(68) Tos. Par. IX 2.

(69) j. Taan. 65ª, Ech. R. Peth. 20 (7ª),

واستبدل الترجوم في حديثه عن الآيتين 33 و38 من الأصحاح الأول من سفر الملوك الأول اسم العين "جيِحون" باسم "شِلوْحا"؛ وورد في الترجوم عن سفر الجامعة 2:5 أن ماء "شِلوَّاح" يسقي مزروعات الملك.

(70) Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, p. 327.

(71) Pes. IV 9, b. Pes. 56ª, Ber. 10ᵇ, j. Pes. 36ᵈ.

(72) Tobler, *Siloahquelle und der Ölberg*, pp. 5f.; Dalman, *PJB* (1918), p. 48.

(73) *Jérusalem*, vol. 1, p. 95.

صخري حُفرت فيه القبور الأربعة (E 7)[74] التي ينسبها المسيحيون الآن إلى زكريا ويعقوب وأبشالوم ويهوشافاط، في حين يسمى العرب القبور الثلاثة الأولى "قَبْر مَرَت فَرْعون" أي "قبر زوجة فرعون" و"بيت فَرْعون" و"طَنْطور فَرْعون" أي "قبعة فرعون". ويدل نقش عبري كُتب على القبر الثالث على أنه بُني على حساب أفراد من عائلة الكاهن "حيزير"(Chezir) المذكورة في سفر أخبار الأيام الأول (15:24). ويرجح أن القبور الأربعة بُنيت في القدس قبل أن يدمرها الرومان.

إلى الشمال من قبر أبشالوم يتسع الوادي حتى يبلغ عرضه 135 مترًا، ويصبح حقلًا مغروسًا بأشجار الزيتون، يسمي الناس قسمه الجنوبي، أحيانًا، "وادِي الفرنج" (E 7). لأنه مملوك للفرنسيسكان. ولكنني سمعت الناس يسمونه "وادِي اِلرَّجَب"، وأحيانًا "وادِي ست مِرْيَم"، نسبة إلى قبر مريم الواقع في وسط هذا القسم من الوادي الذي يمتد 300 متر تقريبًا شمال جسر طريق أريحا الذي يقطعه. ولا بد أن التسمية القديمة للوادي باسم "نَحَل قِدْرون" كانت تطلَق على الوادي حتى هذه النقطة أيضًا.

ولا بد أن المقصود بالحقول المسماة "شَدْموْت قِدْرون"، أي "حقول قِدْرون" التي أمر يوشيا أن تحرق فيها أدوات العبادة الوثنية المستخدمة في الهيكل (سفر الملوك الثاني 4:23)، هي تلك الحقول الواقعة عند أسفل الهيكل، ولا بد أن يكون المقصود بالوادي المسمى "نَحَل قِدْرون" الذي جرى فيه للسارية في المعبد ما جرى لتلك الأدوات الوثنية، إذ أُلقيت فيه أنقاض المذابح الوثنية (الموضع نفسه، الآيتان 6 و12)، هو المكان نفسه كذلك (يُنظر سفر أخبار الأيام الثاني 16:29، حيث تنسب أفعال يوشيا إلى حزقيا). وعلى الأغلب أن هذه المنطقة هي المقصودة أيضًا في سفر إرميا (40:31) الذي يتحدث عن تنظيف قاع وادي قِدْرون مستقبلًا، لأن الناس كانوا يرمون نفايات الهيكل والمدينة في هذه المنطقة. وبناء عليه، فإن التقاليد اليهودية لم تفترض من غير سبب أن "البقرة الحمراء"

---

(74) يُنظر:

de Saulcy, *Voyage*, *Pl.* XXXVII-XLI;

وفي ما يتعلق بالوضع الحالي لهذه القبور، يُنظر:

Slousch, *Journal of the Jew. Pal. Expl. Soc.*, vol. 1, no. 2 (1925), pp. 12ff.

سيقت على جسر عبر الوادي إلى جبل الزيتون خشية إصابتها بالنجاسة[75]، إذ كان ينبغي استخدام رمادها للطهارة[76].

وكان يصب واد فرعي قصير آتٍ من الشمال الغربي في الوادي الرئيس في المنطقة الواقعة شمال ساحة الهيكل، وقد بات يسد مخرجَه اليوم سور المدينة وقدر كبير من الطمم (يُنظر ص 113، وهو يظهر على الصورتين الجويتين *M* 779 = *D* 3 = *M* 776, *D* 4، ولكنه كان ذات يوم ذا أهمية كبيرة جدًا في تحديد شكل تلك المنطقة من مدينة القدس الواقعة شمال التلة الشرقية. ونحن نسمي هذا الوادي وادي بيزاتا أو بيزاتا (E 6)، وهو يبدأ شمال سور المدينة الحالي على هيئة منخفض منبسط، يدعى اليوم "الميدان" أو "ميدان سباق الخيل"، ويقع على ارتفاع 756 مترًا، ثم يعود فينخفض نحو داخل المدينة، كما ذكر ويلسون، إلى 734.3 مترًا وإلى 733 مترًا. ولا بد أن انحداره كان أشد في الماضي. ويفترض وارِن[77] أن قاع الوادي ينخفض في مسيره في اتجاه وادي قِدْرون جنوب الزاوية الشمالية الشرقية لساحة الهيكل [الحرم القدسي] إلى 694.6 مترًا، أي إلى علو ينخفض 37.4 مترًا تحت المستوى الحالي للسطح. وهذا يعني أن الوادي ينحدر 60 مترًا في أثناء مسيره البالغ 470 مترًا، أي أنه ينحدر مترًا واحدًا كلما قطع ثمانية أمتار، وهذا يعني أن هذا الانحدار لا بد أن يكون قد أغرى الناس ببناء الحواجز على الوادي لجمع ماء المطر. ويقع أمام سور المدينة مباشرة، في قاع الوادي عند بدايته، حوض ماء مهدم يسمى "بِرْكِة الحج"، "بركة الحاج إلى مكة"[78] [بركة الحجّة] وربما كان هناك خطأ وقع في طباعة اسمه لدى فنسنت فجاء في صورة "بِرْكِة الحلجة"، وكان يفترض بهذا الحوض تجميع الماء في هذا المكان. ويظهر هذا الحوض في خريطة القدس التي وضعها بيرغرين (1826) متصلًا بقناة، تدور حول الزاوية

---

(75) Para III 6; Schek. IV 2; Tos. Par. III 7.

حتى لو كان هذا النص لا يشير إلا إلى احتمال وجود "قبور أعماق" غير مغلقة تمامًافي الوادي.

(76) سفر العدد 2:19 وما يليها.

(77) Warren, *Excavations*, *Pl.* II.

(78) Tobler, *Topographie*, vol. 2, pp. 78ff.; Krafft, *Topographie*, pp. 47, 185f.; de Saulcy, *Jérusalem*, p. 193.

الشمالية الشرقية لسور المدينة، لتنحدر من هناك في اتجاه وادي قِدْرون، ولتصب في "بِرْكِة سِتنا مِرْيَم". وبناء عليه، كان على "بركة الحجة" أن تملأ بالماء "بركة سِتنا مِرْيَم" المذكورة في ص 140 أعلاه، وهو ما يبدو أن الفروق في الارتفاعات بينهما تتيحه. غير أن روبنسن، الذي نقل رسم هذه القناة في خريطته، لم يتمكن في عام 1852 من رؤية أي أثر للقناة نفسها[79]، وهذه المسألة تستدعي النظر، وليس ثمة دليل على أن هذا الحوض مغرق في القِدم. ويبدو أن المُقدَّسي[80] حسبه الحوض الذي جلس فيها إرميا محبوسًا (سفر إرميا 38:6)، والذي يشير الناس عادة إلى موضعه قرب "الهيدَمية" (ص 105)[81]. أما ليفين (Liévin)، فإنه بحث في المكان عن البركة التي أسميت في زمن الصليبيين "لاكوس ليجيري" (*Lacus Legerii*)، علمًا أنه لم يذكرها أحد سواه[82]، قائلًا إنها تقع إلى الشمال من هذا المكان.

وعلى مسافة في الوادي أعمق كثيرًا، يوجد ضمن حدود المدينة الحالية قرب كنيسة القديسة حنّة حوض ماء بقياس 15x6 من الأمتار[83] عُثر في قربه في عام 1914 على حوض آخر، بحيث يرجح أنه كان هنا ذات يوم حوض مزدوج، أي حاجز مزدوج للماء على ضفة الوادي، حيث سعى الناس إلى زيادة قدرته على التخزين بأن زادوا من العمق بالحفر في الصخر. ورسم فنسنت[84]، من دون أن يأتي بأي دليل، رسمًا لبركتين مربعتين، طول ضلع كل منهما 45 مترًا، وعمق كل واحدة 11 مترًا، وبينهما فاصل عرضه 7 أمتار تقوم فيه قاعة معمّدة تمتد على طول الحوضين أو البركتين. لذلك، فإن هاتين البركتين وتوابعهما لا تصغر كثيرًا عن "بِرْكِة (بِنِي) اِسْرايِين" التي سنتحدث عنها بعد قليل. ولكنْ، حتى لو كانت البركتان أصغر، فليس بكثير، وتظلان، في أي حال، تشبهان "بركة الغنم" التي كانت موجودة

---

(79) Robinson, *Neuere bibl. Forschungen*, p. 233.

(80) *ZDPV* (1884), pp. 144, 160.

(81) Quaresmius, *Elucidatio*, IV 5, 10.

(82) Röhricht, *Regesta*, p. 144.

(83) Vincent, *Jérusalem*, vol. 2, *Pl.* LXVIII.

(84) Ibid., *Pl.* LXXV;

يُقارن: ص 692 وما يليها.

في القدس في الفترة الرومانية، والتي كانت تتخذ هيئة بركتين متجاورتين كما وصفها الناس ليوسيبيوس[85]، فتمتلئ أولاهما بماء المطر، وثانيتهما بماء محمَّر لا يُعرف مصدره. وذكر الحاج من بوردو وبيتروس دياكُنوس (Petrus Diaconus) وثيودوسيوس وأنتونينوس (Antoninus)[86] وسوفرونيوس (Sophronius)[87] أن هذه البركة كانت تقع إلى جوار كنيسة القديسة حنة، بحيث لا يمكن أن يخلط بينها وبين البركة المزدوجة الواقعة عند قلعة أنطونيا (يُنظر أعلاه، ص 114). ويليق ببركة مزدوجة أن يكون لها خمسة أروقة، كتلك التي ذكر إنجيل يوحنا (5:2) أنها كانت تحيط ببركة بيزاتا، خاصة إذا تصورنا، كما اقترح سيريل، أن الرواق الخامس كان يقوم بين البركتين. ومن أوجه الشبه بين هاتين البركتين وبركة بيزاتا قربهما من "باب الغنم" الذي كان يقع، بحسب سفر نحميا (3:1، 32؛ 12:39) في الشمال الشرقي من القدس القديمة، أي في المنطقة التي تقوم فيها كنيسة القديسة حنّة. ويود فنسنت[88]، بطبيعة الحال، أن يحمّل عبارة ῆχιταβορπῆτίπέ الواردة في أكثر النصوص وثوقًا على أنها دالة على "بركة الغنم"[89] التي يرى أنها كانت واقعة قرب بركة بيزاتا. لكنْ، وعلى الرغم من أنني لا أوافق على هذا التفسير البتة، فإنني أرى أن اسم "بركة الغنم"، كما هي الحال في "باب الغنم" [باب الضأن]، متعلق بالناس الذين كانوا يأتون إلى هذا المكان بالحيوانات المراد تقديمها إلى الهيكل، ما أدى إلى تجمع الحيوانات عند الباب في عدد كبير من المرات كما نرى اليوم أحيانًا عند باب دمشق. وربما نشأت في هذا المكان سوق للغنم جعلت سقاية الحيوانات المسوقة إلى هنا من أماكن بعيدة حاجة لا بد منها. وإذا كان "عيد اليهود" الذي جاء المسيح إليه، بحسب ما ذُكر في إنجيل يوحنا (5:1) هو عيد العُرُش، كما افترض

---

(85) Klostermann, *Onomastikon*, p. 58.

(86) Geyer, *Itinera*, pp. 21, 108, 142, 177.

(87) Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], p. 361,

يُقارن: ص 324 وما يليها.

(88) *Jérusalem*, vol. 2, p. 669.

(89) العبارة المقابلة لعبارة "بركة الغنم" بالآرامية هي "بِريْختا دِعانا"، ويبعد أن تكون "بِريْختا دِسِيتا" التي يمكن أن يكون جرسها شبيهًا بجرس "بيزاتا"، إذا جعلتَ منها صيغة "بيْ سِيتا".

بعض المفسرين[90]، فيبعد تمامًا، بطبيعة الحال، أن يكون قد بقي في البركة ماء[91]. واتخذت البركة التي كانت في وقت المسيح في إحدى ضواحي المدينة اسمها من اسم تلك الضاحية. أما أنها تسمت بعدها باسم "بيت حِسْدا"، أي "مكان الرحمة"، فهذا راجع إلى المعجزات التي أتى بها المسيح مستخدمًا ماءها. أما حركة مائها بين الحين والحين، كما جاء في إنجيل يوحنا (5:4)، فقد حفّزت ماكليستر وباتون (Paton)[92] وبرونوبيس (Pronobis) على القول إن المقصود ليس هذه البركة، وإنما عين جِيحوْن لتقطع تدفقها[93]، وكان يمكن بدلًا من ذلك أن يقترحوا بركة شِلوَّاح أيضًا، فربما كانت ناشئة عن الطريقة العفوية التي يتدفق فيها الماء إلى البركة من مكان تجميع أعلى موجود في الوادي نفسه (ص 175)، أو ربما كانت الريح هي التي تحرك الماء.

وتستقي البركة الكبيرة المسماة "بِرْكِة (بِنِي) اِسْرايِين" ("اِسْرائِيل") (*E* 6) ماءها من الوادي الفرعي نفسه لوادي قِدْرون الذي تتولى جمع مائه. وتبدو هذه البركة الواقعة جنوب بركة بيزاتا حفرة كبيرة تحمي الحائط الشمالي لساحة الحرم القدسي، ولكن، يتبين أنها بركة من طريقة بناء سورها الجنوبي. وتبلغ أبعاد هذه البركة 107.5 أمتار طولًا، و37.25 مترًا عرضًا، و22.8 مترًا عمقًا[94]، فهي قادرة على استيعاب كمية هائلة من الماء، ولكنها قادرة على صب الماء في وادي قِدْرون إذا بلغ ارتفاع الماء فيها 6 أمتار. ويُستدل من الاسم العربي للبركة أن العرب يعدون البركة قديمة جدًا، علمًا أن عادة الناس جرت منذ الحملات الصليبية على اعتبار هذه البركة "بركة الغنم" مرة، و"بركة بيزاتا" مرةً أخرى، وهي المذكورة في الفصل الخامس من إنجيل يوحنا؛ لأنهم لم يجدوا قرب كنيسة ماريا (كنيسة القديسة حنة)

---

(90) على سبيل المثال:
Kolmodin, *Johannes - Evangeliet* (1926), pp. 82f.

(91) Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, pp. 72, 199f., 524.

(92) *Jerusalem in Bible Times*, pp. 44, 141.

(93) *Akra und Sion*, pp. 48f.

(94) يُنظر:
Warren, *Excavations*, *Pl.* IV. XVI.

بركة سواها[95]. ولمّا لم يكن هناك شواهد قديمة على وجود هذه البركة، إذ إن أول مَن ذكرها كان المُقدَّسي[96]، فالراجح أنها بُنيت أول مرة في القدس الرومانية لتتولى توفير الماء لسكان المدينة في داخل الأسوار على نحو أفضل من "بركة البطرك" التي يمكن أن يُقطع ماؤها في أي وقت.

عند قاع التلة الذي يطمر مخرج الوادي الفرعي، يوجد سد يقطع الوادي الرئيس عرضًا، وتمتد عليه الطريق الذاهبة إلى جبل الزيتون ثم إلى أريحا، ويجري الماء في قاع الوادي المدعم بالحجارة من تحت جسر قصير. وإلى الشمال من هذا السد الذي تجري فوقه الطريق، ثمة أرض يملكها الأرمن مغروسة بأشجار الزيتون تسمى "كَرْم وسْخَة"، ويسميها بعض الناس جهلًا "الجثمانية الأرمنية". وإلى الشرق من ذلك، يسد مجرى الوادي بناءٌ يرجع إلى العصور الوسطى هو قبر مريم[97]، ويسميه الناس "اِلسِّت مِرْيَم" فحسب، وهو يقع أسفل حوض الماء الذي حسبه بعضهم "عين التنين" المذكور في سفر نحميا (2:13) (يُنظر أعلاه، ص 140)[98]. ويقع على بُعد خطوات فقط من هذا القبر "كهف الآلام" الذي يزعم تقليد متأخر[99] أنه المكان الذي صلى فيه المسيح في ليلته الأخيرة، وكان يُقال قبل ذلك إنه المكان الذي اجتمع فيه المسيح إلى حوارييه[100]، وربما كان المكان في الأصل كهفًا استُخدم معصرة للزيتون.

---

(95) يُقارن:
Tobler, *Denkblätter*, pp. 53ff.

(96) Gildemeister, *ZDPV* (1884), p. 160.

يُنظر مجير الدين، في:
Sauvaire, *Histoire de Jérusalem*, p. 189,

لكنْ، ربما كان الحاج من بوردو ذكر أن البركة هي إحدى بركتي سليمان اللتين كانتا عند الهيكل.
Geyer, p. 21.

(97) يُنظر في هذا الخصوص:
Meistermann, *Le tombeau de la Sainte Vierge à Jérusalem*, p. 113ff.; *Gethsémani*, pp. 110ff.; *Guide de Terre Sainte*², pp. 234ff; Vincent, *Jérusalem* vol. 2, *Pl.* LXXXI, p. 827.

(98) Burchard, L. 68, 74; Fabri, *PPTS*, vol. 1, p. 664.

(99) دلل مايسترمَن على أن هذا التقليد معروف منذ القرن الرابع عشر الميلادي:
Gethsémani, pp. 227ff.

ونجد مخطط الكهف عنده في صفحة 75.

(100) Meistermann, *Le tombeau de la Sainte*, pp. 72ff.; Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, p. 341.

إلى الجنوب من ذلك الموقع، على طرف الوادي، تقع كنيسة الجثمانية (*E* 7) التي بناها الفرنسيسكان في عام 1924 في المكان الذي كانت تقوم فيه كنائس من العصور الوسطى ومن القرن الخامس ميلادي[101]، بالقرب من حقل صغير للزيتون مساحته 35x40 مترًا، وظل يسمى "الجثمانية" حينًا طويلًا من الزمان. وكان هذا الموقع يُعَدّ موقع "جتسيماني" الحقيقي المذكور في إنجيلَي متى (36:26) ومرقس (32:14) حتى دلت آثار الكنائس القديمة المكتشفة هناك على أن المكان المقصود في هذين الإنجيلين يقع إلى الجنوب قليلًا من هذا الموضع. ويوجد أعلى هذا البستان موقع صخري يعتبره الناس مكان نوم حواريي المسيح؛ فقد جاء في إنجيل لوقا (39:22) أنهم ناموا في مكان ما في جبل الزيتون، بينما ذُكر في إنجيل يوحنا (1:18) أنهم باتوا عبر وادي قِدْرون. وقد أصاب إنجيلا متى ومرقس في ذكر اسم قطعة الأرض التي قُبض فيها على المسيح. وكلمة Γεθσημανει (ιεναμασθεΓ) اليونانية مأخوذة عن عبارة "جَتْ شِمانِين" العبرية، أي "معاصر الزيت"، ما يمكن أن يُعد تلميحًا إلى أن الأرض معصرة للزيت[102]. ولمّا كانت معاصر الزيت توجد عادة في الكهوف، فربما كان "كهف الآلام" (يُنظر أعلاه، ص 178) هو الذي أضفى اسمها على المنطقة الواقعة فوق قبر مريم، وفوق الأرض المغروسة زيتونًا والمسماة "حب الكِبْريت" ["الجثمانية"]. وفي 15 آب/ أغسطس من كل عام، يحتفل الناس تقليديًا بذكرى وفاة مريم، ويقيمون عيدًا شعبيًا في هذه المناسبة[103]. أما كنيسة "مريم المجدلية" الروسية الواقعة فوق الجثمانية اللاتينية، فليس لها دور تاريخي في هذه المنطقة، ولا يجوز وصفها بأنها "الجثمانية الروسية".

وإلى الشرق من الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة، يزداد الوادي ضيقًا، لكنه يعود فيتسع حتى يصل إلى الحوض المسمى "القاعة" أو "القاع" (*D* 7)، حيث كان البناء المتداعي للانهيار المسمى "قَصْر الأَطْرَش" في وسطه قد احتوى ذات يوم معصرة للزيتون. ويوجد في أسفل الثنية الجبلية المسماة "عَقَبِة الصُّوَّان" أو

(101) Meistermann, *Gethsémani* (1920), pp. 151ff.; Orfali, *Gethsémani* (1924), *Pl.* I. II, Vincent, *Jérusalem,* vol. 2, *Pl.* LXXXVIII.

(102) Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, p. 340.

(103) Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, pp. 590f.

"منخفض الصوان" التي ترقى شرقًا إلى تلة "أُم الطَّلْع"، حوض ماء اسمه "بِير القاعة"، وتتصل بهذه الثنية العين الشتوية المسماة "عين الصُّوَّان" (ص 157). وتوجد ثنية جبلية أخرى مغروسة في أكثرها بأشجار الزيتون تفصل شمالًا سفح "الزَّعْويْقَة" عن التلة اليهودية في سلسة جبل الزيتون. ويفرق الناس هنا بين "حَبايِل اِلشوْمَر" و"كَرْم الكعك" المغروس بالعنب والواقع فوقها، عن أملاك عائلة "شِهاب الدِّين" (الشِّهابي) الواقعة إلى الشمال من ذلك.

ويرتفع قاع الوادي في منطقة "القاعة" من 604 أمتار عند "بير اِيُّوب" إلى 714 مترًا، ثم يتحول اتجاه الوادي؛ فبعدما كان يجري في اتجاه شمال جنوب، صار يجري الآن في الاتجاه الشمالي الغربي إلى الجنوب من المنطقة المسماة "وَعْر عَبيْد" التي يسميها فنسنت "وَعَر البير" (نسبةَ إلى "بِير الرَّصاص" إلى الشمال)، ولا يلبث أن يلتقيه هناك واد فرعي (*D* 6) آتٍ من الشمال من منطقة "راس المشارف" يسمى "أَرْض اِلسُّمار"، على الرغم من أن له هيئة الأودية فعلًا، إذ يجري فيه ماء المطر على طول امتداده. ويتخذ الوادي الرئيس منذ انعطافته اسم "وادي الجوز" (*D* 6). وقد أخطأ شيك وبِنتسِنغر، إذ جعلاه في المنطقة الواقعة غرب طريق "نابلس"، وجعلا مكانه "وادِي عَقَبِة الصُّوَّان" الذي كان من الأولى أن يضعاه قرب منطقة "القاعة". واللافت وجود ثلاث مغارات كبيرة في جدار الوادي، تقع الأولى جنوبًا، واسمها "مْغارة عَماوِي"، ويبدو أنها كانت قبرًا ذات يوم. وتقع الثانية شمالًا في مقلع للحجارة، وتسمى "مْغارة الزيْت". ثم على مسافة أخرى إلى الجنوب تقع الثالثة، واسمها "مْغارِة النُّقطَة"، وهي مقلع للحجارة ذو أروقة، ذكر بييروتّي(104) أن اسمه كان "يَدَجَة اِلأَهْل"، ويغلب أن الصيغة الصحيحة لهذا الاسم هي "صَدَقَة اِلأَكْل". وتقول المصادر اليهودية أن ثريًا يهوديًا، ربما كان كَلْبا شابوَّع(105)، وزع الطعام في عيد البوريم [عيد المساخر] بعد خراب القدس، ويفترض أن قبره هو

(104) Pierotti, *Jerusalem Explored*, vol. 1, pp. 38, 236.

علمًا أن الصورة رقم 2 في *Pl.* LVII غير صحيحة.

(105) في الواقع ابن كَلْبا شابوَّع، كما جاء في:

b. Gitt. 56[a]

القبر الموجود غير بعيد عن قبر الملكة هيلانة[106]. أما اليوم، فيُقال إن ثمة كنيسًا كان هنا، ويأتي بعض اليهود في 18 أيَّار [يوافق نيسان/ أبريل - أيار/ مايو] إلى المقلع للصلاة فيه. وفي الجهة المقابلة، في خط مائل، تقع في الطرف الشمالي للوادي المقبرة التي باتت مغلقة الآن والمسماة "اليِهودِيَّة". وتقول المصادر اليهودية إنها قبر شِمعوْن الصديق، أحد الأتقياء الذين عاشوا في زمان الأنبياء الأخيرِين[107]، في حين يؤكد يوسيفوس إنه قبر لأحد الذين تسنموا منصب الكاهن الأعلى في القرن الثالث قبل الميلاد[108]، وكانت الناس تزوره في 28 تِشرين [يوافق أيلول/ سبتمبر - تشرين الأول/ أكتوبر] وفي 18 أيَّار/ مايو، وهو اليوم الثالث والثلاثين من أيام حساب العوْمِر، الذي أصبح عيدًا يهوديًا شعبيًا[109]. وعلى الجُدُر الداخلية لهذا القبر الذي يدل نمط بنائه على أنه أحدث من سواه، نجد اسمًا يتفق مع هذا التاريخ، وهو اسم امرأة رومانية تدعى يوليا سابينا[110]. وتوجد إلى الغرب من هذا القبر قليلًا، مقبرة كبيرة، أقدم تاريخًا، يجلُّها الناس بوصفها مقبرة السنهِدرين الصغرى [هيئة المحكمة في كل ولاية وتتألف من 23 عضوًا][111]. وإنما أُسميت المقبرة بهذا الاسم تمييزًا لها من مقبرة السنهِدرين الكبرى [هيئة المحكمة العليا اليهودية في القدس وتتألف من 71 عضوًا] المسماة مقبرة القضاة الواقعة جنوب "وادِي أُم اِلعَمَد" (ص 32 وما يليها).

---

(106) Luncz, *Jerusalem,* vol. 1, pp. 92f.,

الجزء العبري.

(107) Ab. I 2;

يُنظر:

Chibbat Jeruschalajim (1875) 64ᵃ, Luncz, *Jerusalem*, vol. 1, p. 91,

الجزء العبري.

(108) *Antt.*, XII, 2, 5.

(109) Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, pp. 460f.

(110) Clermnot-Ganneau, *Arch. Res.*, vol. 1, pp. 267ff.

(مع مخطط للقبر ورسم لشكله الخارجي).

(111) Luncz, *Jerusalem*, p. 92.

"موْره ديْرِخ"، ص 121.

وبعد أن يقطع السد طريق "نابلس"، يمضي الوادي مثل منخفض منبسط في اتجاه الفاصل المائي (C 5) عند طريق "بيت حَنِينا"، ومن الجهة المقابلة لها، يهبط "وادِي أُم أَحْمَد" الذي يسمى بعد ذلك "خَلِّة السَّعْدي" إلى "وادِي أُم اِلعَمَد". ويبدأ المنخفض الذي لا يعود يوصف هنا بأنه "وادٍ"، والذي يتراوح ارتفاعه بين 745 و748 مترًا، بالمنحدر المسمى "النقاعَة"، مع البركة الصغيرة المتجهة جنوبًا والمسماة "بِرْكَة النقاعَة" ["بركة الركود"] (D 6). وقد رسم فنسنت البركة رسمًا منتظمًا أكثر من الواقع، كما أسماها "بِرْكِة الماعة"، في حين أنني لم أسمع اسمها بلهجة أهل المدينة إلا "بِرْكِة المقاعة" و"بِرْكِة البقاعة". ويلي ذلك، في اتجاه طريق "بيت حَنِينا" وعلى طوله "كَرْم الرِيش"، و"ذيْلَة الذِّبَّانِة"، و"ذيْل الجارح"، و"كَرْم القنينة"، و"الأحسمية". وإلى الغرب من الطريق توجد "اِلمْعيْنِيِّة" التي كانت فيها واجهة القبر المزخرفة وعليها نقش عبري(112)، واختفت بين عامي 1921 و1925. وتوجد فيها، على مسافة من الطريق، الأرض المغروسة بالأشجار المسماة "الكرمات" التي يحدها "كَرْم السُّمَّاق" و"كَرْم الحجة".

أما البركة المذكورة أعلاه، "بِرْكَة النقاعَة"، فلا تقع في أسفل الوادي الرئيس الذي تابعنا مجراه حتى الفاصل المائي، وإنما في طرف منحدر، يتصل بأسفل الوادي من جهة الجنوب. ويصب في المنحدر من الجهة الغربية واد منبسط، آت من التلة الشمالية الغربية، وليس له اسم شامل لأجزائه كلها. فأول الأمر إلى الشرق بعد طريق "بيت حَنِينا" تُسمى قطعة الأرض المغروسة بالأشجار "القطعة"، ثم "وادِي لُقَّة" (D 5) الذي تغطي أكثره بيوت المستعمرة اليهودية "بيث يسرائيل" (Beth Jisrael)، وهو الذي أسماه شيك "وادِي لوقا"، وجعله على مسافة أبعد غربًا، في حين قيل لي إن هذا الاسم ينطبق حصرًا على المكان الذي توجد فيه هذه المستعمرة، حيث ترقى الأرض من 761 إلى 777 مترًا، بحسب ما جاء في الخريطة الإنكليزية الجديدة. يلي ذلك في اتجاه الغرب ارتقاء بطيء يصل إلى 802 متر، جنوب دار الأيتام السورية (D 4). وفي هذه المنطقة، يمكن تمييز المناطق الآتية

---

(112) يُنظر:

de Vogüé, *Le Temple de Jérusalem*, p. 131,

ورأيتها أنا كذلك في عام 1921.

بحسب تسلسلها من الشرق إلى الغرب: منطقة "خَلِّة سور تقي" الصخرية، الحقل الزراعي "خَلِّة اِبْزوز"، بساتين الأشجار "قَطْعَة السُّكَّري"، "قَطْعَة لِزْعَر" ("الأزعر")، "خَلِّة عَزَّام" ("عَظَّام") أو "خَلِّة الزَّعْتوت"، ويتبع هذه الأخيرة برج الحراسة المسمى "قَصْر عَزَّام" ("عَظَّام") الذي يسكنه فلاحو "لِفْتا" صيفًا، والذي خلط شيك بينه وبين "الهاوية" القريبة من "لفتا" (ص 57). كما أن شيك – وكذلك فنسنت – نقلا المكان المسمى "خَلِّة الطَّرْحَة" الواقع بعيدًا إلى الغرب، وجعلاه في هذا الموضع. ويغلب أن ما أوقعهما في هذا الوهم هو الخريطة العامة الإنكليزية لـ **مسح فلسطين الغربية** في قسمها الخاص بالقدس (ص 343). ويبدأ هذا الوادي مساره على ارتفاع 808 أمتار، فوق طريق يافا المتجهة إلى دار الأيتام السورية، بمنحدر رطب كانت فيه البئر المسماة "بِير أبو العْظام"، وحلت في محلها اليوم بئر أكبر. وتسمى بداية هذا الوادي، نسبة إلى البستان المجاور لها من الشمال، "وادِي القلوبي". واللافت أن قرية "لفتا" كانت ذات يوم مالكة لجميع هذه الأراضي. ومن المهم أن تتحدد عاجلًا الحدود بين الوحدات الإدارية الواقعة في منطقة القدس، بحيث يتبين اتصال الحدود بين لفتا وشعفاط والعيسوية والطور والعيزرية وسلوان والمالحة. وكنت قد صرفت النظر، للأسف، عن بيان هذه الحدود.

يجب أن نعود الآن فنتحدث عن الأحوال المائية للوادي الذي وصفناه كله. وينبغي أن نؤكد أول الأمر أنه لا يجري في هذا الوادي جدول يعبره كله من غير انقطاع، ولا حتى في المواسم الشتوية التي يشتد فيها هطول المطر. كما لا يوجد لهذا الوادي مجرى واحد متصل يمكن أن يجري الماء فيه كما يجري في سائر الوديان "الجافة" الأخرى[113]؛ فالوادي لا ينحدر انحدارًا كافيًا يتيح ذلك، كما أنه غير منتظم بدرجة كافية لأن أكوامًا من التراب تجمعت في المناطق الأكثر استواءً والأكثر عرضًا من الوادي، بحيث باتت تمتص الماء الهابط إليها من أعلى الوادي، مشكِّلة بركًا صغيرة أو كبيرة. وتُرى مثل هذه التجمعات المائية بعد مطر غزير في أماكن مثل "خَلِّة عَزَّام" الواقعة جنوب كرم أبراهام (Abrahmas Vineyard) الذي أصبح في ما بعد المدرسة الإصلاحية (Reformatory School) التابعة للحكومة، ثم في

(113) يُقارن الملاحظات المتوافقة التي أبداها كلٌّ من:
Tobler, *Topograhie*, vol. 2, p. 28; Thomä, *ZDPV* (1908), pp. 274ff.

"خَلّة سور تقي" فوق مستعمرة "بيْث يسرائيل". ويتجمع الماء أيضًا بصورة خاصة في "بِرْكِة النْقاعَة" المتداعية التي يصلها أيضًا سيل من الماء يجري مع طريق "بيت حَنِينا". وتوجد، إلى ذلك، تجمعات للماء في بعض مواضع من "وادِي الجوْز". ولا يشمل حديثنا، بطبيعة الحال، المياه العادمة النتنة الرائحة الآتية من الضاحية الشمالية للمدينة التي حولت الحكومة البريطانية من خلالها الوادي مؤخرًا إلى بالوعة[114]. ويجري سيل من "راس المشارف" عبر الوادي من "أَرْض اِلسُّمار"، ثم يمضي في الوادي الرئيس، لكنه يعود فيغيض في حوض وادي "القاعة" العريض. ويقال إن المطر يجري هنا أحيانًا في فصل الشتاء لفترات طويلة، ولكنني لم أر ذلك بنفسي قط. وفي الحقيقة، رأيت جدولًا صغيرًا يقطر شتاءً من "عين الصُّوَّان" هابطًا إلى "القاعة"، ويختفي في حوض "بِير القاعة". ومثلما هي الحال عند "القاعة"، فكذلك لا يوجد في الأسفل مجرى حقيقي للنهر حتى يبلغ إلى سدّ الوادي عند قبر مريم، وهناك يسيل ماء المطر المتجمع في الأعلى من خلال قبو. ودلت دراسات تومي (Thomä)[115] على أن إحدى القناتين اللتين تنتهيان في هذا القبو تأتي من الأرض المغروسة بأشجار الزيتون الواقعة في الأعلى، في حين تأتي الأخرى من أمام قبر مريم من دون أن يكون هناك أي محاولة منظمة لجمع الماء الواصل من الوادي. ويجري الماء بعد ذلك في قناة قصيرة مسوَّرة تصب في أرض البساتين الموجودة تحت الجسر، لتملأ حوضًا موجودًا هناك، إلا أن الخريطة الإنكليزية الجديدة تُظهر أن القناة تمر بأرض البساتين كلها. وتصب هنا أيضًا مياه عادمة آتية من منطقة "بِرْكِة بِني إسرايِين" في المدينة. ثم يبدأ سيل ماء طبيعي بعد ذلك، على مسافة قصيرة من فوق الجسر الثاني الموجود على الوادي، عند قبر أبشالوم، ويجري حتى منطقة "عين أُم اِلدَّرَج". وبداية هذا القسم قديمة جدًا، ويُستدل على ذلك من التجويفات التي خلّفها الماء في الصخر عبر

---

(114) يُنظر:

Ashbee, *A Palestine Notebook* (1923), pp. 205, 208,

وقد اضطر مؤلف هذا العمل إلى ترك وظيفته الرسمية في فلسطين بسبب هذه الروائح.

(115) *ZDPV* (1908), p. 275.

يُقارن:

Tobler, *Topographie*, vol. 2, p. 35.

الزمن. غير أن الماء لا يجري هنا إلا عقب الأمطار الشديدة. ولكن تنقيبات وَارن دلت على أن قاع الوادي كان يقع أصلًا على بعد 32 مترًا غرب موقعه الحالي، كما كان أعمق من ارتفاعه الحالي بمقدار 10.21 أمتار[116]. والواد مطمور في المسافة التالية، ولا يتجدد مجرى الوادي إلا في المنطقة المقابلة لبركة شِلوَّاح على الطرف الشرقي للبساتين، ويجري حتى يصل إلى المنطقة القريبة من "بِير إِيُّوب". وبعد أن يختفي هنا، يعود فيظهر على مسافة قصيرة أسفل البئر، ثم يتابع مسيره في "وادِي النار" من دون أي انقطاع تقريبًا. وهنا، لا يجري الماء إلا إبان المطر الغزير أو بعده. وفي المقابل، نشأ في عام 1904 مجرى دائم للماء النتن الرائحة عندما أُعيد استخدام قناة قديمة لتصريف مياه المجاري الآتية من المدينة. وتمتد هذه القناة إلى الجنوب قليلًا من "عيْن أُم اِلدَّرَج"، عبر تلة مدينة داود آتية من القدس بعد أن كانت تصب قرب بركة "سلوان". وتمر القناة من تحت البساتين، وتصب في مجرى السيل في تلك النقطة تمامًا التي يعود فيها السيل فيبدأ بعد قرية سِلوان. وبناء عليه ينشأ هنا في الشتاء، بما ليس فيه مصلحة القرية بطبيعة الحال، سيل صغير من الماء القذر الذي يجري جريانًا مستمرًا، ويمر ماؤه من عند "بِير اِيُّوب" قبل أن يغور في آخر الأمر في مجرى "وادي اِلنار".

ولا بد أن نتحدث هنا عن قناة الماء في زمن الهيكل الأخير[117] التي كانت تصب الدم الذي يتخلف من الأضاحي المقدمة على المذبح والمخصصة للحرق، وكذلك الطيور التي كانت تقدم كفارات، ولم يكن من الجائز حرقها على المذبح (سفر اللاويين 8:4 وما يليها)[118] في وادي قِدْرون، حيث كان الدم يباع سمادًا لأصحاب البساتين[119]. وقد بدأت هذه القناة عند المذبح، ويغلب أنها القناة نفسها التي تجري شمالًا من عند الطرف الشمالي للصخرة المقدسة[120]، حتى

(116) Warren, *Excavations*, *Pl.* X. XXVI.

(117) Schek. IV 2.

(118) Tos. Temur. IV 16.

(119) Jom. V 6, Midd. III 2, Meïl. III 3, Tos. Zeb. VI 9, Meïl. I 16, b. Ab. z. 44ª.

(120) يُنظر:

Dalman, *Neue Petra - Forschungen und der heilige Felsen von Jerusalem*, pp. 120f.

تنتهي إلى خزان ماء مستطيل، اسمه "بِير الجَنّة"[121] الذي كان له، ولا بد، مخرج يصب شرقًا في وادي قِدْرون. وكانت هذه القناة تُشطف بماء يأتيها من خزانات أخرى للماء ولمّا كان للمعبد قناة متصلة بعين ماء (يُنظر أدناه، *D* 1)، كانت المياه تصب هي أيضًا في هذه القناة.

وفي السنوات كثيرة المطر، تنبثق عين ماء من تحت "بِير اِيُّوب" وتجري إلى مسافة قصيرة، ويعقد الناس مهرجانًا شعبيًا صغيرًا احتفاءً بانبثاقها[122]. ولا يتدفق هذا الماء الذي يكون على مستوى الماء في نفق البئر من نفق البئر نفسه، وإنما من الأرض على مستوى ينخفض 47 مترًا عن ذلك، جاريًا في "وادي النار"، وينضم إليه الماء الخارج من العين الشتوية المسماة "عين اللوزة" (ص 163) التي يكون ماؤها أحيانًا أقوى جريانًا من مائه، ولكنه لا يصل في كثير من الأحيان إلى أبعد من بساتين "وادِي السَّواحْرة". ولكني رأيت هذا الجدول يتدفق تدفقًا شديدًا في شتاء 1911 عند "دير مار سابا"، إذ كان شتاءً كثير المطر[123]، بحيث بدا لي أنه بلغ في جريانه البحر الميت. ومع ذلك، فلن نجد عربيًا يصف هذا الماء بأنه جدول ("سيْل")، وإنما يطلق العرب هذه التسمية على الوادي الجاري نفسه (يُنظر ص 8).

لا يمكن أن ينبثق هنا جدول من عين ماء مهما بلغ ضعفه، إلا إذا كان متصلًا بـ"عيْن أُم اِلدَّرَج" في الفترات التي لا يحوّل فيها ماؤها لري البساتين، وعندما يكون مستوى الوادي منخفضًا حتى يتيح انسياب الماء إليه انسيابًا طبيعيًا. لكن الجدول الناشئ على هذا النحو لا يمكن إلا أن يكون جدولًا ضعيفًا قصير الجريان وحتى في الشتاء، حين نسمع خرير ماء العين وهو يجري منحدرًا في الوادي أسفل بركة شيلواح، فإنه لا يجاوز بساتين "سِلوان". ولا بد أن الأوضاع المائية لم تكن مختلفة كثيرًا في الماضي التوراتي. فما كان لسفر حزقيال (47:1 وما يلي) ليتنبأ

---

(121) Schick, *Stiftshütte, Tempelplatz*, p. 302.

(122) يُنظر:

Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, pp. 204f.,

حيث تُذكر جداول ماء أخرى مشابهة منبثقة من عيون شتوية.

(123) تُنظر الصورتان 20، 21 في: Ibid.

بأن جدولًا سيجري في المستقبل الذي يحمل معه الخلاص من الهيكل في اتجاه البحر الميت، وتمكن السباحة فيه، لو أنه كان في القدس ما يكفي من الماء. وما كان زكريا (8:14) ليؤكد أن المياه التي ستبعث بها القدس نحو البحر الميت مرة، ونحو البحر الأبيض المتوسط مرة أخرى، ستجري في الصيف والشتاء، لو كان لهذه المدينة جدول ماء دائم له قدر من الأهمية.

وتجد في كتاب إخنوخ (2:26 وما يليها) [من أسفار الأبوكريفا] شهادة إيجابية على المياه الجارية في القدس في القدم، لكنها غير واضحة جدًا؛ فالكتاب يتحدث عن الماء الذي يجري جنوبًا من الجهة الشرقية للجبل المقدس، وعن ماء الوادي الواقع بين هذا الجبل والجبل الأعلى منه إلى الشرق، في حين ثمة واد جاف ثالث بين هذا الجبل الأخير وجبل ثالث منخفض الارتفاع إلى الغرب منه. ولا بد أن يكون الوادي الأخير الذي يوصف بأنه وادي جهنم، هو نفسه وادي إبن هِنّوم. وبناء عليه، يكون الجبل الثالث هو "جِبِل ديْر أبو ثور" الذي يقع إلى الغرب من الامتداد الجنوبي لجبل الزيتون. أما الجبل الأول، فهو من دون شك، جبل الهيكل. وربما كان الماء الجاري من جهته الشرقية هو جدول الهيكل الذي ذكره سفر حزقيال، والذي يجب أن نفرقه عن ماء "عين أُم اِلدَّرَج"، لأن هذا الأخير ينبثق في الوادي بين جبل الهيكل وجبل الزيتون. فإذا قيل إن المقصود هنا ليس جدول الهيكل الذي ذكره سفر حزقيال، فالاحتمال الباقي، علاوة على جِيحوْن، هو الماء الجاري شتاء في الوادي، والآتي، ربما من شمال فلسطين[124]، وقد اكتسب اسمه من "نَحَل قِدْرون" فحسب[125]. ولا تعني كلمة "نَحَل" العبرية بالضرورة "واديًا ذا جدول"، كما جاء في [معجم] غيزينيوس بول (Gesenius - Buhl)؛ إذ إن [شواهد العهد القديم] في سفر التكوين (19:26)، وسفر إشعيا (5:57)، وفي سفر أيوب (6:30) لا تقصد ذلك بالتأكيد، وإنما تقصد واديًا أو مجرى يمكن أن

(124) Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, p. 43.

(125) إذا جاز لنا أن نقرأ "غرب" الجبل المقدس بدلًا من "شرقه"، لكان أحد الواديين المرويين هو وادي المدينة مع الماء الخارج من [بركة] سلوان، ولكان الوادي الثاني هو وادي قِدْروْن مع [بركة] جِيحوْن.

يجري الماء فيه، حتى لو اقتصر ذلك على الأوقات التي يهطل فيها المطر[126].
ويؤكد يوسيفوس[127] أنه لا يوجد في القدس إلا عين واحدة، هي عين شيلواح [سلوان]. وهو يقصد بذلك الماء النازل من بركة جيحون عبر قناة حزقيا. وما كان ليسكت عن ذكر أي مصدر آخر للماء لو كان في القدس عدا هذا جدول آخر دائم الجريان وله قدر من الأهمية. وعلى الرغم من أنه – متابعةً منه للترجمة السبعونية – يصف وادي قِدْرون مرتين بأنه ςοῤῥαμίεχ، إلا أنه لا يسميه بهذه التسمية في كتابه **حرب اليهود**[128]، وإنما يكتفي بتسميته νώρδεΚ، أو "وادي (γξαράφ) القِدْرون".
أما الترجمة السبعونية، فتترجم كلمة "نَاحَل" [العبرية] بكلمة ςοῤῥαμίεχ [اليونانية] عندما تصف المجاري المائية الدائمة لنهر الزرقاء ووادي الموجب ونهر المقطَّع.
وكذلك الأمر عند الحديث عن أنها جداول الزيت في سفر ميخا (6:7)، فلا يبدو أن المقصود هو الوديان التي تجري شتاء فحسب. ومن الممكن، في أي حال، أنهم اعتبروا "قِدْرون" أيضًا جدولًا دائمًا، وأن "عيْن أُم اِلدَّرَج"، بناء على ما ذُكر أعلاه، والجدول الصغير الذي كان ينبعث منها ذات يوم، كانت السبب في وصف الوادي بأنه "نَحَل". ولكنْ، كلما مر الزمن كان الوادي الواقع شرق القدس يتخذ شيئًا فشيئًا شكل جدول شتوي كان انسيابه في الماضي أفضل من انسيابه اليوم، وكان الماء يجري فيه من غير أن يعترضه شيء. ومن الراجح جدًا أن الأماكن التي كان يتجمع فيها الماء، في "النِّقاعَة" و"أَرْض اِلسُّمار" و"القاعة" كانت قادرة على تشكيل مثل هذا الجدول، كما كان يمكن إمداد حوض "الميدان" بالماء من خلال رافد يأتيه من الجهة الغربية، بحيث كان ماؤه يمر بمدينة داود باعثًا خريره بوضوح.
وكان إويخيريوس (Eucherius)[129] أكد أن جدول وادي قِدْرون لا يجري إلا بماء المطر. وحمل الخيال الجامح الناس على القول إن الماء قد يعلو في الوادي أحيانًا، بحيث يمكن أن يُغطِّس الجالس عاليًا على تلة القدس الشرقية قدميه فيه[130]،

(126) يُنظر:
Dalman, *Arbeit und Sitte*, pp. 200ff.

(127) *Antt.*, VIII 1, 5; IX 7, 3.

(128) *Bell. Jud.*, V 2, 4; 4, 2; 6, 1; 7, 3; 12, 2; VI 3, 2.

(129) Geyer, *Itinera*, p. 127.

(130) j. Taan. 67ª, compare Tos. Taan. III 1.; =

وهو ما لا يمكن، بطبيعة الحال، حتى لأعتى الأمطار أن تأتي به يومًا. ويغلب أن "قِدْرون" نُعت بأنه "جدول أسود"، لأنه تلوّن بتربة "أرض اِلسُّمار" الداكنة اللون، وبما كان يلقى في الوادي من الرماد ومن النفايات. وإلى ذلك، فلا بد أنه كان يتلقى في الزمان القديم مياهًا قذرة من المدينة. ولا نقر القول إن من شواهد قذارة الوادي قول عكيفا(131) إن قبور الملوك وقبر خُلْدَة جُعلت في المدينة لأن تجويفًا كان يصب النجاسة في وادي قِدْرون، فالمقصود هنا هو نجاسة متخيَّلة تتسرب على هذا النحو من المدينة. وكل ما يمكن القول به هو أن وادي قِدْرون كان يعد المكان الملائم لرمي كل ما هو نجس وقذر. ولكنَّ أركُلف (Arkulf)(132) يروي أنه كانت تقام في 15 (أو في 12) من أيلول/ سبتمبر سوق كبيرة في القدس، ثم يهطل في ليل اليوم التالي مطر شديد يشطف قذارة الدواب التي يركبها الناس أو تحمل متاعهم إلى وادي قِدْرون. فإذا كانت هذه السوق تقام في 12 أيلول/ سبتمبر، فإن المطر الذي ينظف السوق يتعلق إذًا باليوم الذي يسبق عيد الصليب وعيد النذر في كنيسة القيامة(133) الذي يصادف 14 أيلول/ سبتمبر، أي أنه يتعلق بيوم يُعتبر حتى الآن في تصورات الناس الشعبية بداية للخريف والهطول المبكر للمطر(134).

ويمكن رؤية المجرى الأدنى لوادي قِدْرون حتى "بير إِيُّوب" في الصور الجوية 782 .809 *D 2 RA, M*، وأما المنطقة الأعلى من "بِير إِيُّوب"، فيمكن رؤيتها في الصورة 2 *D* كذلك، ثم في الصور *D 3 = M* 776, *M*. 839. 841. 840 *D 16 = M* 792, *RA* 92 .Fl. 303 Nr، و"وادِي الجوْز" *D 14 = M* 788, *M* 781. 796. 826. 825, *D 12 = M* 801, Fl. 301 Nr. 398. ويمكن رؤية وادي بيزيثا الفرعي في الصور *D 4 = M* 779, *D* 13 = *M* 769, *M* 789. 793.

= ويُنظر أعلاه، ص 124.

(131) j. Naz. 37d.

(132) Geyer, *Itinera*, pp. 225f.

(133) يُنظر:

Aetheria and Geyer, *Itinera*, p. 100;

يُنظر:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*3, p. 374

(134) Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, pp. 28, 40, 90, 93f., 116.

3 - وادي المدينة

يصب في حوض وادي "سِلوان" واد ثان جارٍ من الشمال، في اتجاهٍ جنوب شرقي، ويُسمي هذا الوادي وادي المدينة. ومصبه (*F* 6) غريب، فهو لا يجري في حوض الوادي على مستوى الأرض، وإنما ينزل إليه من مسقط ارتفاعه 11.5 مترًا. وهذا وضع غير طبيعي بالتأكيد؛ إذ لو كان كذلك لكانت مياه الأمطار الجارية من هنا أزاحت ذلك الحاجز من زمن طويل. والحقيقة أن مصب الوادي مسدود بحاجز صناعي يُظهر السور الذي يسنده من جهته الغربية، وبات اليوم سدًا تمر فوقه واحدة من طرق المواصلات الرئيسة. ويجب أن نفترض أن هذا هو المكان الذي أُقيم فيه أقدم سور حاجز، مع أنه لم تجر حتى الآن تنقيبات دقيقة في هذا الشأن[135]. وقد دلت تنقيبات بلِس[136] على أن سورًا ثانيًا كان موجودًا ذات يوم شرق هذا السور، وكان معزَّزًا بدعامات عرضية، ما يذكّرنا بالسور المزدوج المذكور في أسفار الملوك الثاني (4:25)، وإرميا (4:39)، وإشعيا (11:22). وجاء في هذا السفر الأخير أن الناس بنوا في عهد حزقيا بركة ليجمعوا فيها الماء الذي كان يُجمع في بركة أخرى، وأُسميت البركة "العتيقة"، بحيث تكون البركة بين السورَين بديلة من تلك البركة. وبحسب ما هو متوافر بين أيدينا من معلومات، كان طول هذه البركة 80 مترًا تقريبًا، وعرضها 18 مترًا تقريبًا، وكان يمكن ملؤها بالماء حتى ارتفاع 12 مترًا تقريبًا، ما يعني أنها كانت تتسع لنحو 17280 مترًا مكعبًا. وبما أن هذه البركة تسمى في سفر إشعيا (9:22) "البركة السفلى"، فلا بد أنها تقابل "البركة العليا" المذكورة في السفر نفسه (3:7؛ 2:36) وفي سفر الملوك الثاني (17:18)، والتي اعتقدنا أنها موجودة شمال التلة الغربية (ص 69). فإذا ما وقع حوض تجميع الماء الجديد هذا بين السورين، فلا بد أن البركة العتيقة كانت أعلى السور، وبناء عليه تكون هي خزان الماء الذي لا يزال يُعرف حتى اليوم باسم

---

(135) يُقارن:

PJB (1918), pp. 62f.

(136) Bliß, *Excavations at Jerusalem (1894-1897)*, pp. 96ff.

يُقارن:

PJB (1918), pp. 60ff.

"بِرْكِة الحمرا" (البركة الحمراء)[137]، مع أن أرضيته تُستخدم منذ عدد من السنوات لزراعة الخضروات، بعدما أصبحت مياه المدينة العادمة تُصرّف منذ عام 1904 بطرق جديدة (يُنظر أعلاه، ص 184). ولم أر البركة مملوءة ماء إلا في صورة قديمة لها. وفي أخبار سفر نحميا عن بناء سور القدس، تتحدث الآية (15:3) عن هذه المنطقة، في حديثها عن بركة "هَشّيْلَح" وبستان الملك. ويبدو أن البركة نفسها تسمى "بركة الملك" في موضع آخر من السفر نفسه (14:2). وبما أن الحديث في هذا الموضع [من العهد القديم] يقتصر على ذكر السور، فلنا أن نتساءل إن كان المقصود بالحديث هنا البركة الجديدة أم البركة العتيقة في زمن حزقيا. فإن كانت الأخيرة هي المقصودة، فيكون المراد بذلك "بِرْكِة الحمرا". وفي الواقع، تقع فوق هذه البركة في هذه المنطقة بركة أخرى أصغر حجمًا، تبعد حوالى 80 مترًا عن سور المدينة القديم، وتسمى اليوم "بِرْكِة سِلوان". وقد دلت التنقيبات على أنها تمثل الجزء الأوسط من ساحة مربعة محوطة بالأروقة المعمّدة، مساحتها 23x23 مترًا، ربما كان يحيط بها مجرى مائي يأتيه الماء من القناة على نحو بدائي كما هي الحال في عين "لفتا"، ثم حلت في ما بعد محلها البركة المزدوجة والتي وصفها أنطونيوس[138]، والتي كان يغتسل فيها الرجال والنساء طلبًا للبركة. وبُنيت هذه المنشأة في القدس أول الأمر في أثناء الفترة الرومانية، ولا بد أنها نفسها مبنى تيترانيمفوم الذي ذكرت كرونيكُن باسكاله (*Chronicon Paschale*) [عرض للأحداث وفقًا لتسلسلها الزمني ظهر في عام 630 في الإمبراطورية الرومانية الشرقية باللغة اليونانية] أن هادريان بناه. أما الحوض الذي اكتشفه غوته[139] في عام 1882 إلى الشرق منه، وهو بقياس 9x3 أمتار، فلا بد أنه من بقايا منشأة [مائية] أقدم كانت توجد على عمق أدنى بمقدار متر واحد من المنشأة الحالية التي ربما كانت البركة التي ذكر سفر الملوك الثاني (20:20) أن حزقيا

---

(137) ربما كان المعنى المقصود "البركة ذات الماء الأحمر". يُقارن:
Bauer, *Das Palästinische Arabisch*[4], § 79, 3,
ولا بد أن نأخذ في الاعتبار أن كلمة "أحمر" تعني في العربية اللون البني أيضًا. وبناء عليه، يمكن وصف التربة البنية بأنها "حمراء"، كما يمكن وصف الماء الذي لونته التربة البنية بأنه "أحمر" أيضًا.

(138) Geyer, *Itinera*, p. 176.

(139) Guthe, *Ausgrabungen bei Jerusalem* (1883), pp. 59ff.; Taf. II.

قد بناها، بركة سِلوام (باللهجة المسيحية الفلسطينية "شِلوْحا") المذكورة في إنجيل يوحنا (9:7، 11). ويستنتج يريمياس[140] من الشواهد اليهودية[141] أن هذه هي ماء العين الوحيدة في القدس بحسب شهادة أنطونيوس[142]، وبحسب العقيدة اليهودية التي لها القدرة على التطهير والإتيان بالمعجزات، وإن كانت هذه الشواهد تكتفي في الواقع بالقول إن على الناس التزام الطهارة الشرعية. ففي هذه البركة، كما هي الحال في البركة التي حلت في محلها اليوم، كانت تصب قناة حزقيا الصخرية (يُنظر أعلاه، ص 171)، وتملؤها بماء "عين أُم اِلدَّرَج" الذي ما كان يمكن الوصول إليه حينذاك إلا هنا. وحتى اليوم، لا يزال الناس يصفون مصب القناة بأنه "عين سِلوان"، أو بعبارة أدق، "عيْن سِلوان التَّحْتا"، على الرغم من أن في الإمكان الوصول إلى العين في المكان الذي تنبثق فيه. ويتبين من الطريقة التي ضُبط فيها اسم القناة في إنجيل يوحنا (9:7، 11)، وكذلك من الطريقة التي ذكرت فيها المصادر اليهودية ماء العين (يُنظر أعلاه)، وكذلك من الطريقة التي ذكر فيها يوسيفوس اسم العين (Siloas) (Siloa)[143]، أن اسم القناة [العبري] "شِلوَّاح"، الذي يغلب أن صيغته الآرامية كانت "شِلوْحا"، قد أطلِق على قناة حزقيا وعلى البركة أيضًا. وبناء عليه، ينبغي أن تُقرأ عبارة "بِريْخَة هَشلَح" في سفر نحميا (15:3) في صورة "بِريْخَة هَشِّلوَّاح"، وينشأ عن ذلك أن البركة الموجودة عند السور الحاجز كان اسمها ذات يوم بركة شِلوَّاح، إما لأن إحدى أكثر قنوات ماء العين قدمًا كانت تصب فيها، وإما لأنها كانت تنتفع من الماء الخارج من قناة حزقيا الصخرية على نحو ما[144]. وفي أي حال، تعد البركة الموجودة عند السور الحاجز أقدم منشأة لجمع الماء في هذه المنطقة، فما إن سد سور المدينة طرف الوادي، حتى كان من الطبيعي أن يتخذ الناس سور المدينة سدًا يجمعون ماء المطر خلفه. نعم، كان من الممكن أن يسد الناس الوادي عند الطرف الجنوبي لتلة صهيون عندما كانت

---

(140) Angelos I, p. 162.

(141) يُنظر أعلاه، ص 172.

(142) Antoninus, p. 172.

(143) *Bell. Jud.*, II 16, 2; V 4, 1. 2; 6, 1; 9, 4; 12, 2; VI 7, 2; 8, 5.

(144) لسنا نعرف على وجه اليقين هل كان الذين ضبطوا النص بالحركات عرفوا أن اسم "بركة شِلوَّاح" سيطلَق في ما بعد على بركة غير هذه البركة، فتجنبوا لذلك تسميتها باسم "شِلوَّاح".

السكنى مقتصرة عليها، فيخزنوا بذلك قدرًا أكبر من الماء كي يستفيدوا منه في أول الصيف بعد انقطاع المطر في ري البساتين الواقعة أسفل السد في حوض الوادي. وما إن بات هناك قنوات متفرعة من عين جِيحون، حتى زادت طاقة السد التخزينية، بل بات الماء يكفي خلال فترة الصيف كلها. وربما كان الحوض الذي أُقيم "بين السورَين" خشية الحصار الأشوري (سفر إشعيا 11:22؛ يُنظر ص 189) مغطى وقادرًا بطبيعة الحال على الحفاظ على الماء المخزَّن، خلافًا للبرك التي كانت مكشوفة حيث يتبخر الماء منها[145]. وما عاد حوض الماء، الذي كان اسمه "بِرْكِة الحمرا"، يؤدي هذه المهمة اليوم، لأن بقية مجرى الوادي خارج سور المدينة باتت مطمورة من الجهة العليا، ويفصل السور بينها وبين امتدادها في داخل المدينة. ولا بد أن ماء الوادي كان يملأ البركة في كل شتاء من غير عناء يوم كان لا يزال مفتوحًا على طوله، وقبل أن يُزرع بالمزروعات. وكان الماء، قبل أن يكون هناك سد، قادرًا على البحث لنفسه عن طريق خلال حوض الوادي، ليتحد مع الماء الآتي من وادي قِدْرون. واليوم، لا توجد قناة ماء تصل وادي المدينة بـ"وادِي النار"، فيما تُشقّق المصاطب وسلاسلها الحجرية مجرى الماء الخارج من بركة شلواح [فيتوزع الماء] على البساتين الواقعة في الحوض.

ترقى الأرض اليوم في مكان الوادي القديم حتى سور المدينة من 635.41 مترًا إلى 726.30 مترًا، في حين كان ارتفاعها أصلًا، بحسب وارن، 621.5 مترًا عند مخرج الوادي، و691.6 مترًا تحت سور المدينة. ولا مبالغة في الرقم الأول؛ فقد دلت تنقيبات بلِس[146] على أن قاعدة السد الخارجي للوادي تقع على عمق 70 قدمًا، أي 21.34 مترًا، تحت مستوى الطريق التي تجري من هناك اليوم، أي أن ارتفاعها كان 614 مترًا فحسب. وهذا يعني أن الوادي كان يرقى في مسافة مستقيمة مقدارها 550 مترًا، ما مقداره 77.6 مترًا، أي بارتفاع 0.14 مترًا في المتر الواحد، الأمر الذي يفسر أن الطريق الصاعدة إلى الوادي كانت تتضمن في

---

(145) يُقارن:

Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, pp. 524ff.

(146) Bliß, *Excavations at Jerusalem, Pl.* XII.

بعض أجزائها أدراجًا[147]. وهنا، لا يعود أحد يتحدث عن "وادٍ"، أو عن "خَلَّة"، بل عن "اِلجِوَر"، ومفردها "جوْرَة" (ص 7، 10)، خلافًا للأراضي الواقعة على المرتفعات شرقًا وغربًا المسماة "اِلضْهورَة" و"البواطن" (ص 88، 128). ومن داخل السور يبدأ امتداد الحوض من خلال بساتين "حارة المغاربة" (الشمال الأفريقيين)، ويقطع الحوض مرة أخرى السد الذي يزيد ارتفاعه على 9 أمتار، وتجري عليه الطريق المسماة "طَريق باب السِّلْسِلِة" المتجهة إلى ساحة الحرم القدسي (*E* 6). ويقسم الطمم والأتربة التي راكمها هذا الحاجز الوادي قسمة واضحة إلى نصفين: شمالي وجنوبي. ولا يستحق إلا الجزء الشمالي من الوادي بأن يسمى واديًا. وبالفعل يُطلَق اسم "إلواد" على الطريق المتجهة إلى باب دمشق وحتى مشفى الهوسبيس النمساوي[148]. ويذكر مجير الدين[149] أن الاسم الأصلي للوادي ربما كان "وادي اِلطوَاحين"، ما يدل على أنه كانت فيه طواحين للحنطة تديرها الحمير. ويشتمل هذا الحاجز الذي يقسم الوادي على طرف الجسر المسمى "قوس ويلسون"، وهو الجسر الذي كان يوصل يومًا إلى ساحة الهيكل مذكِّرًا بأن هذا هو المكان الذي كان فيه سور القدس الشمالي يتصل بالهيكل أيام يوسيفوس، فاصلًا المدينة القديمة وقتذاك عن ضاحية المدينة (يُنظر ص 85)، ومذكِّرًا كذلك بأن الرواق المعمَّد للجمنازيوم (Xystos) في مدينة القدس في أيام هادريان كان يقع إلى الجنوب منه[150]، وكان، على الأرجح، المكان الفخم الوحيد في القدس حينذاك الذي كان يصلح ليكون مكانًا للاجتماعات العامة[151]. وربما كان هذا المكان، كما يستدل على ذلك، هو المكان الذي يُستخدم فيه الجمنازيوم للتدريبات البدنية، والذي كان الناس يتدربون فيه عراة، فيضطر اليهود

(147) Bliß, *Excavations at Jerusalem*, pp. 140f., 151ff.

(148) يُنظر:

Sandreczki, *ZDPV* (1883), pp. 62, 67ff.

(149) **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، مجير الدين الحنبلي العليمي، ص 404.

(150) *Ant.*, XX 8, 11; *Bell. Jud.*, II 16, 3; V 4, 2; VI 3, 2; 6, 2; 8, 1.

(151) *Bell. Jud.*, II 16, 3.

فيه إلى ستر ختانهم[152]. وذكر يوسيفوس[153] أن الـ ἡλυοβ، أي دار بلدية القدس، كانت في هذا الموضع الذي يقابل، من دون شك، مجمع كبار الكهنة المسمى السنهدرين المذكور في إنجيل لوقا (66:22)، وفي سفر أعمال الرسل (5:4 وما يليها؛ 12:6؛ 30:22). وقد جاء في إحدى وثائق البرَيتا[154] [براني، خارجي، (أي المشنا الخارجية، وهي الفتاوى التي لم يدرجها الحاخام يهودا الناسي في كتب المشنا.)] أن هذه الوحدة الإدارية العليا عند اليهود انتقلت قبل تدمير الهيكل بأربعين عامًا من مكانها الأصلي "القاعة المكعبة" في رواق الهيكل الداخلي، إلى "الحوانيت" (بالعبرية:"حَنويوت"). وفي موضع آخر[155]، يُدرج هذا الانتقال، ضمن سلسلة من عشرة انتقالات، ترد "مدينة القدس" في المحل الثالث منها. ويوحي هذا الخبر بأن "الحوانيت" كانت جزءًا من الهيكل[156]، لكنَّ الواقع هو أن يوسيفوس يتحدث عن موضع من الهيكل يقع خارج حدوده. وما "الحوانيت" إلا اسم لذلك القسم من المدينة الذي كان مخصصًا، في المحل الأول، للأعمال التجارية (يُنظر أدناه)، بل ربما كان الرواق المعمَّد للجمنازيوم نفسه قد بُني ليكون جزءًا من الحوانيت. ولدار البلدية في هذا الموضع وظيفة تشبه وظيفة المحكمة من الدرجة الثالثة التي تنعقد، بحسب التقاليد اليهودية[157]، في المدخل، في أبعد ساحات الهيكل.

وفي هذه المنطقة يوجد "الحائط الغربي" للهيكل، أو لِـ"جبل البيت" كما

(152) سفر المكابيين الأول (14:1)، سفر المكابيين الثاني (9:2، 12، 14). لكنَّ وجود هذا المكان في أسفل القلعة السلوقية كما ذكر سفر المكابيين الثاني (12:4) يمكن أن يدل على أنه كان يقع إلى الجنوب قليلًا.

(153) *Bell. Jud.*, V 4, 2;

ويُقارن:

VI 6, 3.

(154) b. Sabb. 15ª; Sanh. 41ª; Ab. z. 8ᵇ.

(155) b. R. h. p. 31ª.

(156) لذا رأيتُ أن في الإمكان الافتراض أن موقع البناء كان البازيليكا التي بناها هيرودوس في ساحة الهيكل الخارجية، في:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, p. 309.

(157) Sanh. XI 2; Siphre Dt. 152 (104ᵇ).

يسمى في المصطلح اليهودي، ويُسمى، بسبب صلاة اليهود عنده[158] "حائط المبكى". ويُقال عن هذا الحائط أن "سكن" الرب في الدنيا لا يحيد أبدًا عنه[159]، ولن يكون عرضة للتدمير أبدًا[160]. ويمثل الحائط قاعدة الهيكل الموسَّع، بحيث تعود المداميك الخمسة الأولى الموجودة فوق مستوى الأرض، التي يبلغ ارتفاعها 5.18 أمتار، إلى الفترة الهيرودية، ثم يليها مداميك رومانية، وأخرى عربية. ويوجد تحت الأرض 15 مدماكًا، يبلغ ارتفاعها 16.76 مترًا[161]. وقد حان الوقت الآن لأن يُكشف عن السور القديم بارتفاعه الكامل، هنا وعند الزاوية الجنوبية الشرقية لساحة الحرم القدسي. فلو أن التنقيبات كشفت عن الأرضية التي كانت ذات يوم تابعة لرواق الجمنازيوم المعمَّد، لأتاح ذلك لليهود أن يبنوا في المدينة التي كانت لهم في الماضي، [بحسب زعمهم]، وبالتحديد في المنطقة التي كان يقوم فيها مجمع كبار الكهنة، مكانًا للعبادة، يطل على الأجزاء التي يتم الكشف عنها من الحائط، الأمر الذي سينهي الخلاف بين المسلمين واليهود على "حائط المبكى".

إلى الشمال من السد الذي يقسم وادي المدينة، يصب في الوادي من الغرب واد فرعي قصير آتٍ من القمّة الغربية، ما يؤدي إلى توسع الوادي وتحوله إلى حوض. وقد كنا تحدثنا في صفحة 72 و77 عن أهمية هذا الوادي الفرعي في تحديد النهاية الشمالية لتلة المدينة الغربية، وكذلك في تحديد موقع غولغوثا. ونكتفي هنا بالقول إن أرضية الوادي، بحسب النقاط التي وضعها كومِل على خريطته للأرضية الصخرية المكتشفة جنوب كنيسة القيامة في رافد الوادي المذكور أعلاه، تنخفض من 760 إلى 744 مترًا، في حين أن الكنيسة نفسها تنتصب على ارتفاع 756 مترًا تقريبًا. أما قياساتي فدلت على أن الارتفاع الأدق لأرضيتها هو 753.80 مترًا، في حين يرتفع الصخر في كنيسة الجمجمة (Kalvarienkapelle) إلى

---

(158) يُنظر:

Scha῾arē Dim῾ā (Jerusalem o. J), pp. 2ff.; Luncz, *Jeruschalajim*, vol. 1, pp. 30ff.,

وفي ما يتعلق ببكاء اليهود عند المكان الذي كان يقوم فيه الهيكل، يُنظر أعلاه ص 121 وما يليها.

(159) Midr. Teh. 11, 3; Schem. R. 2 (10ª).

(160) Ech. R. 1, 5 (Buber ed. 35ª); Schir R. 2, 9 (31ª).

(161) يُنظر:

Warren, *Excavations*, *Pl.* XXXIV.

758.67 مترًا[162]، مبينًا في الوقت نفسه الارتفاع الأصلي لنتوء التلة في المنطقة الواقعة شمال الوادي، وإلى الشمال قليلًا من مصب الوادي الفرعي. وفي مقابل قبة الصخرة من الجهة الغربية، تقع في قاع الوادي على عمق 19.8 مترًا تحت مستوى الأرض الحالية، "عين" المياه المعدنية (حَمَّام الشِّفا)[163] المتصلة بقنوات تحت أرضية التي لم تُدرس دراسة وافية بعد. وكل ما نعرفه عن هذه العين أن غزارتها تتأثر بما يأتيها من المطر.

يبلغ ارتفاع الوادي شمال السد الآن 731.5 مترًا، وكان ارتفاعه سابقًا 712 مترًا، وهو يحوّل اتجاهه هنا، فيسير في اتجاه شمال غربي، ويصل في منطقة باب دمشق إلى 753.7 مترًا، في حين ذكر كومِل أن ارتفاعه كان ذات يوم 740 مترًا، وذكر وَارن أنه كان 732.8 مترًا. ويبدأ الوادي من مكانين في الوقت نفسه، أولهما يبدأ من المنخفض الواقع بين التلة الغربية للمدينة والامتداد الأول للتلة الشمالية[164]، وآخرهما من المنخفض الواقع بين هذا الامتداد والامتداد الأوسط، بحيث يبدو الامتداد المذكور محصورًا بين بدايتي التلة الشمالية. ويدل هذا على أن سور أغريبا (ص 94 وما يليها) أحاط بوادي المدينة من جهاته كلها، في حين أنه لم يُرد لسور ضاحية المدينة في عهد هيرودوس أن يفعل الشيء نفسه، وعلى الأغلب أنه قطع الوادي على مسافة 200 متر جنوب باب دمشق (يُنظر ص 109). ويتصل وادي المدينة من جهته العليا بِـ"سهل الملك" (ص 91)، ويمكن الافتراض أن هذا الاسم كان يُطلَق، في المحل الأول، على المنخفضات المنبسطة التي يبدأ بها الوادي.

لا نجد اسمًا لهذا الوادي بعينه في تراث الإسرائيليين الأوائل، إلا إذا خالفنا سفر يشوع (15:8؛ 18:6) في اعتبار هذا الوادي هو وادي إبن هنّوْم،

---

(162) يُقارن:

PJB (1920), pp. 16, 19; *ZDPV* (1929), p. 121

(163) Robinson, *Palästina*, vol. 2, pp. 159ff.; Tobler, *Denkblätter*, pp. 73ff.; Wilson, *Ordnance Survey of Jerusalem*, p. 85, *Pl.* XXII.

(164) رأى وَارن أنه لا توجد غير نقطة البداية هذه، وأن المجرى الأعلى لوادي المدينة يمس الامتداد الأوسط مسًا فحسب. ويخالفه كومِل في ذلك، وهو مصيب في ما يقول. وفي أي حال، فإن الوصف أعلاه يتفق مع الوضع القائم اليوم،

Warren, *Ecavations*, Pl. II.

كما فعل بيرش[165] ودوران[166] وفنسنت[167]، بحيث قصر هذا الأخير رأيه هذا على الفترة اليبوسية. وعندما يذكر سفر صفنيا (1:10 وما يليها) "المدينة المزدوجة" (هَمِشنِة) و"الهاون" (هَمَّختيْش)، فإنه إنما يتحدث عن أقسام من هذا الوادي. ولا يستقيم استخدام المصطلح الأول (يُقارن أعلاه، ص 111) إلا إذا كانت للقدس ضاحية جعلت حجم المدينة الأصلية مضاعفًا (يُقارن ص 81 وما يليها). أما المصطلح الثاني فيشير، في ما يبدو، إلى قسم من المدينة منخفض بصورة خاصة[168]، يغلب أنه كان في ضاحيتها، والأرجح أنه كان يقع في الحوض المذكور أعلاه، القريب من مصب الوادي الفرعي الغربي في وادي المدينة. ويذكر سفر صفنيا (1:11) أن دكاكين التجار ووازني الفضة كانت هناك. ويُستدل على أنه كان في "المدينة المزدوجة" طرقات للحرفيين من قول سفر نحميا (3:8) إن ممثلي صاغة الذهب والعطارين تولوا ترميم السور. أما يوسيفوس فذكر أنه كان في ضاحية المدينة في زمانه سوق للصوف، وورش لصناعة المعادن، وسوق للملابس[169]. ويطلق على هذا الجزء من المدينة كله اسم "سوق العوارض الخشبية" (أي ما يقابل في الآرامية "شوقا دِشارياتا")[170]، وقد اتخذ، على ما يبدو، طابعًا تجاريًا حرفيًا، ومن هنا وصفه التراث اليهودي بـ"الحوانيت" (كما ذكرها في ص 194 أعلاه).

يبدأ يوسيفوس[171] وصفه موقع مدينة القدس بالحديث عن واد "φάραγξ" يفصل تلّتي المدينة، ويسمي هذا الوادي الذي يصل إلى عين سلوان "وادي الجبَّانين" "تيروبيون" (ἡ τῶν τυροποιῶνφάραγξ). ولا بد من الاشارة هنا إلى أنه يقصد "تلة المدينة العليا" و"التلة السفلى" حصرًا، ويفرق بينهما وبين التلة التي

---

(165) *PEFQ* (1878), pp. 179ff.; (1882), pp. 56ff.

(166) Germer-Durand, *Topographie de l'ancienne Jérusalem*, p. 2.

(167) *Jérusalem*, vol. 1, pp. 124ff.,

وهو يرى أن الاسم انتقل في ما بعد وأصبح يطلَق على "وادِي الربابة"، على نحو يشبه الطريقة التي يتلاعب فيه التراث الإسرائيلي في الفترة المسيحية بالأسماء التوراتية.

(168) بل إن الترجوم يقصد بذلك وادي قِدْرون.

(169) *Bell. Jud.*, V 8, 1.

(170) Ibid., II 19, 4.

(171) Ibid., V 4, 1.

يقوم عليها الهيكل. وبناء عليه، فإنه لا يقصد وادي المدينة كله، وإنما ذاك الجزء منه الذي يفصل التلة الغربية عن تلة مدينة داود وقلعة الأشوريين، أي أنه لا يقصد إلا النصف الجنوبي من الوادي. ولم يستطع أحد حتى اليوم أن يوضح لنا لِم اتخذ الجبَّانون ذاك الوادي مكانًا لهم، خاصة أن الجبن ينبغي أن يُصنع حيث يوجد الحليب، أي حيث يوجد الغنم، وليس في عاصمة البلاد. ويجري هذا القول على فلسطين أكثر مما يجري على بلادنا. ويُذكر أحيانًا أن النساجين كانوا يسكنون عند باب "الزبل"[172]. وربما يمكن أن نستنتج من سفر إرميا (2:18 وما يليها) أن ورش الفخَّارين كانت هناك أيضًا؛ فالوادي كان مكانًا للحرفيين، كما تبين أعلاه، من دون أن يعني ذلك بالضرورة أنه كان مكانًا للجبَّانين. وقد تخفي هذه الصيغة اليونانية الاسم الحقيقي للوادي بعدما حولتها الدراسات عن فلسطين في العالم الغربي إلى صيغة "تيروبيون"؛ فصيغة "وادي الجبَّانين" بالعبرية يمكن أن تكون "جيْ هَمِّجَبِّنين"، وبالآرامية "حِلّتا دِ - مِجَبِّنَايا". ولا يمكن تفسير الاسم من خلال كلمة "جَبْنوْن" العبرية التي تعني "السَّنام" الواردة في سفر المزامير (16:68 وما يليها). وبما أن "باب الزبل" كان يقع ذات يوم عند الطرف الجنوبي للوادي (سفر نحميا 13:2؛ 13:3 وما يليها؛ 31:12)، فمن الممكن أن اسم الوادي كان "وادي الزبل" ("جيْ ها - أَشْبوْت")، وأن يوسيفوس رأى أن في الإمكان تفسير الاسم بحيث يعني "وادي الجبَّانين"، لأن كلمة "شِفوْت" الواردة في سفر صموئيل الثاني (29:17) تعني منتوج حليب، أي نوعًا من الجبن، كما يفترض الترجوم[173]، وليس "الكريما" أو القشدة الغريبة على الشرق، كما فهمها فيتسشتاين (Wetzstein) (يُنظر غيزينيوس بول). واقترح بومَر (Boehmer)[174] تفسير اسم الوادي من الكلمة الآرامية "طِروْفا"، التي تعني "جدول الماء ذو التيار الشديد". لكنَّ هذه الكلمة لا ترد إلا في موضوع واحد في الترجوم عن المزمور الأول (3:1)، ويرجح أنها

---

(172) b. Sabb. 15ª.

(173) يُقارن:

PJB (1919), p. 34;

وكان التفسير أعلاه للاسم قد ورد لدى:

Schwarz, *Das. Heil. Land* (1852), pp. 192f.

(174) *ZNW* (1908), pp. 224f.

تصحيح لكلمة "طَوفا" الشائعة، أو لكلمة "طِيَّافا" اللتين تعنيان (قناة). أما التفسير الصحيح فيغلب أن اسم الوادي كما ورد لدى يوسيفوس مبني على كلمة "توْرف" التي تعني "عورة". ويتفق هذا التفسير مع وصف آبا شاؤول للقسم الأعلى من "القسمين" (ص 108 أعلاه) بأنه غير مقدس لأن فيه "عورة القدس" ("تُرُبت يِروشالَيم")، ولأن المدينة يمكن أن تؤخذ من هناك[175]، أو "لأن الناس كانوا يُخرجون إلى هناك كل ما يعيب القدس" ("كُل تُرْبوْت شِلِّ يروشالَيم")[176]. وبناء عليه، يكون يوسيفوس قد أوَّل "وادي العورة" (بالعبرية: "جيْ هَتّوْرف"؛ بالآرامية:"حِلِّتا دِتُربا") إلى "وادي الجبَّانين" تكريمًا منه للقدس. وجاء في ثناءٍ قديم على القدس عدَّد عشرًا من خصالها، أنه كان يُحظر في القدس جمع الزبل في أكوام لفرط الحرص على طهارتها[177]. لكنَّ هذا الوصف لا يطابق الحقيقة تمامًا، شأنه شأن القول بأن لدغة الأفعى ولدغة العقرب لا تضران في القدس[178]، أو أن زوار القدس في العيد كانوا يخوضون في شوارع المدينة حتى الركب في دماء الحمر الوحشية التي كانت تُطعن لتروى من دمائها أسود الملك[179].

ويمكن القارئ الاطلاع على الوادي اطلاعًا عامًا من الصور الجوية *M* = *D* 4 779, *D* 5 = *M* 790, *D* 6, *M* 777. 789. 791. 793، ويمكن الاطلاع على القسم الجنوبي وحده من خلال الصور الجوية 789 .793 .791 .838 .841 .840 ,*M* 839.

4 – وادي إبن هِنّوم

ينبغي أن يُعَدّ "وادِي الرَّبابة" (F6) الذي يصب في حوض "سِلوان" من الجهة الغربية تفرعًا من الوادي الرئيس. وقد اتخذ هذا الوادي اسمه ذاك حتى وصوله

(175) j. Sanh. 19b, Tos. Sanh. III 4, b. Schebu. 16a,
يُقارن:
PJB (1918), p. 63

(176) Meg. Taan. VI, Scholion.

(177) b. Bab. k. 82b; Ab. R. N. 35; Tos. Neg. VI 2.

(178) Ab. V 5.

(179) Tos. Eduj. III 2; j. Schek. 51a; b. Men. 103b.

إلى بركة اِلسُّلْطان، وشُبّه بآلة الكمان العربية وهي "الربابة"[180]؛ إذ يشبه شكله شكل مقبض الربابة، في حين يشبه حوض "سِلوان" الذي يخرج منه الوادي شكل صندوق الربابة نفسها. وقاع الوادي مزروع، وفي غير موضع مغروس بأشجار الزيتون، وتقطعه سلاسل المصاطب الحجرية، فلا يمكن أن يغمر الماء أرض الوادي، كما لا يُتوقع أن تمر عبره قناة ماء متصلة. وإذا نظرنا إلى الوادي من أوله، من عند تفرع الطريق على الطرف الغربي لحوض "سِلوان"، وجدنا قاع الوادي يصل في منعطف الوادي جنوب الزاوية الجنوبية الغربية للمدينة الحالية، إلى 600 متر، من ارتفاع 627.1 مترًا إلى ارتفاع 696.3 مترًا، أي حوالى 69.2 مترًا. وبعد انعطافه إلى الشمال يغدو الوادي أجرد بلا مزروعات، ويرتفع قاعه سريعًا إلى مستوى 728 مترًا، حيث توجد الآن مستعمرة يهودية تسميها الخريطة الإنكليزية "شَمَّاعَة". والسبب في هذا الارتفاع السريع هو وجود سد تخزين يقطع الوادي بعد انعطافته، شُقّت عليه، في ما بعد، طريق للمواصلات. ويتبين سبب إقامة السد، إذا علمنا أن في جهته الشمالية البركة المسماة بركة السلطان (*F* 5) التي جاءت قياساتها عند شيك[181] 74.67 مترًا عرضًا، و172.21 مترًا طولًا، و15.28 مترًا عمقًا، وهي أكبر منشأة مائية من هذا النوع في محيط القدس، ولا نجد البتة أي إشارة إلى أن البركة ملئت كلها بالماء في يوم من الأيام. أما أن الناس يغرقون في مائها أحيانًا، كما حدث في شتاء 1895-1896[182]، فراجع إلى كثرة ما فيها من وحل، وإلى جهل المقدسيين بالسباحة. وكان يعوّل في بناء هذه البركة على المجرى الأعلى للوادي، غير أنه بات يعترضه أكثر من عائق في غير مكان؛ مثل عائق قناة الماء القديمة التي تمر هنا بالعرض، وكانت محمولة في يوم من الأيام على أقواس [قناطر]، تليها مجموعة ثانية من البيوت تملأ قاع الوادي، وبعدها سد تعلوه طريق في مقابل قلعة القدس. ويعترض مجرى الماء في الوادي أخيرًا سد طريق مامِلَّا.

(180) Sachsse, *ZDPV* (1927), pp. 47ff.; (Tafel 3).

الذي يذكر أن الاسم الفارسي للربابة هو *kawardsch, kawaridsch*، في حين أنه كان عليه أن يذكر أن الاسم هو "كمنجة".

(181) *PEFQ* (1898), pp. 224ff.

(182) *MuN des DPV* (1906), p. 56.

وأكدت دراستي التي أجريتُها في 2 أيلول/ سبتمبر 1904 أن بناء البركة مر بثلاث مراحل تاريخية، لكنني لم أجد دليلًا على البركة الثانية التي افترض شيك أنها كانت موجودة إلى الأعلى منها. أما أحدث مرحلة من مراحل بناء البركة فترجع إلى عهد السلطان برقوق (1399 ميلادية)(183) التي أكسبت البركة شكلها الحالي، وإن أُدخلت عليها تحسينات في عهد السلطان سليمان الأول (1537/ 1538 ميلادية)، كما استُكملت بإضافة بئر إليها على السد لجمع الماء الآتي عبر القناة الممدودة من "عين صالح" الواقعة إلى الجنوب الغربي من بيت لحم، كما يُستدل على ذلك من نقش عُثر عليه هناك. أما المرحلة الأقدم من بناء البركة، فترجع إلى بركة أصغر ذكر شيك أن قياساتها هي 44.2 مترًا عرضًا، و140.2 مترًا طولًا، و9.63 أمتار عمقًا. ويغلب أن باني هذه البركة هو جرمانوس (Germanus) الذي عاش في عهد أماليش الأول [أماليك أو عموري الأول ملك القدس الصليبي] (Amalrich I) (1162-1173 ميلادية). وكان جرمانوس هذا يسكن قرب البركة، ولهذا سُميت لاكوس جِرْمانِت (*lacus Germanit*)(184). غير أن فيلهلم فون تيروس [وليام الصوري] (1184) (VIII 2) يتحدث عن البركة الأقدم الموجودة في هذه المنطقة، موحيًا بوجود بركة أقدم منها. أما أقدم شكل للبركة تمكّنا من تحديده، وهي البركة التي لا يُملأ في أغلب الأحوال سواها بالماء، فتبلغ أبعادها، بحسب قياساتي، 20 مترًا عرضًا، و43 مترًا طولًا، ويبدو أن عمقها لا يزيد على 4 أمتار. واعتمد شكل البرك الثلاث على السد الذي كان قائمًا على الصخر فوق الوادي، وكان ارتفاعه يختلف من فترة إلى أخرى. وقال بعض الباحثين إن جِيحوْن التوراتية تقع هنا، جاعلين مدينة داود، لهذه الغاية، على التلة الغربية، بل رأى بعضهم أنها البركة التي استحمت فيها بشَبَع. ولكنَّ المنشأة المائية الوحيدة التي يمكن أن

(183) مجير الدين، في:
Sauvaire, *Histoire de Jérusalem*, p. 259.

(184) يُنظر:
Citez de Jherusalem; Tobler, *Descriptiones*, p. 215; Ernoul, Michelant & Raynaud, *Itinéraires*, pp. 44f.; Röhricht, *Regesta*, pp. 133, 143, 147; Röhricht, *Geschichte des Königreiches Jerusalem*, p. 415;
وذكر مجير الدين (Sauvaire, *Histoire de Jérusalem*, p. 247) أن البركة أُصلحت في عهد الملك الناصر (1293-1341 ميلادية).

تقع هنا هي "بركة الحيَّات" التي ذكرها يوسيفوس[185] قائلًا إنها تقع قرب "نُصُب هيرودوس"، التي عُثر عليها على بُعد 210 أمتار إلى الغرب من الطرف الشمالي من الشكل الأحدث للبركة (يُنظر أعلاه، ص 142 وما يليها). ولنا أن نفترض أن الاسم العبري لهذه البركة كان "ربِريْخَت هَنِّحاشِيم"، وأن الاسم الآرامي ربما كان "بِريْخْتا دِ - حِوَّاوان" ("حِوِّين"). وقد يلفت نظر الباحث الشبه بين هذه الكلمات وكلمة "تَنِين"، فيميل إلى القول إن "عين التنين" المذكورة في سفر نحميا (13:2) كانت هنا، ما يقتضي أن يُنقل "باب الواد" المذكور في الآية نفسها، بحيث يصبح على الجهة الغربية من التلة الغربية[186]. ولكنْ، ينبغي ألا نحوّل "الحيات" إلى "تنين" دونما دليل. كما أن وصف بناء السور الوارد في سفر نحميا لا يحتمل أن تفصل باب الزبل عن باب الواد مسافة بعيدة، كأن يكون باب الزبل قرب المنطقة التي أسماها يوسيفوس بيسوس (يُنظر أعلاه، ص 86)، بحيث تتيح الأذرع الألف التي تفصله عن باب الواد، كما جاء في سفر نحميا (13:3) أن يكون باب الواد واقعًا في الجهة الغربية من التلة الغربية.

كان الوادي يسمى في المنطقة الواقعة فوق بركة السلطان "وادِي الميس"، نسبة إلى شجرة "ميس" (*Celtis australis*) رأيتها هناك بنفسي[187]. لكنه أصبح يسمى بعد ذلك "جورة اِلعِنَّاب"، نسبة إلى شجرة "عِنَّاب" (*Zizyphus vulgaris*) تنمو هناك[188]. وكان تُبلر[189] سمع اسمها خطأً، فعده "جورة العانب"، في حين جعله شفارتس (Schwarz) "وادي جَراد" أو "جُراد"[190]. ونجد على الطرف الغربي لقاع الوادي، غرب القلعة، الأرض المسماة "ذَنَب الثور"، وهو الموضع الذي يقطع السد عنده قاع الوادي. وهنا ينعطف الوادي غربًا، ويصبح اسمه "أرض" أو "جورة عَنَبوسي"، نسبة إلى اسم مالكها في الأغلب. ويرقى قاع الوادي في هذه المنطقة إلى ارتفاع

---

(185) *Bell. Jud.*, V 3, 2.

(186) قال بهذا:

Krafft, *Die Topographie Jerusalem's*, pp. 151, 157

(187) Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, pp. 67, 644, Löw, *Flora der Juden*, vol. 3, pp. 416f.

(188) Dalman, *Arbeit und Sitte*, pp. 562f.; Löw, *Flora der Juden*, pp. 138ff.

(189) Tobler, *Topographie*, vol. 2, p. 40.

(190) *Das Heil. Land*, pp. 192, 229.

764 مترًا، ويتصل بالقاع الواسع لمقبرة مامِلَّا ("تربة مامِلَّا") (*E* 5) التي يبلغ ارتفاع أخفض جزء فيها بين 772.6 و774.4 مترًا. وتحيط بهذه المقبرة التلة الغربية من الغرب والجنوب، وتلة المدينة من الشمال، وهي تنفتح شرقًا على وادي إبن هِنّوم، وينبغي أن تُعَدّ بدايته. وأُسميت هذه المقبرة بهذا الاسم نسبة إلى البركة المحفورة في وسطها "بِرْكِة مامِلَّا" التي ذكرت الخريطة الإنكليزية الجديدة أنها تبلغ بين 60 و65 مترًا عرضًا، و97 مترًا طولًا، وذكر تُبلر(191) أن عمقها يبلغ 20 قدمًا. وكنت قد قستُ في عام 1904 أبعاد بركة أخرى أصغر حجمًا تقع فوق هذه البركة، كان عرضها 9.05-9.83 أمتار، وطولها 65.15 مترًا، وعمقها 4 أمتار، وليس لهذه البركة غير أهمية محلية، وهي تتبع "الزاوية القلندرية" الموجودة هنا، التي كان إبراهيم القلندري أسسها في عام 1392 ميلادية(192). وكان في هذا الموقع سابقًا الدير الأحمر اليوناني الذي كان قائمًا قرب المغارة المسماة كارناريوم ليونيس (*Carnarium Leonis*) التي تذكّر بالمسيحيين الذين قُتلوا في الهجوم الفارسي على القدس في عام 614 ميلادية. ولسنا نعرف شيئًا عن تاريخ بركة مامِلَّا، كما أننا لا نعرف السبب في تسميتها بهذا الاسم [بركة مأمن الله] إلا ما يمكن أن نحدسه في هذا الخصوص حدسًا(193). ولكن يمكن أن نكون على يقين من أن البركة التي يسميها يوسيفوس بركة أميجدلون (ص 69 وما يليها) الواقعة شمال قصر هيرودوس، وكذلك بركة الاستحمام الحالية المسماة بركة حمام البطرك، كانت لها قناة في المنطقة نفسها تزودها بالماء. وتقع البركة على ارتفاع 763.8 مترًا، أي أنها تنخفض بمقدار 10 أمتار عن منحدر مامِلَّا، ولم يكن هناك عائق يمنع أي قناة من أن تجري، كما هي الحال اليوم، على طول الطرف الشمالي للوادي، لتقطع تلة المدينة من جهتها الغربية، عند أدنى نقطة فيها. ويُحتمل أنهم اضطروا في الماضي إلى ضمر بعض المناطق كي يتيحوا للقناة الانحدار المنتظم المطلوب على

---

(191) Tobler, *Topographie*, vol. 2, p. 63.

(192) Sauvaire, pp. 198f., 280.

(193) يُقارن:

Vincent, *Jérusalem*, vol. 2, 868ff.,

يمكن أن ترجع التسمية إلى القديس بابيلاس (Babylas)، ويمكن أن يكون أصل التسمية عربيًا "ما مَلّا"، أي "ماء السقّاء".

طول مجراها. ويجري هذا الوصف على "طريق حقل القصَّارين" التي يذكرها سفرا إشعيا (3:7؛ 2:36) والملوك الثاني (17:18) على أنها قرب قناة البركة العليا، خصوصًا أن منحدر مامِلَّا يبدو ملائمًا لجمع الماء الذي يحتاج الدباغون إليه في عملهم، كما أنه يوفر المكان الذي لا غنى لهم عنه لتجفيف الجلود(194). وذكر أركُلف (670 ميلادية)(195) باب المدينة الذي أسماه *portavilla fullonis* [باب القصَّارين] الذي كان واقعًا قرب الزاوية الشمالية الغربية للمدينة حينذاك؛ فيمكن أن نستنتج من ذلك أن القدامى افترضوا أن حقل القصَّارين المذكور في سفر إشعيا وجد في هذه المنطقة، بل يمكن الافتراض أيضًا أنهم عدوا "البركة العليا" هي البركة التي كانت في مكان بركة مامِلَّا، كما يتجلى ذلك في كتابات وليم الصوري (VIII 2). وهناك، إلى هذا، خبر يقول إن الفرس عند احتلالهم القدس في عام 614 ميلادية حشروا عددًا كبيرًا من الأسرى في هذه البركة(196). كما أن ثمة دلائل على وجود هذه البركة في القدس الرومانية. ويمكن الاطلاع من خلال الصور الجوية على الأوضاع المائية لبركة مامِلَّا ولبركة البطرك التي تتغذى منها بالماء، كما كانت في عام 1918؛ ففي 18 أيَّار/ مايو كانت البركتان ممتلئتين بالماء، وفي 3 حزيران/ يونيو كان الماء لا يزال في الأولى، في حين صارت الأخرى غير مملوءة بالماء إلا جزئيًا، أما في 15 أيلول/ سبتمبر، فتظهر بركة مامِلَّا والماء لا يزال فيها، أما بركة البطرك فتظهر فارغة.

ونحن هنا لا نأبه للرأي القائل إن جِيحوْن واقعة في هذا الوادي الذي نحن بصدده الآن، وهو الرأي الذي كان أول من قال به فورتسبورغ (1165 ميلادية)(197)، لأن هذا الرأي قائم على افتراض أن قلعة داود كانت قائمة على التلة الغربية، وهو الرأي الذي كان يوسيفوس قال به كذلك (يُنظر أعلاه، ص 79).

---

(194) يُنظر أعلاه ص 68 وما يليها. ويشير الترجوم على هذا الموضع من سفر الملوك الثاني17:18 في عبارته: "حَقَل مِشْطَح قاصِرايا" (حقل نشر القصَّارين) إلى الأماكن المخصصة للتجفيف، يُنظر: Rieger, *Technologie und Terminologie der Handwerke in der Mišnâh*, vol. 1, pp. 39ff.

(195) Geyer, p. 224.

(196) Rhétoré, *Rev. Bibl.* (1897), pp. 458ff.; Clermont-Ganneau, *Rec. d'Arch. Or.*, II, pp. 137ff.

(197) Tobler, *Descriptiones*, p. 158,

حيث يُطلق هذا الاسم على الجبل الواقع فوق حقل دَما [حقل الدم].

وقد اقترح جِلِن (Jellin)[198] مؤخرًا أن يكون مكان "عيْمِق هَبّاخا" المذكور في سفر المزامير (7:84) و"بِخائِيم" المذكورين في سفري صموئيل الثاني (23:5 وما يليها) وأخبار الأيام الأول (15:14 وما يليها) في "وادِي الميس"، لأن هذا يتفق في الحالين مع الوضع المفترض في الآيات المشار إليها، ولأن من الممكن جدًا أن اسم شجرة "الميس" كان "باخا". ولكنَّ الاسم العبري لهذه الشجرة كان "مَيش" في ما يبدو. أما "بِخائِيم"، فيمكن تفسيرها على وجوه أخرى[199]. ولكنَّ الاعتراض الأساسي على هذا الاقتراح هو أن كلمة "عيْمِق" [سهل] لا تنطبق على ذلك الوادي الضيق. وقد كان إسحق حيلو (Isaak Chelo)[200] (1333) قد ذكر ذلك، وذكره أيضًا دوران[201]، بقوله إن سهل رفائيم يقع أمام باب داود. وقال يوسف شفارتس[202] أنه سمع الناس تلفظ اسم الوادي الواقع جنوب التلة الغربية "وادي رَفات"[203]، ولذلك قال إن هذا الوادي يجب أن يُعد وادي رفائيم. ولكنَّ وصف الحد الفاصل بين سبطي يهوذا وبنيامين كما ورد في سفر يشوع (15 و18) يدل على غير ذلك؛ فهذا الوصف يرسم الحد (سفر يشوع 8:15 وما يليها) من عين روجل جنوب القدس[204]، ليصعد في وادي إبن هِنّوم حتى

---

(198) *JPES*, vol. 1, no. 2, pp. 103ff.; *JPOS* (1924), pp. 191ff.

(199) في:
Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, p. 542,
اقترحت أن تكون شجرة المستكة التربنتي.

(200) Carmoly, *Itinéraires*, p. 236.
وكذلك فإن خريطة القدس التي نشرها أ. جراجِفسكي (A. Grajevsky) في القدس تجعل مكان سهل رفائيم في وادي إبن هِنّوم.

(201) Germer-Durand, *Topographie de l'ancienne Jérusalem* (1912),
ويظهر على المخطط في الصفحات 1 و4 و5 وما يليها "وادي رفائيم" اسمًا للمنحدر كله الذي نسميه نحن وادي إبن هِنّوْم.

(202) *Das Heilige Land*, p. 190,
ولم يرد ذلك في الطبعة العبرية تيبوث هآرتس":
Tebuoth ha-Arez (1900), p. 323.

(203) لقد سمع "رَفات" بدلًا من "رَباب"، كما كان قبل ذلك حوَّل "جوْرة (المِيْس) إلى "جَرَد" أو "جُرَد". يُنظر ص 201.

(204) في ما يتعلق بالمصطلح العبري، يُقارن أعلاه ص 204.

يصل إلى قمة الجبل المقابل لوادي إبن هِنّوم من الجهة الغربية والواقع شمال طرف سهل رفائيم. بينما يرسم سفر يشوع (16:18 وما يليها) الحد نفسه من طرف الجبل المقابل لوادي إبن هِنّوم شمال سهل رفائيم، نزولًا عبر وادي إبن هِنّوم، مارًا بجنوبي القدس ليصل إلى عين روجِل. ويعود وادي إبن هِنّوم فيُذكر بوصفه الحد الشمالي لسبط يهوذا تأكيدًا لما سبق ذكره في سفر نحميا (30:12). وبعد ذلك، بات يُطلق اسم "وادي إبن هِنّوم" ("جيْ بِن هِنّوم") - والذي يُختصر بعبارة "وادي هِنّوم" ("جيْ هِنّوم") - على الوادي الواقع جنوب القدس، لذا من الجائز أن نطلق هذه التسمية على مجرى الوادي كله، مع أن الراجح هو أن القسم الأعلى من الوادي كان يُعرف ذات يوم بأسماء أخرى أيضًا. ولا نعرف شيئًا عن إبن هِنّوم هذا الذي يُنسب الوادي إليه. أما وصف هذا الوادي دائمًا بأنه "جَي" وليس "نَحَل"، فراجع إلى أنه، في الماضي أيضًا، لم يكن فيه ماء جار، وإنما كان قاعه منسبطًا كما هي حاله اليوم. ويؤكد سفر أخنوخ (26:4؛ 1:27 وما يليها) أن هذا الوادي كان واديًا جافًا، أي لا عين فيه، لذلك رأى أن هذا الوادي، بوصفه ملعونًا، ملائم ليكون في يوم من الأيام مقامًا للملعونين، وهو المكان الذي جاء في الكتاب نفسه (26:90) أنه يقع جنوب الهيكل. ولذا، لا يجوز أن نوافق برافر (Brawer)[205] في تأكيده أن القدس حتى في فترة ما بعد السبي كان فيها ما يكفي من الماء للاستخدام المنزلي ولسقاية الحيوانات والزراعة، وذلك استنادًا إلى أن التلال المحيطة بها مكسوة بالأشجار والشجيرات. ومن الشواهد على ما نقول أن عين التنين المذكورة في سفر نحميا (13:2)، والواقعة جنوب المدينة، اختفت مجدَّدًا. وفي حين وصف سفر أخنوخ (5:26) بعض شعاب القدس بأنها جرداء، فإن واديي قِدْرون وإبن هِنّوم مغروسان اليوم بأشجار الزيتون، كما كانت التلال الواقعة غرب المدينة وجنوبها. وحتى الحرب [العالمية الأولى] كانت التلال الواقعة شمالها مكسوة بمثل هذه المزروعات. كما أن البرك وخزانات الماء التي كانت موجودة في القدس (سفر إرميا 6:38 وما يليها؛ يُقارن سفر نحميا 25:9) يدلان على عكس ذلك.

(205) *Ha-Arez*[2] (1929), p. 259.

أما قول سفر أخنوخ إن الوادي الواقع جنوب القدس سيكون المكان الذي يُعذب فيه الملعونون، فقد سبقه إليه سفر إشعيا (24:66)، حيث قيل إن الناظر من القدس يمكنه أن يرى العذاب الواقع على المرتدين. ولكنَّ الأبلغ أثرًا في سفر أخنوخ كان قول سفر إرميا (32:7؛ 6:19، 11) إن وادي إبن هِنّوم والتوْفيْت الموجود فيه سيصبحان واديًا للقتل، ومكانًا للدفن. وتحدث سفر إشعيا (33:30) عن وجود توْفيْت [مكان لتقديم الأطفال أضاحي للربين مولوخ وبعل] أبدي النار أعده الإله. ولم يتردد الترجوم في ترجمة هذه اللفظة بكلمة "جيْهِنّام"، أي "جهنم" التي قال التلمود[206] عنها إن لها بوابة في وادي إبن هِنّوم ينبعث فيها دخان من بين نخلتين. وهذا القول مبني على افتراض صريح أن "جِهِنّوم"[207]، أي "جهنم"، موجودة في العالم السفلي وأنها لا تظهر للناس إلا في وادي إبن هِنّوم. كما يدل على أن مكان العذاب نُقل إلى العالم السفلي بعدما كان فوق الأرض أصلًا. في حين يغلب أن المسيح قصد بكلمة "γέεννα" (إنجيل متى 22:5، 29 وما يليها، مثلًا) مكانًا موجودًا في آخر الزمان (يُنظر إنجيل مرقس 47:9، ويُنظر خلافًا لذلك إنجيل لوقا 23:16)، حيث لا يرد مصطلح "γέεννα".

وكان توْفيْت الموجود في وادي إبن هِنّوم المكان الذي كانت تقدم فيه الأضاحي من الأطفال إلى الملك الإله (إقرأ في هذا الموضوع كلمة "ميْلِخ" بدلًا من كلمة "موْلِخ"، بحسب ما جاء في أسفار إرميا (31:7؛ 35:32)، والملوك الثاني (10:23)، وأخبار الأيام الثاني (3:28؛ 6:33))، علمًا أن سفر إرميا (31:7) يقول إن هذه المنشأة الدينية "بُنيت" في ذلك المكان، بحيث يجوز لنا أن نفترض أنها كانت موجودة في مكان ملائم لبنائها في قاع الوادي. وإنما سمى اليهود المكان "تَفِت"[208] استجابة لنهي العهد القديم إياهم عن تسمية الآلهة الأجنبية بأسمائها (سفر الخروج

---

(206) b. Erub. 19a.

(207) خطيًا وردت "جيهنّام" كلفظ ترجومي، يُنظر قاموس الجيب آرامي - عبري جديد من وضعي، حيث يحصل العبور إلى اليونانية على النحو الأبسط. تُقارن مقالاتي:
Gehenna, *PRE*3 6, pp. 418ff.; Hinnom & Tophet, *Temple Dictionary*, pp. 265, 856.

(208) هكذا وردت في الترجمة السبعونية وعند يوسيبيوس. أما قواعد اللغة العبرية، فتقضي أن تكون الصيغة "تيْفِت"، قياسًا على "صيْفِت" المشتقة من "صافا".

13:23)، وأمرهم بذم تلك الآلهة (سفر التثنية 26:7)[209]، وهذا هو السبب أيضًا في تحويل اليهود كلمة "ميْلِخ" إلى "موْلِخ" (يُنظر أعلاه)، فحولوا كلمة "تَفِت" إلى كلمة "توفِت" قياسًا على كلمة "بوْشِت". ويصف الاسم "تَفِت" المكان الذي أُقيم فيه بأنه موقد، بسبب النار الموقدة هناك، ولنا أن نتصور أنه كان يشبه الموقد الموجود في بيت الفلاح العربي وفي خيمة البدوي على هيئة تجويف في الأرض. ونجد في الآرامية كلمة مشتقة من جذر قريب من جذر هذه الكلمة هي "تِفايا" (j. Sabb. 5c, Bez. 62c)، التي تقابل الكلمة العبرية "كِيرا"، "كِيرَيم"، وترد هذه الكلمة في لهجة سوريا العربية في صيغة "تِفاية" و"تْفيْه" ("تْفا") اسمًا لموقدة النار التي يمكن حملها، التي تسمى في فلسطين "مَوقَدِة". وكان إرميا (سفر إرميا 2:19، 14) وصل من مدينة القدس إلى تَفِت من خلال "باب الفخار"، وهو في الغالب "باب الزبل" نفسه المذكور في سفر نحميا (13:2؛ 13:3؛ 31:12). ثم ألمح إلى أن ذلك المكان الوثني موجود في المنطقة التي ينساح فيها وادي إبن هِنّوم في بركة "سِلوْان"، ولا يمكن أن يكون المقصود مكانًا ضيقًا، لأن النص يقول إنه سيتنجس بسبب دفن كثير من الناس فيه، وفي هذا إشارة إلى موضع شرق المكان الذي تتفرع فيه الطريق عند مخرج "وادي الرَّبابِة"، قبل أن تبدأ المنطقة التي تروى بماء بركة سلوان. وليس ثمة دليل على أن "تَفِت" كان في المنطقة المروية نفسها كما زعم هيرونيموس في شرحه الأصحاح السابع من سفر إرميا.

وهناك سؤال آخر يتعلق بـ "حقل الدم" المسمى بالآرامية "حَقيل دِما"[210]، الذي جاء في إنجيل متى (7:27 وما يليها) أنه اشتُرِيَ بثمن الدم الذي أُعطي ليهوذا ليكون مدفنًا للغرباء، بعدما كان قبل ذلك "حقل الفخاري". ولكنْ، جاء في الوقت نفسه في سفر أخبار الرسل (19:1) أن يهوذا اشترى ذلك المكان لينتحر فيه، وأن المكان اتخذ هذا الاسم بسبب هذه الحادثة. ولا ترد في النصين أي إشارة إلى الموضع الذي كان فيه هذا المكان، لكننا نفترض أنه كان معروفًا بسبب اسمه المميز

---

(209) يُنظر:
Mekhilta, Mischp. 20 (107ª); Mekh. de - Schim. bar. Jochaj. p. 158; Tos. Ab. z. VI 11; j. Sabb. 11ᵈ, Ab. z. 43ª.

(210) في ما يتعلق بالصيغة ذات الطابع اليوناني، يُنظر:
Dalman, *Gramm. des. jüd. - pal. Aram.*, pp. 137- 202.

من جهة، ولأنه كان مكانًا لدفن الغرباء من جهة أخرى. وإذا كانت الإشارة إلى "حقل الفخّاري" ليست مستندة إلى ذكره في سفر زكريا (11:12 وما يليها) فحسب، وإنما ناشئة عن معرفة الكاتب بالأماكن الموجودة في القدس، فينبغي أن نفترض أن الحقل كان موجودًا في مكان فيه طين ملائم لصناعة الفخّار. وثمة في محيط القدس غير مكان تنطبق عليه هذه المواصفات، وإن كنت لا أعرف إلا ذاك الموجود على طريق يافا التي كانت تستخدمه ورشة الفخّار في دار الأيتام السورية. وكان تُبلر[211] زعم أن فخّاريي القدس كانوا يجلبون الطين لصناعة فخارهم من مكان قريب من "حقل الدم". فإذا صح أن بعض الفخّارين كانوا يسكنون في وادي المدينة، كما جاء في سفر إرميا (18:2 وما يليها)، فيكون من الملائم القول بوجود حقل الفخاري في هذه المنطقة. ونحن نعرف منذ هيرونيموس أن حقل الدم يقع جنوب القدس. وكان يوسيبوس[212] ذكر في كتابه **أونوماستيكون** (*Onomastikon*) أن حقل الفخّاري يقع في الشمال، بما أنه ذكر في موضع آخر أن حقل الدم يقع قرب تَفِث[213]، فينبغي أن نستبدل كلمة الشمال هناك بكلمة الجنوب. أما أنطونيوس فقد عثر عليه قرب بركة سلوان[214]. ووصفه أركُلف بأنه مكان صغير، واقع جنوب جبل صهيون (التلة الغربية) استُعمل لدفن الغرباء الذين يُكتفى، في كثير من الأحوال، بإلقاء جثثهم هناك على الأرض[215]. أما على خريطة مادبا، فظهر اسم هذا المكان في الجهة الغربية من القدس، وذلك، على الأغلب، لضيق المساحة المخصصة لكتابته. ولا بد أنه هو المكان عينه الذي بنى عليه أتباع يوحنا (Johanniter) بعد عام 1143 مدفنًا للحجاج، لا يزال قائمًا حتى اليوم على شكل خربة تسمى "حَق الدَّم" (ثمن الدم) (*F* 6)[216]. ولا يمنع هذا أن تكون التسمية قد أُطلقت أصلًا على المصطبة كلها التي

---

(211) Tobler, *Denkblätter*, p. 257.

(212) وذلك بحسب نشرة:

Klostermann (ed.), *Onomastikon*, p. 38.

(213) Ibid., p. 102.

(214) Geyer, *Itinera*, p. 177.

(215) Ibid., pp. 243f.

(216) يُقارن:

Tobler, *Topographie*, vol. 2, pp. 260ff.; Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], pp. 351f.; Vincent, *Jérusalem*, vol. 2, pp. 864ff.

يقوم عليها هذا المدفن غرب دير أونوفريوس (Onuphrios) على الجهة الغربية لوادي ابن هِنّوم. ولا يوجد داعٍ البتة لعقد صلة بين "حق الدم" و"تَفِث"، كما حاول مِلاندر (Melander)[217] أن يفعل سعيًا منه للعثور على تابوت العهد. ولا عجب أن الاسم *Champ de Mar*[218] بات يطلَق في صيغته المفرنسة "شَماعَة" على الامتداد الشرقي كله للتلة الجنوبية (يُنظر أعلاه، ص 149). كما أن تسمية ذلك المدفن "اِلشَّرنيْن" راجعة إلى الأصل الفرنسي *charnier* [مقبرة] الذي كانت تتسمى به ذات يوم.

ويظهر الجزء الأعلى من مجرى الوادي في الصور الجوية *D* 9 = *M* 799, *M* 803. 797. 804. 785. 785a. 791, Fl. 300 Nr. 82. أما وادي إبن هِنّوم نفسه، فيظهر في الصور *D* 8 = *M* 806a, *D* 7 = *M* 784, *M* 784a. 782. 805. 783. 839. 840. 841، ويظهر الوادي كله في الصورة *M* 777.

5 - وادي اِلصَّرار

يُلفظ اسم هذا الوادي، الذي يعني "الوادي كثير الحجارة"، في المناطق الأبعد غرب القدس بحرف "الصاد"، في حين أن اسمه، واسم الحجر الصغير كذلك، يُلفظ في منطقة القدس بحرف "السين"، كما ذكر جوران (Guerin) أيضًا[219]. وجاء في الخريطة الإنكليزية، ولدى شيك أيضًا، أن اسم هذا الوادي يُستخدم في غرب "عَرْتوف"[220]، ثم يعود فيُستخدم عند "عقُّور"، ولكنه غير معروف البتة هناك، ولا يمر ببال أحد أن يُستخدم اسمه هناك، لأن الوادي الذي عند "عَرْتوف" وذاك الذي يمر ببلدة "عَقُّور" هما الوادي نفسه [لكن، ليس وادي اِلصَّرار] (يُنظر ص 12). وثمة دليل على استخدام هذا الاسم لوصف الوادي منذ خروجه من المناطق الجبلية عند منطقة "سِجِد" تقريبًا. والوادي هنا واسع سعة سهل صغير، ويتميز بمجرى ماء عريض كثير الحجارة، ولعل ذلك هو السبب في تسميته بهذا

---

(217) *Förbundsarkens och Lagtavlornas gömställe återfunnet* (1916), p. 33.

(218) *Citez de Jherusalem*; Tobler, *Descriptiones*, p. 215.

(219) *Judée* II, p. 18.

(220) يسمى ساكنها "عَرْتوفي"، وجمعها "عَراتْفِيِّة".

الاسم. وتتفق سعة الوادي مع الحديث عن "عيْمِق" الذي ذكر سفر صموئيل الأول (13:6) أن أهل "بيْث شيْمِش" كانوا يحصدون قمحًا فيه. ولا بد أن ثمة صلة بين "نَحَل سوريك" الذي ذكر سفر القضاة (13:6) أن دليلة كانت تسكن في المكان المسمى "خِرْبِة سوريك" الواقعة شمال "وادِي اِلصَّرار". وذكر هيرونيموس اسمها في صورة (*Cafarsorech*)[221]، والراجح أنه هو نفسه "وادِي اِلصَّرار". وذكر **مسح فلسطين الغربية** (*Memoirs II*, p. 407) أن العين الرئيسة التي ينبع منها مجرى الماء في "وادِي اِلصَّرار"، الذي يصبح اسمه "نَهْر روبِين" عندما يصب في البحر، هي "عين الخزنة" الواقعة إلى جنوب الجنوب الشرقي من "عاقِر". أما الخريطة الإنكليزية، فتقول إن مجرى الماء الدائم هذا ينبع من عين تقع إلى الجنوب الغربي من "خِرْبِة سوريك"، وكلا القولين مجانب للحقيقة؛ فالمجرى الدائم لِـ"نهر روبِين" لا يبدأ إلا من عند "تِل اِلسُّلْطان" الواقع على أطراف الكثبان[222]. ولكنّ هذا لا يمنع من أن يكون قد جرى الحديث عن "نَحَل سوريك" الواقع تحت سوريك القديمة؛ إذ إن الماء قد يجري في هذا الوادي ذي القاع المنبسط أحيانًا، بحسب ما يصله من ماء العيون المختلفة المتصلة به. وفي موسم المطر، يمكن أن تسيل من الجبال تحت مخرج الوادي تيارات مائية قوية. أما القول إن دليلة سكنت عند "سوريك" تحديدًا، فقول غير راجح، والأولى أن تكون قد سكنت في مكان أبعد إلى الغرب. وقد كان ويلسون[223] رأى أن وادي سوريك ومجراه الأعلى في الجبال قد شق لنفسه طريقًا سهلة وطبيعية من السهل حتى مناطق يهودا الجبلية. وعبَّر فنسنت[224] عن قناعته بأن الفلسطينيين اتخذوا عادة وادي السكة منطلقًا للهجوم، من دون أن "يلقوا أي معارضة"، مع أنه جعل سهل الرفائيين [رفائيم] المذكور في سفر صموئيل الثاني (18:5) شمال القدس. لكنْ، نظرًا إلى أن الناس

---

(221) Klostermann (ed.), *Onomastikon*, p. 161.

(222) يُنظر:

Dalman, *ZDPV* (1914), p. 346; Alt, *PJB* (1925), p. 16.

(223) *Dicitonary of the Bible*;

يُنظر تحت Sorek.

(224) *Jérusalem*, vol. 1, pp. 118f.

كانوا دائمًا يعزفون عن المرور في طرق الأودية[225] لخطرها، فإننا لا نجد طريقًا ذات شأن تصعد من هنا، مع أننا لن نعدم وجود ممر يسير محاذيًا لمجرى الوادي. ولم تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ هذا الوادي إلا في عام 1892 عندما مرت سكة الحديد، ثم بعد الحرب [العالمية الأولى] عندما شُق الشارع الواصل من القدس إلى "بتّير"، والذي اتصل بالطريق الرومانية في الجزء الأعلى من الوادي التي تفارقه عند "بتِّير"[226]. ويمكن رؤية المنطقة التي يخرج فيها الوادي من المنطقة الجبلية إلى منطقة التلال في الصور الجوية *D* 41 = *M* 755, *M* 756. 762.

يجري وادي الصرار بين جدران مرتفعة: في الجهة الشمالية الجدران الصخرية الصفراء لِـ"عَراق اِسْمَعِين" و"علالي البنات"، وفي الجهة الجنوبية جدران تمتد حتى تصل إلى 5 كيلومترات تحت "بتِّير"، وهي مكسوة في مواضع عديدة بدغل من الشجيرات الشوكية[227]. ويصعد الوادي في المناطق الجبلية، بعدما كان بدأ رحلته على ارتفاع 240 مترًا عن سطح البحر، ويتحدد مساره من خلال مروره بالمناطق الآتية في مسيره: "وادِي اِسْمَعِين"، أو "وادِي اِلنْسورَة"، ثم "وادِي ديْر اِلشّيْخ" الذي سمي بهذا الاسم نسبة إلى قرية صغيرة مرتفعة اسمها دير الشيخ على جهته الجنوبية[228]، وبعد ذلك "وادِي اِزْقيْر"، و"وادِي عَقُّور" الواقع إلى الجنوب من القرية التي تحمل الاسم نفسه، والتي يسمى الواحد من أبنائها "عَقُّورِي" وجمعها "عَقاقْرِة". ومن الجدير بالذكر أن الوادي يطيل مسيره من خلال انعطافتين كبيرتين في اتجاه الجنوب.

أما الصور الجوية التي تُظهر "وادي اِلصَّرار" فهي *D* 41 = *M* 775, *M* 756, 762، والصور التي تُظهر "وادي اِسْمَعِين": *M* 764, 765، و"وادي ديْر اِلشّيْخ" *M* 767 (بما في ذلك قرية "ديْر اِلشّيْخ") و768، و"وادي عَقُّور" *M* 769.

---

(225) *PJB* (1916), pp. 40f.; Kuhl, *PJB* (1928), p. 133.

(226) يُنظر:

Alt, *PJB* (1927), pp. 10f.

(227) يُنظر:

PJB (1922/23), pp. 11f.; (1924), p. 68.

(228) قيل لي إن اسمها كان أصلًا "دار" وليس "ديْر الشيخ" كما يلفظه الناس الآن، وكما هو وارد في الخرائط. يُنظر كذلك:

Canaan, *Mohammedan Saints and Sanctuaries in Palestine*, p. 308.

ينعطف الوادي جنوب "عَقُّور" نحو الشمال، ثم يعود لينعطف في الاتجاه الجنوبي الشرقي، ويسمى هنا "وادي اِلسِّكّة"، أي (وادي الطريق)، لا نسبة إلى "سكة الحديد" التي تمر به كما يعتقد الناس اليوم؛ إذ إن هذا الاسم وارد على الخريطة الإنكليزية القديمة، وقد سُمي بهذا الاسم نسبة إلى طريق قديمة تمر من هنا (يُنظر أدناه، *C* 2). كما يسمى الوادي "وادي اِلراس" في المنطقة الواقعة أسفل قرية "اِلراس"، ويسمى "وادي بِتّير" عند مروره بقرية "بِتّير"(229). وينعطف الوادي بعد ذلك في اتجاه الشمال الشرقي مارًا بكروم عنب وحقول مزروعة خضروات، متخذًا اسم "وادي عين حَنِيّة"، نسبة إلى العين المسماة بهذا الاسم. ثم يسمى الوادي "وادي أَحْمَد"، ويتصل به واد فرعي من جهة الجنوب، يسمى أول الأمر "وادي اِلزيْتون"، ثم يصبح اسمه "وادي جِرْجس"، بين "بيت جالا" و"بيت لَحْم". ويسمى هذا الوادي الفرعي عند أول جريانه "وادي دْهيْشِة" في المنطقة الواقعة إلى الجنوب الشرقي من قرية الخضر، ولكنه لا يتصل بحوض هذه المنطقة، كما أنه لا يرقى إلى تلة "النبي دانيان"، كما جاء في الخريطة الإنكليزية(230) (تُنظر الصور الجوية: *M* 924, *D* 31 = *M* 915, *M* 913. 925. 926. 927. 928., Fl. 301 Nr. 484). وأخيرًا، وبعد أن يدخل الوادي في أرض أكثر انبساطًا، يسمى ابتداء من "عين يالو" "وادي المالحة" نسبة إلى القرية بالاسم نفسه تقع إلى الشمال منه (يُنظر ص 58). ولا يوجد في الوادي موقع معروف تاريخيًا غير "بيت تِيْر" ("بِتّيْر")(231) الذي كان قائمًا على التلة المسماة اليوم "خِرْبِة اِليهود"، في مقابل "بِتّير" الحالية(232). وقد كان مكانًا حصينًا، والملجأ الأخير لليهود المحبين للحرية في عهد هادريان(233). وتظهر

---

(229) النسبه إليها "بِتِّيري" وجمعها "بَتاتْرة".

(230) يُنظر ملاحظتي في:

ZDPV (1914), p. 370.

(231) يُنظر: baithēr في الترجمة السبعونية لسفر يشوع (15:59)،

Taan. IV 6; j. Ber. 3[d]. 11[a]; Taan. 69[a]; b. R. H. p. 18[b]; Taan. 26[b], Gitt. 57[a], 58[a]; Ech. R. 2, 1 (42[b]), 4, 18 (60[a]); Scholion zu Meg. Taan,

في آخره.

(232) يُنظر الوصف لدى:

Zickermann, *ZDPV* (1906), pp. 51ff.; Carroll, *Annual of ASOR*, vol. 5, pp. 77ff.

(233) Alt, *PJB* (1927), pp. 12ff.; Strathmann, *PJB* (1927), pp. 92ff.

هذه المنطقة في الصور الجوية *M* 770. 771. 776 (وقد كُتب على الصورة الأخيرة، وعند مادَر كذلك، خطأ أن الصورة لـ "ديْر اِلشيْخ").

عندما يخرج الوادي من الجبال، يتصل به رافد من الجهة الشمالية (يُنظر أدناه)، ويجري متخذًا اسم "وادي اِلجُّوع"[234]، أو "وادِي اِلمدينة" مارًا بشمال قريتي "شِرفات" و"بيت صفافا" (*I* 2. 3)، ليغيب بعد ذلك في السهل المسمى البقعة[235]، أي مجرى تصريفه. وينبغي ألا نحسب هذا السهل منبسطًا تمامًا، فهو يصعد شرقًا من ارتفاع 704 أمتارعند خط سكة الحديد جنوب "القطمون" إلى 750 مترًا عند محطة القطار (*F* 5). وإذا حسبنا ارتفاعه عبر طريق الخليل حتى الفاصل المائي الذي تقع عنده المستعمرة اليهودية المسماة تَلْبيوت (*H* 5) لبلغ حوالى 770 مترًا. ويقع الطرف الشمالي للسهل عند مستعمرة الهيكليين الألمانية المسماة رفائيم (*G* 5) التي يسميها الفلاحون تسمية لا تُفرح ساكنيها السوايبيين [نسبة إلى سوابيا أو شفابيا، وهي منطقة في جنوب غرب ألمانيا]؛ إذ يسمونها "اِلبْرُسِّيان"، أي "البروسيون" [نسبة إلى بروسيا التي اختفت عن خريطة ألمانيا عقب الحرب العالمية الثانية]. أما في القدس، فيكتفي الناس بتسمية السهل "البقعة". أما في الأزمنة القديمة، فلا بد أن هذا السهل كان يقع في مكان قرية "بيت الحِمَّص" التي تحدثنا عنها في ص 146. ولا بد أن استغلال هذه الأرض الكبيرة القريبة من القدس[236] في زراعة القمح حيث كانت قرية "بيت صَفافا" تشارك فيه أيضًا، وكان لذلك أثر كبير في المدينة، علمًا أنه ما كان يستطيع أن يفي بحاجتها كلها من القمح بطبيعة الحال إلا في العهود الغابرة. ويُعد حد السهل الجنوبي المرتفع الذي يرقى تلة "مار اِلياس" (*I* 4)، وحده غرب قرية "بيت صَفافا"، ويُستدل من تسميته باسم

---

(234) يذكر هذا الوادي في الخرائط باسم "وادي اِلوَرْد"، ولكنَّ هذا الاسم غير مألوف عند أهل القرى.

(235) وليس "اِلبُقيْعَة"، كما جاء في الخريطة الإنكليزية القديمة، ولدى شيك.

(236) في ما يتعلق بنماذج من الحنطة التي تنمو فيه، يُنظر:
PJB (1926), Abb. 2-6; Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1 b, Abb. 31;

وفي ما يتعلق بالنباتات الشوكية التي تنمو هناك، يُنظر:
Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1 b, Abb. 24, 25, 27, 28, a, Abb. 2;

وعن أنواع الكرمة التي تنمو هناك، يُنظر:
Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1 b, Abb. 14.

"السهل" فحسب على أنه فريد من نوعه في المنطقة[237]. وقد ذُكر هذا السهل غير مرة في العهد القديم، فَوَرَدَ في سفر يشوع (15:8؛ 18:16) أن اسمه كان "عيْمِق رفاييم"، وجاء ذكره على أنه معسكر للفلسطينيين، ومكان جرت فيه معركة انتصر فيها داود في سفر صموئيل الثاني (5:18؛ 23:13)[238] وورد في سفر أخبار الأيام الأول (11:15؛ 14:9)، أنه كان وفير الحنطة في سفر إشعيا (17:5). ويذكره يوسيفوس أيضًا بوصفه "منخفض العمالقة"[239]. وفي وسط السهل تقريبًا تقوم سبعة رجوم حجرية تسمى "سِبَع رْجوم" (*H* 4)، يرجح أنها تجمعت نتيجة حرص الناس على تنقية هذا الحقل الزراعي القيِّم من الحجارة[240]. وليس لها أي دلالة أخرى. لكنَّ السهل يشتمل على كثير من الشواهد الآثارية من العصور الحجرية القديمة[241]، والتي ربما كانت السبب في تسميته بسهل رفائيم.

أما الوادي الفرعي الشمالي الذي ذكرناه أعلاه، أي "وادي المالحة"، فيسمى عند أوله "الوادي التحتاني"، وتقع بينه وبين "وادي اِلجُّوع" (ص 211) مزارع للورد أصابها اليوم بعض الإهمال، ويُتخذ وردها لإنتاج ماء الورد ("ما وَرْد"). وبناء عليه، يسمي الناس في القدس المنطقة كلها "وادي الورد". ويسمى الوادي الرئيس "وادي اِلنُّص" في المنطقة التي يصب فيها الوادي الفرعي المسمى "سور اِلصايِم" الآتي من

---

(237) نحن، إذ نصف أرضًا ممتدة من "الجيب" وحتى "البقعة"، بل تمتد إلى ما بعد الفاصل المائي بأنها "سهل"، فإننا نفعل ذلك بالاتفاق مع تعريف غوته لهذه الكلمة:

Bibelwörterbuch, p. 493,

أي أنها، حتى لو اخترقتها التلال والوديان، تبقى سهلية نسبيًا، وإنما نصِفها بهذا الوصف تفرقة لها عن قطعة الأرض التي تكون تضاريسها مقطعة تمامًا.

(238) "سهل رفائيم" المذكور في سفر صموئيل الثاني (5:22) تصحيف لعبارة "سهل بخائيم" قياسًا على ما جاء في سفر إشعيا (28:21). يُقارن: سفر صموئيل الثاني (5:25)، فينبغي تصحيح القراءة ونقل موضعه إلى جبعون. يُنظر:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, pp. 21f.

(239) *Antt.*, VII 4, 1.

(240) يُقارن:

Schick, *PEFQ* (1890), pp. 22f.; (1893), p. 133.

(241) يُنظر:

Germer-Durand, *Rev. Bibl.* (1897), pp. 439ff.; Karge, *Rephaim*, pp. 44f., 51ff., 633ff.,

وأستطيع تأكيد اكتشافاتهم من خلال لقى اكتشفتها بنفسي.

الشرق. وينقسم الوادي الرئيس فوق الأرض المزروعة بالأشجار المسماة "اِلسَّهْل" إلى ذراعين، إحدهما الأرض المزروعة بالأشجار المسماة بستان "المَوْصَلِّيّة" (*G* 2)، ثم يصعد إلى الامتداد الجنوبي الغربي للتلة الشمالية الغربية (ص 58)، متخذًا اسم "وادي عَمَّار"، أو "وادي اِلذْياب". أما الذراع الأخرى، فتنعطف بعض الانعطاف شرقًا، تاركة الأرض المزروعة بالأشجار المسماة "البزيقة" يمينًا، وينبثق منه شمالًا واد اسمه "وادي البدوية"، يسمى عند نهايته "وادي صَهْيون"، وينتهي قرب الفاصل المائي عند منخفض (*E* 2. 3) شرق ذلك الامتداد.

وتتصل "البزيقة" بِـ"قاعَة الـ أوزير" باعتبارها امتدادًا للوادي الرئيس من الجهة الشمالية الشرقية، تليها "خَلِّة اِلمْصَلَّبة" و"كَرْم اِلرُّهْبان" (*F* 4)، بحيث يرقى الوادي إلى تلة "الطالبية" (ص 143). ولكنْ قبل ذلك، ينفصل عنه واديان فرعيان يتجهان شمالًا، أولهما واد قصير هو "وادي المُؤادين"، والآخر أطول منه، واسمه "وادي دِيْر المصلبة"، الذي يمتد إلى طريق يافا (*E* 4)، متخذًا اسم "وادي الولي" أو "وادي الشيخ" ("بِدْر"). وعلى الجهة الغربية من هذا الوادي الأخير، يوجد منخفض مسطح ناشئ عن قلع الحجارة اسمه "بِرْكِة اِلخَنْدَق"، يتجمع فيه ماء المطر، وهو ظاهر في الصور الجوية، إلا أنه لم يلقَ إلا قليلًا من الاهتمام[242]. وسُمي الوادي نسبة إلى دير الصليب[243] الذي بُني في المكان حوالى عام 1050 ميلادية، حيث تُعتبر هذه الأشجار التي نمت بكثافة مصدرَ خشب الصنوبر والأرز والسرو، وقد صُنع من خشبها الصليب الذي صُلب عليه المسيح. ويسميه العرب "دِيْر اِلمْصَلَّبِة"، وهم يقولون إن "المْصَلَّبِة" امرأة تظهر عليهم بين الحين والحين ناهية إياهم عن السرقة في محيط الدير.

وتظهر مناطق "المالحة" و"شرفات" و"بيت صفافا" في الصور الجوية: *M* 773. 772 (وقد كُتب على الصورة الأخيرة خطأ "وادي بِتِّير")، 774. ويظهر سهل رفائيم في الصور الجوية: -*D* 3 = *M* 776, *D* 7. 8 = *M* 784, *M* 806a. 784a. 904

(242) يُنظر:
D 11 = *M* 787,
يُقارن شيك:
MuN des DPV (1895), pp. 8f.

(243) Joannides, *Proskynetarion*, pp. 294ff.; Vincent, *Jérusalem*, vol. 2, pp. 942f.

909. 782. 783. 806. 816. 818. ويظهر وادي دير الصليب في الصور الجوية: *D* 11 = *M* 787, *M* 785. 820. 821.

غير أنه ليس لنا أن نتحدث عن "وادي اِلصَّرار" من دون أن نذكر فرعيه الشماليين اللذين لهما أهمية كبيرة في تحديد تضاريس القدس من جهاتها الغربية والشمالية الغربية والشمالية؛ إذ إن النظام النهري التابع لها، وهو "وادي اِلنار"، لا يمثل غير جيب ضيِّق ضمن المجرى النهري لِـ"وادي اِلصَّرار". ويصب الفرع الغربي من هذين الفرعين في "وادي المطلق" بعد أن يدخل "وادي اِلصَّرار" في منطقة التلال، لكنه لا يلبث أن ينعطف شرقًا، ثم يصعد، متخذًا أسماء مختلفة مثل "وادي الغراب"، "وادي كِسْلة"، "وادي الحمار"، "وادي الغدير"، "وادي العامور"، "وادي عين رافْعَة، "وادي اِلقِرْيِة"، حتى يصل إلى "القِرية"، وهي كريات يعاريم التابعة لسبط يهوذا المذكورة في سفر يشوع (15:60؛ 18:14)[244]. ويغلب أن موقعها الدقيق كان على تلة "ديْرالأزهر" الواقعة إلى الشمال الغربي من القرية الحالية[245]. ويظهر هذا الوادي الفرعي في الصور الجوية: *D* 30 = *M* 739, *M* 740.744. ويصل الوادي في آخر الأمر، وكذلك "وادي اِقْبالا" المتفرع عنه ذو الجدول الدائم الذي يسمى في ما بعد "وادي عين جَمِيل" و"وادي الكعك"، و"وادي اِلنْصاف"، في منطقة قرية "بيت سورِيك"[246] إلى "باطِن اِلسَّعِيدِة" الذي يبلغ ارتفاعه 877 مترًا فوق سطر البحر، وبالتالي يأتي في المرتبة الثانية، تقريبًا، بعد "النبي صمويل" (895 مترًا) بين أعلى التلال في محيط القدس الأبعد، وهي تقع في الفاصل المائي بين منطقتي "وادي اِلصَّرار" و"نَهْر العوجا" وينبغي أن تُعَدّ أهم علامة حدودية غربية في القطاع الأشد ارتفاعًا من سلسلة التلال الفلسطينية الغربية[247].

---

(244) عدها سفر يشوع في (18:28) بأنها بنيامينية اتباعًا منه لنص متأخر.

(245) يُنظر:

PJB (1921), pp. 96f., 102;

ويُنظر خاصة:

Cooke, *Annual ASOR*, vol. 5, pp. 105ff.

(246) يُسمى ساكنها: "من بيت سوريق" [بيت سوريك]، وجمعها "سَوارْقَة".

(247) ولكن يُنظر القمّة الواقعة عند "اِلجورة" (ص 65) التي يبلغ ارتفاعها 880 مترًا، و"راس اِلكَرَّامي" (ص 58) الذي يبلغ ارتفاعه 843 مترًا.

فليس من باب المصادفة أن الفلسطينيين قاموا، بعد أن استولوا على تابوت الرب ذات يوم، بوضعه أول الأمر في كريات يعاريم، وكان على داود أن يسترده من هناك، كما جاء في سفري صموئيل الأول (7:1) وصموئيل الثاني (6:2 وما يليها)(248).

أما الوادي الفرعي الشمالي الثاني لِـ"وادي اِلصَّرار"، الذي يمكن أن نعده أيضًا امتدادًا للوادي الرئيس، فيبدأ عند "عَقُّور"، ويتخذ في العموم اتجاهًا شماليًا شرقيًا. ويسمى هذا الوادي أول الأمر "وادي اِلسَّلامِيِّة"، ثم "وادي سطاف"، نسبة إلى قرية مسماة بالاسم نفسه، وربما كانت هي نفسها "*Tatami*" التابعة لسبط يهوذا المذكورة في الترجمة السبعونية لسفر يشوع (15:59) [لم نعثر على هذه القرية في سفر يشوع في السورة والآية المذكورتين، وربما كانت بلدة طالم أو طَلَم [هي أبو التلول في النقب الشمالي] المذكورة في سفر يشوع: (15:24)]، ثم يسمى "وادي عين كارم"، لأنه تابع لقرية "عين كارم"(249)، الواردة باسم "*Karem*" (كارم) في الترجمة السبعونية لسفر يشوع (15:59)(250) [لم يُعثر على ذكر لاسم القرية في سفر يشوع في السورة والآية المذكورتين]، وهي تقوم على الفرع الجنوبي لِـ"شِعْب الحوض"، فوق "شِعْب مَحْمود"، ويتخذ بعد ذلك اسم "وادي قالونية"، نسبة إلى القرية المسماة بالاسم نفسه(251)، وهي التي يمكن أن تكون قولُن (*Ḳulon*) التابعة لسبط يهوذا المذكورة في الترجمة السبعونية لسفر يشوع (15:59)، ولكن يمكن أن تكون "هَمّوْصة" البنيامينية [الموصة] المذكورة في سفر يشوع (18:26) التي لها صلة، بلا أدنى شك، بموقع "موتسا" المذكور في سفر أخبار الأيام الأول (8:36 وما يليها؛ 9:42 وما يليها)(252)، والذي يُذكر في Sukk. IV 5 بوصفه مكانًا تنمو فيه المراعي قرب القدس. ويقول

---

(248) يُقارن:
Lauffs, *ZDPV* (1915), pp. 249ff.

(249) يسمى ساكنها "عَكِرْماوِي" وجمعها "عَكارِمة".

(250) في ما يتصل بأهمية هذا المكان يفترض أنه مكان ميلاد يوحنا المعمدان، يُنظر:
Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], pp. 58ff.

(251) يسمى ساكنها "قلواني" وجمعها "قَلاونِة".

(252) ولا نقطع هنا في المكان الدقيق الذي كانت فيه موتسا القديمة؛ فقد اقتُرح أن تكون في موقع "خِرْبِة المزة"، بسبب التشابه في الجرس بين الاسمين، ولكنني أوثر أن أذهب بالموقع شرقًا عند عيني الماء: عين عتلا [عطا الله] وعين اللوزة.

التلمود[253] إن المقصود بذلك هو "قالونية"، وتُذكر عين "كولونيا" مرة في مصادر الفترة البيزنطية[254]. ويكتفى بذكر فرعين لهذا الوادي، هما "وادي عين رَوَّاس" الواقع تحت "ديْر ياسين" (ص 58)، و"وادي عَقْبِة البيضا"، لأن طريق "يافا" القديمة إلى "قالونِيَّة" تمر به (يُنظر أدناه، C 2).

وفي المكان الذي ينعطف فيه الوادي الرئيس انعطافة شديدة نحو الشرق، يلتقي عند "بيت طُلما" و"خِرْبِة المزة" واديًا آتيًا من الشمال، يتخذ أسماء عدة بحسب العيون التي تنبثق فيه، فيسمى "وادي عين اِللوْزِة"، و"وادي عين عُلّيْق"، و"وادي البوابة". وهناك واديان آخران يأتيان من الشمال، أحدهما "وادي العَزِيزة"، ويسمى في المنطقة الأعلى "وادي الزّغِير"، والآخر هو "وادي المدينة"، ويسمى "وادي العَبيْدِة" في المنطقة التي تعلو "وادي عِيسى". ويحيط المجرى الأعلى لهذين الواديين بقرية "بيت إكسا"[255] الواقعة في مقابل "خِرْبِة العلاونِة" (= "اِلعَلاونِة")[256] من الجهة الجنوبية (A 1). ويسمى الوادي الرئيس في أوله "وادي بيت طُلما"، غير أنه يسمى بعد ذلك "وادي العين" (C 2)، لأن "عين لِفْتا" الواقعة في واد فرعي قصير اسمه "شِعْب العين"، أي عين قرية "لفتا"[257]، تغذي جدولًا قصيرًا هنا في أثناء الربيع، وهي عين قوية (D 3) تسقي الأرض المزروعة بالحمضيات المسماة "الجِّنايِن"، وقد كانت دائمًا موضع اهتمام الناس لوقوعها في مكان مرتفع نسبيًا. ولأنه لا توجد في المسافة الفاصلة بينها وبين جِيجون في القدس أي عين ماء أخرى. فلا بد أنها هي نفسها عين ماء "نِفْتوَّح" المذكورة في

---

(253) j. Sukk. 54b;

في حين أن

b. Sukk. 45a

يكتفي بتفسير كلمة "موتسا" نفسها باعتبارها مأخوذة من معنى إعفاء مستعمرة من الضرائب. يُنظر:
Dalman, *Orte und Wege Jesu*3, pp. 245f.

(254) *Martyrion der sechzig Zeugen* (Papadopulos Kerameus ed.) (1892), p. 4.

(255) يسمى ساكنها "كسواني"، جمعها "كَساونِة". وذكر
Clermont-Ganneau, *Arch. Res.*, vol. 2, p. 42; vol. 1, p. 479,

أن "بيت اِكْسا" كانت تسمى سابقًا "أُم اِلعِلا"، وأن الفرنكيين كانوا يسمونها:
Jenanāra.

(256) وهي عائلة "شيْخ عَلَيون"، بحسب ما كشف عنه استطلاعي.

(257) يسمى ساكنها "لِفْتاوِي"، جمعها "لَفاتْوِة".

سفر يشوع (9:15؛ 15:18) التي أُسميت بهذا الاسم نسبة إلى مكان بالاسم نفسه، ولا نعرف مكانه على وجه الدقة[258]. وقد رأى كاليس (Calice)[259] أن الاسم مشتق من اسم الملك المصري "ماينِبْتاح" (بدلًا من "مِرْنِبْتاح")، لكنَّ هذا الاشتقاق لا يفسر لِمَ اتخذ الاسم "نِفْتوَّح" صيغة "نِقطوْل"؛ في المقابل، فإن اشتقاق "نِفْتوَّح" من "باتَح" له ما يماثله في أسماء الأشخاص الساميين على غرار اسمَي "نِمْروْد" و"نِسروْخ". ونجد فوق العين الكهف المسمى "اِلعَراق" الذي ينبثق فيه الماء في السنوات المطيرة. أما في قاع الوادي، فتوجد الأرض المسماة "أَرْض القاعة" و"الحومة". وتظهر المنطقة الواقعة بين قالونية ولفتا في الصور الجوية: *D* 2 *RA*, *D* 1 = *M* 775, *M* 751-754.

ينعطف الوادي الرئيس تحت "لِفْتا" في اتجاه شمالي شرقي، ويسمى هنا "وادي اِلشَّامي" (*B* 3)، ولا يلبث أن يتصل به من الجنوب ومن الجنوب الشرقي واديان فرعيان هما "وادي الغول" الذي تلتقي في أعلاه "خَلِّة المغاربة" و"وَعْر اِلضَّبْع"، و"خَلِّة حَسُّونِة" التي تسمى في مجراها الأعلى الذي يلي ذلك "خَلِّة القصب" في المنطقة الواقعة أسفل بستان دار الأيتام السورية (*D* 4) التي تسمى بالعربية اختصارًا "اِشْنيْنَر" (على اسم مديرها شْنلّر (Schneller)). ونلحظ واديًا فرعيًا آخر هو "وادي أُم العنب" الذي يأتي من الشرق، والذي يسمى، في المنطقة التي تسبق دخول "خَلِّة اِلسَّعْدِي" الآتية من الجنوب، "وادي أُم اِلعَمَد" (*B* 5). ولا يُستدل من الاسم الأول على أن هذا الوادي ذا الحجارة الكثيرة ينتج عنبًا، وإنما على عدم وجود علاقة له بالعنب بأي وجه من الوجوه. ولا يوجد ما يدل على هذه العلاقة غير "قبر القاضي" الذي ربما شبّه الناس حبات التوت المزخرفة على جملونه بثمار العنب، ولكنَّ هذه العلاقة غابت عن الأذهان، وما عاد الناس، كما يبدو، يعرفونها. أما المقصود

---

(258) يرى ألت أن "نِفْتوَّح" كانت عينًا، ولا حاجة إلى افتراض وجود قرية قربها. يُنظر:
Alt, *PJB* (1926), p. 25,
لكن لا بد أن نفترض أن هذه العين الدفاقة التي لا تقع في واد ضيق، ولا تبعد كثيرًا عن الفاصل المائي الذي يمر من هنا، قد جذبت الناس إلى السكنى قربها في الماضي كما هي الحال اليوم، حتى لو لم تكن القرية القديمة في موقع القرية القائمة اليوم.

(259) *Or. Lit. - Ztg.* (1903), p. 224.

بِـ"أُم اِلعَمَد"، فهو من دون شك "مْغارة أُم اِلعَمَد" (المغارة ذات الأعمدة)، وهي مقبرة على الجهة الشمالية للوادي كانت ساحتها الأمامية مزيَّنة، ذات يوم، بأعمدة أو بدعامات. ويرقى الوادي في آخر الأمر إلى طريق "نابلس"، وقد تسمى باسم "خَلِّة بِير اِلسِّبِيل"، وهو يحيط من خلال فرع جنوبي له بِـ"براس المشارف" (ص 24). ويمثل هذا الوادي الحد الشمالي لمنطقة القدس؛ ويتجلى ذلك في أن جزءًا كبيرًا من المقبرة القديمة للمدينة يصل حتى حدود الوادي، بل يتعداها أيضًا. وتخطئ الخرائط عندما تضفي على هذا الوادي اسمًا لا يعرفه الناس لا في "لِفْتا" ولا في "شُعْفاط"، وهو "وادي اِلسُّمَر". أما مرور الفاصل المائي الذي يفصل "وادي اِلنار" عن "وادي اِلصَّرار" قريبًا من المدينة (ص61، 181)، فيدل على أن الصلة التي فرضتها الطبيعة بين القدس ومنطقة "وادي اِلنار" كان لها أثر في ذلك.

وتوجد معلومات وافرة عن هذه المنطقة في الصور الجوية: *D* 1 = *M* 775, *D* 2 *RA*, *D* 14 = *M* 788, *M* 829. 651, Fl. 301 Nr. 735 *RA*.

فإذا قفلنا في اتجاه "وادي اِلشَّامِي" لنتتبع امتداداته شمالًا، صادفْنا أول الأمر واديًا فرعيًا جاريًا في الاتجاه الشمالي الغربي، اسمه "وادي المزار"، أو "وادي النبي صموئيل" (*B* 3, *A* 2)، وقد أسمي الوادي بهذا الاسم لأن الطريق القديمة المفضية إلى "مزار النبي صمويل" تجري فيه.

وابتداء من هذه المنطقة يصبح اسم الوادي الرئيس الذي يتجه عمومًا شمالًا "وادي المغارة" (*A* 4)، ثم يصبح "وادي بيت حنينا" الذي تضعه الخرائط في موضع أبعد بكثير جنوبًا. وإلى هذه المنطقة يأتي من الفاصل المائي الواقع شرقًا واديان قصيران هما "خَلِّة الإشقرية" و"خَلِّة البدوي". ثم ينبسط الوادي الرئيس ويشكل سهلًا صغيرًا يسمى "اِلسَّهْل"، وعند وصوله إلى "اِلإمِيَس" ينقسم فرعين يجريان شمالًا متوازيين، فيحيطان بقرية "بيت حنينا"[260] (تُنظر الصور الجوية: *D* 22 = *M* 642, *M* 640)، لكنهما يعودان فينعطفان نحو الشمال الغربي والشمال الشرقي. ويتخذ الفرع الغربي اسم "وادي دْوِيْد" و"وادي مْغارة

(260) يسمى ساكنها "حَنِيني"، وجمعها "حَنايِنِة".

اِلصيْفي" قبل أن يندمج بحوضٍ تقوم في وسطه تلة مزدوجة تمثل موقع "اِلجِّيب" الذي ارتبطت عينه ذات يوم بالمدينة الواقعة فوقها من خلال درج صخري تحت أرضي، فيظهر الموقع بوصفه موقعًا مثاليًا بحق وذا أهمية واضحة، كما يتجلى في الصور الجوية الآتية: Abt. 301, Nr. 429. 429ª *RA*. وهذا الحوض هو سهل "عيْمِق" جبعون المذكور في سفر إشعيا (21:28)، وفيه يميز الناس بين قسم غربي، يسمى "اِلسَّهْل اِلغَرْبي" أو "سَهْل بِير العزيز"، نسبة إلى نبع بهذا الاسم يفيض في الربيع، وينبثق منه جدول يجري خلال "وادي القبلي" (الواقع فوق "وادي عَامَر")، متجهًا صوب "وادي دْويْد". وهناك في المقابل القسم الشرقي، أو "اِلسَّهْل اِلشِّرْقي" الذي يمكن العثور فيه على الحجر الكبير المذكور في سفر صموئيل الثاني (8:20)[261]، ونستدل على أن هذا هو موضع جبعون القديمة جراء تشابه اسمها الحالي مع الاسم القديم، وكذلك من خلال وصف يوسيفوس لحملة سيستيوس (Cestius)[262] الذي خلص منه ألت، بانيًا نتائجه على الافتراضات[263] ومتبعًا مقولة ذكرها يوسيبيوس، إلى أن جبعون يجب أن تكون على "تِل اِلنَّصْبِة" الواقع على طريق "نابلس". ولكنْ، لدينا شهادة صريحة من إبيفانيوس (المتوفى 403)، وهو ابن فلسطين الذي عاد فزارها مرارًا بعد ذلك، وقال عند مناقشته الاسم غولغوثا[264] ما يأتي عن موقع غولغوثا التقليدي: "ليس مرتفعًا بالقياس إلى الأماكن الأخرى. ففي مقابله، يعلوه جبل الزيتون، وعلى بُعد ثمانية أحجار ميلية

---

(261) يُنظر:

PJB (1926), p. 142,

وفي ما يتعلق ببركة جبعون المذكورة في سفر صموئيل الثاني (13:2 وما يليها)، يُنظر:

PJB (1912), p. 12.

(262) *Bell. Jud.*, II, 19, 1. 7.

يُقارن:

PJB (1926), pp. 140ff.; (1927), pp. 106f.; Oelgarte, *PJB* (1918), pp. 84ff.

(263) وخالف ألت أيضًا:

Jirku, *JPOS* (1928), pp. 187ff.; *PJB* (1927), pp. 23ff.;

يُقارن:

(1926), pp. 11ff.

(264) *Adv. Haer.*, vol. 46, chap. 5; Ausg. Holl, vol. 2, p. 209,

يُقارن أعلاه، ص 75.

تقع (ἡ Γαβαών)، وهي أكثر المناطق علوًّا". فهنا تُذكر مدينة "Gabaon" على أنها أعلى مكان في محيط غولغوثا، ومن الواضح أن إبيفانيوس اختار مكانًا لافتًا في القدس يعرفه المقدسي معرفة جيدة. وهذا الوصف لا ينطبق إلا على مكان واحد، بعدما سبق ذكر جبل الزيتون، هو تلة النبي صمويل (895 مترًا) التي تظهر للناظر على هيئة جبل مستقل في الجهة الشمالية الغربية التي تعلو كل ما عداها (يُنظر أعلاه، ص 64 وما يليها). أما المسافة المذكورة، وهي ثمانية أميال (= 12 كيلومترًا) فإنها تعد طويلة؛ إذ إنها تبلغ في خط جوي أربعة كيلومترات ونصف الكيلومتر، لكنها صحيحة تقريبًا إذا سرنا في الطريق الرومانية إليها، ومررنا بجبعون، وهذا ما لا بد منه، ويعفينا من الذهاب إلى منطقة "تِل اِلنَّصْبِة" التي تبعد المسافة نفسها تقريبًا كما فعل ألت، خصوصًا أن التل لا يرتفع غير 784 مترًا، وإن كانت تقع في محيطه من الجهة الشمالية الشرقية قمة ارتفاعها 909.8 أمتار، وهي قمة "جِبِل اِلطَّوِيل". وتبدو هذه القمّة في الأفق الشمالي للقدس للناظر إليها من المدينة كما لو كانت تلة فحسب، لبُعدها عن القدس من جهة، ولأنها لا ترتفع ارتفاعًا يميزها من محيطها، فلا يمكن أن نتبين ارتفاعها الحقيقي بمجرد النظر إليها. أما تلة "النبي صمويل"، فيظهر على نحو مخالف، إذ يبدو أنه الجبل الوحيد الذي يزيد ارتفاعًا على جبل الزيتون[265]. وبناء عليه، نخلص إلى أن هذا الجبل هو الذي عده إبيفانيوس المكان الفعلي لجبعون، أو أنه كان تابعًا لها، بحسب المقصود في الترجمة السبعونية لسفر صموئيل الثاني (21:6)، وفي سفر الملوك الأول (3:4)، وكان هيرونيموس[266] ذكر أن الحاجَّة باولا رأت في طريقها من نيكوبوليس إلى بيت حورون على يمين الطريق أيالون وجبعون [غَبَؤون]، المكانين اللذين وقفت عندهما الشمس في السماء، واللذين جعل فيهما يشوع الجبعونيين سقّائي ماء وحطابين، فمن المؤكد إذًا، أن هيرونيموس لم يكن يرى أن جبعون واقعة على

(265) يُنظر المنظر العام لجبل الزيتون لدى كناوف (Knauf) الذي يظهر فيه "اِلنِبِي صمْوِيْل" أشد ارتفاعًا عن كل ما عداه، في حين يختفي "جِبِل الطويل" خلف الامتداد الشمالي لسلسلة جبل الزيتون. وترى ما يشبه ذلك في المنظر العام لدى برونو هنتشِل (Bruno Hentschel) لذي صُوِّر من برج كنيسة المخلص، أي من مسافة قريبة جدًا من "غولغوثا"، وفي المنظر العام المصوَّر من دورميثيو - Dormitio Panorama.

(266) *Peregrinatio Paulae*, vol. 6; Tobler, *Palaestinae descriptiones*, p. 14.

"تِل اِلنَّصْبِة"، وإنما على طريق بيت حورون التي تمضي لتصل إلى جبعة ("تِل اِلفول") التي يذكرها في ما بعد، لتلتقي طريق القدس الشمالية[267]. وتتجلى أهمية هذا إذا علمنا أن هيرونيموس في ترجمته لكتاب يوسيبيوس، الأونوماستيكون، لم يغير شيئًا فيما جاء عن جبعون أنها تقع على بعد "أربعة أميال غربي بيت إيل، قرب راما وريمون"، وهي العبارة التي عدها ألت حاسمة. كما أن فسيفساء مادبا لم تتبع يوسيبيوس في تحديد مكان جبعون. فعلى الرغم من احتمال وجود حيز كاف فيها قرب بيت إيل لوجود جبعون، فهي لم تتبعه في تأكيده أنها تقع قريبًا من راما، وجُعلت على الخريطة بين راما والقدس[268]، وصُوِّرت على شكل كنيسة صغيرة، ربما لا تزال قائمة اليوم في "الجيب" على هيئة بيت مقنطر.

ويُدخل حوض "الجيب" تلة "اِلنِّبي صمويل" في نطاق "وادي اِلصَّرار"، ولا تنتهي حدود الفرع الشمالي للوادي عند طرف الحوض، بل يمضي هذا الفرع شمالًا متخذًا أسماء عدة، فهو في بداياته يدعى "وادي اِحْمود"، ثم "وادي بِير اِلديْر"، و"وادي صَلاح"، حتى يصل إلى "رام الله" (تُنظر الصور الجوية: *D* 24 = *M* 595, *D* 23 = Fl. 301. 908 *RA*). وأهم من هذا الفرع هو الفرع الشرقي الذي يجري في الاتجاه الشمال الشرقي متسميًا باسم "وادي هِلال"، أو "وادي الكرْم" ثم "وادي اِلدَّم"، ثم يقطع طريق "نابلس" متسميًا باسم "وادي اِلنُّص" الذي ربما كان "وادي الشوك" (أي يمكن أن يكون اسمه بالآرامية "نَحْلا دِخُبَّايا" تقريبًا) المذكور لدى يوسيفوس[269]. ويجري هذا الوادي الآن شمالًا على طول الفاصل

---

(267) تظل هذه النتيجة صحيحة حتى لو افتُرض أن غَبَؤون هذه هي "خِرْبة جُبيْع" الواقعة قرب "عَنان". يُقارن:

Oelgarte, *PJB* (1918), p. 75,

ذُكرت في الخريطة الإنكليزية باسم "جِبيعَة"، مع أنه لا وجه لهذا الافتراض.

(268) ينقل يوسيبوس (ص 18) راما وريمون معًا إلى جوار أيلون (أيالون) الواقعة على بُعد ثلاثة أميال شرق بيت إيل، لكنَّ هيرونيموس يذكر أن العبريين يرون أن أيالون قريبة من نيكوبوليس، الأمر الذي يبين أن من غير الممكن الوثوق إلا قليلًا بالمعلومات التي يذكرها يوسيبيوس عن المواقع الجغرافية المحلية.

(269) *Bell. Jud.*, V 2, 1.

المائي متسميًا باسم "وادي اِلرام" حيث تقع "اِلرام"[270] عندها، وهو المذكور باسم راما في سفر إشعيا (10:29)، ليشكل بعد ذلك سهلًا صغيرًا ينضم إليه هنا من الشمال الغربي وادٍ فرعي اسمه "وادي حَمْزة" له فرعان، أحدهما "خَلِّة عَبَّاس" والآخر "خَلِّة سِلْمان". ويحيط فرعان له بموقع "تِل اِلنَّصْبِة" المهم الذي كشفت عنه تنقيبات باديه (Badé)[271]، والذي أعدُّه أنا موقع متسبا، في حين يريد ألت أن يجعل موقع جبعون هناك. ويصل الفرع الشرقي، واسمه "وادي جِلْيان"، أو "خَلَّة بصبوص"، إلى المنطقة الواقعة بين "رام الله" و"البيرة"، وتقع الأخيرة في المنطقة التابعة لِـ"وادي القلط" [القلت] الذي يماشي هنا الفاصل المائي للبلاد من الجهة الشرقية. وتظهر هذه المناطق في الصور الجوية الآتية: *D* 22 = *M* 642, *D* 23 *RA*, *D* 24 = *M* 595, *D* 25 = *M* 596, *M* 622. 639, Fl. 301. 908 *RA*.

ويحد منطقة "وادي اِلصَّرار" من الجنوب، أو منطقة "وادي روبِين" منطقة "نَهْر صقرير" التي هي أقرب ما تكون إلى القدس في المنطقة الواقعة غرب قرية "الخضر". وتحده من الشمال منطقة "نهر اِلعوْجا" الفسيحة التي تفصلها عن الامتداد الشمالي لِـ"وادي اِلصَّرار" الذي وصفناه قبل قليل، ولا يتصل بالفاصل المائي إلا عند "البيرة" الواقعة شمال القدس[272]. وتقع القدس ضمن منطقة تصريف الماء من المناطق الجبلية في اتجاه البحر الميت، لكنها متصلة بمنطقة "وادي اِلصَّرار" من جهات الشمال والغرب والجنوب اتصالًا وثيقًا، بحيث يمكن أن تعد تابعة لنطاق هذا الوادي. وهذا يعني أن النطاق الطبيعي للقدس يشمل قلب المنطقة البنيامينية، ويصل جنوبًا من طريق "وادي أَحْمَد" (ص 211) وهو أحد الفروع الجنوبية لـ"وادي اِلصَّرار"، إلى منطقة قريبة من بيت لحم، أي في نطاق

---

(270) يُنظر: *PJB* (1916), pp. 51f.

(271) Badé, *Excavations at Tell en - Nasbeh 1926 and 1927* (1928),
ويشير باديه (ص 65) إلى ختم على إبريق تمكن قراءته "م ز ب MZP"، لكنَّ الأولى قراءته، في الأغلب، "م ز ه MZH" (موتساه).

(272) تُنظر الصورة الجوية *D* 25 = *M* 596.

سبط يهوذا[273]. أما في الغرب، فيضيق نطاق "وادي اِلصَّرار" وتغدو أوديته الرئيسة ضيقة، حتى أنها لا تمثل صلة وصل بالمنطقة الساحلية، بل إنها، وبسبب اتجاهها من الشمال إلى الشرق، تغدو عائقًا أمام طرق المواصلات التي ينبغي عليها قطع هذه الأودية الضيقة في طريقها إلى الساحل. ويترتب على أهم طرق المواصلات من القدس في اتجاه الساحل المرور بمنطقة "نهر العوجا" شمالًا، وبمنطقة "نهر صقرير" [وادي صقرير] جنوبًا. ومن نتيجة ذلك، أن سيطرة القدس على المناطق الساحلية تصبح أكثر صعوبة، وتعني، في الوقت نفسه، أن الهجوم على المدينة من هذه الجهة لم يكن سهلًا.

وتتبع منطقةُ "وادي اِلصَّرار" السفحَ الغربي للمناطق الجبلية، وهي مناطق ذات هطل طبيعي، وعدد العيون في هذه المنطقة أكبر مما توحي به الخرائط. وأقرب هذه العيون التي لا تبعد غير ثلاثة كيلومترات عن المدينة القديمة، عين "لفتا" (ص 216) التي حُمل الماء منها بالجرار إلى بيتي أحيانًا. وكان القطار يحمل الماء في بعض سني المحل من "بِتِّير" التي تبعد عشرة كيلومترات، ومن العيون الموجودة في واديها ليسد نقص الماء في القدس، بل يوجد في "وادي اِقبالا"[274] جدول صغير يجرى في الصيف، ولا يجوز، بطبيعة الحال، عقد مقارنة بين هذا الجدول الصغير وجدول عين "فارة" الواقع في منطقة "وادي القلط" [القلت = القتل] في شمال شرق القدس. وتوجد إلى ذلك عيون شتوية في "وادي البيرة"[275] الذي يجري ماؤه من "عين اِلدِّلْب"، وتوجد هذه جميعها في محيط "القِرية" (ص 214)، وقرب عين "لفتا"، وقرب "بِير العَزيْز" الواقعة قرب "الجيب" (ص 218). وإذا هطل المطر في الشتاء غزيرًا، يتدفق الماء قويًا، حتى أنه شوهد مرة في "وادي بيت حنينا" على شكل تيار مائي لا يمكن اجتيازه[276]. ولكنْ، في الأوقات الأخرى، تُرى مجاري الماء في الوديان من غير ماء، وليس

---

(273) يُنظر:

D 31 = *M* 915, *M* 78, Fl. 301 Nr. 484; *RA*, Fl. 303 Nr. 73 *RA*.

(274) *PJB* (1921), p. 95.

(275) Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, p. 204.

(276) Ibid., pp. 200ff.

فيها إلا صخورها الكبيرة وحجارتها الصغيرة. ولمّا كانت المناطق التابعة لِـ"وادي دبر" ولِـ"وادي اِلنار" واقعة على السفح الشرقي قليل المطر، فإنها ما كانت لتوفر للقدس من الأراضي الزراعية غير المراعي تقريبًا. ولذلك، كان من المهم أن يتيسر للفلاحين الساكنين في المناطق الواقعة إلى الشمال والغرب زراعة الحنطة، وكذلك أهم الأشجار التي تأتيهم بالثمار مثل الزيتون والتين والعنب. وكان حجر سينون الجيري الموجود بوفرة في سلسلة جبل الزيتون وعلى السفح الشرقي للمناطق الجبلية قد انجرف هنا في أكثره، مفسحًا المجال للحجارة التورونية والسينومانية[277]. وقد أدت تجوية هذين الحجرين إلى نشأة التربة الحمراء الخصبة الصالحة للزراعة. ومع أن تقطع التضاريس أعاق الزراعة الحقلية الواسعة، فإن ذلك أدى إلى الحفاظ على الغابات، ليتيح للناس أن يأخذوا من الأشجار أغصانًا مورقة ليبنوا منها عرائش عيد المظال (سفر نحميا 15:8)، وتمثلت فائدة الغابات بشكل خاص في أنها كانت توفر للناس حاجتهم من خشب البلوط والصنوبر للبناء وللوقود، وهو ما لا تقوم مدينة كبيرة من دونه. أما في ما يتعلق بالفترات القديمة، فيدل اسما الموقعين كريات يعاريم (مدينة الغابات)، وجبال سِعِير (جبال الغابات) الوارِدَين في سفر يشوع (9:15 وما يليها) على وجود منطقة غابات غرب القدس. ونجد أدلة على ذلك اليوم أشجار البلوط في قَرْيِة "اِلسَّعِيدة"، وقرية "سطاف"، و"خِرْبِة اِقبالَا"، و"سارِيس"، فضلًا عن أشجار التوت في "خِرْبِة ديْر عَمْرو"، وأشجار الصنوبر في "شيْخ العجمي"، وسابقًا في "سارِيس" أيضًا، ودغل الشجيرات في المجرى الأوسط لِـ"وادي اِلصَّرار"، قبل وصول هذا الدغل إلى مناطق التلال[278]. ويغلب أنهم كانوا يضطرون في الماضي إلى اتخاذ الأشجار المثمرة الهرمة حطبًا، كما يفعلون اليوم. وعندما يتحدث نحميا (15:8) عن "الجبال" التي ينبغي أن يؤتى منها بالأغصان لعيد المظال [عيد العُرُش]، من دون أن يسمي جبالًا بعينها، فينبغي أن يُفهم من ذلك أنه يقصد

---

(277) يُنظر:

Blanckenhorn, *Geologische Karte von Palästina.*

(278) يُقارن:

Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, pp. 76f.; *PJB* (1921), pp. 97ff.; (1922/23), pp. 11f.; (1924), p. 68; Alt, *PJB* (1928), pp. 28f.

لهذا الغرض جبال القدس وحدها، خلافًا لسفوح الجبال الواقعة في الشرق، التي هي، في المقام الأول، مراع وصحراء. وبناء عليه، يُفهم أن المقصود بـ"الأراضي الجبلية" (ἡνιερὸή) يمكن أن يكون المنطقة المحيطة بالقدس اليوم[279]. وأن المصطلح الوارد في إنجيل لوقا (1:39) يمكن أن يُفهم على النحو نفسه[280]. وتوضح الصور الجوية الآتية "الأراضي الجبلية" على نحو خاص: *D* 30 = *M* 739، *M* 738، ولكنْ، يُنظر أيضًا: *Arbeit und Sitte* I 1, Abb. 29. 35, PJB 1909, Pl. 1, 1911, Abb. 14.

ثمة صلة بين مجموعة أودية "وادي اِلصَّرار" وجزء من وصف الحد بين منطقتي سبطي يهوذا وبنيامين الواردَين في الأصحاحين 15 و18 من سفر يشوع. فقد جاء في ذاك السفر (15:9) أن الحد ينعطف عند الجبل الواقع شمال سهل رُفائيم، أي من تلة "الطالبية" (ص 145)، في اتجاه عين الماء في نِفْتوَّح، أي "عين لِفْتا" (ص 216)، أي أنه يتبع امتداد التلة الغربية، ويصل إلى الوادي المار من تحت لفتا من دون أن ينزل فيه، لأن العين نفسها تُذكر بوصفها نقطة الحد. ولكنْ، بعد ذلك "يخرج الحد" إلى مدن "جبل عفرون"، ليمتد بعد ذلك إلى كريات يعاريم. فالحد لا يصل، كما يبدو، إلى كريات يعاريم أي "القرية" نفسها، وإنما يمر بطرفها الشمالي محولًا طريقه. ولا نفهم، في أي حال، كيف أن سفر يشوع (15:18) يذكر في النص العبري أن الحد يمضي غربًا في اتجاه عين "نِفْتوَّح". ولا يعين في حل هذا الإشكال استخدام الترجمة السبعونية لفظة "جسين" (*gasein*) أو جين (*gain*) بديلًا من كلمة "يامَّاه" العبرية التي تعني (في اتجاه البحر). وإذا كانت "هَمّوْصة" البنيامينية (سفر يشوع 18:26) هي نفسها "قالونية" اليوم (ص 215)، فلا مجال عند ذاك إلا الافتراض بأن الحد كان يجري من "عين لِفْتا" عبر الامتداد الغربي للتلة الغربية، بحيث يقطع الوادي جنوب "قالونية" الحالية. ولا بد أنه جرى

---

(279) Plinius, *Hist. Nat.*, V 14, 70;

يُنظر:

Josephus, *Bell. Jud.*, III 3, 5.

(280) يُنظر:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*3, pp. 57f.

بعد ذلك على التلة غرب "وادي عين اِللوْزة"، متجهًا شمالًا إلى "بيت سوريك"، ثم انعطف عند "باطِن اِلسَّعِيدِة" في الاتجاه الجنوبي الغربي نحو كريات يعاريم التابعة لسبط يهوذا. وهذا يعني أن تفرع "وادي عين رافْعَة" (ص 214) الذي يتبع "القِرية" نفسها، يدخل في منطقة سبط يهوذا. وبناء عليه، تكون مدن "جبل عفرون" في وضع مقابل للقرى المعاصرة الآتية: "بيت سورِيك"، "خِرْبِة جِبِل اِلرَّمْل"، "خِرْبِة بيت جازة"، "بيت نَقوبا"، "خِرْبِة كِبَّارَة"، "قَسْطَل"[281]. ويمكن أن يكون عفرون هو الاسم القديم لِـ"بيت سورِيك"[282] ولكنْ، يجب أن نأخذ في الاعتبار أيضًا أن سفر أخبار الأيام الأول (50:2) يقول إن كريات يعاريم تتبع عشيرة إفراتة من بني كالب، وأن سفر المزامير (6:132) يقول إن إفراتة، بوصفها مكان تابوت الرب، هي "جبل الغابات"، فهي نفسها إذًا كريات يعاريم. فإذا كانت عفرون المذكورة في سفر أخبار الأيام الثاني (19:13) هي نفسها إفرايم المذكورة في سفر صموئيل الثاني (23:13)، فيمكن، في المقابل، أن تكون ثمة علاقة هنا بين عفرون وإفراتة[283]. وربما كان لكريات يعاريم سلطة على القرى الواقعة في نطاقها، كما هي حال "القرية" اليوم[284]، الأمر الذي منع فصلها عن المنطقة التابعة لسبط يهوذا. ويُنظر، عدا ذلك، الصور الجوية الآتية: *D* 30 = *M* 739, *M* 746, 746b. 747. 749. وينشأ عن هذا التحديد الجغرافي لمكان عفرون، خلافًا لرأي ألت، أن من غير الممكن أن يطابق اسمه اسم إفرايم الذي يحدد، بحسب سفر صموئيل

---

(281) يمكن أن تستدل من اسم "قَسْطَل" على وجود قلعة قديمة على الطريق، ولكنَّ ساكني المكان قالوا لي أن أسلافهم جاءوا باسم هذا المكان معهم من المنطقة الواقعة جنوب "عمان"، حيث يوجد فعلًا شرق "مادَبا" موقع اسمه "خِرْبِة اِلقَسْطَل". ويُنظر، عدا ذلك:

Riemer, *PJB* (1918), p. 34,

(ليست عِمواس)، ويُنظر:

Dalman, *PJB* (1921), p. 95 (Pereṣ Uzza).

(282) يُقارن:

PJB (1913), p. 36.

(283) في ما يتعلق بالعزوف عن تسمية عفرون، يُنظر:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], p. 231; Hartmann, *ZDMG* (1911), p. 536.

(284) يُنظر:

Lauffs, *ZDPV* (1915), p. 265,

الذي ذكر أن 23 قرية تتبع "اِلقِرْية".

الثاني (23:13)، مكان وجود بعل حتصور الذي يفترض ألت أنه "خِرْبِة حَزُّور" الواقعة على السفح الشرقي تلة "النبي صمويل"، أي على مسافة بعيدة جدًا من منطقة جبل عفرون[285].

ويذكر سفر يشوع (10:15) أن الحد يجري بعد ذلك غربًا إلى جبل سعير الذي نفترض أنه يقع في سلسلة الجبال التي تتصل بـ"القرية" من جهة الغرب، والتي تعلوها قريتا "سايس" و"بيت مَحْسِير". وينتهي مجرى الحد في المنطقة الجبلية شمال "جبل الغابات"، ويغلب أن هذا هو اسم آخر لجبل سعير. وبعد ذلك ينحدر الحد إلى بيت شيْمِش التي نفترض أنها "خِرْبِة اِلرْميْلِة" الواقعة جنوب "وادي اِلصَّرار". ويُذكر أن الانحدار يبدأ عند كسالون المسماة اليوم "كِسْلَا". ولمّا كانت هذه القرية واقعة على سلسلة الجبال الموازية جنوبًا، فيمكن أن يكون الحد – الذي ينبغي أن ينعطف هنا في الاتجاه الجنوبي الغربي – قد رُسم في هذا الاتجاه شمال "كِسْلَا"، ثم عبر "وادي اِلصَّرار" عند "عَرْتوف" تقريبًا. وبناء عليه، فإن منطقة الأودية الفرعية كلها التابعة لِـ"وادي اِلصَّرار"، من "عَرْتوف" حتى "لِفْتا"، تتبع سبط يهوذا، وأن تلك المنطقة من "وادي اِلنار" المحيطة بالمدينة، والمدينة معها، كانت تابعة لسبط بنيامين.

(285) *PJB* (1928), pp. 13ff.

ج - الطرق

لا يمكن فهم طبيعة أي مستوطنة من المستوطنات فهمًا وافيًا إلا إذا عرفنا طبيعة الطرقات الموصلة منها وإليها. وتعتمد طبيعة الطرقات في أي مكان من الأماكن اعتمادًا كبيرًا على الموقع. ويعتمد شكل الطريق في أي موقع على الأماكن التي تفضي إليها الطريق، وعلى العوائق التي ينبغي تجنبها، وعلى الدروب التي تيسرها الطبيعة للطريق كي تسلك فيها. ويجري هذا المعيار بصورة خاصة على الطرق في الزمن القديم؛ فلم يتجنب الناس آنذاك، إلا في أقل الأحوال، ارتقاء السفوح الشديدة الانحدار أو نزولها، وكانت وسيلتهم شق طرق لولبية، أو شق الأنفاق التي تعفيهم من صعود الجبال ونزولها. ونستدل من وجود مدرجات صخرية في الأماكن المنحدرة، حتى في الطرق الرومانية، على أن الناس لم تقصد تيسير سير المركبات على الطرق، حتى الرئيسة منها، وإنما كان النقل يجري في أكثره على الدواب[1]، وهذه هي طريقة النقل الوحيدة في فلسطين حتى عهد قريب. وكان يراعى في اختيار الطرق معرفة أحوالها عند هطل المطر الشديد شتاءً[2]، وأن يأمن المسافرون عليها وعلى أنفسهم في المناطق المنقطعة عن الناس، فقد كانوا يثنون المسافرين عن السفر في الطرق المارة بالأودية الضيقة (سفر المزامير 23:4). وتجري هذه الأقوال كلها في صورة خاصة على مدينة كالقدس؛ إذ ينبغي أن تكفل عاصمة منطقة واسعة مثلها الأمن ضمن هذه المنطقة، وأن تدافع عنها إن دهمها هجوم ما من خارجها، فتتولى حماية نفسها. ثم إنها، في الوقت نفسه، مدينة تنعقد فيها الأسوق، فلا بد أن يتمكن المشترون والبضائع من الوصول إليها من غير عناء.

يفرق القانون الحاخامي القديم الطرق العامة التي يبلغ عرضها 16 ذراعًا، عن طرق المواصلات بين المدن التي يبلغ عرضها ثمانية أذرع، وعن الطرق الخاصة التي يبلغ عرضها أربعة أذرع، وعن الطرق الملكية التي لا قياس محددًا لها[3]،

---

(1) يُقارن:

PJB (1916), pp. 38f.

(2) يُنظر:

Gustav Dalman, *Arbeit und Sitte in Palästina*, vol. 1, pp. 201f., 210f.

= (3) Bab. b. VI, 7; Sanh. II, 4; b. Bab. b. 100ª.

فضلًا عن الدروب الخاصة[4]. واشترط هذا القانون في الطريق الخاصة أن تتسع لحمار محمَّل[5]، وأن تتسع الطريق الرسمية لأربعة حمير محملة، أو لزوج من الحمير المحملة متقابلة. أما الدروب، فكان عليها أن تتسع لراجلٍ أو راكب منفرد. وفي أي حال، يظهر أن هذه القياسات لم تزد على أن تكون كلامًا نظريًا فحسب، لأننا نعلم أن عرض الطريق الرومانية كان يتراوح بين ثلاثة إلى أربعة أمتار وثلاثة أرباع المتر فقط[6]. وكنتُ قد قست يومًا في شرق الأردن عرض طريق رومانية لا تزال حجارة أطرافها موجودة، فكان خمسة أمتار ونصف المتر.

ومن البدهي أن أهم المعطيات في وصفنا للطرق لم تأتِ من الطرق التي نشأت حول القدس منذ عام 1866، أو التي تسير عليها العربات (بالعربية "طريق كَرّوْسة")، وإنما من الطرق والدروب "القديمة" التي لا أزال أؤثر المشي والركوب فيها، والتي لا تظهر إلا في خريطة ويلسون لعام 1865، ولا تزال ظاهرة في الصور الجوية الملتقطة في عامي 1917 و1918.

1 - الطرق الشمالية

كان ينبغي أن يكون للقدس، في اتجاه الشمال، طرق تصلها بوسط فلسطين وشمالها، وبأهم مدن وسط فلسطين مثل شكيم [نابلس] التي أصبحت منذ عام 72 ميلادية نيابوليس، وصارت اليوم "نابلس"، وكذلك بمدينة السامرة التي أصبحت تسمى منذ عام 25 أو 27 قبل الميلاد سبسطية. وفي هذا الاتجاه، جاءت الطبيعة بميزة كبيرة، وهي أن الفاصل المائي في المناطق الجبلية يبدأ على بعد كيلومترين شمالًا من المدينة، ويمتد 15 كيلومترًا شمالًا، بحيث لا تكون الطريق في حاجة إلى قطع أي واد، وإنما تتبع المجرى الأعلى المنبسط لذاك الفرع من "وادي اِلصَّرار"

= يُقارن:

Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, pp. 538.

(4) Pea II 1, Tos. Pea I 8.

(5) b. Bab. b. 100a.

(6) Kuhl, *PJB* (1928), p. 129.

الموصوف أعلاه ص 220[7]. أما الطريق القديمة، التي لم أرَ غيرها في عام 1899، فظلت تجري إلى قاع الوادي، في حين اتبع الشارع (1900-1904)[8] في كثير من المواضع خطًا أعلى أقرب إلى الفاصل المائي، وأُدخلت فيه بعد ذلك تعديلات أخرى أخرجته عن المسار القديم. ومن المهم في هذا الصدد، أنه كان في الإمكان، على بعد خمسة كيلومترات ونصف الكيلومتر عن القدس فحسب، الوصول من الخط الشمالي إلى الطرف الشمالي من حوض "اِلجِّيب" من دون أن تقطع أي تلة ذات شأن الاتجاه الشمالي الغربي، وكان في الإمكان المضي في الاتجاه نفسه، والسير في منطقة "نهر العوجا" على طريق مرتفعة بين أودية حتى مناطق التلال، حتى الهبوط إلى المنطقة الساحلية، من دون الاضطرار على طول الطريق كلها إلى قطع وادٍ واحد. وهذه الطريق هي "طريق بيت حورون[9] المعروفة منذ زمن يشوع (سفر يشوع 10:10 وما يليها)، وشاؤول (سفر صموئيل الأول 18:13) وداود (سفر صموئيل الثاني 25:5) ويهوذا المكابي (سفر المكابيين الأول 16:3، 24؛ 39:7)، ونيرون (*Bell. Jud.* II 19, 1. 2. 8)، وهيرونيموس (*Peregrinatio Paulae VI*)، ومنذ الحرب العالمية الأولى في تشرين الثاني/ نوفمبر وكانون الأول/ ديسمبر 1917[10]، وآخرها يصل إلى يافا، فينبغي أن تعد أهم طريق كانت تصل القدس يومًا بأقرب ميناء إليها. وتقابل هذه الطريق تلك الطريق التي تتفرع عن الخط الشمالي في الاتجاه الشمالي الغربي، على بُعد 20 كيلومترًا عن القدس، قرب "جِفْنة" التي تجري كذلك في محاذاة فاصل مائي[11]. وتصل هذه الطريق السهل الساحلي عند مدينة أنتيباتريس القديمة [راس العين]. ولذلك

---

(7) في ما يتعلق بقبر راحيل وبعل ثامار (بلوطة طابور) وزمرَيم الواقعة على هذا الخط، يُنظر: Dalman, *Journ. Bibl. Lit.* (1929), pp. 354ff.

(8) جُهزت الطريق في عام 1904 حتى "سِنْجِل" فحسب.

(9) يُنظر: Oelgarte, *PJB* (1918), pp. 73ff. (مع خريطة)، Kuhl, *PJB* (1928), pp. 121, 127.

(10) يُنظر: *PJB* (1918), p. 89.

(11) *PJB* (1914), pp. 29ff.; Kuhl, *PJB* (1928), p. 125.

كانت هي الطريق التي حملت بولس إلى قيسارية (سفر أعمال الرسل 31:23 وما يليها)، ويرجح كذلك أن حملتي باخيديس[12] وفيسبانيان[13] سارتا فيها أيضًا. وكانت هذه الطريق، شأنها شأن الطريق بين القدس ونيابوليس، طريقًا رومانية، وتشهد على ذلك الحجارة الميلية الموجودة على أطرافها[14].

أما طريق جِبع ومِخماس، وهي الطريق التي تصل اليوم "جَبع" و"مُخْماس" بالقدس، فليست مطروقة كثيرًا، ولذا سلكها الجيش الأشوري في حملته المذكورة في سفر إشعيا (28:10 وما يليها)؛ إذ رمى الأشوريون من ذلك أن يأتي هجومهم مفاجئًا، فاجتنبوا طريق الشمال الأصلية، وساروا في طريق لا حراسات فيها. ولم تصل الحملة الآتية من الشمال الفاصل المائي إلا قبل وصولها إلى الشمال بقليل من جبل سكوبس، أي قبل القدس بثلاثة كيلومترات تقريبًا، بعد أن سارت قبل ذلك على السفح الشرقي للمناطق الجبلية، قاطعة المجرى الأعلى لأربعة من فروع "وادي اِلقلت"[15].

وكان ينبغي على المسافر من القدس كي يصل إلى الفاصل المائي الذي كان لزامًا على الطريق الشمالية أن تقطعه (ص 61)، أن يقطع "وادي اِلجوْز" منحدرًا انحدارًا متدرجًا في جهته الجنوبية، ليعود فيصعد صعودًا شديدًا في الجهة الشمالية المقابلة (بمقدار 20 مترًا في أثناء صعوده 160 مترًا)، ثم يعود فيصعد مرة أخرى بمقدار 32 مترًا في أثناء صعوده 360 مترًا، ليصل إلى قمة جبل

---

(12) *Antt.*, XII 10, 2,

والأرجح أنه اتخذ هذه الطريق لأن "بِيرزيْت" تُذكر في هذا الخبر. يُقارن:
PJB (1914), p. 29.

(13) *Bell. Jud.*, IV 9, 9.

ويبدو أن المقصود بعبارة "الصعود إلى المناطق الجبلية" هو منطقة جفنة، فلا يبدو أن مسير الحملة كان في منطقة السامرة، كما ذُكر عن حملة تيتوس
Bell. Jud., V 2, 1.

(14) يُنظر:
Thomson, *Die röm. Meilensteine der Provinzen Syria, Arabia und Palästina*, pp. 73ff., 76.

(15) Dalman, *PJB* (1916), pp. 4ff.,

(مع خريطة)،
Albright, *Annual of ASOR*, vol. 4, p. 134.

سكوبس (ص 30). وكانت الطريق القديمة تصل القمتين معًا في خط مستقيم، أما الشارع الذي شُق في عام 1901، فقد جُعل فيها منعطفان عند القمتين، ثم عادت الطريق فاستغنت عن الثانية منهما بعدما أُعيد شقها بعد الحرب العالمية [الأولى] على نحو أفضل، ولكنها لا تزال بادية للعيان (تُنظر الصور الجوية المذكورة في ص 24، والخريطة (*C* 6). وكان لا بد للوصول إلى المدينة من قطع التلة الشمالية (*D* 6). فيترك الماشي في الخط الرئيس الامتداد الأوسط للتلة الشمالية شرقًا، وينعطف نحو الوادي الذي يأخذ بالتشكل على الجهة الغربية من جهة الماشي. وكان هناك أيضًا خط فرعي على بعد 770 مترًا من المدينة الحالية، ويتبع الجهة الشرقية من الامتداد نفسه، ويتجه بذلك نحو المنحدر الذي يتشكل هناك. ويعد الباب الرئيس للسور الشمالي، "باب العمود"، الذي يسمى عادة "باب دمشق"، وهو الباب الذي يدخل منه الماشون إلى الخط الرئيس، في حين يدخل الماشون من الخط الفرعي من باب هيرودوس، أي من "باب اِلزَّاهِرة" الذي أُعيد فتحه في عام 1875. ويتفرع من هذا الخط فرع شرقي يمتد حتى الزاوية الشمالية الشرقية من المدينة، ويتيح الوصول مشيًا إلى أماكن أخرى بموازاة سور المدينة الشرقي كما تبين خريطة ويلسون لعام 1865. أما اليوم، وأقصد منذ عام 1890 تقريبًا، فقد فُتح شارع أتاح لهذه الطريق أن تمتد مباشرة من وادي قِدْرون حتى أريحا (*E* 6. 7). ويفضي خط آخر إلى الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة، وهو يتفرع من الخط الرئيس فوق جبل سكوبس، ويصل إلى "وادي اِلجوْز" مارًا بمنحدر "أرض اِلسُّمَار"، ثم يرتقي إلى الجنوب من الوادي حتى قمة المدينة (*C* 6, *D* 6). وليس ما يدل على أن هذه الطريق كانت كثيرة الاستخدام في الماضي؛ إذ لا يمشي فيها إلا من كان متجهًا إلى الحرم، أو إلى مكان خارج القدس، من الجهة الجنوبية أو الجنوبية الشرقية.

وهناك، إلى ذلك، خط آخر يتجه إلى الزاوية الشمالية الغربية للمدينة، ثم لا يلبث بعد صعوده من "وادي اِلجوْز" أن ينفصل عن الخط الرئيس (*D* 5). ولهذا الخط أهمية مختلفة تمامًا عن الخطين الآخرين الموصلَين إلى الزاوية الشمالية الشرقية لأن غرب المدينة يشكل استمرارًا للطريق الواصلة شمال البلاد بجنوبها. وكان من الممكن عبور المجرى الأعلى لوادي إبن هِنّوم في

المنطقة الواقعة فوق بركة السلطان من غير عناء كبير، لولا أن السد المرتفع المستوى الموجود على الطرف الجنوبي لهذه البركة قد تم استخدامه، مفسحًا في المجال للوصول إلى الخط الجنوبي. وتتجلى أهمية هذه الطريق بصورة خاصة إذا علمنا أن سور المدينة لم يكن فيه فتحة من جهة الزاوية الشمالية الغربية حتى عام 1889 حين فُتح الباب الجديد ("باب عبد الحميد")، ولم تُشق طريق خاصة تصل الباب الجديد بالخط الشمالي، لأن البنايات التي بُنيت أمامه لم تتح ذلك أصلًا. وكانت تنتصب أمامه، كأنها مَعلَم للقدس، شجرة البطم[16] الوحيدة المغرقة في التاريخ والتي باتت محشورة اليوم بين المشفى الفرنسي ومشفى الهوسبيس النمساوي، وحالها في ذلك حال شجرات الصنوبر العالية التي تقف قبالتها عند الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة، في "كَرْم اِلشَيْخ" (*D* 6)، الذي يحميها من الأذى، وحيث يعتقد البعض أن هذه الشجرات كانت ملكًا لمقام أحد الصالحين المدفون في "الحرم".

ثمة طريقان أخريان مهمتان للجهتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية من القدس، أولاهما هي الطريق المباشرة الذاهبة إلى "اِلجِّيب"، جبعون، التي تبدأ من باب دمشق، فتسلك في الطريق الشمالية التي سبق الحديث عنها، ثم تنعطف أمام الباب بنصف كيلومتر في الاتجاه الشمالي الغربي (*D* 6. 5)، في حين أن الطريق الشمالية تجري هنا مباشرة في الاتجاه الشمالي. ويمثل فرع الطريق الشمالية الخارج من باب هيرودوس (*E* 6, *D* 6) طريقًا موازية، وهو ينضم إلى الطريق الشمالية قرب قبر هيلانة، ويجري في الاتجاه نفسه، بحيث يمكن الافتراض أن الغاية الأصلية من الخط كانت الاتجاه إلى جبعون. وتلتقي الطريقان في آخر المطاف عند الفاصل المائي في الشمال الغربي (*C* 5). أما الطريق الآتية من باب هيرودوس، فتمضي شمالًا في اتجاه "شُعْفاط" (*A* 5)، بحيث يمكن أن تعد هذه الطريق طريقًا موصلة مباشرة إلى هذه القرية، وموازية للطريق الشمالية. وهذا هو الحد الأقصى الذي قُدر لهذه الطريق أن تكتسبه في يوم من الأيام حتى يعترض عبورها "وادي

---

(16) يُقارن:

Tobler, *Denkblätter*, p. 105,

وكان ثمة شجر بطم في الطريق بين باب يافا ومقبرة مامِلَّا.

أُم اِلعَمَد" السحيق، مع أنها لم تصلح في الماضي، في أي حال، لمرور الحملات العسكرية. أما طريق جبعون التي يمكن أن نسميها طريق "بيت حَنِينا"، لأنها تمر من هناك أولًا، فتهبط في "وادي أُم اِلعَمَد"، قاطعة المنحدر المنخفض الواقع بين أُم اِلعَمَد و"وادي بيت حَنِينا" (*B* 4) الجاري معه. وتبقى الطريق جارية في الوادي حتى تصل إلى "اِلجِّيب"، ويمكن بعد ذلك أن تصب في طريق بيت حورون على الجهة الأخرى من "الجيب". وتظهر على الخريطة الإنكليزية لعام 1878 طريقًا توصف بأنها "طريق رومانية" تنعطف عند الفاصل المائي وطريق جبعون في اتجاه شمالي غربي (*C* 5)، وتقطع الوادي، ثم تمضي في المناطق المرتفعة، عابرة قرى "بيت اِكْسا" و"بِدُّو" و"القبيبة" و"بيت لِقْيا"، ثم هابطة إلى منطقة التلال، شأنها شأن طريق بيت حورون، نحو ميناء يافا مارة باللد. وينبغي أن نذكر الطريق القديمة، وهي الطريق الفرعية الأهم من سابقتها، والتي تبدأ من طريق جبعون، ثم تصعد أحد فروع "وادي أُم اِلعنب" إلى تلة "اِلنِّبي صَمْويْل"، ثم تصب عند "بِدُّو" (ولا يظهر هذا الجزء في الخريطة الإنكليزية لعام 1878، ولكن الخريطة العسكرية لعام 1918 لم تغفله) في الفرع الذي ذكرناه للتو. وقد وصفت هذه الطريق بأنها "طريق رومانية"؛ إذ شوهد فيها حجر ميلي على الطريق بين "بِدُّو" و"القبيبة"، ولم أستطع العثور عليه. وكانت هذه الطريق استُخدمت في زمن الحملات الصليبية، لكن الصليبيين كانوا ينعطفون منها بعد "القبيبة" في اتجاه "بيت نوبا"[17]، لأن "اِلرَّمْلِة" كانت هي هدفهم التالي قبل وصولهم إلى يافا[18]. ويشهد على هذا أن هذه الطرق المارة بـ"بيت لِقْيا" كانت ذات أهمية في الماضي، حيث إن الموقع المسمى كفار لِقِيطايا يُذكر بوصفه المكان الذي احتله هادريان بعدما كان اليهود لجأوا إليه آتين من القدس[19].

(17) يُنظر:

PJB (1908), p. 12; (1914), p. 21.

(18) Ricoldus de Monte Crucis, L. p. 107; Wilbrand von Oldenburg, L. p. 184; Michelant & Raynaud, *Itinéraires*, pp. 92f., 229f.; Saladin nach Behā ed-dīn, pp. 377f.,

في حين تُذكر "الجيب" في المرجع الأخير، ص 360 وما يليها.

(19) Ech. R. 1, 16 (34^b);

يُنظر:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], pp. 240f.

ونَصِفُ الطريق التي تبدأ من الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة يُعد الخط الشمالي الشرقي، وهو ينطلق في البداية مع طريق المواصلات المتجهة شمالًا إلى جبل سكوبس (ص 230)، ثم تنفصل الطريق عند "وادي اِلجوْز" في الاتجاه الشمالي الشرقي حتى تصل إلى سلسلة جبل الزيتون، عابرةً هذه السلسلة من شمال التلة اليهودية (*C* 7)، ثم تجري في الجهة المقابلة خلال "وادي سْليْم" التابع لمنطقة "وادي دِبْر"، لتصل إلى "راس الخروبة" التي ربما كانت عناتوت القديمة[20]، ثم لتصل بعد ذلك إلى "عَناتَا" (*A* 9). ويمكن الوصول من هنا إذا اتجهنا شرقًا إلى "خِرْبِة عَلْمِيت" (عليْمِت) المذكورة في سفر أخبار الأيام الأول (45:6)، ثم إلى "وادي فارة" ("هَبَّارة") المذكورة في سفر يشوع (23:18). وإذا ذهبنا شمالًا وصلنا إلى "خِرْبِة كَعْكول" (جلّيم)[21] المذكورة في سفر إشعيا (30:10) ثم بعدها إلى "حِزْمِة" (عَزْمَوِت) [عزماوت] المذكورة في سفري عزرا (24:2) ونحميا (29:12)، وكلها مواقع تتبع سبط بنيامين. وتوصل هذه الطريق إلى الغاية نفسها التي توصل إليها الطريق التي تلتقيها على الطرف الآخر من قمة سلسلة جبل الزيتون، عندما تكون آتية من شمال "الشيخ جرَّاح" (*C* 7). ومن الطبيعي أن هذه الطريق هي التي يسلكها ساكنو القسم الغربي من القدس في ذهابهم إلى "عَناتا"، ولا بد أنها كانت دائمًا كذلك. ولتجنب المرور بمنخفض "أرض اِلسُّمار"، من "طريق جبل الزيتون" التي شُقت في عام 1898، استُبدلت هذه الطريق المستقيمة تقريبًا، والمتجهة إلى الشمال الشرقي، بطريق أخرى أطول منها، لأن فيها منعطفًا يتجه نحو الشمال.

في الخط الشمالي الأوسط يوجد باب دمشق الذي بناه في شكله الحالي السلطان العثماني سليمان الثاني في عام 1537-1538 كما يُستدل على ذلك من النقش الموجود هناك[22]، حيث يقوم، من دون أدنى شك، في المكان نفسه الذي فيه الباب الشمالي لمدينة إيليا كابيتولينا الرومانية الذي يظهر في خريطة

---

(20) Alt, *PJB* (1926), p. 24.

(21) *PJB* (1916), p. 53; Albright, *Annual*, vol. 4, pp. 138f.; Alt, *PJB* (1926), p. 22.

(22) يُنظر في ما يتعلق بالنقوش على أبواب القدس وأسوارها:
Dunkel, *Hl. Land* (1908), pp. 164ff.

مادبا. وإلى الشمال منه، حيث تتفرع طريق جبعون (ص 231)، كان يقوم الباب المجاور لبُرجَيّ النساء[23] في السور الشمالي الذي بناه أغريبا. ولا بد أن ذلك الباب الماثل في القدس الهيرودية كان يقع أبعد كثيرًا إلى الجنوب منه، بل إلى الجنوب الشرقي، والذي كان الباب الرئيس لسور ضاحية المدينة الشمالي الذي أريد منه، بكل تأكيد، أن يفضي إلى وادي المدينة، كما هي حال باب دمشق اليوم. وكانت تتبع وادي المدينة في الفترة الرومانية، كما يظهر في خريطة مادبا، إحدى طريقين رئيستين كانت تجري في البداية في اتجاه جنوبي شرقي، ثم في اتجاه جنوبي مباشرة، تمامًا كما هي حال طريق "الواد" اليوم (ص 195). ولا بد أن مثل هذا الامتداد للطريق الشمالية في وادي المدينة كان موجودًا في أثناء الفترتين الهيرودية وما قبل الهيرودية، ولا بد أن باب السَّمك المذكور في أسفار نحميا (3:3؛ 39:12)، وأخبار الأيام الثاني (14:33)، وصفنيا (10:1) كان هو البوابة التي تمر منها هذه الطريق، لأن هذا الباب، كما يدل على ذلك اسمه، يتبع الطريق الشمالية (يُنظر أعلاه، ص 111)، كما أن سفر صفنيا (10:1) يسميه باب "المدينة المزدوجة". أما النهاية الطبيعية لـ"طريق الواد" فكانت "باب الزبل" المذكور في سفر نحميا (13:2؛ 13:3 وما يليها؛ 31:12) أو الباب الواقع بين السورَين والمذكور في سفرَي الملوك الثاني (4:25)، وإرميا (4:39؛ 7:52)، عند خروج الوادي إلى بركة "سِلوان". وما زاد في أهمية هذه الطريق أنها كانت تفضي إلى الهيكل. أما المشنا[24]، فلا تذكر غير باب كِبّونو في السور الغربي، في حين ذكر يوسيفوس[25] أنه كان للمدينة أربعة أبواب غربية، اثنان منها في ضاحية المدينة، أي شمال السور الشمالي للمدينة القديمة، واثنان آخران في نطاق المدينة القديمة نفسها. ويغلب أن أحد البابين الأولين كان في موقع البئر المسماة اليوم

---

(23) *Bell. Jud.*, V 2, 2; 3, 3;

يُنظر أعلاه، ص 98.

(24) Midd., I 3;

وقد جاء هذا الاسم من اسم أول حاكم روماني ليهودا، كوبونيوس (Coponius):
Antt., XVIII, 2, 2, *Bell. Jud.*, II 8, 1.

(25) *Antt.* XV 11, 5.

"بِير سِبِيل قايتباي" الواقعة غرب قبة الصخرة[26]. أما الباب الواقع مسافة أبعد إلى الشمال من البابين الآخرين، فكان، من غير شك، الباب الموجود عند الجسر المفضي إلى المدينة العليا (ص 86)، والجنوبي منهما الذي له درج يهبط إلى الوادي، فإما أنه كان في مكان باب باركلي (Barclay)[27]، وإما في مكان قوس روبنسون[28] قرب الطرف الجنوبي للحائط الغربي لساحة الحرم القدسي.

وتوحي الطريق عند باب هيرودوس وعلى وادي بركة بيزاتا، والطرق الموجودة عند الزواية الشمالية الشرقية للمدينة الحالية بأنها كانت كلها مستخدمة في الماضي. فهنا، عند الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة، مكانُ باب بنيامين المذكور في سفر زكريا 14:10، وهو الباب الذي أراد إرميا الدخول منه إلى منطقة بنيامين قاصدًا الذهاب إلى عناتوت، على الأرجح (سفر إرميا 37:12 وما يليها). ولهذا الباب صلة بقلعة الملك التي كانت قائمة آنذاك (سفر إرميا 38:7). فإذا ما قُرن باب شمالي آخر بسبط إفرايم (ص 236)، فذلك لأن هذا الباب الذي نحن بصدده يفضي في المحل الأول إلى منطقة سبط بنيامين، فينُسب إلى هذا السبط. أما الطريق الشمالية فكانت المنطقة البنيامينية محطة من محطاتها فحسب، وليس الهدف الرئيس لها. وربما كان سفر نحميا، الذي يعد القدس بنيامينية (11:30) – متابعة منه لسفر يشوع (الأصحاحين 15 و18) مع أنه يذكر أن بعض أبناء سبط يهوذا كانوا يسكنونها أيضًا (11:3 وما يليها) – قد سمّى باب بنيامين باب الغنم (3:1، 32؛ 12:39)، لكنه سمّاه أيضًا باب العُد [باب الحراسة]، أو باب السجن (3:31؛ 12:39) الواقع شمال السور الشرقي (يُقارن ص 140 وما يليها). وإذا كان إنجيل يوحنا (5:2) يقصد

(26) يُنظر:

Schick, *Stiftshütte, Tempel*, pp. 179, 297;

ويُنظر:

Warren, *Excavations*, *Pl.* IV,

حيث توصف بأنها بوابة وارن (Warren's Gate).

(27) Warren, *Excavations*, *Pl.* XXXI. XXXII.

(28) Warren, *Excavations*, *Pl.* XXVIII, XXXIX; Schick, *Stiftshütte, Tempel*, pp. 332ff.

فعلًا باب الغنم، وليس بركة الغنم، كما يفترض يوسيبوس وهيرونيموس[29]، فلا بد أن القدس الهيرودية كان فيها باب يسمى باب الغنم. وبما أن سور ضاحية القدس لا يتجاوز قلعة أنطونيا شرقًا، بحسب ما جاء عند يوسيفوس، فلا بد أن الباب الشمالي للهيكل لم يحل في محل باب الغنم القديم فحسب، وإنما أخذ عنه اسمه أيضًا، وهذا الأمر محتمل جدًا عندي. ويذكر يوسيفوس أن بابًا شماليًا كهذا كان موجودًا[30]. وتسمي المشنا[31] هذا الباب باب طادِي، وربما كان لكلمة طادي علاقة بالاسم تاديوس (Tydeus)، وتقول المشنا عن هذا الباب إنه لا يُستخدم في العادة لغرض بعينه، لكن رجال الدين الذين مستهم النجاسة كانوا يتخذونه طريقًا للخروج من الهيكل. ولمّا كان هذا الباب بابًا خارجيًا، فلا بد أنه كان مغلقًا تحاشيًا لاتصال الهيكل بالعالم الخارجي اتصالًا مباشرًا. أما تسمية الباب بباب الغنم، فيقتضي أن سوق الغنم في القدس كانت موجودة هناك، كما هي الحال اليوم أيضًا أمام باب دمشق وباب هيرودوس، حيث كان مربو الأغنام يأتون بماشيتهم من المنطقة البنيامينية ومن الشرق ومن الصحراء[32]، حيث يمكن أن يشرى الغنم منها لتلبية حاجات الهيكل من الذبائح. ويبدو أن ثمة مجالًا ملائمًا لهذا في وادي بركة بيزاتا وفي التلة الواقعة على جهته الشرقية. وإذا كان باب العُد هو نفسه باب الحراسة الذي يتيح الدخول إلى الساحة الخارجية لقلعة الملك التي كانت قائمة هناك ذات يوم، فينبغي أن نفترض أنه كان للطرق المشابهة التي تصل هذا الباب بالمناطق الواقعة شمالًا أهمية كبيرة، لأنه لا بد للإجراءات العسكرية والشرطية التي تنطلق من قلعة الملك أن تسلك هذه الطرق.

يُستدل من خريطة مادبا أن طريقًا، كانت تنطلق من الباب الشمالي في

---

(29) من اللافت أن كتاب الصلاة المسيحي الفلسطيني لا يذكر إلا مكان وجود البركة بقوله: "عند مدخل"، أي أنه يقصد *πρόσβασις*، أما الإنجيل السرياني فيسمي البركة "مكانًا للاستحمام"، في حين أن الإنجيل اليوناني يتجاوز عن *προβατιχή* تمامًا. يُقارن ص 176.

(30) *Bell. Jud.*, II 19, 5.

(31) Midd. I 3. 9.

(32) يُنظر: سفر العدد (1:32، 4)، سفر الملوك الثاني 4:3، سفر إشعيا (1:16؛ 7:60).

القدس الرومانية، عدا طريق الوادي التي عرضنا لها أعلاه، في اتجاه مباشر جنوبًا، وهي أهم طرق النقل والتجارة في القدس، تمامًا كما هي الحال عليه اليوم. وبناء عليه، يمكن أن نفترض أن طريقًا كانت هناك في الماضي تجري بموازاة الطرف الشرقي للقمّة الغربية، تحت غولغوثا، خارج السور الغربي للضاحية، وتقطع بعد ذلك أول الفرع الغربي لوادي المدينة عند باب الجنة الذي ذكره يوسيفوس (يُنظر أعلاه، ص 73)، ثم تدخل إلى المدينة العليا، ثم تسلك في محاذاة الطرف الشرقي للتلة الغربية، حتى تصل إلى باب الوادي المذكور في سفري نحميا (2:13؛ 3:13) وأخبار الأيام الثاني (9:26)، وتتابع سيرها من هناك. لكننا سنؤجل الحديث عن ذلك إلى حين وصفنا للطريق الجنوبية. ويغلب أن باب الجنة الذي ذكره يوسيفوس هو نفسه باب إفرايم الذي تقع عنده ساحة مكشوفة، والمذكور في أسفار نحميا (8:16؛ 12:39، وأخبار الملوك الثاني 14:13، وأخبار الأيام الثاني 25:23). ويرجح أنه هو نفسه الباب المسمى "الباب القديم" (باب السور القديم) المذكور في سفر نحميا (3:6)[33]، ومكان "الباب الأول (القديم)" المذكور في سفر زكريا (14:10)، و"باب الوسط" المذكور في سفر إرميا (39:3) والذي ظهر عنده أمراء الجيش البابلي المحاصِر. أما تسمية الباب نسبة إلى سبط إفرايم فوجيهة؛ إذ إن الطريق الشمالية لا تدخل إلى القدس على التلة الغربية إلا في هذا الموضع. ومن المفهوم في الوقت نفسه، أن هذه الطريق اختفت، يوم شمل سور أغريبا من الجهة الشمالية، المدينة والضاحية معًا، وصار بابها الشمالي الذي كان موجودًا قرب برجيّ النساء (ص 233) باب إفرايم الفعلي في القدس.

في ضوء ما سبق، يمكن القول إن باب الزاوية المذكور في أسفار الملوك الثاني (14:13)، وأخبار الأيام الثاني (25:23؛ 26:9)، وإرميا (31:37)، وزكريا (14:10) والذي نفترض أنه كان قرب برج التنانير المذكور في سفر نحميا (3:11؛ 12:38)، لم يكن بابًا شماليًا، وإنما باب غربي. وكان هدم

(33) في الأصحاح الثالث من سفر نحميا يُذكر "باب الأقدم" وحده، ولا يُذكر باب إفرايم. وفي الأصحاح 12 من السفر نفسه، يُذكر باب إفرايم و"باب الأقدم" (جاء ذكره في ص 84 في صيغة غير دقيقة "الباب القديم")، فينبغي إذن شطب اسم "باب الأقدم" من الأصحاح 12.

يهوآش، ملك إسرائيل، للسور الممتد من باب إفرايم وحتى باب الزاوية، طوله 400 ذراع (سفر الملوك الثاني 13:14؛ سفر أخبار الأيام الثاني 23:25) قد جرّد التلة الغربية في القدس من الدفاعات في أضعف نقطة فيها. ولذلك، فإن "السور العريض" المذكور في سفر نحميا (3:8؛ 12:38)، يكون قد بُني بين باب إفرايم وبرج التنانير تعويضًا عن السور المهدوم في المكان الذي أريد تحصينه. فالأربعمئة ذراع (= 200 متر)، تقابل في القدس اليوم المسافة التي تصل شارع السوق المتجه من الشمال إلى الجنوب، حتى بداية شارع داود تقريبًا، الذي يهبط إليها من جنوب بركة البطرك. وإذا كان برج داود يقوم اليوم في المكان الذي قام فيه برج التنانير يومًا، فيمكن أن نستدل من ذلك على المكان الذي كان فيه باب إفرايم. ولمّا كان يوسيفوس يتحدث عن "الأبواب العليا"[34] التي تحصن اليهود خلفها ليهاجموا الجنود الرومان الموجودين عند سور الضاحية الخارجي، فلا بد أنه كان في السور الشمالي للمدينة العليا باب آخر غير باب الجنة، قريب جدًا من قلعة هيرودوس، وأنه كان في مكان باب الزاوية.

أما طريق جبل الزيتون التي شُقت في عام 1898 (ص 233)، متفرعة في شمال "وادي اِلجوْز" من الطريق الشمالية (*D* 6)، فلا تعود واحدة من الطرق الشمالية، لأن القصد من شقها كان إيجاد طريق تمر بها العربات بين المدينة وجبل الزيتون فحسب. وسنعود في ما بعد إلى الحديث عن الخط القديم الذي كان مستخدَمًا قبل هذه الطريق في سلسلة جبل الزيتون.

ويمكن الاطلاع على هذه الطرقات من الصور الجوية الآتية: *D* 2 *RA*, *D* 13 = *M* 796, *D* 14 = *M* 788, *D* 12 = *M* 801, *D* 21 = *M* 648, *D* 22 = *M* 642, *M* 786. 781. 798. 777. 778. 832., Fl. 301. 735، ثم الصورتان المسميتان: Jerusalem mit nordöstlichem Gelände، و *RA* Jerusalem von Osten.

---

(34) *Bell. Jud.*, V 8, 1;

ويُنظر في المرجع نفسه:

VI, 2 11,

يُنظر:

Spieß, *Das Jerusalem des Josephus*, p. 19.

2 - الطرق الغربية

نقصد بالطرق الغربية للقدس على المستوى القريب تلك التي تصل المدينة بمنطقة "وادي اِلصَّرار" وبفروعه، ثم نقصد بها على المستوى الأبعد مناطق التلال التابعة للشفيلا في الغرب البعيدة عن الشاطئ، ونقصد بها في آخر الأمر المناطق الساحلية والساحل نفسه الذي لا يصلح فيه ميناء غير يافا الواقعة في الشمال الغربي. وكنا ذكرنا في ص 209 أن الذراع الرئيسة لِـ"وادي اِلصَّرار" لم تكن طريقًا مهمة للمواصلات حتى مُدَّت سكة الحديد بين يافا والقدس في عام 1892؛ إذ كان ثمة عوائق للمواصلات في الفروع الشمالية للوادي الرئيس التي كان على الذاهب غربًا قطعها. والمكان الذي يمكن المسافر في الاتجاه الشمالي الغربي أن يقطع من عنده الفاصل المائي يقع على ارتفاع 818.4 مترًا فوق سطح البحر، في حين أن الوادي القريب من "قالونية" يقع على ارتفاع 563.9 مترًا، أي أنه أخفض من تلك التلة بـ 254.5 مترًا. وأقرب سلسلة تلال إلى هذه المنطقة تقع قرب "القسطل"، وهي تقتضي صعود 186.8 مترًا. يليه انحدار آخر في اتجاه "وادي اِقبالا" شرق "القِرية" مقداره 137.5 مترًا، وقرب "القرية" ارتفاع مقداره 113.7 مترًا. وبعد ذلك تنحدر الأرض انحدارًا واضحًا، وتتيح انخفاضًا متدرجًا من ارتفاع 453.3 مترًا إلى أن تتخذ المنطقة شكل وادٍ يدخل في مناطق التلال على ارتفاع 273.7 مترًا عند "باب الواد" على الطرف الغربي للمناطق الجبلية. وقد اتبعت هذه الطريق بين يافا والقدس التي شُقت بين عامي 1867 و1869، وأُصلحت في عام 1879، بوصفها الخط الوحيد الذي يمكن اتباعه للسير غربًا. وكانت الطريق تبدأ من القدس وتصعد التلة الشمالية الغربية (*D* 3) صعودًا متئدًا، من دون أن تمر بأي عوائق. وهناك طريق فرعية ربما كانت تسير على آثار قديمة لهذه الطريق تقع إلى الجنوب قليلًا، ثم تنفصل عند تقاطع "جادة الملك جورج الخامس" عن الخط الرئيس الحالي الموجود منذ عام 1865، ثم تعود لتلتقيه عند أول طريق "عين كارم" (*D* 3). وكانت الطريق تهبط من التلة الشمالية الغربية إلى "قالونية" من خلال "وادي عَقْبِة البيضا" (*D* 1)، وهو واد فرعي قصير

من أودية "وادي قالونية"، وتنعطف في طريقها مرات عدة[35]. ولم تسر الطريق في السفح الجنوبي للوادي الرئيس (*C* 1) إلا بعد إصلاحها في عام 1879، إذ لم تكن تمر فيه طريق حتى ذلك الحين[36]. وحسَّنت الإصلاحات الطريق عند التلة الثانية أيضًا تحسينًا كبيرًا. والطريق القديمة اتبعت، في الأغلب، الطريق العربية التي شقها عبد الملك [بن مروان] في حوالى عام 700 ميلادي بين "الرَّمْلَة" والقدس، والتي عُثر على عدد من حجارتها الميلية[37]، وهي الطريق نفسها التي سارت فيها الحملات الصليبية في عام 1099 في طريقها إلى القدس[38]. ويمكن أن نفترض أنها كانت على الطريق نفسها، وهي عند "القرية" على الأقل، هي نفسها الطريق الرومانية الآتية من نيكوبوليس - عمواس[39]؛ إذ كان في "القرية" موقع عسكري[40]، وفي "قالونية" مستعمرة عسكرية[41]. وربما كانت البداية الفعلية للطريق الرومانية يومذاك عند الباب الشمالي للقدس، الذي تجري إليه الطريق من شارع يافا اليوم، المسماة "طريق الأنبياء"، والتي تتفرع قبل 1200 متر من وصولها إلى الزاوية الشمالية الغربية (*E* 4). وربما كان حواريّا المسيح ماشيَين على الطريق الغربية القديمة نحو عمواس بعد قيامته (إنجيل لوقا 13:24)[42]، وهي الطريق نفسها التي سار فيها تابوت الرب من كريات يعاريم إلى القدس في زمن داود (سفر صموئيل الثاني 6)[43]، فلا بد أن الطرق التي كانت تصل كريات يعاريم وهموصة بالقدس كانت تسلك في طرق مشابهة للطرق الموجودة اليوم، إلا في الحالات

---

(35) تُنظر الخريطة الإنكليزية لعام 1878، وكذلك الصور الجوية
M 752, 753,
التي تُظهر الخطين القديم والجديد كليهما. يُقارن:
Schick, *PEFQ* (1889), pp. 8f.; *PJB* (1913), p. 37.

(36) يُنظر خريطة شيك للمحيط الأوسع من القدس (1896).

(37) *Rev. Bibl.* (1894), p. 136; (1896), p. 106; (1900), p. 463; (1903), pp. 271ff.

(38) *PJB* (1913), p. 37.

(39) *PJB* (1913), p. 35; Thomsen, *Die römischen Meilensteine*, p. 77; Kuhl, *PJB* (1928), p. 123.

(40) *Rev. Bibl.* (1902), p. 429ff.; (1925), pp. 580f.; Alt, *PJB* (1926), pp. 26f.

(41) *Bell. Jud.*, VII 6, 6,
إن كنا سنقرأ *Αμμωσα* بدلًا من *Αμμαους*.

(42) Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, p. 245.

(43) *PJB* (1912), p. 25; (1921), p. 95.

التي كان الناس فيها يخرجون خروجًا كبيرًا عن المسار الأصلي، هذا إذا صرفنا النظر عن الطريق الحديثة الصناعية التي تعبر الوادي بين "قالونية" و"لفتا".

ولمّا كان وادي "عين كارم" واديًا خصبًا جاريًا بالماء، فلا بد أنه كان مسكونًا دائمًا، ولذلك، لا بد أنه كانت هناك طريق تصله بالقدس. فإن جرت في خط مستقيم، كان عليها أن تقطع التلّة الغربية، ثم أن تقطع الوديان الواقعة جنوب امتدادات التلة الشمالية الغربية. وقياسًا على ذلك، توجد اليوم طريق مباشرة إلى "عين كارم" تمر شمال دير الصليب (*F* 4)، ثم تصل في نهاية المطاف إلى سلسلة الجبال التي تقع "عين كارم" عند سفحها. وهذه هي، من دون شك، أقدم طريق واصلة إلى هذا المكان. وعلى الرغم من أن هذه الطريق لا تشتمل على صعدات أو منحدرات شديدة، فإننا لا نستغرب أن طريقًا مكتملة على المرتفعات لم تلبث أن شُقت إلى جوارها؛ إذ إن الامتداد الجنوبي الغربي للتلة الشمالية الغربية يمثل خط المواصلات الطبيعي مع الطريق الشمالية الغربية للقدس (*D* 3)، وهي، في الأحوال كافة، طريق الاتصال الطبيعية بين "عين كارم" و"لفتا". وبناء عليه، فقد جرى توسيع هذه الطريق في عام 1890، لتصبح شارعًا تسير فيه العربات[44]. وبين هاتين الطريقين طريق أخرى ثالثة تسير في البداية في اتجاه شمال غربي على التلة عند شارع العربات (*E* 2)، ثم تهبط إلى وادي "عين رَوَّاس"، ثم تنعطف من الشمال في اتجاه "عين كارم"، وإن كان من الراجح أن الطريق كانت تقصد أصلًا الوصول إلى قرية "صوبا" الواقعة أبعد إلى الغرب[45].

لكن القدس كانت في حاجة إلى طريق تصلها بالساحل الجنوبي الغربي. فإذا أريد السير في طريق لا تعترضها الوديان، فلا سبيل إلى ذلك غير السير في محاذاة فاصل البلاد المائي جنوبًا مسافة تزيد على 10 كيلومترات، ثم الانعطاف من عند قرية "الخضر" في طريق تتجه غربًا، في الفاصل المائي بين منطقة "وادي اِلصَّرار" و"نهر صُقرير"، ثم تمضي في فرعين، إلى مناطق التلال وبعد ذلك إلى المناطق

---

(44) يُنظر:

Bauer, *Volksleben im Land der Bibel*², p. 340.

(45) كان من الممكن أن نحسبها Eōbēs (اقرأها Sōbēs) الواردة في الترجمة السبعونية لسفر يشوع (15:59)، إلا أن هذا غير وارد؛ لأن قراءة Sōrēs في A تدل على "سَريس" (ص 223).

الساحلية. وفي زمان يوسيبوس[46]، كان الناس يحسبون أن مكان عمادة حاجب الملكة كندكة (Kandake) وهو في طريقه إلى غزة ربما كان عند "عين اِلذِّرْوة" الواقعة على بعد ستة كيلومترات ونصف الكيلومتر قبل الخليل؛ فالطريق المذكورة هنا تقع أبعد كثيرًا إلى الجنوب من الطريق التي تصل الشمال بالجنوب، وربما كان السبب في ذلك أن فيليبوس أُمر في سفر أعمال الرسل (26:8) بالتوجه جنوبًا. ولم تسم "عين الحنية" الواقعة في المجرى الأعلى لِـ"وادي اِلصَّرار" باسم عين فيليبوس إلا بعد الحملات الصليبية[47]. وكان الناس يتصورون أن الطريق إلى غزة كانت تمضي في هذا الوادي حتى تصل إلى "بتِّير" على أقل تقدير. أما الآن، فقد اكتشف ألت[48] دلائل على أن طريقًا رومانية كانت تخرج من هذا الوادي غرب "خِرْبِة اليهود" مباشرة، وتصعد إلى الجهة الجنوبية من فاصله المائي، ثم تعود لتهبط في طريقها غربًا على هذا الفاصل إلى مناطق التلال التي كانت تصل إليها في منطقة "وادي السنْط"، وهي المكان الذي حارب فيه داود غوليات[49]. وهناك فرع شمالي يصل من خلال "وادي اِلدِّلْبة"[50] إلى "خِرْبِة اِلرْميْلِة"، وهي بيت شيمِش القديمة، أي أنه يجري عائدًا إلى "وادي اِلصَّرار"، بحيث يمكن أن يعد هذا الفرع بديلًا من طريق الوادي التي جرى اجتنابها، والتي يمكن أن تعد، إضافة إلى الطريق الأخرى، طريقًا سلكته الحملات الفلسطينية في هجومها على المناطق الجبلية. وترد الطريقان في الخريطة الإنكليزية على أنهما رومانيتان، لكننا لا نجد حجارة ميلية إلا في الفرع المفضي إلى "وادي السنْط"[51]. ويمضي هذا الفرع بعد ذلك إلى "بيت جِبْرِين" أو إليوتيروبوليس (Eleutheropolis) الواقعة في الوسط تقريبًا بين

---

(46) E. Klostermann (ed.), *Onomastikon*, p. 52;

ويُنظر أيضًا:

Geyer, *Itinera*, pp. 25, 129;

وخريطة مادبا، و

Mader, *Altchristl. Basiliken und Lokaltradtitionen in Südjudäa* (1918), pp. 23ff.

(47) Tobler, *Topographie*, vol. 2, p. 776.

(48) *PJB* (1927), pp. 10f.; (1928), pp. 16ff.

(49) *PJB* (1913), p. 34.

(50) *PJB* (1909), p. 13.

(51) Thomsen, *Die römischen Meilensteine*, p. 80.

القدس وغزة. وكانت الطريق الرومانية تجري أول أمرها، شأنها شأن الشارع الذاهب إلى "بِتّير" (F 5. 4) وشأن سكة الحديد، عبر سهل رفائيم، أي كانت تبدأ من طريق القدس الجنوبية، حيث يبدأ أولها عند باب المدينة الغربي. ولكنَّ هناك طريقًا غربية أخرى مهمة هي تلك التي تبدأ من الباب الغربي في اتجاه الغرب، ثم تدور حول المجرى الأعلى لوادي إبن هِنّوم، ثم ترقى الفاصل المائي متجهة غربًا، ثم تتبع واديًا فرعيًا من فروع "وادي اِلصَّرار" بعد مرورها بدير الصليب بقليل (F 4)، ولكنها لا تهبط إلى الوادي الرئيس، وإنما تجري على جانبه الأيسر في أعلاه، مارةً بقرى "المالحة" والسَّعِيدِة و"عَقُّور" و"خِرْبِة شوفا" ثم تهبط بالقرب من "عَرْطوف" في "وادي اِلصَّرار". ولا بد أن تعد هذه الطريق الخط الغربي الثاني للقدس، علمًا أن طريقه التي تقطع "وادي عَقُّور" لا تظهر على الخريطة الإنكليزية. ويوجد اتصال بين هذه الطريق والطريق الرومانية المارة بِـ"بيت سقايا"، على الجهة الجنوبية للوادي. وتدل آثار طريق في "وادي اِلسِّكَّة" على أن الطريق إلى هذا الخط العرضي كانت تجري في الوادي الرئيس نفسه أيضًا. ويُستدل من التسمية المتأخرة لِـ"عين الحنية" باسم عين فيليبوس (يُنظر أعلاه)، في أي حال، على أن الوادي كان قد اتُخذ آنذاك طريقًا إلى غزة. ولكنَّ القول إن الطريق التي سلكها حاجب الملكة كانت تسير فيها العربات، بحسب سفر أعمال الرسل (8:28) والعثور بعد ذلك على فيليبوس في أسدود (سفر أعمال الرسل 8:40) يدل، بطبيعة الحال، على أن الحاجب تعمَّد في "نهر صقرير"، ثم سلك مع فيليبوس طريقًا إلى غزة مختلفة تمامًا. أما اليوم، فيمكنهما أن يسلكا طريق يافا، وأن ينعطفا من هناك إلى طريق الساحل، مارَّين بِـ"اللطرون" من طريق "القسطينة"، أو أن ينعطفا من عند "الرملة". وبطبيعة الحال، كان لكل من أسدود وعقرون ذات يوم طريقان توصلان إلى القدس.

يوم عسكر الفلسطينيون في سهل رفائيم، كما جاء في سفر صموئيل الثاني (5:18)، فلا بد أنهم صعدوا على الطريق المارة جنوب "وادي اِلصَّرار" الذي يرسم الحدود الفاصلة الطبيعية بين أرض سبط يهوذا والمناطق القريبة من القدس من الجهة الغربية. وينبغي أن نفترض أنهم لم ينزلوا في أشد أماكن السهل انخفاضًا، وإنما في الأعلى عند الطريق الجنوبية الكبيرة للمنطقة. ولذلك، فإن منطلق داود

في المعركة كان من تلة "مار اِلياس"[52]، فتكون هي بعل فراصيم المذكورة في سفرَي صموئيل الثاني (20:5) وإشعيا (21:28)، وهذا القول أرجح من قول ألت[53] بأنها كانت "اِلشِّرَفات"؛ إذ تقع هذه على ارتفاع منخفض أكثر مما ينبغي، وليست لها طريق في الاتجاه الجنوبي الغربي. وينبغي ألّا تفوتنا هنا الإشارة إلى أن كل موضع كانت له دائمًا طرق محلية تربطه بالقرى المجاورة، مما يترتب عليه وجود شبكة من الطرق تتيح للقدس الاتصال بأنحاء مختلفة من جهة الغرب. ومن الأمثلة على تحديث هذه الطرق المحلية في وقتنا الحاضر الشارع الذي يمر منذ عام 1890 على التلة الشمالية الغربية، ويتفرع من طريق يافا متجهًا إلى "عين كارم" (ص 239).

تتسم التلة الغربية للمدينة في الاتجاه الغربي بميلانها المتزايد نحو الجنوب وبارتفاع سفحها. وبناء على ذلك، ليس من العجيب أن باب القدس الغربي حاليًا، وهو باب يافا المسمى بالعربية "باب الخليل" الذي بُني، بحسب ما جاء في نقشه عام 1538 ميلادية، جاء في موقع بعيد إلى الشمال. وكذلك هي حال الباب الغربي للقدس المصور في خريطة مادبا، فهما يقعان حيث ينعطف المجرى الأعلى لوادي إبن هِنّوم وقد بات في مستوى عال نحو الغرب؛ ففي هذا الموضع لم يكن الانحدار إلى قاع الوادي شديدًا؛ إذ يمكن أن يصل الماشي في الوادي إذا اتجه غربًا إلى الفاصل المائي. أما إذا عبر الوادي إلى الجهة الثانية في اتجاه جنوب غربي، فكان يمكن أن يمضي جنوبًا، مارًا بالفاصل المائي عند انعطافه شرقًا حتى يصل إلى سهل رفائيم، ليتابع سيره من هناك في الطرقات المتاحة في السهل باتجاه الجنوب أو الجنوب الغربي. وتنطبق هذه الأحوال المعاصرة على أوضاع القدس القديمة أيضًا. ولذلك، يبدو من المفهوم أن المكان الوحيد الذي يصلح لأن يكون مكانًا للباب الغربي للقدس هو الزاوية الشمالية الغربية للمدينة، في مكان باب يافا اليوم، وإن كان أبعد إلى الشرق قليلًا، وهو بذلك حتمًا باب الزاوية (يُنظر أعلاه، ص 236). وكانت قلعة هيرودوس تقوم في القدس الهيرودية عند

(52) Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, p. 21.

(53) *PJB* (1927), p. 16.

هذه الزاوية المهمة، فكان لا بد أن يقوم باب المدينة المفضي إلى الغرب شرق القلعة تمامًا (يُنظر ص 237). أما في سور أغريبا، فمن المؤكد أن باب يافا الذي هو نفسه باب الخليل، كان يقع إلى شمال القلعة، مع أننا لا نجد ذلك بوضوح أبدًا. وقد كان المخطط الذي وضعه بيرغرين في عام 1826، قد رسم طريقين تجريان في الوادي الغربي غربًا (*F* 5)، تعبر إحداهما، وهي المارة على الطرف الشرقي للوادي، السد في نهاية المطاف، ثم تعود فتلتقي الطريق الغربية. وقد كان كوَرزميوس[54] قد مشى في هذه الطريق في حوالى عام 1620 ميلادية. وبما أن وجود هذه الطريق رهن بارتفاع السد، ولمّا كان السد في ما مضى أوطأ كثيرًا مما هو عليه اليوم (ص 200)، فلا بد من اعتبار الطريق الغربية هي الطريق الأقدم. وقد اتُخذت هذه الطريق، بطبيعة الحال، منذ أقدم العهود، طريقًا إلى الجنوب. وهناك طريق ثالثة، ذكرها كوَرزميوس أيضًا، تجري من أمام سور المدينة مباشرة نحو الجنوب، صاعدة إلى قمة التلة الغربية، ثم تصل إلى الزاوية الجنوبية الغربية للمدينة الحالية. وليس لنا أن نفترض، بوجود كتل من الأنقاض في هذه المنطقة، ولما لم تكشف أي تنقيبات بعد عن أرضية هذا الركام، أن هذه الطريق كانت موجودة قديمًا.

وكانت في القدس الرومانية، كما ورد في خريطة مادبا، طريق تمتد من الباب الغربي حتى طريق المدينة الشمالية الجنوبية، ولم يكن لها امتداد شرقًا، وإنما تظهر في الشرق مجموعة من المباني، يمكن أن تُحمل على أنها كنائس. لكننا نجد هذا الامتداد في القدس اليوم، على شكل قطاع متجه جنوبًا طوله عشرة أمتار فقط، بحيث يصل إلى ساحة الهيكل. أما إذا مددت هذه الطريق من جهة الغرب، فسنجد أنفسنا عند برج داود تمامًا. ولمّا كانت هذه الطريق تتصل بساحة الهيكل من طريق السد وطريق جسر "قوس ويلسون" (ص 86)، فيمكن أن تُعد هي نفسها الطريق التي كانت تصل في القدس الهيرودية الهيكل بقلعة الملك[55]. وربما كانت ثمة علاقة بين الجزء الشمالي من هذه الطريق، والطريق التي كان

(54) *Elucidatio*, VI 1, 3.

(55) *Antt.*, XV 11, 5, *Bell. Jud.*, V 4, 2.

ينبغي أن تجري خارج السور الشمالي للمدينة العليا التي ظلت قائمة في القدس الرومانية، لأنها بُنيت إلى حد ما فوق معسكر الفرقة العاشرة التي أنزلها تيتوس على نحو دائم في الزاوية الشمالية الغربية للمدينة العليا(56). ولا نعرف شيئًا عن أوضاع المدينة في هذا المكان في الفترة السابقة للعهد الهيرودي، إلا أن اللافت، في أي حال، أن الطريق الآتية من الباب الغربي تدخل إلى ساحة الهيكل عند الطرف الجنوبي للساحة العليا للهيكل تمامًا، أي أن الطريق تدخل إلى الهيكل من ذلك المكان نفسه الذي نقدر أن الحدود الجنوبية للمكان المقدس في أقدم صوره كانت موجودة هناك. وهذا يدل على أنه لم يكن ثمة غنى في أي يوم عن الطريق التي تربط الهيكل بالمدينة الواقعة على التلة الغربية.

وثمة طريق محيرة على نحو خاص؛ لأننا لا نجد لها امتدادًا لا من الشمال ولا من الجنوب، وهي تمتد من التلة الغربية في الشمال إلى الجنوب عبر أرض "نِكِفوْرِيِّة"، في اتجاه محطة القطار (*F* 5). وقد رُصفت هذه الطريق مؤخرًا، فصارت شارعًا تسير عليه العربات، وغُيِّر مسارها في بعض المواضع. ولا بد أن نعدها طريقًا قديمة كانت تربط طرق الشمال والغرب والجنوب، ويمشي فيها من أراد اجتناب السير في طرق الوادي الواقعة غرب المدينة، إذا لم يكن في الوقت نفسه حاجة إلى الوصول إلى باب يافا. ويمكن، من جهة أخرى، أن يكون تنظيم حدود مقبرة مامِلَّا قد قطع الصلة المباشرة بالشارع الذي يجري في محاذاة السور الشمالي للمدينة، ويصل إلى هذه الطريق تقريبًا، وهو ما يتجلى في مخطط ويلسون لعام 1865 على نحو أوضح مما هي عليه الحال الآن، لأن تنظيمًا آخر استجد منذ ذلك الحين. وقد عُدل مسار هذه الطريق يوم شُقّت بين عامي 1921 و1925 "جادة الملك جورج الخامس" التي ربطت بقوس واسع باب يافا بهذه الطريق (*E* 4, *F* 5).

وتظهر هذه المناطق في الصور الجوية الآتية: *D* 1 = *M* 775, *D* 4 = *M* 799, *D* 6. 7 = *M* 784, *D* 9 = *M* 799, *D* 10 = *M* 800a, *D* 11 = *M* 787, *D* 30 = *M* 739, *D* 38 = *M* 683,

---

(56) *Bell. Jud.*, VII 1, 1 f.; *Dio Cassius*, LV, 23.

يُقارن:

Schürer, *Geschichte* I³, pp. 634f.

M 773. 777. 778. 785. 785a. 803. 804. 821. ولا تظهر شارع "جادة الملك جورج الخامس" في الصورة الجوية الإنكليزية لعام 1925.

3 - الطرق الجنوبية

كانت الخليل في الماضي، كما لا تزال اليوم، الهدف الذي تقصد إليه واحدة من أهم الطرق المتجهة جنوبًا، كما كان الفاصل المائي هو الخط الواصل الذي كان ينبغي على هذه الطريق اتباعه. وقد كانت هذه الطريق في يوم من الأيام طريقًا رومانية كما يُستدل على ذلك من الحجارة الميلية[57] التي تنتصب على جوانبها، وإن كنا لا نجدها في القسم الأول منها. وكانت النقطة الأولى التي تسعى الطريق إليها هي ممر "مار اِلياس" الواقعة على الجانب الآخر من سهل رفائيم (*J* 4)، لكننا نجد أنفسنا هنا إزاء السؤال الآتي: هل كانت الطريق القديمة تجري في مسار الطريق التي شُقت في عام 1888، أم في مسار آخر موازٍ لها من الشرق أو من الغرب؟ وقد اعتاد الناس في القدس تسمية الخط الغربي باسم "طريق بيت لحم القديمة"، ولم يتسنَّ لي تحري صحة ما يقولون. أما بحسب ما جاء في الخريطة الإنكليزية لعام 1878، فقد كانت الطريق الشرقية هي الطريق الرئيسة [إلى الخليل] التي كانت تعود فتنضم إلى الطريق الوسطى قبل وصولها إلى "مار اِلياس" بقليل. ولكنْ، يبدو من الخريطة أن هذه الطريق الوسطى، التي هي الشارع الذي تسير عليه العربات اليوم، كانت موجودة فعلًا حينذاك، أي أنها لم تُشق حديثًا. وهناك امتداد يتفرع من فاصل البلاد المائي شرق سهل رفائيم، بين منطقتَي "وادي اِلنار" و"وادي اِلدِّرَجِة"، وقد امتدت فوقه طريق تصل إلى الصحراء الجنوبية (*G* 5 - *J* 7) وهذه الطريق توصل في المحل الأول إلى المنطقة الواقعة بين "وادي اِلنار" و"وادي اِلدِّرَجِة". وثمة طريق أخرى تصل إلى واحة "عين جِدِي"، ولا تنفصل عن الطريق الرئيسة الجنوبية إلا عند "بيت لَحْم". ولا تقع بيت لحم نفسها على طريق الخليل مباشرة، وإنما على مبعدة كيلومتر واحد إلى الشرق منها، إذا أخذنا موقع بيت لحم الأصلي في الاعتبار[58]، لأنها

(57) Thomsen, *Meilensteine*, pp. 81ff.; Alt, *PJB* (1925), p. 23; (1928), pp. 22ff.

(58) Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, pp. 31ff.

واقعة على طريق تتفرع في اتجاه جنوب شرقي، وكانت ذات أهمية في الماضي، إذ كانت تصل إلى هيروديون المسماة اليوم "جِبِل فِرْديْس" التي بناها هيرودوس لتكون نقطة مراقبة واستطلاع على تلك الطريق[59]. ولا عجب أن الطريق المفضية إلى هناك ممهدة تمهيدًا جيدًا، خاصة أن جنازة هيرودوس نفسه، على الأرجح، مرت من هناك[60]. ويفترض يوسيفوس أن سليمان نفسه اعتاد أن يذهب إلى بساتين إِتام الواقعة في هذا الاتجاه[61]. والأرجح أن الاسم العبري لهيروديون كان بيت هَكّيْرم، وهو الاسم الذي يذكره سفرا إرميا (6:1) ويوسيفوس (*Bell. Jud.* IV 9, 5) إلى جانب تقوع التي كل مقدسي يعرفها خير معرفة لأنها تُشاهد من القدس على مستوى تقوّع، حتى لو لم تكن تقوّع نفسها، كما يذكر سفر نحميا (3:14) مركزًا لمنطقة إدارية، شأنها شأن هيريدون[62]. ويستدل من كون "سهل بيت هَكّيْرِم" هو المكان الذي جيء منه بالحجارة لبناء مذبح الهيكل[63] على أن المكان كان واقعًا على طرف الصحراء، ولكنه كان قريبًا، في الوقت نفسه، من طرق المواصلات. وحتى في تلك المنطقة، اضطر الناس إلى قلع الحجارة من تحت الأرض غير المزروعة. وليس لنا أن نوافق ألت[64] في ما ذهب إليه عن أن بيت هَكّيْرِم كانت واقعة في أعلى قمة جبلية قرب "الخضر"، إذ لا توجد هناك قرية، وحيث ينبغي أن يقع "السهل" وسط أرض مزروعة ومسكونة. وإنما من الملائم أن يقع السهل في المنطقة الواقعة إلى الجنوب الشرقي من "جِبِل فِرْديْس"، حيث تذكر الخريطة الإنكليزية أن "طريقًا رومانية" كانت تمر من هناك. ولكننا، لا نستطيع، بطبيعة الحال، أن نثبت ذلك[65]. أما الطرق التي تتفرع غربًا من طريق الخليل، فقد ذكرناها لدى حديثنا عن الطرق الغربية.

---

(59) يُنظر:
Josephus, *Antt.*, XIV 13, 9; XV 9, 4; XVII 8, 3; *Bell. Jud.*, I 13, 8; III 3, 5, IV 9, 5, 9; VII 6, 1;
ويُنظر:
Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, pp. 24, 26.

(60) *Antt.*, XVII 8, 3; *Bell. Jud.*, I 33, 9.

(61) *Antt.*, VIII 7, 3.

(62) *Bell. Jud.*, III 3, 5.

(63) Midd., III 4.

(64) *PJB* (1928), pp. 19f.

(65) *PJB* (1914), p. 26.

لم تكن طريق الخليل تبدأ في القدس عند باب في الجهة الجنوبية من المدينة، وإنما من بابها الغربي، أو من "باب الزاوية" (ص 236). وترجع العلة في هذا، جزئيًا، إلى أن هذه الطريق الجنوبية البالغة الأهمية كانت تصل الطريق الشمالية، المهمة أيضًا، بالمناطق الواقعة غرب المدينة، إلا أن السبب كان، في الواقع، أنه لم مكن من الممكن أن تمتد حركة المواصلات الرئيسة المتجهة من الشمال إلى الجنوب في خط مستقيم عبر المدينة، بسبب الخندق العميق في وادي إبن هِنّوم من الجهة الجنوبية للتلة الغربية. وكان لمدينة التلة الغربية، بطبيعة الحال، باب جنوبي نُعِدّه باب الأسينيين المذكور عند يوسيفوس[66]، وباب الوادي المذكور عند نحميا (13:2؛ 13:3، سفر أخبار الأيام الثاني 9:26) (يُنظر أعلاه، ص 201 و236). وجاء هذا الباب في القدس الرومانية إلى الشمال من موقعه هذا، عند نهاية الطريق الشمالية الجنوبية للمدينة الذي يظهر في الموقع نفسه على خريطة مادبا، على الرغم من أنه ما كان بابًا خارجيًا آنذاك. وذلك غير ممكن لأن السور الذي بنته الإمبراطورة أودوتشا (Eudocia) أحاط منذ منتصف القرن الخامس الميلادي بالطرف الجنوبي للتلّتين الغربية والشرقية[67]. أما في القدس العربية، فقد نُقل باب صهيون، أي "باب اِلنِّبي داود" الذي بُني في عام 1540 ميلادية كما جاء في النقش المكتوب عليه، إلى مسافة أبعد غربًا، كي يتيح الولوج إلى المباني المقدسة القائمة على القمّة الجنوبية للتلة الغربية. ومع ذلك، لا يزال الامتداد القديم للطريق الشمالية الجنوبية للمدينة ظاهرًا، فتخرج منها طريق تهبط إلى وادي إبن هِنّوم من المنطقة التي نفترض أن باب الواد كان فيها، ثم تنعطف الطريق حول الجهة الشرقية لقمّة المرتفع الجنوبي، لتلتقي بذلك الطريق الجنوبية، التي لها، إضافة إلى هذا، امتداد يوصل إلى الطريق الجنوبية الشرقية الصحراوية التي سبق

(66) *Bell. Jud.*, V 4, 2.

(67) جاء أبكر شاهد على السور لدى يوخيريوس (Eucherius) ولدى الحاج المجهول من بيتشنزا (Anonymus Placentinus):

Geyer, pp. 127, 176,

فإذا كانت خريطة مادبا ترجع إلى حوالى عام 600 ميلادية، كما يرى:

Thomsen, *ZDPV* (1929), p. 169ff.,

لكان هذا مقبولًا. لكنْ، حتى لو كانت ترجع إلى عهد جستنيان (Justinian)، فإن ذلك لن يغير في الأمر شيئًا.

لنا ذكرها. ولمّا كان الأسينيون سكنوا الصحراء، فلا بد أن هذا الباب كان بابهم، خاصة أن استخدامه كان يجنبهم الاختلاط بجمهور الناس الذين كانوا يستعملون أبوابًا أخرى. وقد ذكر في عام 1187 أن هذه الطريق الجنوبية كانت طريقًا موصلة إلى بيت لحم[68].

وأتاح القاع المنبسط لِـ "وادي اِلنار" طريقًا إلى الصحراء الشرقية عند الطرف الشرقي لوادي إبن هِنّوم. ولمّا كان الوادي ينعطف على بُعد سبعة كيلومترات تقريبًا جنوب القدس، فإن الطريق كانت لا تلبث، في الماضي من دون شك وكما هي الحال الآن، أن تفارق الوادي (*J 8*)، وأن يتاح لها بعد ذلك أن تسير في المناطق المرتفعة حصرًا، في محاذاة الفاصل المائي بين "وادي اِلنار" و"وادي دِبْر"، وأن تصل، مرورًا بكتف جبل "اِلمُنْطار"، إلى سهل "اِبْقيْعة"، الذي لم يعدم مخارج تفضي منه إلى سهل الأردن. ويغلب أن هذه الطريق هي التي هرب منها صدقيا إلى وادي عربة من القدس التي كان يحاصرها الكلدانيون كما جاء في سفر الملوك الثاني (4:25). وينبغي أن تكون هنا أيضًا الطريق التي يمشيها كبش الفداء في يوم عيد الغفران من الهيكل إلى صحراء صوق؛ إذ إن اسم بيت هدودو، أو بيت هَرودو التي كانت تبدأ عندها هذه الصحراء[69]، يشبه اسم "خِرْبِة حَريْذان" الواقعة عند منعطف "وادي اِلنار". وبناء عليه، كان الكاهن الذي يقود الكبش، يخرج من الطريق التي وصفناها أعلاه عند المكان الذي تنفصل فيه الطريق عن "وادي اِلنار"، وكان الكاهن يرمي بالكبش من على منحدر التلة الجنوبية لِـ "حَريْذان" إلى قعر "وادي اِلنار" أضحيةً لعزازيل. أما اليوم، فأهم معلم على هذه الطريق هو دير مار سابا.

ولا بد أن هذه الطريق الصحراوية كانت تبدأ في القدس من وادي المدينة

---

(68) *Citez de Jherusalem*; Tobler, *Descriptiones*, p. 214.

وربما ذكرها أيضًا فون فورتسبورغ في عام 1165. يُنظر:

Tobler, *Descriptiones*, p. 158.

(69) Jom., VI 8; Tg. Jer. I on Lev. 16, 22;

يُقارن:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, pp. 106f.

الذي له الاتجاه نفسه، أي أن المقصود هو "باب اِلمْغاربِة" الموجود في مكان مرتفع في الأعلى، وقد بُني في عام 1541، وكان يومًا ما أحد الأبواب عند مصب وادي المدينة، وهو الباب المسمى "الباب بين السورَين" المذكور في خبر هروب صدقيا، ثم باب [الزبل] المذكور في سفر نحميا (2:13؛ 3:13 وما يلي؛ 12:31)، و"باب العين" المذكور في سفر نحميا (2:14؛ 3:15؛ 12:37)، وجميع هذه الأبواب واقعة عند الطرف الجنوبي لمدينة داود[70]. ولم يصلنا الطرف الجنوبي للقدس في خريطة مادبا كاملًا، ولكننا نتبين في المنطقة التي صُوّر فيها وادي المدينة بداية لطريق مدرّجة جارية في الاتجاه الجنوبي الشرقي، والراجح أنها هي الطريق التي اكتشفها بلِس في مكان أدنى فوق بركة سلوان[71]. وإلى الشرق من هذا المكان توجد الطريق البيزنطية التي اكتشفها كروفوت (Crowfoot) في منطقة الباب الغربي للتلة الجنوبية الشرقية، التي لم تكن تنتهي عند وادي المدينة[72].

تظهر منطقة طرق الجنوب الموجودة غرب المدينة في الصور الجوية الآتية: *D* 1 = *M* 775, *D* 7 = *M* 784, *D* 8 = *M* 806a, *M* 782. 905. 906، وتظهر الطرق في منطقة بيت لحم في الصور الجوية الآتية: *D* 31 = *M* 915, Fl. 301. 484, Fl. 303 Nr. 73 *RA*، ويظهر القسم الشرقي من الطريق الجنوبية في الصور الجوية الآتية: *D* 2 *RA*, *M* 782. 783. 809، وتظهر انعطافة "وادي اِلنار" في الصورة الجوية *M* 921.

4 - الطرق الشرقية

تقع في شرق القدس ثلاث قرى قريبة منها ينبغي أن تتصل بها بطرق المواصلات، وهي "العيزرية" وبيت عنيا و"أبوديس". أما في غور الأردن، فلا يجوز أن تظل أريحا وواحتها منقطعتين عما حولهما؛ فالملح من البحر الميت ومن البحيرات الضحلة المالحة حوله ينبغي أن يُنقل إلى المناطق الأخرى، كما ينبغي أن تصل محاصيل الحنطة الوفيرة والماشية الكثيرة (ص 176 وص 235)

(70) يُقارن أعلاه ص 233 و136. وهذا أيضًا مكان باب الفخار (المذكور في ص 206).

(71) Bliss, *Excavations*, pp. 140ff.

(72) *PEF Annual* (1927), pp. 37ff.

من الهضبة المؤابية إلى أسواق القدس. واليوم بات الجسر على نهر الأردن، الواقع شرق أريحا، مقصدًا رئيسًا للذاهبين والقادمين من الجهتين، بينما كان الناس في الماضي يجتازون مخاضات النهر، وتعنينا هنا في المحل الأول المخاضات الجنوبية الثلاث، وهي "مَخاضِة الحنو"، و"مَخاضِة حَجْلَة"، و"مَخاضِة الغورانيّة"، والأخيرة قريبة من الجسر. وتظهر في خريطة مادبا عبَّارة فوق النهر، ويبدو أنها تقوم على حبل مشدود فوق ذلك النهر، ولكنَّنا لا نجد على الخريطة كتابة تبين المكان الذي كانت فيه العبارة. وكانت الطريق تجري أبعد هذه المخاضات الثلاث شمالًا في اتجاه أريحا، بطبيعة الحال، هذا إذا كان المقصود بذلك "اِريحا" المعاصرة، وليس المدينة القديمة التي تقع عند عين الياس، على بُعد كيلومترين إلى الشمال من المدينة الحالية.

ولمّا كان "وادي القلت" واديًا ضيقًا، لا يصلح أن تُشق فيه الطرق، فكان لا بد للطريق بين أريحا والقدس التي باتت منذ عام 1890 شارعًا تسير فيه العربات، من أن تجري على الفاصل المائي الجنوبي لهذا الوادي، ثم أن تجري في الصحراء، صاعدة بمقدار 560 مترًا بين أريحا و"خان حَثْرور". وبعد أن تبلغ هذه الطريق الارتقاء الأول، مارة خلال "وادي مِذْبَح عَيَّاد"، تلتقي بها الطريق الآتية من مخاضة "حَجْلَة" التي كان لها أهمية كبيرة لأنها تمتد نحو الشرق وتتصل بالطريق إلى مكة. وكانت الطريق تمر بمرتفع "خان حَثْرور"، بانخفاض منبسط، وتدخل بعد ذلك في منطقة "وادي دِبْر"، ثم تتجه في واحد من اتجاهين: إما أن تمضي في "وادي الحوض" العميق في اتجاه جنوب غربي، لتصل إلى الهضاب الشرقية المنخفضة لجبل الزيتون، وإما أن تجري في اتجاه أبعد غربًا، فترتقي من "وادي اِلسِّدْر" من "عَرْقوبَ اِلصَّفا" حتى نصفه، ثم تمر بِـ "خِرْبِة عَرْقوب اِلصَّفا"، المسماة في الخريطة الإنكليزية "خِرْبِة علي" التي ربما كانت في يوم من الأيام حصنًا على الطريق. ثم تمر بعد ذلك على السفح الشمالي للسلسلة الجبلية الصغيرة لِـ "راس الزيامبة" (ص 55)، ثم على السفح الجنوبي للتلة الألمانية في سلسلة جبل الزيتون، حتى تصل إلى هذه السلسلة نفسها. وتبدأ الطريق الأولى بارتقاء تدريجي حتى تصل إلى ارتفاع 464 مترًا فوق سطح البحر، ثم ترتقي ارتقاء شديدًا بمقدار 151 مترًا، بحيث تدور عند الجهة الجنوبية لقمّة جبل الزيتون على ارتفاع 727 مترًا. وكان

رصف الطرقات في عام 1890 أدى إلى توسيع المنعطفات، وهو ما اقتضه "عَقَبِة جَبْر" أيضًا التي تمثل أول ارتقاء إلى المناطق الجبلية. لكنَّ الأهم من ذلك أنها تمثل آخر ارتقاء من "وادي الحوض" (*F* 9). كما أن الطريق الثانية أيضًا اقتضت وجود المنعطفات في المنطقة التي تسبق وصولها إلى "راس عَرْقوب اِلصَّفا"، ولكنَّ هذه الطريق الثانية امتازت عن الأولى بأنها لا تنحدر إلى الوديان العميقة أبدًا، ولذا كانت تُعَدّ أفضل منها من حيث الأمان. وهذه الطريق، بما في ذلك البداية المشتركة لكلتا الطريقين، رومانية[73] كما يُستدل على ذلك من الحجارة الميلية ومن حصن الطريق الذي ذكره كلٌّ من يوسيبيوس وهيرونيموس[74]. ولمّا كانت هذه الطريق تمضي حتى سلسلة جبل الزيتون، وإلى جبل سكوبس، حيث تتصل بالطريق الشمالية، فإن هذا يدل على أن غايتها كانت قيسارية، أو نيابوليس. ولكنَّ هذا الأمر لا يعني أن الطريق لم يكن لها فرع يصل إلى الباب الشرقي للقدس الرومانية، وأنه كان يصل إلى القسم الأعلى من وادي قِدْرون منحدرًا من قمة سلسلة جبل الزيتون من خلال المنحدر المسمى "عَقَبِة اِلصُّوَّان" (*D* 7)، وينحدر في الوادي قليلًا، ثم يعود فيصعد في اتجاه الباب (*E* 7)، كما يظهر في خريطة ويلسون وفي الصور القديمة. وإلى هذا، كان لا بد أن تصعد الطريق من وادي قِدْرون في خط أشد ارتقاء (*D* 6)، لتصل إلى الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة، ومن هناك إلى الباب الشمالي. أما في الماضي، فقد كانت هذه الطريق تصل إلى باب الغنم وإلى باب الحراسة [العُد] عند الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة (ص 234 وما يليها). وكانت الماشية التي يؤتى بها من الأراضي الواقعة شرقًا تصل إلى هنا أي إلى مكانها الصحيح. وإذا كانت بحوريم [بخوريم] تقع على قمة شرقية منخفضة من قمم التلة الألمانية (ص 38)، فيكون داود قد مشى في هذه الطريق عند هربه مارًا بجبل الزيتون (سفر

(73) Germer-Durand, *Rev. Augustin*, vol. 2 (1903), pp. 432ff.; Thomsen, *Die römischen Meilensteine*, pp. 78f.;

يضاف إلى ذلك حجران ميليّان ليس عليهما نقوش رأيتهما عام 1906 غرب "خان حَثْرور". ويرى كول Kuhl, *PJB* (1928), p. 124,

من غير أن يأتي بدليل كاف على كلامه، أن طريق أريحا - القدس هي أقدم طريق رومانية، وأنها ترجع إلى القرن الأول الميلادي.

(74) Klostermann (ed.), *Onomastikon*, pp. 24f.

صموئيل الثاني 15:30؛ 16:5)، ومشى فيها كذلك عند عودته من رحلته على عبَّارة نهر الأردن (سفر صموئيل الثاني 19:17، 19)، وربما فعل ذلك لأن ثورة أبشالوم تركزت في الجنوب. ولا بد أن الكشافَين اللذين أرسلهما داود (سفر صموئيل الثاني 17:18) سلكا الطريق نفسها عندما تحولا من عين روجل إلى بحوريم. ولا بد أن أنطونيوس، وهو من الحجاج المبكرين، سلك هذه الطريق نفسها، لأنه مر في طريق عودته من أريحا من عند بحوريم التي ربما كانت "خِرْبِة اِبْقيْعدان"، ثم كانت بيت عنيا - العيزرية على يساره[75]. وكان الناس في القرن الرابع الميلادي يعتقدون أن المسيح التقى مريم (سفر يوحنا 11:29 وما يليها) في الطريق بين القدس وبيت عنيا - العيزرية، قرب كنيسة بيت فاجي الصغيرة (E 8)[76]، فكأنما تصوروا أن المسيح جاء من نهر الأردن إلى بيت عنيا - العيزرية على الطريق الرومانية. ولا بد أن طريقًا كانت هناك أكثر استقامة توصل إلى بيت عنيا - العيزرية، أكثر من الطريق التي أوصلت إلى مكان التقائهما عند حدود جبل الزيتون.

ونجد شاهدًا مبكرًا على الجزء المشترك لطريقي أريحا في خبر الحد الوارد في سفر يشوع (15:7؛ 18:17) بقوله إن "طلعة الدم الواقعة جنوب الجدول"، ولا بد أن يكون المقصود بالجدول هنا هو "وادي القلت"، تقع في مقابل إحدى محطات الطريق (ص 158). وربما يكون اسم هذا المكان هو الذي حفز المسيح على جعل الطريق بين أريحا والقدس مسرحًا لأحداث المثل الذي ضربه عن السامري الرحيم المذكور في سفر لوقا (10:30). وكان كل من يوسيبويس وهيرونيموس رأيا المكان المذكور في منطقة حصن الطريق المسمى اليوم "قَلْعَة طَلْعَة اِلدَّم"، والذي لا تزال أنقاضه ماثلة. كما أن الطريق الشرقية الصاعدة إلى "خان حَثْرور" على الشارع أسفل خرائب الحصن لا تزال تسمى اليوم "طَلْعَة

---

(75) Geyer, *Itinera*, p. 170.

(76) Ibid., p. 82;

عند [الحاجَّة] سيلفيا، ولكنْ أيضًا عند [الحاج] دانيل (حوالى 1106)،

Khitrowo, *Itinéraires Russes*, p. 22;

يُقارن:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], pp. 267f.

اِلدَّم". ومن المؤكد أن قلعة كايبروس (Kypros)(77) التي بناها هيرودوس في مكان يعلو أريحا كانت على هذه الطريق الصاعدة بشدة والواقعة فوق أريحا. ويجري القول نفسه عن حصني الطريق الأقدم عهدًا ثريكس (Threx) وتاوروس (Tauros)(78) اللذين هدمهما بومبي. وما من شك في أن الطريق بين أريحا والقدس كان تلقى عناية وصيانة دائمتين؛ فعلى هذه الطريق كان لهيرودوس قصر(79) أدخل أرخيلاوس (Archelaos) عليه بعد ذلك تحسينات. وكان له أيضًا ميدان لسباق الخيل لا تزال آثاره باقية(80). كما أن أريحا كانت المركز الإداري لتلك المنطقة(81)، وكان لها شأنها في الأعمال العسكرية كذلك(82).

أما شارع العربات الذاهب إلى أريحًا مرورًا بِـ"النِّبي موسى" الذي شُق في عام 1906، فلا أهمية تاريخية له، وإنما أُريد منه تجنب الطريق المنحدرة مباشرة إلى أريحا(83) التي كانت صيانتها صعبة، فانحرف هذا الشارع عن الطريق الرئيسة قبل وصوله إلى طريق أريحا بأربعة كيلومترات. ولكنْ، ينبغي ألا ننسى مخاضات نهر الأردن الجنوبية الثلاث (ص 249) التي كانت من أهم الأماكن التي تجري إليها الطرق الشرقية للقدس قديمًا. ولا بد أن طريق أريحا التي تمر بأريحا القديمة الواقعة جنوب المدينة الحالية، كانت تجري في اتجاه أبعد من هذه المخاضات شمالًا مثل "مَخَاضِة الغوْرانِية"، الواقعة إلى الجنوب قليلًا من الجسر الحالي. وكان من الممكن، بطبيعة الحال، الوصول من أريحا إلى

---

(77) *Antt.*, XVI 5, 2; *Bell. Jud.*, I 21, 4. 9.

(78) Strabo, XVI 2, 40.

(79) *Bell. Jud.*, I 21, 4; *Antt.*, XVII 3, 2.

(80) *Antt.*, XII 6, 5; *Bell. Jud.*, I 33, 6.

تُقارَن الصورتان الجويتان:

D 70 = *M* 1029, *D* 71 = *M* 1031[a].

(81) *Bell. Jud.*, III 3, 5.

(82) يُنظر، على سبيل المثال:

Antt., XIV, 15, 3.

(83) *PJB* (1924), p. 72;

يظهر تفرع الشارع عن الطريق الأقدم عند "خان اِلمِشْراب" في الصور الجوية الآتية:
D 18 = *M* 857, *M* 867. 870, Fl. 301 Nr. 745 *RA*, Fl. 303 Nr. 165 *RA*.

المخاضة الثانية "مَخاضِة حَجْلَة" من طريق شمالية تجري في محاذاة "وادي القلت". ولكن في جنوب هذا الوادي طريق تجري مباشرة إلى المخاضة نفسها، وتهبط إلى غور الأردن قبل أن تهبط إليه طريق أريحا عبر "وادي مِذْبَح عَيَّاد". ولا بد أن تُعد هذه الطريق طريقًا قديمة كانت تفضي إلى الأراضي الشرقية، ولكنَّ هذا القول ينطبق أيضًا على طريق الحج الإسلامي ("دَرْب الحج") التي تنفصل عن شارع العربات بعد خروجه من "وادي اِلسِّكَّة"، متجهة شرقًا، ثم تجري في المناطق العالية، ولا تضطر إلى الانحدار إلا لتقطع "وادي اِلسِّدْر" عند التقائه "وادي اِلمْدَوَّرَة"، ثم تنحدر إلى غور الأردن عابرة "وادي اِكْتَيْف"، لتصل في اتجاه شمالي شرقي إلى مخاضة "حَجْلَة". وقد تعززت أهمية هذه الطريق لأنها تمر بقرب قبر موسى بحسب التراث الإسلامي، حتى أن الناس أسمتها "طريق سيدنا موسى". ولكنْ، يمكن أن يكون تاريخها أقدم من ذلك؛ فشفوْبِل[84] يُبرز مزاياها، وهو محق في ذلك، ويفترض أنها طريق رومانية، لكنَّ افتراضه هذا لا دليل عليه. ونفترض افتراضًا أن هذه الطريق كانت تفضي في يوم من الأيام إلى "مَخاضِة الحنو" الواقعة في اتجاهها نفسه، وكان في الإمكان الوصول إليها من طريق "قَصْر حَجْلَة" (بيت حوجلة) المذكورة في سفر يشوع (15: 6)، ومن طريق "وادي اللومان"[85]. وكان ارتفاع منسوب المياه في البحر الميت في أثناء القرن الماضي[86] قد منع في أول الأمر عبور هذه المخاضة، ويجري القول نفسه الآن أيضًا على مخاضة "حَجْلَة".

ومن أهم الصور الجوية التي تظهر مخاضات نهر الأردن الصور الآتية: *D* 20 = *M* 1042, *D* 69 = *M* 1041, *D* 79 = *M* 1071, Fl. 303 Nr. 744 *RA*, *M* 884. 885.

ولسنا نشك في أن الخط الذي تجري عليه الطريق من أريحا إلى القدس

---

(84) *PJB* (1907), pp. 111f.

(85) يُنظر:
PJB (1913), p. 25,
وقد بدا لي أن هذا الوادي يصب في نهر الأردن لا في البحر الميت. وحبذا لو يتاح البحث في الأمر مرة أخرى.

(86) *PJB* (1908), pp. 80ff.

عبر "وادي اِلسِّكّة" خط قديم، لأنه الخط الطبيعي الذي يمكن أن تتبعه الطريق المحلية بين بيت عنيا – العيزرية وأريحا، كما أنه الخط الذي يمكن أن يصل بيت عنيا – العيزرية بالحقول الموجودة في الوادي التي يحتمل أنها كانت تتبع لها. ويضاف إلى ذلك أن العين الموجودة على الطريق المسماة "عين الحوض" كانت تجذب إليها الإنسان والحيوان معًا. وربما اختلف مسار الطريق القديمة في أنها كانت تصل إلى قمة بيت عنيا مباشرة من خلال المرور بشِعب العين كانت من دون أن تتبع التفافة شارع العربات. وفي جميع الأحوال، من الثابت أن هناك طريقًا في المناطق المرتفعة، تنحدر من "العيزرية" على الفاصل المائي بين "وادي اِلسِّكّة" و"وادي أبو هِنْدِي"، حتى تهبط إلى "خان اِلسَّهْل"[87]. ويمكن أن يذهب الماشي في هذه الطريق إلى طريق أريحا، ويمكن أيضًا أن يتبع طريق الحج القديمة من طريق "النبي موسى" إلى مخاضة "حَجْلَة"، بحيث يبدو أن هذا الخط كانت له أهميته في القدم أيضًا (يُنظر أعلاه، ص 253). وكانت الأناجيل (إنجيل متى 21:1 وما يليها؛ أنجيل مرقس 11:1؛ إنجيل لوقا 19:29 وما يليها؛ إنجيل يوحنا 12:12) قد افترضت وجود طريق توصل من بيت عنيا أو من بيت فاجي إلى القدس من طريق جبل الزيتون (*E* 8. 7)[88]، حتى جاء إبيفانيوس[89] فأكد أنها طريق قديمة معروفة. وكان عبد الملك هو الذي شق في حوالى عام 700 ميلادية الطريقين الواصلَين بين القدس ويافا، وبين القدس ونهر الأردن، ليسهِّل للحجاج المسلمين الوصول إلى الحرم القدسي[90]، وربما يكون هذا العمل هو الذي أضفى على الطريق من بيت عنيا مسارها الحالي الذي يدور من جنوب جبل الزيتون (*F* 7). وكان الحاج الهولندي فِلِمْش (Willemsz)[91] خرج

(87) لا تظهر على الخريطة الإنكليزية إلا جزئيًا، ولكنْ، يُنظر:
PJB (1914), p. 8.

(88) Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, pp. 265ff.

(89) *Adv. haer.*, XLII.

(90) في ما يتصل بالنقش الذي عُثر عليه عند "خان حَتْرور"، يُنظر:
Clermont-Ganneau, *Rec. d'Arch. Or.*, I, pp. 201ff.;

وفي ما يتعلق بحجر ميلي آخر في شأن بناء هذه الطريق، يُنظر:
Rev. Bibl. (1897), pp. 105f.

(91) *Bijdragen voor de geschiedenis van Haarlem*, vol. 11, pp. 95ff.

في عام 1525 من باب صهيون وسار على هذه الطريق حتى وصل إلى بيت عنيا - العيزرية. ولكنْ، على خريطة ويلسون لعام 1865 لا تظهر غير الطريق المباشرة الواصلة بيت عنيا وتلة "وادي قَدُّوم" (F 8)، كما لو كانت هي الطريق الوحيدة في هذه المنطقة، فلا تظهر فيها انعطافة شارع العربات الحالي التي تقع شرق "وادي قَدُّوم". وكان الشارع يتجه، شأنه شأن الطريق التي تمر بطريق جبل الزيتون، نحو باب إستيفانوس المسمى بالعربية "باب الأسباط الذي بُني في العامين 1538/ 1539، ويغلب أنه سمي بهذا الاسم نسبة إلى الحجاج الذين كانوا يأتون المدينة ليحتفلوا فيها بالعيد. وكانت هذه الطريق موجودة في الفترة الرومانية كما تشهد على ذلك خريطة مادبا، وكان الحجاج يسمونها، اقتداءً بالتقاليد التوراتية، "باب بنيامين"[92]. ولم يتيسر الاتصال بالباب الشمالي وبالشوارع الأخرى القريبة من القدس إلا بفضل شارع العربات الحالي الذي شُق في عام 1890[93]، والذي لا يظهر في الصور الأقدم. أما في القدس في زمن نحميا، فكان باب إستيفانوس يقابل "باب الغنم" و"باب الحراسة" معًا (ص 250)، وإن كان موقعهما إلى الجنوب قليلًا من مكانهما اليوم، وكان الثاني منهما يفضي إلى قلعتَي الملك والهيكل. ويذكر سفر نحميا (3:29) أنه كان للقدس "باب شرقي" حقيقي أيضًا. وربما كان هذا جنوب الباب الشرقي للهيكل في العهد الهيرودي[94] الذي كان يسمى "باب الكاهن"[95]، والأرجح أنه كان يقابل باب الحراسة القديم. وقد ظن اليهود أنه ظل قائمًا بعد هدم

---

(92) Geyer, *Itinera*, pp. 137, 146, 224.

(93) يُنظر:

Schick, *PEFQ* (1890), pp. 249f.

حيث يذكر التعديلات التي أُدخلت على الطريق الأصلية التي كانت موجودة بطبيعة الحال، ولكنها لم تكن منبسطة [كحالها اليوم].

(94) Midd. I 3.

ويُقصد بذلك الباب الشرقي للساحة الداخلية:

Ber., IX 5.

(95) Midr. on Hsl. 2, 9 (31a);

غير أن يوسيفوس لا يذكره أبدًا. وفي الخبر أن المتعصبين فتحوا أبواب القدس للأدوميين، حيث كان من الممكن أن يشمل الخبر ذكرًا لباب شرقي للمعبد، ولا تترك رواية يوسيفوس مجالًا للقول بوجوده

(*Bell. Jud.*, IV 4, 6. 7).

القدس[96]، وقد ذكر أنطونيوس[97] في حوالى عام 570 ميلادية الأنقاض التي كانت لا تزال ماثلة لما أسماه "الباب الجميل"، حاسبًا، بغير وجه حق، أنه الباب المذكور في سفر أعمال الرسل (2:3)[98]. ويظهر الباب في خريطة مادبا، ولا تزال تُشاهد اليوم في عضادات الباب في المبنى البيزنطي أجزاء يمكن أن ترجع إلى العهد الهيرودي. وفي القرن السادس ميلادي[99] أُقيم الباب المسمى "الباب الذهبي" الحالي، المسمى بالعربية "باب اِلضاهِرِيِّة"[100] [البوابة الدهرية أو باب الرحمة]، وفي الأغلب أنهم استخدموا في بنائه تلك الأنقاض القديمة. ويبدو أن هذا الباب ما كان يُفتح في الماضي إلا للقيام بشؤون الهيكل حرصًا على سلامة الهيكل. وكان ثمة سبب آخر لذلك أيضًا هو أن الصعود إلى هذا المكان من طريق وادي قِدْرون كان شاقًا. ووصف أركُلف[101] في حوالى عام 670 ميلادية طريقًا مدرَّجة ترقى إلى هنا، وباب صغير هو، على الأرجح، الباب المسدود اليوم الواقع جنوب الباب الذهبي الذي سمّاه مجير الدين "باب الجنايز" (باب الجنائز)[102]، ووصفه دو سولسي أيضًا[103]. ولم يكن الصعود إلى باب إستيفانوس الحالي مختلفًا كما ذكر أنطونيوس[104]، وما زالت تُرى اليوم آثار هذه الطريق المدرَّجة. ويظهر المرتقى إلى البابين في رسم لِلبلجيكي زولارات (Zuallart) كما رآهما في عام 1586[105]. ولكنْ كانت هناك

---

(96) Midr. on Hsl. 2, 9.

(97) Geyer, p. 171.

(98) يُنظر:
Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, pp. 313, 405.

(99) بل إن فنسنت يرى أن البناء يرجع إلى عهد الإمبراطورة أودوتشا (حوالى عام 439)، ولكن يصعب قبول رأيه هذا لاعتبارات متصلة بتاريخ الطرز المعمارية. يُنظر:
Vincent, *Jerusalem*, vol. 2, p. 910,

(100) de Vogüé, *Le Temple de Jérusalem*, pp. 12, 51, 64ff., *Pl.* VII-XII; Schick, *Stiftshütte, Tempel*, pp. 285ff.

(101) Geyer, p. 224.

(102) Sauvaire, p. 128.

(103) de Saulcy, *Voyage autour de la Mer Morte*, p. 198.

(104) Geyer, p. 170.

(105) Ammann, *Reiß ins Globte Land* (new edition 1919), Abb. 57.

طريقة أيسر للصعود إلى المدينة، بالمرور من شِعب بيزاتا. لكنَّ ذلك كان قبل أن يُردم الشِعب في المكان الذي كان يلتقي فيه وادي قِدْرون. فلمّا كنا نقدِّر أن باب الحراسة وباب الغنم كانا عند الطرف الجنوبي للشِعب، فيمكن أن الطريق الصاعدة إليهما كانت أيسر.

وتربط الطريق بين بيت عنيا – العيزرية بحي "سلوان" (*F* 7) اليوم باستخدام شارع العربات. وقياسًا على ذلك، نفترض أنه كانت هناك طريق مباشرة تصل بين بيت عنيا وأريحا من جهة و"باب الماء" و"باب الخيل" المذكورَين في سفر نحميا (3:26، 28؛ 12:37) من جهة أخرى؛ فهذه الطريق هي أقدم الطرق التي كانت تمر من جنوب جبل الزيتون. ولم يتخذها داود طريقًا له في هربه، لأنه تعمد اجتناب السير في الطريق التي تمر بِـ"وادي اِلسِّكَّة"؛ إذ كان يتوقع أن يأتي التهديد لحملته من الجنوب في المحل الأول (يُنظر ص 251). وكان من المهم في القدس الهيرودية أن يكون الوصول من باب العوفِل إلى بابَي الهيكل الجنوبيَّين[106] يسيرًا، واللذين كانا يفضيان إلى ساحة الهيكل الخارجية مرورًا بالدرجَين الموجودين في أسفل البازيليكا التي بناها هيرودوس[107]. وقد أسماهما اليهود بابَي خُلْدة[108]، والراجح أن ذلك راجع إلى أنهم اعتقدوا أن قبر هذه النبية المذكورة في سفري الملوك الثاني (22:14) وأخبار الأيام الثاني (34:22) كان قريبًا منهما[109]. فقد رأوا أن من المهم أن يظل هناك باب يُنسب إلى خُلْدَة[110]، وهو نفسه الباب المسمى "الباب المزدوج" الموجود تحت المسجد الأقصى[111]. وكان لا بد في الفترات كلها من وجود طريق تجري في الوادي على طول وادي قدرون تؤدي إلى الأماكن المرتفعة الموجودة جنوب

---

(106) *Antt.*, XV 11, 5.

(107) de Vogüé, *Le Temple*, pp. 8, 11ff., *Pl.* IV-VI, Warren, *Excavations*, *Pl.* VII. XXV.

(108) Midd. I 3.

(109) Tos. Bab. b. I 11; Neg. VI 2, j. Naz. 57[d]; Ab. R. N. 35, Sem. 14.

(110) Midr. on Hsl. 2, 9 (31[a]).

(111) أما الباب الآخر المسمى "الباب الثلاثي" الذي يقابل الباب الجنوبي للمعبد، فيرجع بناؤه إلى زمن أحدث.

الوادي وشماله. ولم يكن ثمة بد من أن تتيح الطرق الوصول إلى "باب الخيل" و"باب الحراسة" من الجهات كلها، لوجود قلعة الملك خلفهما. وكان لا بد من وجود طريق منحدرة تتيح إمكانية ركوب الدواب عليها، كالطريقين اللتين تتفرعان اليوم من الطريق التي تمتد من سور المدينة الجنوبي إلى الوادي، في اتجاه الجنوب والشمال الشرقي (*F* 6).

وإذا انتقلنا إلى داخل المدينة، وجدنا أن الطريق الآتية من باب إستيفانوس تتابع مسيرها اليوم من خلال طريق تتجه غربًا، وتظهر في خريطة مادبا، ثم تتابع سيرها حتى تصل إلى غايتها عند الطريق الشمالية الجنوبية المارة بوادي المدينة. ولا بد أن هذه الطريق مرت في البداية، بحكم موقعها، من الطرف الشمالي لـ"بركة بني إِسْرايين"، ثم سارت عبر الخندق الذي يفصل الصخر الذي كانت تقوم عليه ذات يوم قلعة أنطونيا عند امتداد التلة الشرقية. ولسنا نملك إلا أن نتصور أن القادمين من الشرق كانوا في القدس الهيرودية يتلقون إرشادًا، وهم لا يزالون خارج المدينة، بأن يمروا من عند القلعة، وكان يمكن أن ينعطفوا إلى المدينة داخلين من باب ضاحية المدينة. وبما أن الباب الشمالي لساحة الهيكل كان مغلقًا (ص 235)، فلم يكن في الإمكان الوصول إلى الهيكل إلا من خلال هذه التحويلة. وليس من باب المصادفة أن يذكر إنجيل متَّى في الآية العاشرة من الأصحاح الحادي والعشرين أن المسيح دخل المدينة، ولكنه لا يذكر أنه دخل الهيكل إلا في الآية الثانية عشرة. وقد أعاق هذا الإجراء الناس عن اختصار المسافات بالمرور من الساحة الخارجية للهيكل، وهو ما كان محرَّمًا عليهم[112]. لكنَّ هذا لم يمنع الناس من المرور من المعبد لاختصار مسافة بعض الطرقات في المدينة. وفي الطريق التي تمر بباب إستيفانوس غربًا يقع القوس المسمى "إتشيه هومو" (Ecce Hommo)[113] الذي كان في الأصل بابًا ثلاثي الأقسام يصل القسم الأوسط منه بين طرفي الطريق الحالية. ولم يقرن الناس بينه وبين قصة عذابات المسيح المذكورة في إنجيل يوحنا (19:5) إلا بعد الحروب الصليبية، حين

---

(112) Ber. IX 5.

(113) Wilson, *Ordnance Survey of Jerusalem*, p. 75, *Phot. page* 27, de Vogüé, *Le Temple*, p. 125, Vincent, *Jérusalem*, vol. 2, pp. 24ff.

باتوا يعتقدون أن بيت القضاء الذي كان يجلس فيه بيلاطس كان موجودًا في قلعة أنطونيا[114]. لكننا لا نجد خبرًا عنه قبل ذلك عند الحجاج المسيحيين، كما أن فسيفساء مادبا لا تصوره، وهي التي تحكّمت في تصميمها اعتبارات كنسية. أما نمطه المعماري، فيرجع إلى فترة تالية لعهد هادريان، وترجح كرونيكُن بسكاله (*Chronicon Paschale*) بناءَه على هيئة "بناء ثلاثي الأقواس" (Trikamaron) في عهد هادريان[115]. ويُستدل من بقايا الجص الموجودة على الجهة الشرقية من القوس أنه كان متصلًا بساحة صغيرة. ولمّا لم يكن له مصاريع تُغلق، فلم يكن بابًا شرقيًا للمدينة، خلافًا لما قال به فنسنت، كما لم يكن مدخلًا لقلعة أنطونيا[116]، وإنما كان بناء تجميليًا فحسب. ويُستدل على ذلك من موقعه على أعلى نقطة في الطريق المتجهة غربًا، في المكان الذي تبدأ فيه بالانحدار نحو وادي المدينة، ولا بد أن مكانه هذا جعله للناظر من الأسفل ومن الجهة المقابلة له بينًا واضحًا. وربما كان السبب المباشر في اختيار هذا المكان لبناء القوس هو أن هادريان، أو جيشه، كان ينوي دخول المدينة منه. وفي أي حال، كان بناء قوس النصر هذا دليلًا على استبدال القدس اليهودية استبدالًا قاطعًا بمدينة إيليا كابيتولينا التي سُميت بهذا الاسم نسبة إلى إيلوس هدريانوس. وعُثر في الجزء الشمالي من القدس على نقش مكرَّس لهادريان[117] رأى فيه فنسنت أنه كان جزءًا من قوس النصر، تابعًا، على الأرجح، للباب الشمالي.

وفي زمن نحميا، كان مسار الطريق يمتد من الشرق إلى الجنوب. وربما كان لهذه الطريق المسار نفسه الذي كان للطريق التي تخرج من "باب اِلنَّاظِر"

---

(114) Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, pp. 356, 364, *PJB* (1906), pp. 18ff.; Vincent & Abel, *Jérusalem*, vol. 2, pp. 614ff.

(115) يرى فنسنت، أن هذا وصف لمعبد جوبيتر ذي قدس أقداس ثلاثي كان يقوم في الساحة في وسط المدينة، ولا نعرف عنه شيئًا، ولا يؤتى على ذكره عند الحديث عن الإعمار المسيحي في أيام قسطنطين. كما أن من غير المألوف أن يكتفى عند الحديث عن معبد لجوبيتر بذكر صفاته المعمارية عوضًا عن اسمه، يُنظر:
Jérusalem, vol. 2, p. 10.

(116) هذا هو رأي:
Meistermann, *Guide*², p. 147.

(117) Thomsen, *Die lateinischen und griechischen Inschriften der Stadt Jerusalem*, p. 22.

إلى ساحة الهيكل غربًا، والمسماة "عَقَبة اِلتّكِيّة"، ما دامت واقعة حينذاك ضمن أسوار المدينة.

ينبغي أن نولي طرق جبل الزيتون نفسها عناية خاصة (*E* 7) لأنها مهمة في تحديد مسارات الطرق شرقًا بطبيعة الحال. وهي مهمة أيضًا لأنها توصل إلى جبل الزيتون نفسه، بما فيه من حقول الزيتون التي منحته اسمه، ولأن المقدسيين ما انفكوا يزورونه لما له من قدسية عندهم. ولكننا سنبدأ بذكر الطريق بين جبل الزيتون والطريق الشمالية عبر سلسلة جبل الزيتون التي ما عادت اليوم إلا طريقًا محلية بين قريتَي "الطُّور" و"شُعْفاط" والمناطق الواقعة شمالها، عدا تلك المقاطع التي تصل جبل الزيتون بالقدس من طريق جبل الزيتون الجديدة التي استعاضت عن بعض منعطفات الطريق القديمة بخط مستقيم. وكنا ذكرنا في ص 250 أن الجزء الواقع شمال التلة الألمانية من هذه الطريق كان جزءًا من الطريق الرومانية بين قيسارية، وأريحا من طريق نيابولس، كما يشهد على ذلك حجر ميلي كان موجودًا هناك. ويتفرع من الطريق الرومانية المتجهة إلى أريحا قبل التقائها الطريق التي على قمة سلسلة جبل الزيتون، طريق فرعية أخرى تتجه جنوبًا إلى القمّة نفسها، ويبدو أنها كانت تتجه أبعد نحو الطرق الثلاث شمالًا، والواقعة على السفح الغربي لجبل الزيتون، بحيث توصل إلى باب المدينة الشرقي.

ثمة طريق لا تزال كثيرة الاستعمال تصل الجهة الشرقية من جبل الزيتون بِـ"وادي اِلسِّكّة"، وهي تنحدر شمال التلة الروسية على الجهة الجنوبية لِـ"وادي اِلسَّهْل" (*E* 7. 8)، ثم تقطع "وادي اللحام"، لكنها لا تلبث أن تنعطف راجعة إلى جهته الشمالية، وتتخذ هنا اسم "وادي اِلسَّادّة"، نسبة إلى صخرة موجودة في مجرى الجدول، وتظل في هذه الجهة حتى تلتقي بعد ذلك هي و"وادي عَراق نازِل" "وادي الحوض" وطريقه. وكان شيك رأى على هذه الطريق، عند سفح جبل الزيتون، آثار مكان قديم، فقدّر أنها يمكن أن تكون بيت فاجي[118]. والأَولى أن نفترض أن يكون موقع آصَل (آصيل) المذكورة في سفر زكريا (5:14) في مكان ما هنا (ص 51)،

---

(118) *PEFQ* (1897), p. 117.

والذي ينبغي على جبل الزيتون أن ينشطر ذات يوم حتى يصل إليه[119]. ويمكن اعتبار هذا الموقع مكانًا بنيامينيًا، لأنه يذكر في سفر أخبار الأيام الأول (37:8 وما يليها؛ 43:9 وما يليها) شخصًا بنيامينيًا اسمه "آصيل"، ولكنْ يمكن أن يُحمل اسمه على أنه اسم مكان، كما هو ثابت من أسماء ستة آخرين من أفراد العائلة نفسها؛ فإضافة إلى [الشخص المسمى] "عَليْمِت" هناك مكان اسمه "عَليْمِت" (سفر أخبار الأيام الأول 45:6) وللشخص المسمى "عَلموْن" (سفر يشوع 18:21) توجد اليوم "خِرْبِة عَلْمِيت"، وللمسمى "عَزماوت" المذكور في سفري عزرا (24:2) ونحميا (28:7؛ 29:12) يسمى المكان اليوم "حِزْمِة"، وللمسمى "موتسا" ("هَموْتسا") (سفر يشوع 26:18) يسمى المكان المسمى اليوم "قالونية"، وللمسمى "رافا"، المكان الحالي المسمى "رافات"، ولـ "زمْري"، هناك، "خِرْبِة راس اِلطَّويل" الواقعة على "وادي زمْري"، ولِـ "أيْلْعَسا" "خربة العسا"، وكلها واقعة في المنطقة البنيامينية.

فإذا بحثنا عن بداية هذه الطريق التي تكلمنا عليها أعلاه، وجدنا أنها تتمثل اليوم، من دون شك، في الطريق القديمة لقمّة جبل الزيتون وفي قرية "اِلطُّور". واللافت، في أي حال، هو أن السفح الشمالي لجبل الزيتون (يُنظر أعلاه) المسمى بالعربية "طَريق اِلمراعي"، يبدو استمرارًا دقيقًا لهذا الخط، لكننا لا نجد استمرارًا له عند القمّة. ويبدو أن هذه الطريق تمثل خطًا قديمًا كانت تتبعه طريق أريحا، وكان ينطلق من الباب الشرقي للقدس، ثم يتجنب الانحدار الشديد إلى "وادي الحوض"، كما يتجنب المرور في أشد أجزاء طريق الوادي ضيقًا، ولا يدخل في الوادي إلا حيث يغدو الأخير أعرض. وكانت لهذه الطريق ميزة أخرى هي أنها ترتقي إلى جبل الزيتون البالغ ارتفاعه اليوم 103 أمتار (كان يبلغ أصلًا 110 أمتار)[120]، والذي كانت الطريق تقطعه في المنخفض بين تلة الجليل وتلة الصعود إلى السماء، ولم يكن منحدرًا انحدارًا شديدًا، وإن لم يخلُ من ذلك في بعض أجزائه.

(119) الجدير بالإشارة هنا أن ذراع المحراث لا تسمى في اللهجة الفلسطينية الشرقية "ياصول"، وإنما "أُصال"، الأمر الذي يتيح لنا الافتراض بأن "أصيْل" تقع عند "وادي ياصول" في "بيت ساحور العتيقة" (ص 151)، وإن كانت بيت ساحور تقع في منطقة سبط يهوذا.

(120) تُنظر الخريطة الإنكليزية الجديدة، ويُنظر كذلك:
Warren, *Excavations*, *Pl.* 2.

أما أكثر الطرق ارتفاعًا في جبل الزيتون للقادم من القدس، فهي الطريق الوسطى المسماة بالعربية "طريق الخلوة"، نسبة إلى مقام إسلامي يقع عند المكان الذي بكى فيه المسيح (إنجيل لوقا 41:19)، وهي طريق تقع على الكتف الغربية والجنوبية الغربية لجبل الزيتون، لكنها، شأنها شأن الطريق الشمالية، لا تتجه إلى تلة الصعود إلى السماء مباشرة، وإنما إلى سفحها الجنوبي، بحيث تقع أعلى نقطة في هذه الطريق جنوب تلة الصعود إلى السماء، على ارتفاع 799.04 مترًا، أي أدنى بتسعة أمتار تقريبًا من ارتفاع أعلى قمة. وقد اشتملت هذه الطريق في القرن التاسع الميلادي على 537 درجة[121]، وكانت هي تحديدًا تُعَدّ الطريق التي مشى فيها المسيح عند دخوله إلى القدس (إنجيل متى 1:21 وما يليها؛ إنجيل مرقس 1:11 وما يليها؛ إنجيل لوقا 29:19 وما يليها؛ إنجيل يوحنا 12:12 وما يليها)، وكانت [الحاجَّة] اِثيريا (Aetheria)[122] أول من ذكر هذه الطريق في القرن الرابع الميلادي، وكان من المؤكد آنذاك أنها هي طريق جبل الزيتون الواصلة من بيت عنيا وبيت فاجي إلى القدس. وتتفق هذه الأقوال مع الوضع الطبيعي لهذه الطريق، فأقرب بداية لهذه الطريق [إلى جبل الزيتون] هي بيت عنيا التي تمس الطريق طرفها الشمالي، ثم تتجه إلى أريحا (ص 253 وما يليها). ولا يقتضي هذا المسار أن تصل الطريق إلى بيت عنيا – العيزرية القديمة نفسها (تُنظر الصورة الجوية *M* 842. 846). ويمثل الممر بين "راس اِلشَّيَّاح" والتلة الروسية (*E* 8) السبيل الوحيد للوصول إلى جبل الزيتون من التلة التي تقع بيت عنيا تحتها، بالانحدار في محاذاة التلة الروسية حتى الكتف الجنوبية لتلة الصعود إلى السماء. أما الهبوط من هناك إلى وادي قِدْرون على ظهر الدواب، فلم يكن مريحًا في أي زمن من الأزمان، حتى لو لم يكن فيه ذلك العدد الكبير من الدرجات، كما كانت الحال عليه في القرن التاسع ميلادي. لذا، افترض ذوو العلاقة أن المسيح نزل عن ظهر

---

(121) *Commemoratio de casis Dei*; Tobler, *Descr. T. S.*, p. 83.

(122) Geyer, pp. 83f.

يُقارن:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], pp. 273f.

الأتان[123]. أما مَن أراد اجتناب السير في هذه الطريق، فكان عليه أن يسير في المنحدر الشمالي، الذي يمكن الوصول إليه سريعًا من طريق تلة الصعود إلى السماء.

هناك مرتقى ثالث إلى جبل الزيتون هو المرتقى الجنوبي الذي يتفرع عن الطريق الوسطى في المكان نفسه الذي يتفرع فيه المرتقى الشمالي عنها أيضًا، ثم يرتقي على هيئة قوس في اتجاه جنوب شرقي، ثم لا يلبث أن ينعطف في التلة انعطافة مفاجئة نحو الشمال، ليعود فيلتقي الطريق الوسطى. وتسمى هذه الطريق بالعربية "طريق تُرْبِة اليهود"، أي "طريق مقبرة اليهود"، لأنها تقطع مقبرة اليهود، وتجري فيها اليوم هابطة حتى شارع العربات، وأكاد أحسب أن حوذيًا ألمانيًا لا يجرؤ على فعل ذلك. وهذه الطريق كانت موجودة في عام 1865، ويبدو لي أن خطها غير طبيعي، وإنما تشكل، بحسب حدود الأراضي المحيطة بها، استجابة لرغبة القائمين على شقها في جعلها سهلة يسيرة. ولكنها تمتد في الأسفل غربًا، فتدخل عند قبر أبشالوم في طريق الوادي الآتي من وادي قِدْرون، وتلتقي هناك الطريق المارة عند سور المدينة الجنوبي. وتتفرع من المنطقة التي تنعطف فيها الطريق درب تنحدر إلى قرية "سِلوان". وبناء عليه، نجد هناك طرقًا يمكن أن تكون هي التي اتخذها داود في هربه من مدينة داود خارجًا من باب الماء، مارًا بعد ذلك بجبل الزيتون (سفر صموئيل الثاني 15:23، 30). بل يمكن أيضًا أن يكون المسيح مشى في هذه الطريق الجنوبية متجهًا إلى الهيكل. لأن الوصول إليه من الجنوب أسرع من الدوران حول قلعة أنطونيا في الشمال (ص 257). وفي أي حال، يمكن أن يكون ثمة اتفاق متين بشأن الافتراض القائل بنزول يسوع من باب الماء، ومشيه في الاتجاه الشمالي الشرقي إلى طريق الوادي في وادي قِدْرون مع ما جاء في إنجيل يوحنا (18:1، يُنظر إنجيل لوقا 22:39) مع أنه خرج من البيت الذي تناول فيه العشاء الأخير، ومشى عبر وادي قِدْرون إلى البستان في جبل الزيتون، هذا إذا كان المكان الذي تناول فيه عشاءه

---

(123) Bernardus (865); Tobler, *Descr. T. S.*, p. 95;

يُقارن:

Tobler, *Siloahquelle und der Ölberg*, p. 247.

موجودًا في "المدينة العليا". ويصح القول نفسه على عكس ذلك أيضًا، أي على الطريق [التي سلكها يسوع] من الجثمانية إلى قصر حنَّان (بحسب إنجيل يوحنا 12:18)، أو إلى قصر قيافا (بحسب إنجيل متى 57:26) إن كان سلك طريق الذهاب نفسها. ولذلك، فهذا هو الأساس في زعم الناس أنهم رأوا عند "الجسر الأزرق الأسفل" فوق مجرى ماء وادي قِدْرون، وهو الجسر الذي ذكره فَابري (Fabri)(124) في عام 1483 وفِلِمْش(125) في عام 1525 ورسمه زولارات(126) في عام 1586، آثار أقدام المسيح ماثلة في الصخر الذي في قاع الوادي يوم مشى ذاهبًا إلى الأسر.

ليس بين أيدينا حتى اليوم أدلة أكيدة من العهود القديمة على وجود الطريق الجنوبية لجبل الزيتون. وكان مارينو سانوتو (Marino Sanuto) (في حوالى عام 1310 ميلادية)(127) رسم على خريطته ثلاث طرق لجبل الزيتون، ووصف الجنوبية منها بأنها الطريق التي سلكها يسوع على أتانه، ولكنَّ هذه الطريق تصل إلى بيت عنيا - العيزرية على الجهة الأخرى من جبل الزيتون من دون أن تقطع الجبل. ويبقى من غير المفهوم [في هذه الخريطة] لماذا جعل سانوتو موضعَي الخيانة للمسيح وعذاباته بين هذه الطريق ووادي قِدْرون؟ وكذلك ذكر أمّان (Ammann)(128) في عام 1612 ثلاث طرق لجبل الزيتون، ولكن من الواضح عنده أن الطريق الجنوبية التي تبدأ من تحت الجثمانية هي نفسها شارع العربات الموجود حاليًا. ولا تجد عند بيرغرين (1826) غير هذه الطرق الثلاث أيضًا، بينما يذكر روبنسون (1841) طريق جبل الزيتون الثالثة التي ذكرناها، لكنه يجعل لها امتدادًا مباشرًا نحو الشرق.

تلتقي طرق جبل الزيتون الثلاث أول الأمر الطريق التي تمر من شمال المكان الذي تقول التقاليد الدينية إنه بستان الجثمانية. ويصب في هذه الطريق من

---

(124) Haßler ed., vol. 1, p. 414.

(125) *Bijdragen*, vol. 11, pp. 95f.

(126) Ammann, *Reiß ins Globte Land* (1919), Abb. 36. 52. 56.

(127) Tobler, *Planographie*, Bl. III; Röhricht, *ZDPV* (1898), Tafel IV.

(128) Ammann, *Reiß ins Globte Land (1919),* Abb. 36.

الجنوب شارع العربات الآتي من أريحا، الذي يكون قد تبع خط وادي قِدْرون، ثم قطع بعد ذلك وادي قِدْرون مارًا فوق جسر أُدخلت عليه تحسينات عندما شُق شارع العربات، وإن كان فيه قبل ذلك منفذ للماء، حتى يمكن أن نعده جسرًا[129]، وكان فَابري قد ذكره في عام 1483[130]. وفي الجهة المقابلة من الوادي، نرى في آخر المطاف طريقًا حسنة التمهيد تنعطف انعطافة واسعة في اتجاه باب إستيفانوس، الذي يظهر في ما يبدو على خريطة فان دي فيلديس (van de Veldes) لعام 1858، والتي تظهر، في أي حال، في صور تعود إلى عام 1870. كما تظهر في الصور طريق تصل إلى الباب مباشرة، لكنها اختفت منذ ذلك التاريخ، وتظهر أيضًا طريق تصل إلى الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة التي حل في محلها شارع العربات الذي شُق في عام 1889، والذي اتبع مسارًا أفضل من مسارها. وفي ما يتعلق بالأحوال في القدس القديمة، يُنظر ص 254 أعلاه.

تظهر الصور الشرقية في الصور الجوية الآتية: *D* 2, *D* 4 = *M* 779, *D* 15 = *M* 836, *D* 16 = *M* 792, *D* 17 = *M* 844, *D* 18 = *M* 857, *D* 19 = *M* 862, *D* 20 = *M* 1042, *M* 789. 777. 778. 827. 837, Fl. 301, Nr. ?, Nr. 735*RA*، وتظهر القدس والمناطق الشمالية الشرقية في الصور الجوية الآتية: *RA*, Fl. 303 Nr. 92 *RA*, Nr. 136. 137 *RA*, Fl. 300، وفي الصورة العمودية لجبل الزيتون، والصورة المائلة لجبل الزيتون تظهر فيها المنطقة الشرقية.

وبناء على كل ما سبق، كان في القدس، قديمًا وحديثًا، طرقات كثيرة تسير في الاتجاهات كلها، بحسب ما أتاحت الطبيعة ذلك؛ إذ كانت هناك الطريق الطبيعية المتجهة من الشمال إلى الجنوب [فوق التلال] التي كانت القدس تقوم عليها، ثم كانت هناك الطريق المهمة التي تتقاطع مع هذه الطريق، والآتية من شمال البحر الميت[131]، ومن بينها الخط الذي تتبعه الطريق الرومانية الآتية من أريحا، والتي تشكل طريق بيت حورون الامتداد الغربي لها. ويبدو أن هذا الخط كان أكثر الخطوط ملاءمة للسير من حيث صفاته الطبيعية. وقد كان جورج آدم سميث

(129) يُقارن أعلاه ص 178.

(130) Haßler ed., vol. 1, p. 372.

(131) يُقارن: *PJB* (1915), p. 81.

(George Adam Smith)[132] وصف، من غير أن يأتي بدليل، خط أريحا – مخْماس – بيت إيل (وكان الأولى به أن يقول: أريحا – عاي – بيت إيل)[133] بأنه كان، عبر الأزمان كلها، الطريق التجارية الكبيرة التي عزلت القدس. ويقول عن القدس[134]: "تنتصب الهضبة كلها وحيدة لا ماء فيها، على طرق لا تفضي إلى أي مكان، وهي غير متوافر لها أي من السمات الطبيعية التي ينبغي أن تتوافر في المدن الكبيرة". لكنَّ هذا القول لا يوافق الحقيقة إلا قليلًا، إذ إن السؤال الوحيد الذي ينبغي طرحه هو: كيف أتاحت الطبيعة للقدس أن تكون مركزًا للنصف الجنوبي من فلسطين على الأقل، وهو ما كانته القدس في القدم، ولا تزال عليه حتى اليوم أيضًا؟ وما كانت القدس لتتخذ الأهمية الكبرى التي اتخذتها، وتغدو عاصمة المناطق الجبلية من فلسطين، لو أنها كانت واقعة على الطرق الكبيرة التي تعبرها جيوش العالم القديم التي تمر بفلسطين[135]. وقد كانت المدينة أهلًا لأن تصبح مدينة مهمة، على الرغم من وقوعها على حدود ثلاث مناطق عالمية. ولكنْ ليس ثمة مجال لمناقشة هذه المسألة هنا، في أي حال[136]. وأحسن دليل على مكانة المدينة ما نراه من حرص بريطانيا العظمى اليوم على وضع يدها عليها تحقيقًا لمصالحها في السيطرة على العالم، حالها حال بابل وروما حين شنتا ما شنتاه من حروب ذات يوم من أجل تحقيق الهدف عينه.

يرجع مسار "طريق الآلآم" في القدس اليوم[137] إلى افتراض نشأ في فترة

---

(132) Smith, *Hist. Geogr.*, p. 264; *Jerusalem*, vol. 2, p. 36.

(133) *PJB* (1913), pp. 26ff.; (1914), p. 17.

(134) Smith, *Hist. Geography*³, p. 319.

(135) يُنظر:
"Palästina als Heerstraße," *PJB* (1916), pp. 15ff.

(136) يُقارن:
PBJ (1916), pp. 31f.; (1920), pp. 3f.; Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, pp. 1ff.

(137) تُنظر مقالتي في:
PBJ (1906), pp. 15ff.;
ويُنظر:
Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, pp. 364ff.; Vincent & Abel, *Jérusalem*, vol. 2, pp. 610ff.; Meistermann, *Guide de Terre Sainte*², pp. 145ff., 733;
يُقارن أعلاه، ص 257.

الحملات الصليبية يقول إن مقر بيلاطس كان في قلعة أنطونيا، كما يرجع إلى طقس من طقوس التقوى أدخله الفرنسيسكان في القدس في القرن الثالث عشر ميلادي. فيتبين من ذلك أن مسار هذه الطريق لا يستند إلى تراث قديم يصف مشي المسيح من مكان المحاكمة إلى مكان الصلب، وإنما محاولة تمثيل هذا الموقف في القدس العربية وفي شوارعها بالاستناد على الافتراض أن المحاكمة بدأت في هذا المكان المذكور أعلاه وانتهت في كنيسة القيامة. وبناء عليه، بدا من الطبيعي السير في الطريق الممتدة من باب إستيفانوس حتى التقائها "طريق الواد" الممتدة من باب دمشق (ص 233). ولمّا لم يكن لهذه الطريق امتداد مستقيم، مشى الناس فيها 60 مترًا في اتجاه جنوب شرقي، ثم انعطفوا في أول طريق واجهَتْهم من الشرق إلى الغرب، ثم قطعوا طريق المدينة الشمالية الجنوبية الكبيرة، حتى وصلوا في آخر المطاف، بعد أن قطعوا 240 مترًا، إلى المنطقة الواقعة شمال كنيسة القيامة من دون أن ينفذوا من هنا عبر خط مباشر إلى كنيسة الجمجمة، بوصفها مكان الصلب. وهذا قائم على التصور بأن الطريق من قلعة أنطونيا إلى حيث تتقاطع مع الطريق الشمالية الجنوبية كانت تجري في أيام يسوع داخل المدينة، ثم تخرج من خلال "باب المحكمة" إلى خارج المدينة. ولكنْ، بحسب تصورنا عن وضع سور ضاحية المدينة حينذاك، فالأَولى ألا يُساق المحكوم عليه بالموت من قلعة أنطونيا إلى غولغوثا عبر ضاحية المدينة، وإنما في محاذاة سورها الشمالي، حيث تلتقي الطريق الشرقية الخطوط الآتية من الشمال. والأَولى أن ينطلق الناس من الزاوية الشمالية الغربية لضاحية المدينة، فيصلون إلى غايتهم وهم سائرون على الطريق التي كانت تصل الخطين الشمالي والجنوبي في ما نفترض. ولنا أن نقرَّ بأن خط هذه الطريق لا يبتعد كثيرًا عن الخط الحالي لطريق الآلام، فالفارق بينهما هو نحو 400 متر جوًا. ولكنْ، لا بد لطريق الآلام أن تغير مسارها تمامًا إذا كان مقر حكم بيلاطس في قلعة هيرودوس، كما هو راجح (ص 86). ومن أجل العودة، كان لا بد من قطع مسافة الثلاثمئة متر الفاصلة بين مدخل القلعة ومكان غولغوثا. ولا بد أن الطريق كانت تصل إلى غولغوثا من باب موجود في السور الشمالي للمدينة العليا المكشوف الآن، متبعة بعد ذلك خطًا مباشرًا من الزاوية الشمالية الغربية لضاحية المدينة إلى الزاوية الشمالية الغربية للمدينة العليا، وهو ما لم نذكره أعلاه

في ص 235 وما يليها، واصلًا بين الطريق الشمالية والطريق الجنوبية، أو أنها كانت تصل إلى غولغوثا، في أبعد تقدير، من خلال طريق تجري موازية للسور الغربي لضاحية المدينة. ففي المسار الأول، يكون الموكب وحامل الصليب قد خرجا من المدينة من "باب الزاوية" (ص 236 وما يليها)، وفي المسار الثاني من "باب البستان" (ص 73 وما يليها)، وهناك التقى سمعان القيرواني [القوريني] (إنجيل متى 32:27، إنجيل مرقس 21:15، إنجيل لوقا 26:23). فطريق الآلام التي مشاها يسوع، والتي لم تكن طويلة بصفة خاصة، كانت طريقًا من طرق القدس الشمالية الجنوبية لا الطريق الشرقية الغربية، كما هي حال طريق الآلام اليوم. وتُنظر في هذا الصورتان الجويتان 789. 791 *M*.

د – مصادر الماء

تقع القدس في بلاد ينحبس فيها المطر نصف العام[1]، ومناطقها صحراوية الطابع لقلة مطرها. وما كانت لتنشأ وتتطور لولا موقعها؛ فمع أنها تقع شرق الفاصل المائي للمناطق الجبلية لفلسطين الغربية، فإنها، في الوقت نفسه، تقع غرب سلسلة جبل الزيتون الحاسمة في تحديد كمية الهطل، وهذا ما يوفر للمدينة مطرًا في الشتاء تتفاوت مناسيبه السنوية، مع أنه يظل قادرًا على تعديل مخزون المياه الطبيعية والصناعية في المدينة وفي محيطها. ويتراوح منسوب الهطل السنوي بين 311 مليمترًا و1091 مليمترًا، ويبلغ في المعدل 661.8 مليمترًا[2]. وثمة مَن يؤكد أن القدس لم تعانِ قط شح المياه في أيام الحصار[3]. لكن الوضع المائي في مثل هذه الحالات كان يورث الناس القلق، كما يُستدل على ذلك مما ورد في سفر إشعيا (3:7 و9:22 وما يليها). وأشار يوسيفوس[4] إلى أن المياه في أثناء الحصار الروماني، جرت وفيرة في ينابيع القدس بعدما غاضت قبل ذلك، حتى اضطر الناس إلى شراء الماء. ولا بد أن شح الماء كان سابقًا على الحصار، إذ إن المطر الذي هطل في الشتاء السابق جاء بمعدلات الهطل المألوفة. ومع أنه جاء متأخرًا، فإنه عوّض النقص الذي نشأ في سنوات المحل التي سبقته. وكان الرومان وصلوا إلى القدس في نيسان/ أبريل واحتلوها في أيلول/ سبتمبر. ويمكن مقارنة هذه الحالة بغيض الماء في "عين أُم اِلدَّرَج" في صيف عام 1896، ثم عودتها إلى الجريان بعد مطر عام 1897 الغزير[5]. وما كان للينابيع وحدها، بطبيعة الحال، أن تفي بحاجة القدس إلى الماء، وإنما كانت هناك أيضًا البرك والأحواض التي كانت تجمع مخزون المدينة من الماء. وكفلت سياسة التقتير

---

(1) يُنظر:

Gustav Dalman, *Arbeit und Sitte in Palästina*, vol. 1, pp. 34ff., 513f.

(2) نجد بيانات أدق في:

Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, pp. 172ff., 291ff., 303ff.

(3) Mommert, *Topographie des alten Jerusalem*, vol. 3, pp. 50ff.

(4) *Bell. Jud.*, V 9, 4.

(5) *MuN des DPV* (1897), pp. 29f.

الشرقية في إنفاقه[6] بألا ينفد الماء قبل أوانه. وفي سنوات المحل كان لا بد من الاستعانة بينابيع الماء القريبة من القدس، وكانت أدناها، التي يمكن نقل الماء منها، بل التي نُقل الماء منها في عام 1901 على ظهور الحمير، "بِير أيوب" ثم "عين لِفْتا" الواقعة في الشمال الغربي (3.5 كيلومترات)، و"عين يالو" (4.5 كيلومترات) و"عين الحنية" (5.5 كيلومترات) وكلتاهما في الجنوب الغربي، و"عين كارم" (6 كيلومترات) في الغرب، و"عين فارة" (9 كيلومترات) في الشمال الشرقي. أما العينان الشتويتان، "عين اللوزة" (*G* 6) و"عين اِلصُّوَّان" (*D* 7)، فهما أقرب إلى القدس، إلا أنهما تجريان في ذلك الوقت من السنة التي لا يحتاج الناس فيه إلى ماء الينابيع. أما "عين المِدَوَّرَة" التي تذكر الخريطة الإنكليزية أنها تقع قرب "العيسوية" (3.2 كيلومترات)، فقد ألفيتها مطمورة، ولا أحسب أنها كانت ذات أهمية كبيرة يومًا ما. ونجد تحت بيت عنيا "عين المهندس" و"عين الحوض"، وهما أضعف من أن تأخذ القدس منهما الماء. وكنا في ص 69 وما يليها، و175 وما يليها، و181 وما يليها، و199 وما يليها تحدثنا عن برك القدس، وعن أحواض ساحة الحرم، يُنظر في هذا الأمر أدناه، في *D* 1. ويتبين من ذلك أن الأحواض والبرك كانت موجودة في المدينة، وهذا ما ينطبق على الفترات القديمة أيضًا كما يُستدل على ذلك من نتائج التنقيبات الأثرية[7]. وكانت في كل بيت في القدس حتى عام 1917 بئر يُجمع فيها ماء المطر عن السطح، وهي توجد في البيت عوضًا عن القبو. وكان ماء المطر يُجمع أحيانًا في براميل خاصة تُوضع إلى جانب البيت الذي يتُخذ سطحه مكانًا لجمع المياه. ولم يتحول الناس في ضواحي المدينة إلا في السنوات الأخيرة إلى بناء بيوت لا آبار فيها، بعدما جعلوا ثقتهم في أنابيب الماء الحديثة كي تنقل إليهم الماء، ولكنها خذلتهم خذلانًا شديدًا في عام 1925. أما البرك التي كان الماء فيها عرضة للتبخر، فإنها فقدت أهميتها كلها أو كادت، بعد أن زُوِّدت المدينة بالآبار تزويدًا وافيًا، خاصة أن هذه البرك ما عادت تمتلئ بالماء كسابق عهدها، بعدما امتد العمران ليشمل المناطق المحيطة بالمدينة.

(6) Dalman, *Arbeit und Sitte*, vol. 1, p. 71.

(7) يُنظر على سبيل المثال في ما يتعلق بمدينة داود: *Annual PEF* (1923-1925), Register *s. v. cisterns*.

ومع ذلك، فإن الناس في القدس لم تغفل أهمية وجود ماء الينابيع إلى جانب ماء المطر، لا في تأمين حاجة المدينة من الماء، في سنوات المحل خاصة، وإنما لأن الماء الجاري يمتاز عن الماء الراكد بجودته، فسعوا منذ أقدم العهود إلى مد القنوات ليلبوا بها حاجة المدينة إلى الماء، وإن كان عليهم أن يأخذوا في الحسبان أن تدفق الماء في العيون يشح في السنوات قليلة المطر.

كنا أوضحنا في ص 169 كيف يسَّر الناس نقل الماء من "عين أُم اِلدَّرَج" إلى المدينة. فهي مثل "بير أيوب" منخفضة المستوى بحيث يستحيل رفع الماء منهما إلى مستوى تلة المدينة في غياب الآلات الحديثة التي باتت تتيح ذلك الآن. كما أن استدراج مياه الينابيع من مسافة بعيدة لم يكن ممكنًا إلا من الأماكن التي تفوق القدس ارتفاعًا بحيث ينساب منها الماء إلى القدس انسيابًا طبيعيًا بشرط أن تفيض كمية الماء في تلك العيون عن حاجة الناس المقيمين فيها، بحيث يكون من المجدي مد القنوات من تلك المواقع إلى القدس. وتعد العين الموجودة في "البيرة" في الشمال، والواقعة على ارتفاع 845 مترًا، وتبعد 14 كيلومترًا، العين الوحيدة في المحيط الأوسط للقدس التي يمكن أن يؤتى منها بالماء إلى القدس بسبب ارتفاعها. غير أن من غير الممكن، من جهة أخرى، حرمان سكان المواقع القريبة من مائها الذي لا غنى لهم عنه، لذلك كان لا بد للقدس من أن تتجه جنوبًا حيث يتوافر الماء في "عين صالح" الواقعة على ارتفاع 798 مترًا على الجهة المقابلة لبيت لحم، وعلى بعد 11 كيلومترًا عن القدس، والتي كانت تسمى في القدم "عين عيتام" على الأرجح. لكنَّ تنفيذ هذا المشروع كان يقتضي وجود إدارة مركزية قوية، لا تكون قادرة على انتزاع هذه الثروة القيمة من الناس الساكنين عندها فحسب، بل قادرة على القيام بمشروع مد القنوات أيضًا، والتوفر على صيانته واستمراره.

وسنعرض في ما يأتي قنوات الماء الموجودة في جوار القدس، أو تلك التي لا تزال آثارها ماثلة على اختلاف أنواعها والفترات التي أُقيمت فيها.

1 - القنوات الجنوبية

أحدث قنوات الماء في القدس هي التي بدأت في عام 1926 باستحضار الماء من عين فارة الواقعة شمال شرقي القدس على ارتفاع 425 مترًا بحسب قياساتي

الشخصية. وتسقي هذه القناة الرعاة والفلاحين المقيمين في "عناتا" ومحيطها بما يحتاجون إليه من الماء باستخدام الروافع الموجودة في وادي فارة، فتصب لهم الماء في الحوض المرتفع الموجود على "راس أبوحَلاوة". ويتزود قسم من القدس مباشرة من هذا الماء. ولكنْ، منذ عام 1927، مُدّت خطوط مياه لتتصل بخطوط المياه الممدوة من الحوض الكبير، والتي كان الجيش البريطاني مدها في عام 1918 في غضون شهرَين، ما أتاح رفد المدينة بمصادر مائية جديدة[8]. وكنت عاينت هذه الخطوط الإنكليزية بنفسي ووصفتها في عام 1921[9]، وبمدها تحققت خطط كان الناس عقدوا العزم على تنفيذها في الأعوام 1865 و1894[10] و1908، ولكن ذلك لم يتيسر لهم تمامًا، بل توافر الماء لهذه الخطوط من عيون عدة في "وادِي العرّوب" الذي يقطع طريق الخليل على بُعد 19 كيلومترًا عن القدس، وهو أحد أودية "وادي العريجة" الذي يصب في البحر الميت. ويرجع السبب في وفرة مياه "وادي العروب" إلى التلال الموجودة في محيطه التي يبلغ ارتفاعها 975 مترًا، والتي تجري على طول الفاصل المائي للمناطق الجبلية. ويُجمع الماء في بركة كبيرة تعود في بنائها إلى قناة عربية سيأتي الحديث عنها بعد قليل[11]. ويُضخ الماء من البركة على ارتفاع 830 مترًا إلى حوض عالٍ

(8) بحسب ما تفضل وأخبرني به في القدس المعيد حامل إجازة التدريس هيرتسبيرغ (Propst Lic. Hertzberg) والسيد ك. هُلدرمَن (K. Holdermann).

(9) يُنظر:

PJB (1921), pp. 77ff.

ويُنظر المعلومات الرسمية الواردة لدى:

Stephen, *PEFQ* (1919), pp. 15ff..

(10) Buselli, *Relazione del progetto die conduire l'acqua del fonte segnato nella santa citta all'altezza della porta bab el-kalil* (1865); Franghia, *Rapport sur l'adduction des eaux d'Arroub* (1908),

وكان ثمة ألمان قد آثروا لو أن القيصر الألماني أهدى القدس شبكة مياه، بدلًا من المستشفى الذي أُنجز بناؤه في عام 1910 على التلة الألمانية.

(11) تُنظر الصورة الجوية:

D 37 = *M* 951,

وكذلك الصور الجوية الآتية:

M 941. 945. 949. 954. 737,

(وكان مادر ذكر خطأً أن هذه الصورة لـ "وادي سَرِيس" كما أخبره الطيّار).

يرتفع حوالى 920 مترًا[12]، ثم يسيل منه في أنابيب حديدية قطرها الداخلي 15 سنتيمترًا، تمتد في قناة صغيرة مطمورة، ويأتي جريانها في خط مستقيم تقريبًا من دون أن تتصل بِـ"عين صالِح" (يُنظر أعلاه)، وإنما تمر بها صاعدة ونازلة، لتمر في آخر الأمر من خلال وادي دير الصليب في سيرها إلى حوض التنقية[13] الواقع عند المستعمرة اليهودية المسماة روميما على التلة الشمالية الغربية قرب القدس (*D* 3) التي يبلغ ارتفاعها 824 مترًا[14]. ويسيل الماء من الحوض في اتجاه المدينة، وتتفرع إلى رافعات عمومية عدة يوزع الماء منها في مواعيد محددة على المقدسيين لقاء مبلغ مرسوم، وثمة بيوت خاصة موصولة بشبكة المياه هذه.

عُززت الشبكة في عام 1921 بأن رُبطت عيون "وادي البيار" (يُنظر أدناه) الواقعة بين "وادي العَرُّوب" و"عين صالح" بالبركة الوسطى من البرك الثلاث القديمة الواقعة تحت "عين صالح"[15]. وتحمل شبكة خاصة الماء إلى حوض التنقية الموجود على التلة الشمالية الغربية. واتُّخذت إجراءات أخرى تتيح تنظيف البرك وتعبئتها باستخدام شبكة مياه العروب[16]. ولا بد من استخدام مضخة في جميع الأحوال لرفع الماء من البرك التي لا ترتفع إلا 790 مترًا فوق سطح البحر إلى مستوى حوض التنقية.

هناك وفي القدس، منذ عام 1902، شبكة أنابيب حديدية أخرى مُدت بأموال المساجد هي "الشبكة التركية". وتجر هذه الشبكة الماء من "عين صالح" على بعد 11 كيلومترًا تقريبًا جنوب القدس قرب طريق الخليل على ارتفاع 798 مترًا إلى القدس. وقد تفحصتُ في عام 1911 العلاقة بين هذه الشبكة والبرك الثلاث

---

(12) ذكر ستيفن أن ارتفاعه 939.7 مترًا، ويبعد أن يكون هذا ممكنًا. وربما أنه قرأ هذه الأرقام على الأداة التي قاس بها الارتفاع من دون أن يأخذ في الاعتبار تأثير الحرارة، ووضع الباروميتر في أثناء النهار.

(13) تُنظر الصورة الجوية:
D 11 = *M* 787.

(14) هكذا جاء في الخريطة الإنكليزية الجديدة، أما ستيفن فذكر أن ارتفاعها 849.8 مترًا، وهذا مستحيل.

(15) *PJB* (1921), pp. 89ff.

(16) كما أخبرني المعيد حامل إجازة التدريس هيرتسبيرغ.

الواقعة تحت هذه العين[17] التي ينسب أهل القدس الماء إليها فيسمونه "مويَّة البُرَك" ("اِلإبرك")، وخلصتُ إلى النتائج الآتية: يمر الأنبوب الحديدي الكبير التابع لهذه الشبكة والآتي من "عين صالح" عند هذه البرك من جهتها الشمالية. وهناك أنبوب فرعي موجود تحت البركة العليا يتلقى الماء الفائض من "عين صالح" وماء "عين القلعة" الذي تحمله شبكة أقدم إلى هذا المكان، وتصب ما يفيض من مائها في البركة الوسطى المتصلة بالبركة الدنيا. ويمر أنبوب فرعي ثان من تحت البرك حاملًا معه الماء إلى الشبكة الرئيسة من "عين عَطان" الواقعة جنوبًا في مكان منزوٍ، ومن "عين فَروجِة" التي يتجمع ماؤها تحت البركة الثالثة. ولا يصل أي مخرج للماء بين البرك وشبكة المياه[18]، ما يدل على أن البرك لم تكن لها أي صلة عملية بالشبكة. ثم تمضي الشبكة صاعدة وهابطة، فتمر من شرق "صور باهِر"[19]، ثم تهبط غرب المكان المسمى حقل دِما [حقل الدم] (*F* 6) في "وادي اِلرَّبابة"، وتكون مكشوفة تمامًا، ثم تتفرع إلى فرعين، يجري أحدهما إلى سد بركة السلطان (*F* 5) حيث يستطيع أهل القدس ملء الماء منه في أوقات معلومة. ويصعد الفرع الثاني شمالًا إلى المدينة، ويصب في البئر الموجودة أمام "باب اِلسِّلْسِلة" المفضي إلى ساحة الحرم، ويدخل إلى تلك الساحة. وتتفرع منه أذرع نحو الجنوب والجنوب الشرقي حيث توجد البئر المسماة "الكاس" بين قبة الصخرة والمسجد "الأقصى"، وكذلك نحو الشمال، حيث يمكن أن يجري الماء نحو "بِرْكِة بِني اِسْرايين"، أو إلى المدينة غربًا، حيث يمر عند بئر في طريقه إلى مستشفى "اِلتِّكِيَّة"[20]. وعلى هذا النحو وصلت مياه الينابيع إلى القسم الشرقي من المدينة. وفي ما عدا ذلك، كان الناس يأتون بالماء على ظهور الحمير من البئر التي عند بركة السلطان.

(17) تُنظر الصور الجوية الآتية:

D 34 = *M* 927, *M* 928. 930.

(18) *PJB* (1911), p. 13.

(19) وضعها بِكَر (Becker) على خريطته بناء على دراستي:

ZDPV (1914), pp. 367ff.

(20) Schick, *Stiftshütte, Tempel*, pp. 263, 267; *ZDPV* (1878), p. 240; Wilson, *Ordnance Survey of Jerusalem*, *sh.*, vol. 1.

حلت هذه الشبكة في محل الشبكة المسماة "الشبكة العربية" التي ترجع إلى العصور الوسطى، والتي جرت صيانتها مرات عدة. وكانت تحمل الماء إلى القدس من المكان نفسه في مجارٍ للمياه غير محكمة الإغلاق، وإنما في قناة مبنية، ثم، منذ عام 1620[21]، صارت تُنقل في أنابيب فخارية. وبناء عليه، لم تُمدّ الشبكة في خط مستقيم، وإنما كان ينبغي أن تُمدّ فوق الأرض مباشرة، شرق الفاصل المائي، متتبعة منعطفات كثيرة، ثم عابرة في نفق قصير غرب "راس المكبر"[22]. ثم دارت الشبكة حول "جِبِل ديْر أبو ثور"، وجرت شمالًا حول بركة السلطان (*F* 5). وكان الناس يعبرون الوادي فوق جسرٍ بات اليوم منغرسًا في الأرض، وكنت لا أزال قادرًا في ما مضى على رؤية قوسه[23]. وتَبِعتْ تمديدات الشبكة بعد ذلك السفحَين الجنوبي والشرقي للتلة الغربية، حيث التقت الطريق الذاهبة إلى ساحة الحرم، ودخلت إليه، شأنها شأن الشبكة الحديدية الحالية. وكان كل من ويلسون[24]، وبلِس[25]، وبومو (Beaumont)[26] قد عثر في الجهة الجنوبية للتلة الغربية على قطعة طويلة من أنبوب قديم، يمكن أن تكون جزءًا من "الشبكة العليا" الرومانية التي سنتحدث عنها بعد قليل. لكنْ، وبما أنها تقع على المستوى نفسه للشبكة التي تحدثنا عنها، وبما أنها تجري جزئيًا في قنواتها، فمن الممكن أن تكون قطعة من قناة أقدم تابعة للشبكة نفسها. أما الشبكة العربية، فتستقي ماءها من المصادر الآتية:

1 - من "عين صالح" و"عين البرك" الواقعتين فوق أبعد البرك المسماة برك سليمان الثلاث من الغرب، والتي تسمى دائمًا "إلِابرك".

2 - من عيون "وادي البيار" الواقعة على بعد نحو كيلومترين إلى الجنوب.

---

(21) Quaresmius, *Elucidatio*, VI 4, 8.

(22) في ما يتصل بالوضع في القرن الماضي [القرن التاسع عشر]، يُنظر:
Tobler, *Topographie*, vol. 2, pp. 84ff.; Schick, *ZDPV* (1878), pp. 143ff.

(23) عرض جداره 1.65 متر، أما مجرى الماء الذي يمر فيه والمغطى بقطع حجرية، فقد كان قطره 45 سنتيمترًا كما قسته في عام 1921.

(24) Wilson & Warren, *The Recovery of Jerusalem*, pp. 233ff.

(25) Bliss, *Excavations*, pp. 53ff., 332; *General Plan*, no. 1.

(26) *PEFQ* (1914), pp. 165ff.

3 – من بركة "وادي العرّوب" (يُنظر أعلاه) حيث تلتقي قنوات من "بِرْكِة كوفِين" و"عين كُويْزِيبة"[27].

4 – وأخيرًا، من "عين عَطان" و"عين فَروجِة" الواقعتين تحت البرك الثلاث.

وكانت البرك نفسها تجمع الماء الواصل إليها من المصادر المذكورة في البنود الثلاثة أعلاه في الموسم الذي يفيض فيه الماء، لتزود به شبكة المياه في الوقت الذي تضعف فيه العيون، أي في الصيف. لذا نجد في هذه البرك قنوات متصلة بشبكة المياه، بعضها يتيح تزويدها بالماء، وبعضها الآخر مختص بتصريف الماء منها[28]. وقد كانت الشبكة تزود أماكن منخفضة نسبيًا بالماء، على ارتفاع الحرم البالغ 740 مترًا، لأن ارتفاع "عين صالح" نفسها يكاد لا يزيد على 798 مترًا، فلم يكن ممكنًا، نظرًا إلى قلة انحدار الماء منها، أن تزود أحياء المدينة الموجودة على التلة الغربية بالماء.

ونجد أولى الإشارات الأكيدة إلى وجود مثل هذه الشبكة المائية عند المُقدَّسي (985 ميلادية)[29] وعند ناصر [خسرو] (1047)[30]؛ فقد جاء أن البرك (عند المُقدَّسي بركتان، وعند ناصر واحدة) كانت تجمع ماء المطر شتاء، لتملأ به آبار المدينة في الربيع. لكن من غير المتوقع ألا يكون الناس استدرجوا الماء أيضًا من عيون الماء القوية الواقعة فوق البرك. وكانت هذه الشبكة هي نفسها التي زودت القدس بالماء في زمن الحملات الصليبية[31]، وقد دُمرت في عام 1227 ميلادية. ولكنَّ [السلطان الظاهر] بيبرس أعاد إصلاحها في عام 1266[32]. وذكر

---

(27) *Survey of Western Palestine*, vol. 3, p. 326.

(28) يُنظر المخطط لدى شيك في:
ZDPV (1878),
وإن لم يدرج فيه الخط الواصل مباشرة من شبكة وادي البيار إلى البركة السفلى، والذي كنت رأيته في عام 1914.

(29) *ZDPV* (1884), p. 161.

(30) Le Strange, *Palestine under the Moslems*, p. 197.

(31) يُنظر:
Wilhelm von Tyrus VIII 8.

(32) Röhricht, *Geschichte des Königreichs Jerusalem*, pp. 768, 937.

لودولف فون سوخم (Ludolph von Suchem) (1350)[33] أن الشبكة كانت تأتي بالماء من الخليل. ويمكن أن يُستدل من كلامه على أنها كانت تتزود بالماء من عيون "وادي العرّوب"، لكنَّ أقواله تبقى في أي حال غير دقيقة. وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون (1310-1341 ميلادية) أعاد قبل ذلك إصلاح الجسر الذي مُدّت فوقه الشبكة والواقع فوق بِرْكِة اِلسُّلْطان[34]، كما مد تنكيز الناصري في عام 1328 شبكة زودت البئر المسماة "الكاس" التي بناها في الحرم القدسي بالماء[35]. وشهدت الشبكة تعديلات واسعة في القرن الخامس عشر ميلادي؛ فقد بنى الملك الظاهر خشقدم (1461-1468) شبكة "عين العرّوب" والبركة الشرقية من "البركتين"، وبعدما وصل الماء إلى المدينة في عام 1469، شهدت الشبكة إصلاحات أخرى في عهد قايتباي في عامَي 1480 و1483[36]. وذكر فِليكس فَابري[37] الذي كان حاضرًا على هذا العمل في عام 1483 أن هذه هي المرة الأولى التي يؤتى فيها بالماء إلى القدس من منطقة الخليل. وذكر أن هناك ثلاث برك، في حين أن المؤلفين المسلمين لم يذكروا حتى زمان مجير الدين إلا بركتين يسمونهما "اِلمَرجِيع". ويفسر مجير الدين[38] هذا الاسم من خلال قصة تحكي أن أخوة يوسف رجعوا لأخيهم الذي ظل عند قبر راحيْل. لكنَّ اللفظة تصف البركة نفسها، على أنها مكانًا لجمع الماء، إذ إن لان (Lane) يذكر أن معنى "رَجْع" "*the place that retains water*" "هو المكان الذي يجمع الماء". ولمّا كان مجير الدين المقدسي يقول بوجود بركتين في زمانه، وهو صحيح في الأغلب، وأن الناس تناقلت قوله بعد ذلك من دون أن تعيد النظر فيه، فلا بد أن نفترض أن البركة الثالثة، وهي البركة السفلى، هي أحسن البرك الثلاث حالًا، وهي التي بناها الملك الظاهر. أما السيوطي (1470)، فقد رد بناء برك القدس

---

(33) *PPTS*, p. 97.

(34) يُنظر مجير الدين، في:

Sauvaire, *Histoire de Jérusalem*, p. 247.

(35) Sauvaire, *Histoire de Jérusalem*, p. 142.

(36) Ibid., pp. 258, 293.

(37) *Evagatorium* (Haßler ed.), vol. 2, pp. 185f.

(38) Sauvaire, *Histoire de Jérusalem*, p. 190.

كلها، بما فيها بركة "المرجيع"، إلى الملك حزقيا، في حين نسب المسيحيون[39] بناء هذه الأخيرة إلى الملك سليمان لأنه ورد في سفر الجامعة (6:2) أنه بنى بركًا ليسقي بمائها البساتين. ويذكر نقش أن البئر التي عند بركة السلطان وفرع الشبكة المتعلق بها بناهما السلطان سليمان الأول في 1537/ 1538 ميلادية[40]. وذكر كتاب **ييحوس هآبوْت [قبور الآباء]** (1537)[41] أن في ساحة الهيكل ثلاث آبار، تنتهي عندها الشبكة التي تحمل الماء من عين عيتام. أما آخر صيانة لهذه الشبكة فجرى في عامَي 1856 و1860 في عهدَي كامل باشا وثريا باشا[42].

أما "الشبكة الرومانية" بالمعنى الدقيق للكلمة، فلا بد أنها كانت شبكة مستقلة عن الشبكة التي وصفناها أعلاه، وهي التي كان فَابري (1483) تنبه إليها[43]؛ إذ رأى عند قبر راحيل سورًا يحمل قناة فوقه. وبعده روى كوَرزميوس (Quaresmius)[44] أن في المنطقة حجارة كبيرة وقناة مبنية لا صلة لها بشبكة مياه "عين صالح". وقد قصد كلاهما شبكة المياه التي لا تزال آثارها ماثلة في منطقة بيت لحم، شرق طريق الخليل، وهي تتمثل في أنبوب ضخم من حجارة مربعة متداخلة التركيب، وموضوعة على أرضية من الحجارة المتكلسة، تخترقها فتحة قطرها 38 سنتيمترًا. وكان على هذا الأنبوب، كما يبدو، أن يعمل عمل المَثْعَب، أي السيفون، في نقله الماء عبر المنطقة المنحدرة عند قبر راحيل. وكان أنطونيوس[45] رأى عند قبر راحيل في حوالى عام 570 ميلادية ماء طيبًا صالحًا للشرب ينبثق

(39) يُنظر، على سبيل المثال، فليكس فَابري.

(40) نجد صورة له لدى:

Hanauer, *Walks about Jerusalem* (1910), p. 243.

(41) Carmoly, *Itinéraires*, p. 436.

(42) Pierotti, *Jerusalem Restored*, vol. 1, p. 250.

(43) *Evagatorium* (Haßler ed.), vol. 1, p. 433.

(44) *Elucidatio*, VI 4, 8;

ويُنظر أيضًا:

Maundrell (1697),

المذكور لدى:

Wright, *Early Travels in Pal.*, pp. 458f.

(45) Geyer, pp. 178, 208.

على نحو متصل في وسط الطريق، ولا بد أن ذلك كان ناشئًا عن عطب أصاب الشبكة الرومانية في ذلك الموضع. وكانت هذه الشبكة، التي يسيمها العرب "قناة الكفار"، تجري صعودًا إلى عيون "وادي البيار"، على بعد حوالى 16 كيلومترًا عن القدس[46]. ولا بد أنها كانت تمر من المنطقة الواقعة فوق البرك، وإن كنا لا نجد أثرًا لذلك الآن، ومن المؤكد أيضًا أنها كانت تأخذ مياهها من ماء "عين صالح". والقناة باقية قرب طريق الخليل، وتوجد آثار أكيدة لها في الجهة الشرقية من سهل رفائيم[47]. أما تاريخ هذه القناة، أو بالأحرى تاريخ سيفونها الواقع عند قبر راحيْل، فمسجل في النقوش المحفورة على حجارته التي يذكرها ج. تينيوس كليمنس (J. Tinejus Clemens)[48] الذي كان في حوالى عام 195 ميلادية يشغل منصب القنصل في عهد سبتيميوس سيفيروس (Septimius Severus). فالقناة إذًا ترجع إلى عهد القدس الرومانية.

في كانون الثاني/ يناير 1908، عُثر عند التلة الشمالية لقطعة الأرض التي تقوم عليها محطة القطار الرئيسة (*F* 5) على بقايا أرضية أسمنتية لحوض يقع على مستوى الطريق الحالية. ولم أستطع تبين الحد الشرقي للحوض، لأنه كان مطمورًا تحت كوم مرتفع من التراب. أما الحد الجنوبي، فتمثل بسور يكاد يجري في خط شرقي غربي تمامًا، وهو مبني من حجارة حسنة التقصيب، ارتفاعها 50 سنتيمترًا وعرضها 2.25 مترًا. وظهر في الجهة الغربية، على الجهة الأخرى من أرض محطة القطار، سور ينعطف شمالًا مشكِّلًا الحد الغربي للأرضية الأسمنتية. وكانت المسافة من هنا حتى آخر أثر للأرضية الأسمنتية من جهة الشرق عند طرف الطريق حوالى عشرة أمتار. وكذلك كانت المسافة من الحد الجنوبي حتى آخر أثر شمالًا، ما يعني أن مساحة

---

(46) Schick, *ZDPV* (1878), pp. 161f., 239f.; Wilson, *Ordnance Survey of Jerusalem*, pp. 10f., 82f.; *Pl.* XXVIII 6-9.

(47) جاءت في خرائط شيك وفي خرائط **مسح فلسطين الغربية**، غرب الشارع، ولكنها جاءت شرق الشارع في:

Memoirs, vol. 3, p. 91,

وذلك، في ما قيل لي، أنها تمر من عند "راس اِخْضيْر"، الواقع شمالي "جِبِل اِلقَناة"، الذي يغلب أنه سمي بهذا الاسم نسبة إليها.

(48) Germer-Durand, *Échos d'Orient*, IV, pp. 9, 134, 201; V, p. 139; *Rev. Bibl.* (1901), pp. 106ff.; Clermont-Ganneau, *Recueil d'Arch.*, IV, pp. 206ff.

الحوض الذي كان موجودًا هنا هو عشرة أمتار مربعة. وعلى بُعد 14 مترًا تقريبًا من الحائط الجنوبي في اتجاه الشمال كان هناك مجرى مائي مغطى، عرضه 37 سنتيمترًا وعمقه 30 سنتيمترًا تقريبًا. وهناك قناة عرضها 68 سنتيمترًا وعمقها 50 سنتيمترًا، ويمكن متابعة مجراها مسافة 30 مترًا، كانت تجري في محاذاة الطريق الآتية من مستعمرة التمبلريين [الهيكليين] في اتجاه شمال جنوبي، حتى تلتقي الحوض عند زاويته الجنوبية الغربية، من دون أن يتضح هل هناك صلة بينهما. وبلغ عمق قاعدة القناة في أبعد مكان جنوبًا كُشف عنه مترًا ونصف المتر تحت سطح الأرض، ولا بد أنها كانت على العمق نفسه تحت الحوض في المنطقة القريبة منه. وفي الأغلب أن القول نفسه ينطبق على مجرى للماء نُحت في الصخر، يقطع الطريق الواصل بين طريق بيت لحم ومحطة القطار، قبل أن يصل إلى المحطة بقليل. ويمكن أن يكون ثمة صلة بين إحدى هذه القنوات وقناة الماء الرومانية في القدس؛ فأركُلف الذي مشى في عام 670 ميلادية خارجًا من باب داود، الذي كان يسمى في أيامه الباب الغربي، في محاذاة التلة الغربية جنوبًا، رأى جسرًا حجريًا قائمًا على أقواس [قناطر]، يتجه جنوبًا[49]، فلا بد أنه كان يسير في المنطقة التي تقطع فيها القناة العربية الجسر (ص 272). ويُستنتج من ذلك أن قناة القدس الرومانية لم تفد من موقعها المرتفع 760 مترًا عند سهل رفائيم في نقل الماء إلى أماكن تساويها ارتفاعًا في القدس. وإذا كانت القناة الرومانية انحدرت عند محطة القطار إلى ارتفاع 752 مترًا فقط، فما كان لها إذًا أن تصل إلى مستوى التلة الغربية للمدينة التي يتراوح ارتفاعها بين 760 و770 مترًا، إلا إذا كان الماء يجري في مجرى مائي مفرغ من الهواء. والراجح أنها انحدرت في المكان الذي قطعت فيه الوادي إلى ارتفاع 743 مترًا، وباتت، بعد أن دارت حول التلة الغربية من جهتها الجنوبية (ص 272)، على ارتفاع لا يكفي إلا لتزويد وادي المدينة بالماء حتى المنطقة التي تلتقي فيها الطريق الشرقية طريق الوادي عند مشفى الهوسبيس النمساوي. ويمكن أن تكون القناة قد صبت ماءها في "بركة بَني إسرايين"، التي يبلغ ارتفاع أرضيتها 708.7 أمتار، وفي أحواض ماء أخرى في الأماكن الواطئة من المدينة. ومن الممكن وجود آبار جارية في طريق الوادي في القدس الرومانية، كما هي حال البئرين المزخرفتين بزخارف

(49) Geyer, *Itinera*, p. 242.

عربية الموجودتين في المكان نفسه في القدس اليوم. ولا بد من الإشارة إلى حوض الماء الغريب الموجود في الجهة الجنوبية الغربية من القلعة الذي يستعرض الوادي بطول 25 مترًا تقريبًا، وعرض ثلاثة أمتار، وكنت أراقبه دائمًا قبل عام 1908، وهو الذي رسمه شيك بنفسه في نسخته عن اللوحة الأولى في نشرة عام 1890 لـ **مجلة جمعية فلسطين الألمانية** (*ZDPV*)[50]. وذكر شيك أن قاعدته تقع على ارتفاع 2414 قدمًا (= 735.8 مترًا)، وقبّته على ارتفاع 2441 قدمًا، وهو ارتفاع يساوي ارتفاع قبة الصخرة في الحرم القدسي. ولا يوجد ما يمنع أن تكون القناة الرومانية قطعت الوادي هنا وملأت الحوض بالماء. ولكنَّ هذا يعني أن القناة ما كانت لتجري على مستوى أعلى بعد ذلك. وافتراض ويلسون أن "القناة الرومانية" دخلت إلى المدينة عبر بركة مامِلَّا (حوالى 770 مترًا)، أو حتى من المجمع الروسي (797 مترًا)[51]، يبدو بعيد الاحتمال بل يكاد يكون مستحيلًا. ولو صح كلامه، لكان لا بد من مد قناة سيفون أخرى جنوب "مار اِلياس". لكننا لا نجد في سهل رفائيم غير قنوات ماء عادية.

ثمة سؤال مهم هنا هو: هل توجد علاقة لأي من هذه القنوات بالقناة التي جلب بها بيلاطس البنطي (26-36 ميلادية) الماء إلى القدس، بحسب يوسيفوس، من بُعد 200 ستاديوم[52]، بل ومن بُعد 400 ستاديوم[53]، كما ذَكر في موضع آخر؟ وقد كان اليهود غضبوا من بيلاطس لأنه أخذ أموالًا من كنز الهيكل لينفذ مشروعه هذا، ولكنَّ ذلك ما كان ليحدث لولا أن الهيكل كان سيفيد هو أيضًا من مياه القناة، بعدما اكتفى

---

(50) وتُنظر كذلك خريطة القدس التي وضعها صندوق استكشاف فلسطين، ووضع عليها نتائج التنقيبات الأحدث (1900).

(51) ورد ما يشبه ذلك عند وِتي (Whitty) في:
Whitty, *Proposed Watersupply and Sewerage for Jerusalem*, pp. 139, 231;

وفي:
Watersupply of Jerusalem, p. 6,

حيث جاء أن القناة ربما جرت على التلة الغربية، ثم انعطفت عند بركة مامِلَّا نحو المدينة.

(52) *Antt.*, XVIII 3, 2.

(53) *Bell. Jud.*, II 9, 4;

وجاء لدى يوسيبوس أن المسافة كانت 300 ستاديوم:
Hist. eccl., II 6.

حتى ذلك الوقت في تلبية حاجته الدائمة إلى الماء بالاعتماد على الآبار[54]، علمًا أننا نجد في ساحة الحرم القدسي اليوم 34 بئرًا[55]. ويقال في الثناء على الكاهن الأعلى شمعون الثاني (حوالى 200 قبل الميلاد) إنه بنى للهيكل حوضًا كأنه البحر[56]، ربما لا تزال آثاره ماثلة في الحوض الكبير الموجود اليوم جنوب قبة الصخرة، والذي لا يزال الناس يسمونه "البحر"[57]. فما كان ليجشّم نفسه عناء ذلك لو كان الماء يصل إلى الهيكل عبر القنوات. وقد كانوا يحملون الماء اللازم للأضحية في عيد العُرُش من بركة سِلوان (ص 172)، لكنهم كانوا يحتاجون إلى مقادير كبيرة من الماء لاغتسال الكهان، ولاستحمام كبير الكهنة، ولتنظيف أحشاء الأضاحي، ولشطف الساحة الداخلية[58].

لا نستطيع استخلاص معلومات أكيدة من كلام يوسيفوس؛ فكلامه عن مصدر القناة غير أكيد، إذ إنه لا يسمي المكان الذي انطلقت منه، ثم إنه يبالغ مبالغة شديدة في الأرقام التي يسوقها. فالأربعمئة ستاديوم تبلغ 76.8 كيلومترًا، والمئتان تبلغ 38.4 كيلومترًا، وبما أن الخليل تبعد نحو 30 كيلومترًا عن القدس، فيمكن أن تكون المسافة الأقصر كافية للوصول إلى الخليل في خط هوائي. وقد فُسرت الأرقام التي ذكرها يوسيفوس بأنها تدل على المسافة التي قطعتها القناة فعليًا على الأرض، على الرغم من أن يوسيفوس نفسه لم يشر إلى ذلك. وتذكر

(54) يُقارن: Midd., V 4; وكذلك: Geyer, *Itinera*, p. 21, (الحاج من بوردو).

(55) ورد هذا العدد الكبير لدى شيك: Schick, *Stiftshütte, Tempel*, pp. 292ff. ولكنه ورد أيضًا لدى مجير الدين: Sauvaire, *Histoire de Jérusalem*, p. 119.

(56) Sir. 50, 3.

(57) Schick, *Stiftshütte, Tempel*, p. 294; *bīr beḥair*, Warren, *Excavations*, Pl. II, Nr. 8 "*the Great Sea*".

(58) Midd. I 6. 9; III 6, j. Jom. 41a; يُقارن: *PJB* (1909), pp. 35, 44f., 47.

البيانات الإنكليزية[59] أن طول القناة من "عين العرّوب" إلى القدس يبلغ 66.5 كيلومترًا، وأن طول القناة العربية [مقارنة بالقناة الرومانية] من "عين صالح" 18.5 كيلومترًا. أما شيك[60] فذكر أن طول القناة الأولى كان 400 ستاديوم، وطول القناة الثانية 140 ستاديوم، فجعل كل ساعة مسير تساوي عشرين ستاديوم. والواقع أن يوسيفوس يورد بُعد عيتام [عن القدس]، التي لا تبعد كثيرًا عن "عين صالح" بطريقة صحيحة؛ إذ ذكر أنها تبلغ شوْنَين (= 50 ستاديوم)[61]، وأصاب كذلك في ذكر بُعد هيروديون الواقعة في المنطقة نفسها [عن القدس]، فقال إنها تبعد 60 ستاديوم. وبناء عليه، فربما قدّر يوسيفوس، نظرًا إلى كثرة المنعطفات التي تمر بها القناة، أن يجعل المسافة أربعة أضعاف، أو ثمانية أضعاف المسافة المباشرة، فانتهى به الأمر إلى تقدير طول القناة هذا التقدير المبالغ فيه. هذا إن لم تكن هذه المبالغة راجعة في الواقع إلى أن يوسيفوس لم يعرف على وجه الدقة طول القناة، فذكر لها هذا الطول الشديد اعتباطًا[62]. وتذكر المصادر اليهودية أنه كانت هناك قناة تنقل الماء من عين عيتام إلى حوض ساحة الهيكل[63]، بل كانت هذه المصادر ترى أنها استطاعت حساب ارتفاع عين عيتام، فوجدت أنها لا بد أن تكون أعلى بمقدار 23 ذراعًا من ساحة الهيكل الداخلية[64]، فعُدّت عيتام، لهذا، أعلى مكان في محيط القدس[65]. وربما تكون لهذه القناة علاقة بالقناة التي كان يمكن الوصول إليها في القدس، والتي خرَّبها السيكاريون [المُخنجَرون]. وجاء في أقدم الطبعات

---

(59) *Survey of Western Palestine,* Memoirs, III, p. 326.

(60) *ZDPV* (1878), p. 171.

(61) *Antt.*, VIII 7, 3.

(62) *Bell. Jud.*, I 21, 10.

(63) j. Jom. 41ª.

(64) b. Jom. 31ª.

(65) b. Zeb. 54ª,

وقال كُندَر (Conder) إن هذه المصادر قالت إن هذه العين هي نفسها عين نفتوّح: *PEFQ* (1879), p. 95؛ ويُنظر:

Vincent, *Jérusalem*, vol. 1, p. 116;

ولكن لم يقل أحد بذلك عدا تفسير راشي [الحاخام شلومو بن يتسحاق]، ولكنْ يُنظر:

PJB (1914), p. 20.

للمدراش عن سفر مراثي إرميا (4:4) أنها كانت تبدأ من عند "هَحِنّوم"، لكنَّ المخطوطة اللندنية قرأت اسم هذا المكان عيتام[66]. ومن المؤكد أن عيتام هي "خِرْبِة وادي الخوخ" الواقعة تحت البرك عند "عين صالح"، وهي تابعة لهذه الخربة التي لا بد أنها تعد واحدة من أهم العيون فيها[67]. وبناء عليه، يكون هذا دليلًا على وجود قناة تمتد من "عين صالح" إلى هيكل القدس في الفترة التي سبقت تدمير الرومان للمدينة. بل يمكن أن تكون القناة التي بناها بيلاطس، والتي يمكن أن تكون آتية من "عين صالح"، هي المقصودة هنا. وكان براوَر (Brawer) قد قال إن هذه القناة كانت موجودة في حوالى عام 200 قبل الميلاد، وقد استُكمل بناؤها في أيام هيرودوس من خلال قنوات مُدت من "وادي البيار" و"وادي العرّوب"، بحيث تقتصر مساهمة بيلاطس في مدها على بناء البرك القريبة من "عين صالح"[68] في شكلها الحالي، لكننا لا نجد دليلًا على كلامه هذا.

ثمة حقيقة مهمة هي أن هيرودوس جاء بالماء إلى منشأته الشبيهة بالمدينة التي أقامها تحت قناة هيروديون من مسافة بعيدة[69]. ولا يزيد مقدار هذه "المسافة البعيدة" على 5.4 كيلومترات إن كان جاء بالماء من أقرب عين إلى هيروديون، أي من "أرْطاس"، ولا يزيد على 7.2 كيلومترات إن كان جاء به من "عين صالح". وقد اكتشف شيك[70] هذه القناة، وتبين له بعد متابعتها أنها آتية من "عين أرْطاس"، ولكنه اكتشف أيضًا أنها تتصل بقناة "عين صالح" وبالبرك. ومن المحتمل، في أي حال، أن هذه القناة كانت فعلًا أقدم وأشمل عمل من هذا النوع، وأن القناة الوحيدة التي سبقت قناة هيروديون، هي المنشأة التي كانت تسقي بساتين عيتام، التي ذكر يوسيفوس[71] أنها كانت ملكًا لسليمان. وكان يكفي لسقايتها استغلال العيون الواقعة فوقها، فضلًا

(66) تُنظر طبعة بوبَر (Buber). أما محرر طبعة سالونيك (1593)، فقد اعتبر قراءة "هَحَنويوت" (الحوانيت) هي القراءة الصحيحة، واعتمدها في النص. ويمكن أن يكون الاسم "جيْهِنّوم" أيضًا.

(67) *PJB* (1914), p. 19.

(68) Hā - Āreṣ² (1929), p. 273.

(69) *Antt.*, XV 9, 4; *Bell. Jud.*, I 21, 10.

(70) *ZDPV* (1878), pp. 167f.

(71) *Antt.*, VIII 7, 3.

عن بعض أحواض تجميع صغيرة. أما البرك الكبيرة التي لا يزال برس (Preß)[72] يريد نسبتها إلى عهد سليمان، استنادًا إلى أن سفر الجامعة (2:6) يذكر بركًا بناها سليمان لري البساتين، فهي جزء من منشأة ذات أهمية أكبر كثيرًا. ومن المفهوم أن تكون قناة هيروديون قد نبهت إلى الثروة المائية المتوافرة في "عين صالح"، وأوحت إلى الناس في القدس بالفكرة التي تولى بيلاطس تنفيذها، وهي أن يفيدوا من هذا الماء الوفير في القدس، بعد أن كانت قلعة هيرودوس فقدت أهميتها. واللافت هنا أن قناة هيروديون، كما تظهر في خريطة شيك، جاءت ملاصقة للأرض تمامًا، شأنها في ذلك شأن القناة العربية، وخلافًا للقناة الرومانية. ولا يبعد أن قناة بيلاطس كانت من هذا النوع، فتكون بذلك هي القناة التي حلت القناة العربية في محلها. وبناء عليه، تكون القناة الرومانية عملًا جديدًا تمامًا ما لبث أن عاد فانهار مع انهيار القوة الرومانية، فأعاد العرب إحياء قناة بيلاطس البدائية، ثم وسّعوها لاحقًا، فلم تقتصر على العيون التي كانت تستقي منها القناة الرومانية في "وادي البيار"، وإنما صارت تأخذ ماءها من عين "العرّوب" أيضًا. وبهذا ساقت الناس مياه العيون كلها الواقعة جنوب القدس قرب الفاصل المائي، الموجودة على الارتفاع المطلوب، إلى القدس.

2 - القنوات الآتية من الغرب والشمال

كنا تحدثنا في ص 70 و202 عن القناة التي تصل بركة مامِلَّا (E 5) بِحمَّام البطرك (E 6)، أي التي توصل ماء المطر المتجمع في الغرب إلى المدينة. ولكنْ، ينبغي أن نفترض أن حوضًا آخر لجمع الماء المتساقط في المناطق الشمالية الغربية كان موجودًا هناك. وكانت أعمال البناء عند البطريركية اللاتينية في داخل المدينة كشفت عن آثار قناة آتية من الشمال[73]، تتبّعها شيك في الاتجاه الشمال الغربي على طول "شارع الأنبياء" حتى مكان دخولها إلى منطقة طريق يافا[74]، وكانت تصب

---

(72) *Gēōgrāphijjā šel éreṣ Jisraēl* (1926), p. 190.

(73) Wilson, *Ordnance Survey of Jerusalem*, p. 81; Schick, *ZDPV* (1878), p. 143.

(74) *PEFQ* (1889), p. 66; (1891), pp. 278ff.

ولكنَّ شيك يذكر بركة اكتُشفت في عام 1865 في أثناء بناء البطريركية اللاتينية، قياسها 50 قدمًا طولًا، ومثلها عرضًا، وعمقها 20 قدمًا، ربما كان للقناة صلة بها.

فيها قرب "القيمرية" قناة فرعية آتية من الشمال. ولمّا كانت القناة تجري مرتفعة في محاذاة ظهر الجبل، فيبعد أنها كانت تصب في المنخفض الرطب الواقع بين دار الأيتام السورية وشارع يافا لانخفاض مستواه كثيرًا عنها. ومن الممكن أنها كانت تصرِّف ماءها في منطقة "البصة"، أي في المنحدر المنبسط القريب من البناء الذي كانت تستخدمه الحكومة التركية سابقًا مستشفى (ص 66). لكننا لم نعثر حتى الآن على أي بركة هناك[75]. كما أننا لا نعرف على وجه التأكيد المكان الذي كانت تقصده القناة جنوبًا. فإذا أخذنا اتجاهها في الاعتبار، فربما كانت متجهة إلى البركة الصغيرة التي كانت تدعى في ما مضى بركة بتشبع (ص 70)، وربما كانت القناتان الصغيرتان اللتان تجريان في مستوى عال، واللتان اكتُشفتا في أثناء بناء فندق "غراند نيو هوتيل" (Grand New Hotel) الواقع إلى الشمال الغربي من برج داود[76]، هما اللتان تصرّفا الماء من هذه البركة في اتجاه خندق القلعة. وتجدر الإشارة إلى أن قناة أخرى، أحسن بناء، شوهدت في اتجاه شمال غربي على مستوى القناة المتجهة إلى حمَّام البطرك. وربما كانت هذه القناة هي الامتداد القديم للقناة الشمالية، أو أنها كانت تصب في خندق القلعة غرب برج داود. ويمكن أن يكون لهذه القناة علاقة بالإجراءات التي اتخذها هيرودوس ليزود قلعته بالماء. وإذا صح ذلك تكون هذه القناة، إضافة إلى قناة متفرعة من القناة الممتدة بين بركة مامِلّا وبركة ميجدلون (يُنظر أعلاه)، هي المقصودة عند الحديث عن الباب "الذي مر الماء من عنده في اتجاه برج هيبيكوس داخلًا (إلى القلعة)"[77].

وفي الشمال، كانت عين البيرة ملائمة تمامًا لأن تكون منطلقًا لقناة تحمل الماء إلى القدس لموقعها المرتفع (يُنظر أعلاه، ص 268) المجاور للفاصل المائي. غير أن الماء المتدفق من عين واحدة لا تكون له أهمية كبيرة، حتى لو نوى أحدهم حرمان المناطق المجاورة، مثل "البيرة" و"رام الله" من عين الماء التي

---

(75) لا بد من فحص الآثار غير الأكيدة لقناة في هذه المنطقة ذكرها غريغ:
Gregg, *Moriah* (1900), pp. 138ff.

(76) Merrill, *PEFQ* (1886), p. 23;

ويُنظر أيضًا الرسم المقطعي عند شيك:
Schick, *PEFQ* (1887), p. 219.

(77) *Bell. Jud.*, V 7, 3.

تشرب منها. ولم يُعثر على آثار لقناة آتية من الشمال إلا في المناطق القريبة من القدس؛ ففي عام 1905 اكتُشفت قناة بين البيوت وتحتها في مستعمرة اليمنيين [نسبة إلى يهود اليمن] قرب "الشيْخ جَرَّاح" (*D* 6) على طريق "نابلس"، يبلغ عرضها 45 سنتيمترًا، وقد حُفرت على ارتفاع مترين في الصخر، وجُعل لها في بعض المواضع غطاء مدبب. وتتجه القناة في أول الأمر في اتجاه غرب – شرق، لكنها تعود فتنعطف في اتجاه شمال شرقي نحو إلى قاع الوادي. وينبغي أن نفترض أن أول القناة كان عند المنخفض الذي يبدأ عنده "وادي اِلجوْز" وفيه "بركة اِلنقاعَة" (ص 181)، هذا إذا كان الفارق في الارتفاعات يسمح بذلك. ولستُ متأكدًا من هذا، وإلا فإن هناك بركة محفورة في الصخر، محاذية تمامًا لطريق "نابلس" في المنطقة نفسها، ولم أستطع في عام 1908 تحديد امتدادها نحو الشمال والغرب. إلا أن وجود "بركة اِلنقاعَة" على ارتفاع 744.4 مترًا لن يسمح للقناة، في أحسن الأحوال، إلا بالوصول إلى "بركة بني إسْرايين"، في الجهة الشرقية من المدينة، التي يبلغ أقصى ارتفاع لها عند ملئها 731.5 مترًا. وربما يتفق مع هذا اكتشاف جزء من قناة عند منحدر شارع العربات من الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة في اتجاه أريحا[78]، قد تكون متجهة إلى البركة نفسها، إلا إذا كان مستوى البركة أعلى من المستوى الذي يصل إليها ماء القناة، وهذه مسألة لا تزال في حاجة إلى البحث.

وينبغي أن نشير إلى القناة الآتية من منطقة باب دمشق متجهةً إلى البركة التي كانت ذات يوم في قلعة أنطونيا (ص 114)، والتي لا بد أنها كانت تجمع الماء في المنحدر الواقع عند أول وادي المدينة، أو في حوض موجود في المحجر الواقع شرق الباب (ص 102 وما يليها). وقد عُثر على أجزاء من ثلاث أو أربع قنوات مختلفة شمال باب دمشق[79]، فربما كان لها، في وجه من الوجوه، علاقة

(78) يُنظر كذلك:
Gregg, *Moriah*, p. 148; Kuemmel, *Karte der Materialien zur Topographie des alten Jerusalem* (1904),
وجاء عنده أنها في الجنوب الشرقي من الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة، من دون أن يشير النص المرافق إلى مصدر المعلومات.

(79) *Rev. Bibl.* (1914), pp. 426ff.; Beaumont, *PEFQ* (1914), pp. 31ff.

بهذه القناة. وكان شيك قد اكتشف، إضافة إلى ذلك، قناة[80] تدخل إلى المدينة الحالية من غرب باب دمشق، ويُستدل من ارتفاعها (حوالى 764 مترًا) أنها ربما كانت تصب في حمَّام البطرك (ص 69). فإن صح هذا الفرض، كان لهذه البركة، إضافة إلى القناة الغربية الآتية من بركة "مامِلَّا"، قناة شمالية كذلك، ربما كانت تبدأ من الحوض الموجود على الامتداد الذاهب بعيدًا إلى الغرب للتلة الغربية (ص 100)، والذي يبلغ ارتفاعه 768 مترًا. ولسنا نعرف بعد صلة القدس الرومانية بهذه القنوات، إذ لا ترجع أي قناة منها إلى الفترة التي سبقت عهد الرومان إلا قناة بيلاطس، وقناة البركة العليا المذكورة في سفر إشعيا (7:3؛ 2:36) (ص 69، 202)، وقنوات عين جيحوْن (ص 170 وما يليها). وهذه القنوات تؤكد أن مياه الينابيع ومياه الأمطار كانت تدخل منذ ذلك الوقت إلى المدينة. أما في زماننا الحالي الذي يبدو أنه لا يحفل بجمع ماء المطر إلا قليلًا، فكل ما فعله تقريبًا هو أنه أعاد إنتاج ما كان موجودًا في العصور الوسطى العربية، لكن في شكل آخر. ومَن يعرف شح الماء في المناطق الجبلية في فلسطين، يعرف أن هذا الجهد، على تواضع نتائجه، قد أفسح في المجال لقيام عاصمة ثابتة وقادرة على التوسع في منطقة ليس فيها مصادر مائية جوفية، سعى الناس إلى استخراجها حتى من وادي رفائيم نفسه، ولكنْ ليس من دون جدوى. غير أن ذلك ما كان ليتحقق، على الرغم من الظروف الأخرى كلها، لولا الإمكانات المائية التي أتاحها وقوع القدس على الفاصل المائي للبلاد.

وضع هذا الكتاب لنفسه هدفًا تمثل في تتبع أحوال القدس الطبيعية كما تتجلى في أراضيها، وبيان شأنها في نشأة هوية القدس التاريخية. وقد صرف الكتاب النظر عن البحث في موقع المدينة العام، بين البحر الأبيض المتوسط والصحراء العربية، وبين المناطق الساحلية وغور الأردن، وبين الأراضي الزراعية والمراعي، وبين الأراضي الفلسطينية الجنوبية التي تتداخل بالصحراء المصرية بما في ذلك قطاعها الجبلي الزارعي الضيق نسبيًا الذي يفصله "وادي اِلصَّرار" عن المناطق الشمالية، وبين المناطق الزراعية الواسعة في وسط فلسطين حيث تلتقي تأثيرات بلاد بين

(80) *ZDPV* (1878), p. 16, Bl. 3.

النهرين وتأثيرات مصر بلد النهر الواحد؛ ذلك كله في المكان الذي يُتاح فيه لأولى الطرق المتجهة من الشرق إلى الغرب أن تمر من شمالي الفاصل الكبير للبحر الميت، وأن تتقاطع مع الطرقات الرئيسة للمناطق الجبلبية المتجهة من الشمال إلى الجنوب. وكان من غير الممكن تناول هذه المسائل تناولًا وافيًا إلا من خلال دراسة جغرافية البلاد كلها. فهذا الكتاب أراد أن يشتغل، في المحل الأول، على علاقة القدس بمحيطها الطبيعي تفصيلًا، حتى يتيح للقارئ أن يتحسس تفصيلات تاريخها، الأمر الذي سيسمح بفهم ذلك التاريخ فهمًا أفضل بعيدًا عن التشكلات التي ما انفكت تصيب صورة المدينة. وما كنا، بطبيعة الحال، لنقاسي العناء في النظر الشامل إلى طبيعة هذه المدينة النائية التي ما بلغت مساحة كبيرة في أي يوم من الأيام لولا أنها أرض حبانا إياها الله، ليربط هذه النقطة الواقعة وسط المناطق الجبلية الصغيرة شرق البحر الأبيض المتوسط بتاريخ روحي فريد من نوعه؛ فلملوك إسرائيل ومشرِّعيها وأنبيائها ومغنِّي مزاميرها وحكمائها مكان مهم فيها. ومن اللافت أن الغاية النهائية من حياة إسرائيل كانت تزداد توثقًا بمرور الوقت في القدس وحولها، حتى ظهر يسوع الناصري فيها جرّاء أهميتها، فجاء مهيِّئًا جميع أموره: معلِّمًا وميِّتًا ومبعوثًا ومتفوقًا على كل ما سبق فيها، جاعلًا خطة الله الشاملة من خلال القدس حقيقة واقعة. ومنذ أن انطلقت رسالته من القدس إلى العالم، ما عادت القدس غير تذكار لهذه الخطة الشاملة. ولكنَّ حتى التذكار لا يقوم في مكانه عبثًا، لأنه يمثل دعوة دائمة إلى التأمل والتفكر العميق في الحقيقة التي يمثلها.

ملحق

أولًا: في ما يتعلق بالمخطط الطوبوغرافي للقدس ومحيطها

وقع اقتراح السيد المستشار الأستاذ الدكتور دالمان عليَّ موقع الترحيب كي أرسم مخططًا للقدس ومحيطها بمقياس رسم 1:20000، لأن هذا المقياس الكبير سيتيح لي أن أوظِّف الصور الجوية التي التقطتها في أثناء الحرب، في عامَي 1917 و1918، لمصلحة أقسام الطيران الحربي الألماني، خاصة قسم الطيران الحربي البافاري 304، توظيفًا خرائطيًا مفيدًا. وقد صممتُ المخطط بحيث تظهر الأماكن وشبكات الطرقات واضحة قياسًا على التضاريس التي تقوم عليها. ولهذه الغاية، صرفت النظر عن تضمين بعض التفصيلات الطوبوغرافية في المخطط، مثل الحافات المنحدرة والمساحات الصخرية والأسوار، وما شابه ذلك. وقد مُثلت التضاريس في طبقات تمثل كل طبقة عشرة أمتار، أما في الأراضي المنبسطة، فقد مثلت كل طبقة خمسة أمتار، إذا اقتضى ذلك توضيح طبيعة التضاريس.

وقد رُسمت طبقات الارتفاع الممثلة لمسافة 20 مترًا بخط سميك، والطبقات الممثلة لمسافة عشرة أمتار بخط رفيع متصل، أما الطبقات التي مثلت مسافة خمسة أمتار فقط، فرُسمت بخطوط دقيقة متقطعة يفصل بين كل شَرطة وأخرى فيها نصف سنتيمتر.

وقد قُرّبت قيم الارتفاع للنقاط التي جرى قياسها كلها إلى أقرب متر، ولُوِّنت الأرقام الدالة على نقاط الارتفاع والانخفاض، والتي تعين على فهم الخريطة،

باللون الأسود. ولمّا كان عدد بيانات الارتفاعات في المناطق الواقعة خارج المدينة قليلًا ومبعثرًا، فقد وضِعت قيم الارتفاعات على خطوط الطبقات ذات العشرين مترًا بأرقام مائلة بنية اللون، ورُتبت في اتجاه انحدار التضاريس بحيث تذكر قيمة الانحدار.

أما خريطة القدس في عهد نحميا، وخريطة القدس في عهد هيرودوس، فقد وضعتهما بحسب مخططات وضعها السيد المستشار دالمان، وراعيت في ذلك طبيعة التضاريس والارتفاعات كما وردت في الخريطة الرئيسة.

أما المادة الأساسية التي اعتمدتُ عليها في وضع المخطط، فكانت كما يأتي:

1 - خريطة القدس 1:2000 التي وضعها **مسح فلسطين - يافا** (*Survey of Palestine, Jaffa 1921-1924*).

2 - الخريطة العسكرية الإنكليزية: 1:40000، ورقة القدس (*B* 5) التي وضعت في آب/ أغسطس 1918.

3 - الصور الجوية التي التقطتها أقسام الطيران الحربي الألماني.

وتُعَدّ الخرائط الإنكليزية المستخدمة في البندين الأول والثاني أعلاه من أفضل الخرائط التي رُسمت في العقود الأخيرة، إذا استثنينا الخريطة الأقدم الممتازة للقدس ومحيطها 1:2500 المسماة (*Ordnance Survey Plan*) التي وضعها ت. و. ويلسون (C. W. Wilson)، والتي اعتُمد عليها إلى حد بعيد كما يبدو في وضع خريطة 1:2000.

أما الخريطة العسكرية الإنكليزية 1:40000، فقد رُسمت لغايات الحرب حصرًا تقريبًا، وإن كانت فيها تفصيلات أدق من الناحية الطوبوغرافية في بعض المواضع، ولكنها في مواضع أخرى لم تراعِ الدقة التي راعتها خريطة صندوق استكشاف فلسطين 1 (*Palestine Exploration Fund*): 63360. ومما تتميز به الخريطة العسكرية أنها تمثل التضاريس من خلال خطوط طبقات تفصل بينها 30 قدمًا.

وُضع المخطط الحالي استنادًا إلى خريطة القدس 1:2000، بعد توسيع حدودها لتتجاوز حدود المدينة بالاعتماد على الخريطة العسكرية 1:40000. وقد تيسر إدخال تحسينات مهمة جدًا على تمثيل طبيعة التضاريس والارتفاعات في هذه الخريطة بفضل الصور العمودية الجميلة جدًا التي التقطها قسم الطيران الحربي البافاري 304 للطريق الذاهبة إلى "نابلس" عند "شُعْفاط"، وعند خط سكة الحديد الذاهبة إلى يافا عند "المالحة" و"شرفات" و"بيت صفافا" و"العيسوية". ويكتسب أهمية خاصة في نظري التصحيح الذي أُدخل على طريق القدس – العيزرية – أريحا، وحتى الوصول إلى "وادي الحوض" والمناطق الواقعة شمال الطريق وجنوبها.

وقد رُسمت خطوط الطبقات في هذه الأجزاء من الخريطة بالاستناد إلى خطوط الطبقات الموجودة في خريطة القدس 1:2000 وفي خريطة الحرب الإنكليزية 1:40000. كما أن الصور العامة الأخرى المتوافرة أتاحت إدخال بعض التحسينات، وبعضها مهم، على الخريطة العسكرية الإنكليزية.

أما تضاريس المدينة الداخلية، فقد حُدِّدت بناء على نقاط الارتفاع الكثيرة الواردة في خريطة ويلسون، واستُكملت خريطة شبكة الطرقات للمدينة الخارجية بحسب الصورة الجوية الإنكليزية الملتقطة في عام 1925.

فإذا كنتُ قد وفِّقتُ في توقيع الصور الجوية على المخطط الطوبوغرافي، فيستحق السيد الأستاذ دالمان على ذلك شكرًا خاصًا، فقد أعانني في وضع هذا المخطط أيما إعانة، مستندًا في ذلك إلى معرفته الرائعة بالمكان.

برلين، حزيران/ يونيو 1929

فيلهلم غورينغ
رسَّام خرائط

ثانيًا: الصور وشروحها[1]

أولًا: الصور الجوية

1 - القدس وضواحيها وسلسلة جبل الزيتون من الشرق

الصورة رقم Fl. 301, Nr. 480.
التاريخ: 1918.1.19، العاشرة صباحًا.
الارتفاع 3500 متر.
البُعد البؤري: 25.
عدسة: الملازم شرايبر (Schreiber).

نظرة عامة على موقع المدينة من الجهة المقابلة لسلسلة جبل الزيتون، بين فرعَي "وادي النار"، على الجهة نفسها التي يقع فيها الفاصل المائي بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الميت، والذي يحوط المدينة على هيئة قوس من يسار وسط الصورة إلى يمين وسطها. كما تتجلى في الصورة بوضوح طرق المواصلات في الاتجاهات كلها.

في مقدمة الصورة في الوسط: بيت فاجي و"راس اِلشِّيَّاح" وفوقها جبل الزيتون، وإلى اليمين التلّتان الألمانية واليهودية. وفي وسط يسار الصورة "جِبِل دَيْر أبو ثوْر"، وطريق الخليل، ومحطة القطار. وفي الوسط المدينة القديمة وضاحية يافا، وضاحيتها الشمالية. وفي أعلى وسط الصورة طريق يافا، وإلى اليمين طريق "نابلس"، وفوق ذلك "كَرْم الكعك". وإلى يسار أسفل الصورة طريق أريحا. وفي الأعلى إلى اليسار الامتداد الجنوبي للتلة الشمالية الغربية، ودير الصليب. وفي الوسط، تظهر الصورة الأماكن القريبة من التلة الشمالية الغربية. الصورة تتعلق بالصفحات 36 وما يليها، و163 وما يليها، و199 وما يليها.

(1) جميع أرقام الصفحات الواردة في تعريف الصور تعود إلى النص الألماني. (المحرر)



2 – سلسلة جبل الزيتون من الشرق

الصورة رقم Fl. 301, Nr. 485.

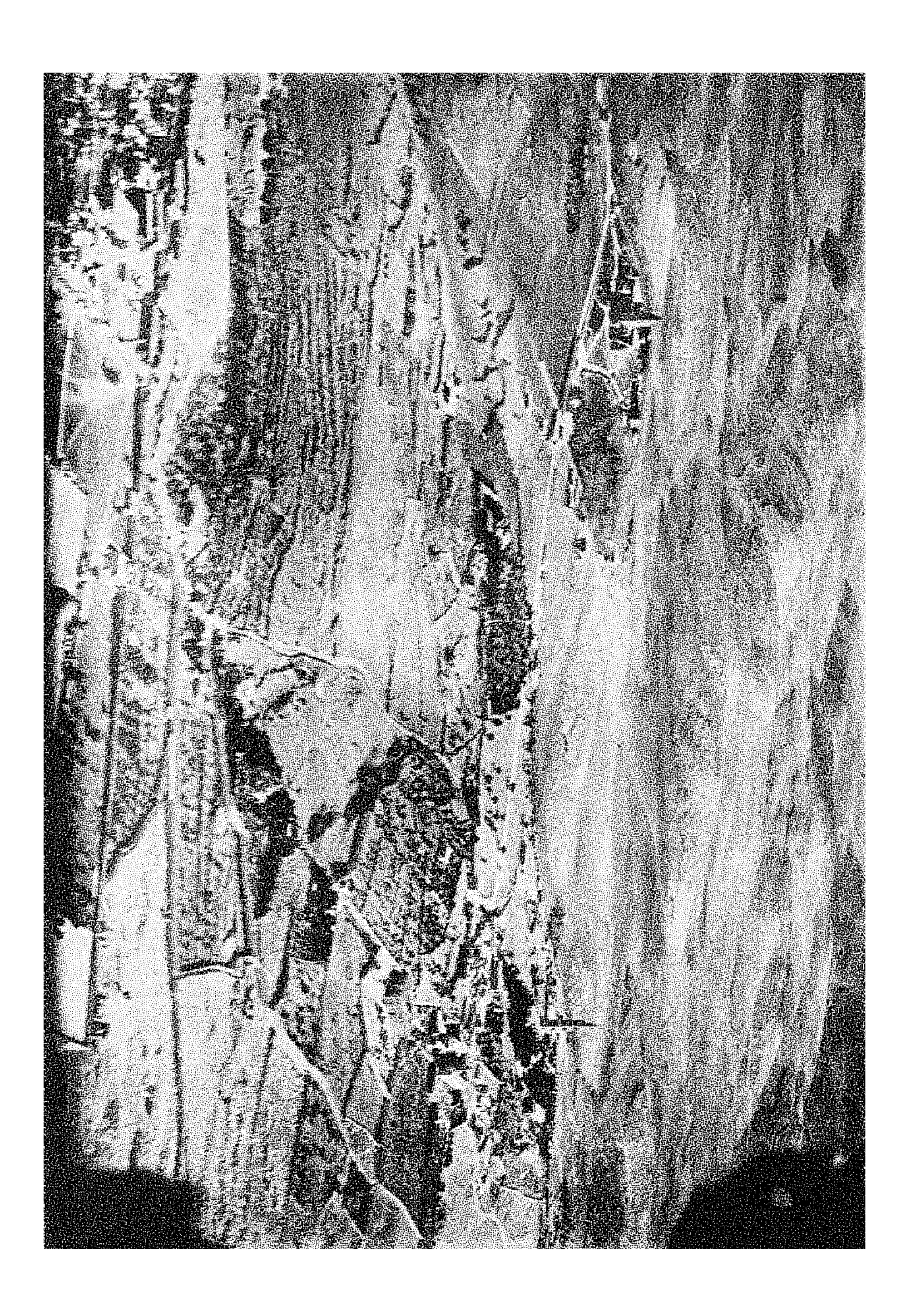
نظرة عامة على السفح الشرقي لسلسلة جبل الزيتون الذي يتبع المناطق التي يمكن زراعتها، ويظهر موقع السلسلة من القدس والطرق الشرقية. في وسط الصورة: التلة الألمانية وطريق جبل الزيتون، تقطعها الطريق الرومانية الواصلة بين القدس وأريحا. إلى اليسار: جبل الزيتون وبيت فاجي؛ وإلى اليمين: التلة اليهودية؛ وعند طرف الصورة: قرية "العيسوية" (ليشا)؛ وتحت التلة الألمانية إلى اليمين "راس اطْمِيم" (بَخوريم). في الأعلى إلى اليسار: القدس، وإلى اليمين ضاحية المدينة الشمالية وطريق "نابلس" حتى "كَرْم الكعك". الصورة تتعلق بالصفحات 37 وما يليها، و55، و154 وما يليها، و258 وما يليها.



3 – صورة من الغرب لسلسلة جبل الزيتون مع التضاريس الشرقية

الصورة رقم: Fl. 301.

إطلالة مهمة على السفوح الغربية لجبل الزيتون مع طرقها، وعلى المراعي في الجهة المقابلة حتى مسافة خمسة كيلومترات. يسار الصورة: التلة الألمانية، وفي الوسط: تلة الجليل، وإلى اليمين تلة الصعود إلى السماء والتلة الروسية مع البرج، وتحت ذلك طرق جبل الزيتون الثلاث، وتشاهد الجثمانية عند مكان التقائها. وفي أعلى الصورة إلى اليسار "وادي مغاير الضبع"، وتمتد على طوله الطريق الرومانية الذاهبة إلى أريحا على سفح سلسلة "راس الزيامبة". وفي الأعلى من الجهة اليمنى "وادي اِلسِّكَّة" وجزء من طريق أريحا. وفي مقدمة الصورة ساحة الحرم القدسي ومنطقة باب إستيفانوس. الصورة تتعلق بالصفحات 35 وما يليها، و55، و154 وما يليها، و258 وما يليها.



4 – صورة من الغرب لجبل الزيتون ولسلسلة جبل الزيتون، الطرف الأدنى من الصورة العمودية

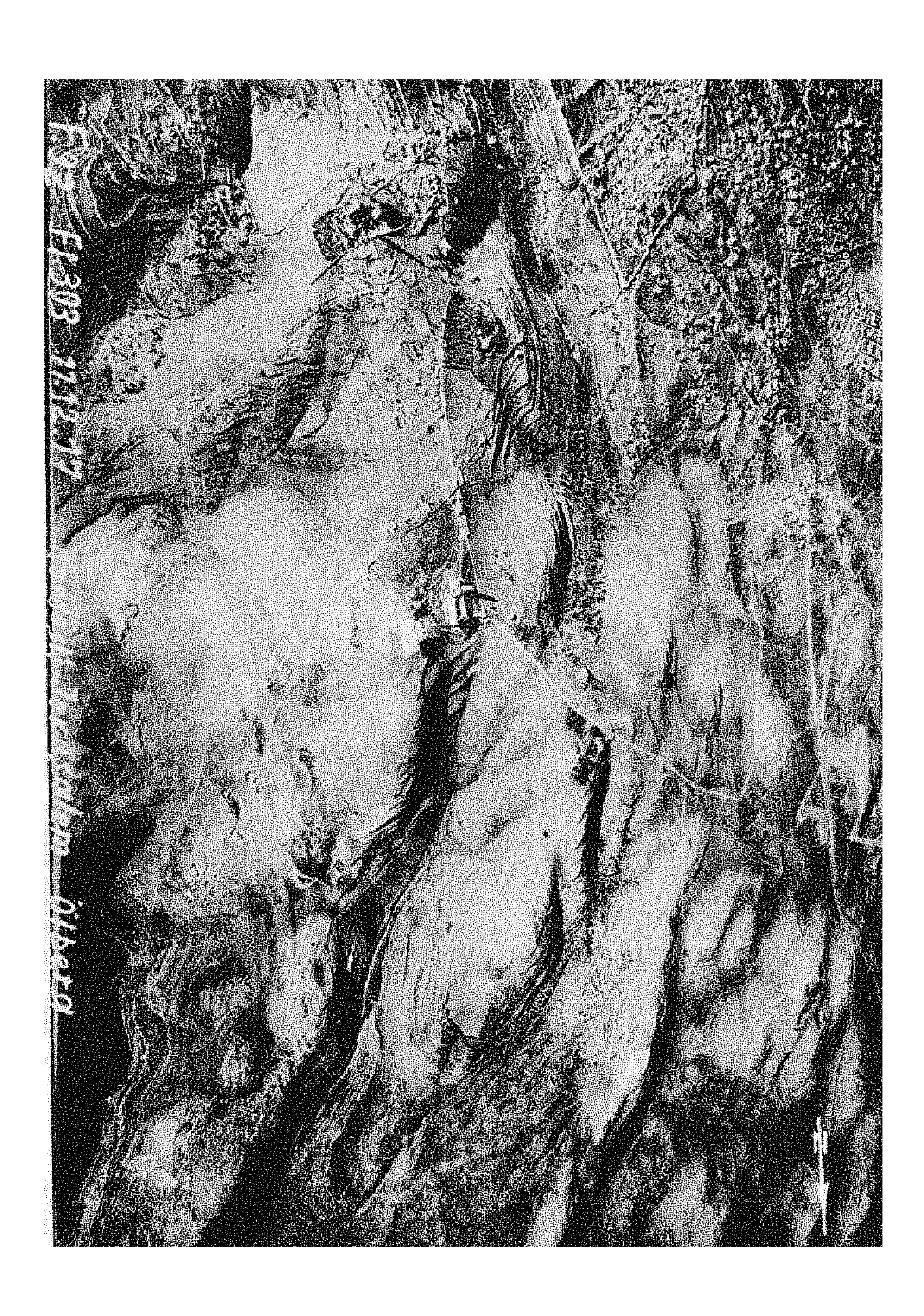
صورة عمودية مهمة تُظهر بوضوح نسق الطرقات وخطوط الأودية. إلى اليسار التلة اليهودية، وفي الوسط التلة الألمانية، وإلى اليمين جبل الزيتون متصل بطريق جبل الزيتون التي تقطعها طريق أريحا الرومانية الآتية من زاوية القدس الشمالية الشرقية. وإلى اليسار الطريق المنطلقة من جبل الزيتون نحو أريحا عبر "وادي اللحام"؛ وإلى اليمين طريق إلى بيت عنيا، العيزرية متفرعة من طريق بيت فاجي، وبعد ذلك "راس الشياح". على جانب الصورة الأيمن، وفي أدنى الصورة، شارع المركبات إلى أريحا. وفي أسفل الصورة وادي قِدْرون وطرف القدس الشرقي؛ وإلى اليسار الطريق إلى "عناتا". الصورة تتعلق بالصفحات 36 وما يليها، و237، و249 وما يليها.



5 – صورة من الشرق لجبل الزيتون

الصورة رقم: Fl. 303, Nr. 92.
التاريخ: 1917.12.11، الساعة الثامنة صباحًا.
الارتفاع: 2000 متر.
1/ 450.

تشبه هذه الصورة الصورة الثانية، لكن المشاهد تظهر هنا أكثر تجسيدًا بسبب الظلال التي تلقيها شمس الصباح في كانون الأول/ ديسمبر، كما أن الصورة تشمل إطلالة أوسع على سلسلة جبل الزيتون. في الوسط التلة الألمانية؛ وتحت إلى اليمين "راس إِطْمِيم"؛ وعلى بعد سنتيمتر واحد من زاوية الصورة "شيْخ عَمْبَر"؛ وإلى اليسار جبل الزيتون، وتحته بيت فاجي. وإلى اليمين التلة اليهودية، وإلى يمينها قرية "العيسوية"، ثم تلة الصوان، و"راس أبو حلاوة" وتظهر فيه بقع داكنة اللون ناتجة من وجود مزروعات هناك، و"راس صَلاح"، و"الكعمة". وعند انعطافة الطريق الشمالية يظهر "راس المشارف" (جبل سكوبس). وإلى يسار الصورة القدس وضواحيها. ويمكن تمييز بساتين الأشجار من خلال النقاط الداكنة التي تمثل الأشجار نفسها، والأراضي الزراعية من خلال الخطوط التي تبين حدود الحقول. الصورة تتعلق بالصفحة 22 وما يليها، وص227 وما يليها.



6 – صورة من الجنوب الغربي للتضاريس الواقعة شرق سلسلة جبل الزيتون، الطرف الأدنى للصورة

الصورة رقم: Fl. 301, Nr. 734.
التاريخ: 26.3.1918، الساعة العاشرة و35 دقيقة صباحًا.
الارتفاع: 3800 متر.
البُعد البؤري: 25.

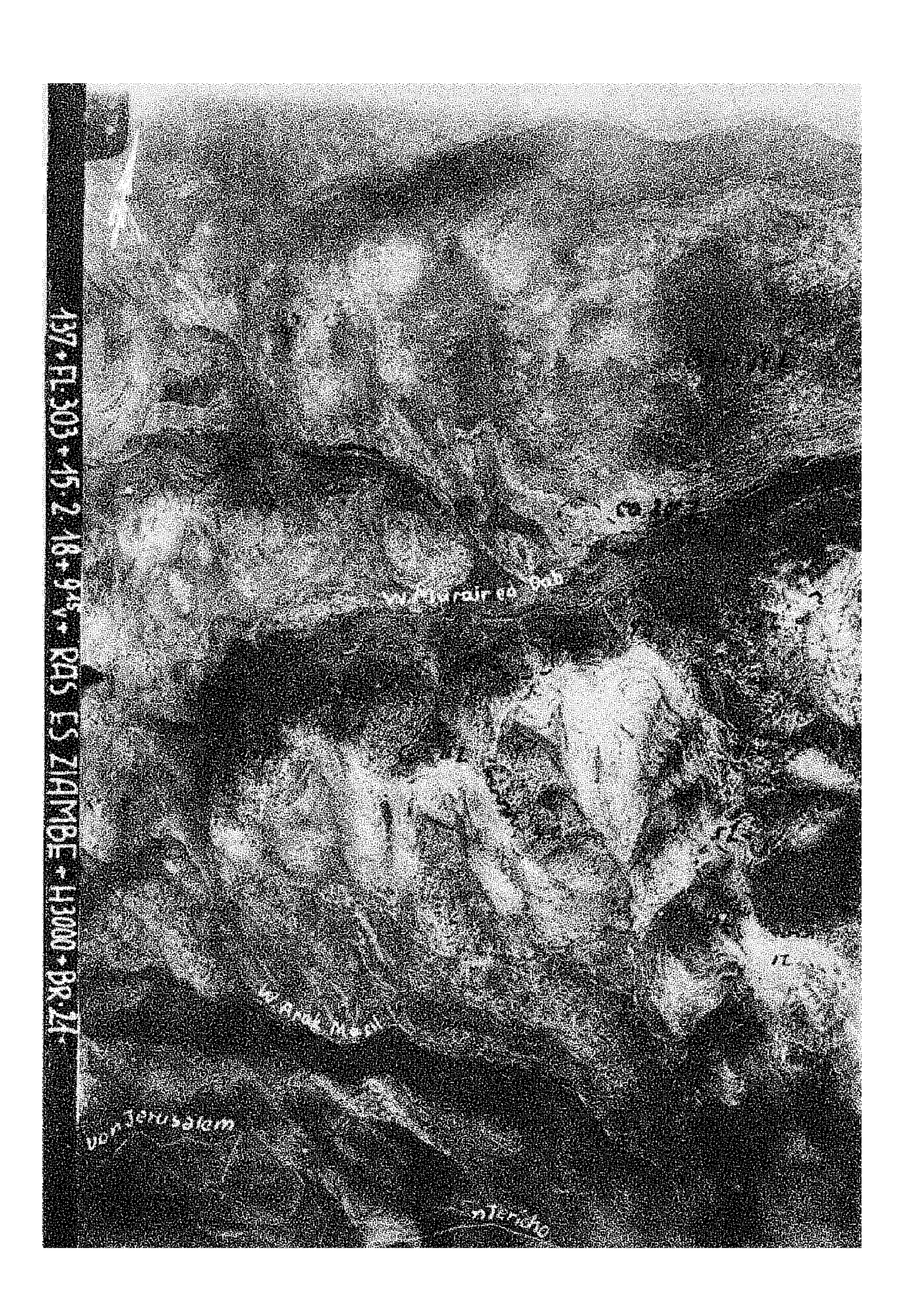
التُقطت هذه الصورة في صباحِ يوم ربيعي غائم، وتُظهر السفح الشرقي للمناطق الجبلية الفلسطينية الذي مزَّقه التأكل، كما يظهر شرق القدس والطرق المتاحة فيه. في وسط يسار الصورة التلة الألمانية، وتحتها جبل الزيتون. وفي أعلى الصورة يسارًا "وادي أبوخَرُّوب"، وهو يصب في "وادي مْغايِر الضبع" المتصل بالحقل الزراعي المسمى "إبقيعدان"، وتتجه من أمام الوادي الأخير الطريق الرومانية نحو أريحا آتية من التلة الألمانية. وأبعد إلى اليمين سلسلة التلال المسماة "راس الزيامبة"، ثم "وادي اللحام" الآتي من جبل الزيتون والتلة الألمانية، وتُظهر أيضًا الطريق الآتية من جبل الزيتون. ويجري موازيًا لهذا الوادي "وادي الحوض" ("السكة")، وشارع المركبات المتجهة من القدس إلى أريحا، وإلى اليمين فوق التلة الألمانية "راس اِطْمِيم"، وفي أسفل الصورة في اتجاه وسطها تظهر بيت عنيا، العيزرية و"أبوديس" غير واضحتين. الصورة تتعلق بالصفحات 54 وما يليها، و154 وما يليها، و249 وما يليها.


1.301. 234.26.3 18.10³⁰ östl. JERUSALEM. D 4122. H. 3800. Br. 25 IV
Jericho

7 – صورة من الغرب لسلسلة تلال "راس الزيامبة"، شرق جبل الزيتون، الطرف الأدنى للصورة

الصورة رقم: Fl. 303, Nr. 137.
التاريخ: 1918.2.15، الساعة التاسعة و15 دقيقة صباحًا.
الارتفاع: 3000 متر.
البُعد البؤري: 21.

الجزء العلوي من وسط الصورة رقم 6، تظهر فيه امتدادات الصورة شرقًا وشمالًا. في وسط الصورة تظهر الكتلة الرئيسة لراس "الزيامبة"؛ وإلى اليسار منه "وادي مْغايِرالضبع"، ومعه فرعه الأيسر المسمى "وادي أبو خَرُّوب"، وأبعد إلى اليسار عند طرف الصورة "وادي سليْم". وإلى اليمين "وادي اللحام" ("عَراق نازل")، وعلى الطرف صورة "وادي الحوض" وتظهر معه طريق أريحا، والأودية الفرعية لـ"وادي دِبْر" كلها. وفي الأسفل إلى يسار وسط الصورة "راس اِطْمِيم". تتعلق الصورة بالصفحات 55، و153 وما يليها، و249 وما يليها.


137 · FL 303 · 15.2.18 · 9 45 V · RAS ES ZIAMBE · H3000 · BR.24.
von Jerusalem
n Jericho

8 – صورة من الغرب للقدس وللتضاريس الشمالية الشرقية

رقم الصورة: Fl. 300.

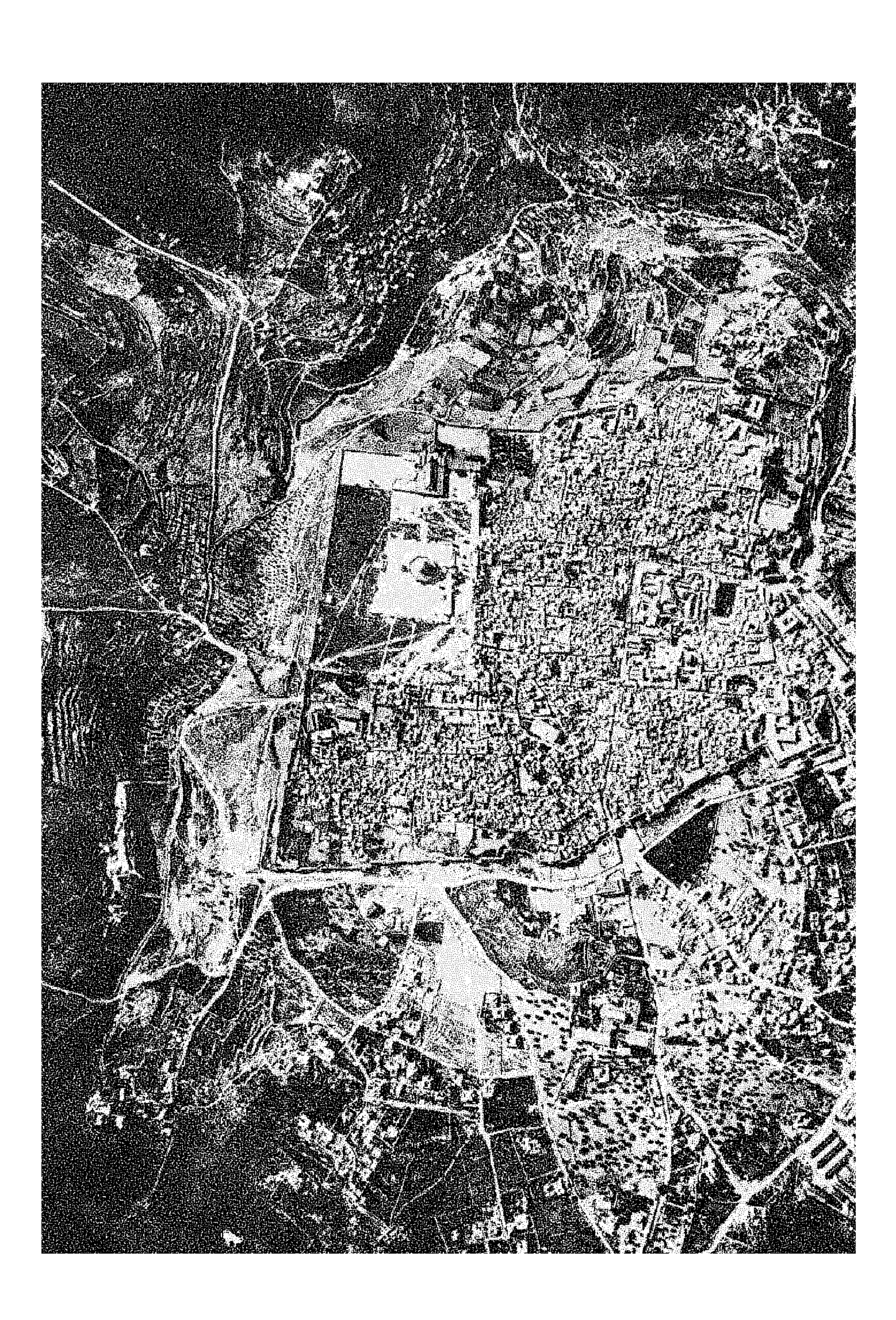
نظرة شاملة عبر منطقة "وادي القلط" شرق الفاصل المائي، تبين صلته بمنطقة "وادي دِبْر" المحاذية لسلسلة جبل الزيتون، حتى مسافة 16 كيلومترًا عن القدس تقريبًا. ويغلب أن خط العبور العلوي كان "وادي العسس" عبر منطقة "وادي النعيمة"، وخط العبور الثاني على وجه التأكيد "وادي الصوينيت" [الصوانيت] الذي يصب فيه "وادي المدينة" الآتي من "البيرة". وإلى يسار الصورة، قرب الإطار تظهر "الرام"، وتحت الوادي في الوسط تظهر "جِبَع"، وفوق ذلك أبعد إلى اليمين "مُخْماس"، ثم "راس الطويل". وتحت ذلك عند الإطارالجنوبي اليميني تظهر "حِزْمِة"، وتظهر أدنى من ذلك الطريق المفضية إلى "عناتا". وإلى اليسار، فوق طريق "نابلس" تظهر "تُليل اِلفول" (غفعات شاؤول)، ويأتي بعدها مباشرة تلال "خربة صوْمَع" والكعمة والحمورة، و"دار صَلاح"، وأبو حلاوة"، وأبعد إلى اليمين التلة اليهودية في سلسلة جبل الزيتون، وفوقها "العيسوية". وعلى يسار طريق "نابلس" على طرف الصورة يظهر "راس المشارف" (سكوبس). وفي أسفل الصورة يسارًا القدس والضاحية الشمالية التي تنطلق منها طريق جبل الزيتون، وإلى اليمين وادي قِدْرون وسفح جبل الزيتون. هذه الصور تتعلق بالصفحات 22 وما يليها، و153 وما يليها، و227 وما يليها.



9 - القدس مع الضاحية الشمالية، طرف الصورة الأسفل، الاتجاه: شرق - شمال شرق

الصورة رقم: Fl. 300.

صورة جامعة للمدينة القديمة، وللأودية المحيطة بها، مع إطلالة شاملة على شبكة الطرقات، مع ما يصلها بالطرقات جنوبًا وشرقًا وشمالًا، وما يتصل بذلك من أبواب للمدينة. على يسار الصورة في الأعلى "جبل دير أبو ثور"، وفي الوسط "وادي النار"، ثم "بطن الهوى" مع "سلوان"، وفي الأسفل سفح جبل الزيتون، وإلى اليمين التلة الشمالية حتى كنيسة المطران الإنكليزية. الصورة متعلقة بالصفحات 69 وما يليها، و88 وما يليها، و112 وما يليها، و163 وما يليها، و199 وما يليها، و227 وما يليها.



10 - شرق القدس، الطرف الأدنى للصورة - الشرق

رقم الصورة: Fl. 304, Nr. 1523 (M 789).
التاريخ: 1918.5.26، الساعة الواحدة بعد الظهر.
الارتفاع: 4800 متر.
البُعد البؤري: 50.

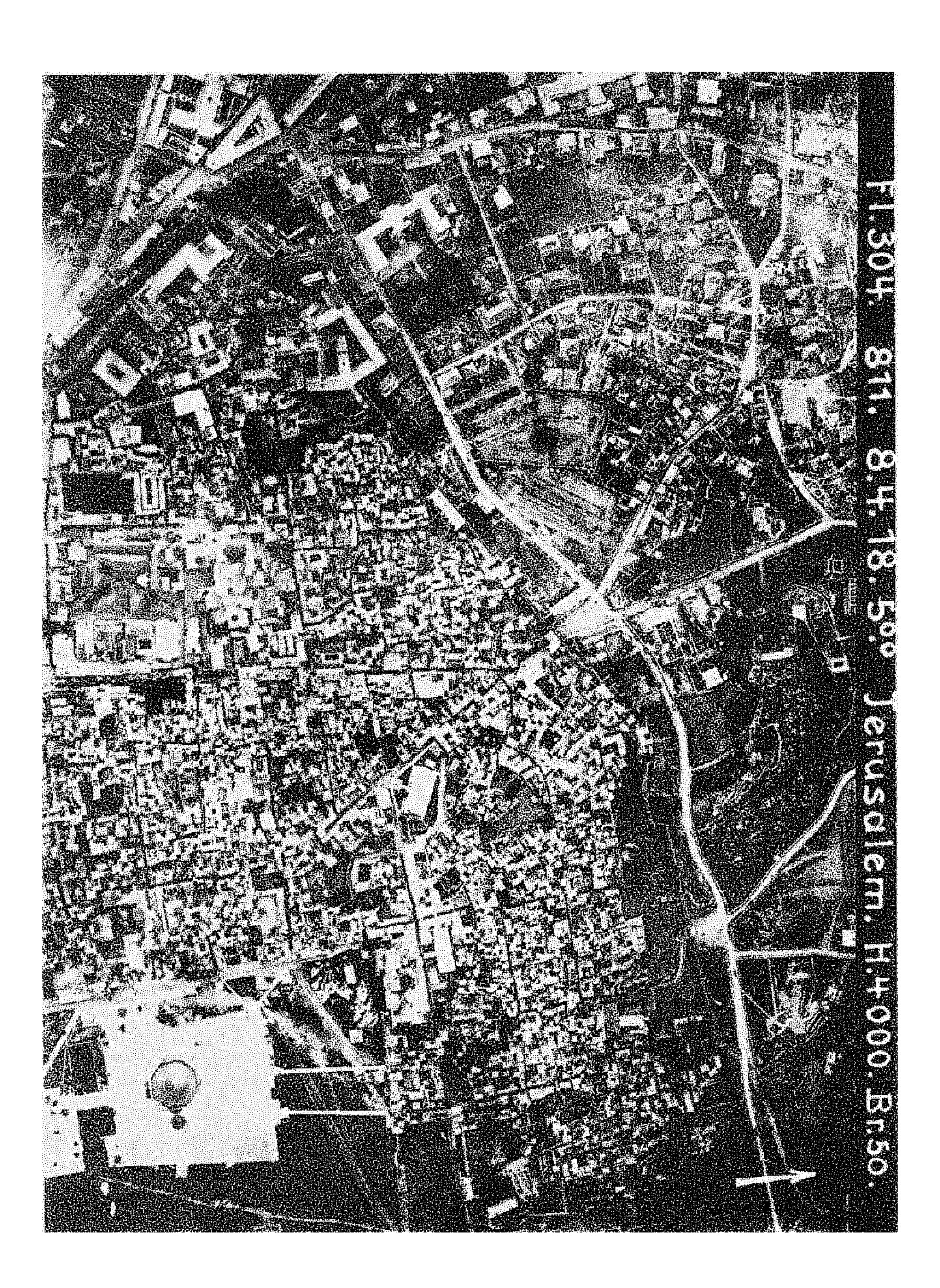
أكثر ما يلفت في الصورة ساحة الهيكل [الحرم القدسي]، وساحته الوسطى المرتفعة عن سواها، والامتداد نحو الجنوب؛ وإلى اليمين "بركة بني إسرايين" وكنيسة القديسة حنة، وفوقها منطقة قلعة أنطونيا وبداية طريق الآلام، ثم يسير طريق الوادي مستعرضًا. وتظهر في الصورة الطريق الشمالية الجنوبية، وفوقها كنيسة القيامة، وكنيسة المخلص، وسوق اليونان [ربما المقصود سوق أفتيموس، على اسم الأرشمندريت اليوناني الذي بناه في عام 1902]، وفوقه حمَّام البطرك. وإلى اليمين غولغوثا ثنيوس [الجلجلة] وكنيسة إستيفانوس. وإلى يسار الصورة في الأسفل "سِلوان"، وفوقها عين أُم اِلدَّرَج (جيحون). الصورة تتعلق بالصفحات 101، 112 وما يليها، 138 وما يليها، و168 وما يليها، و192 وما يليها، و233، و235 وما يليها، و243 وما يليها، و257 وما يليها، و264 وما يليها.



11 – شرق القدس، الطرف الأدنى للصورة – الشرق

رقم الصورة: Fl. 304, Nr. 1523 (M 789).
التاريخ: 1918.5.26، الساعة الواحدة بعد الظهر.
الارتفاع: 4800 متر.
البُعد البؤري: 50. البيانات على الصورة نفسها مختلفة.

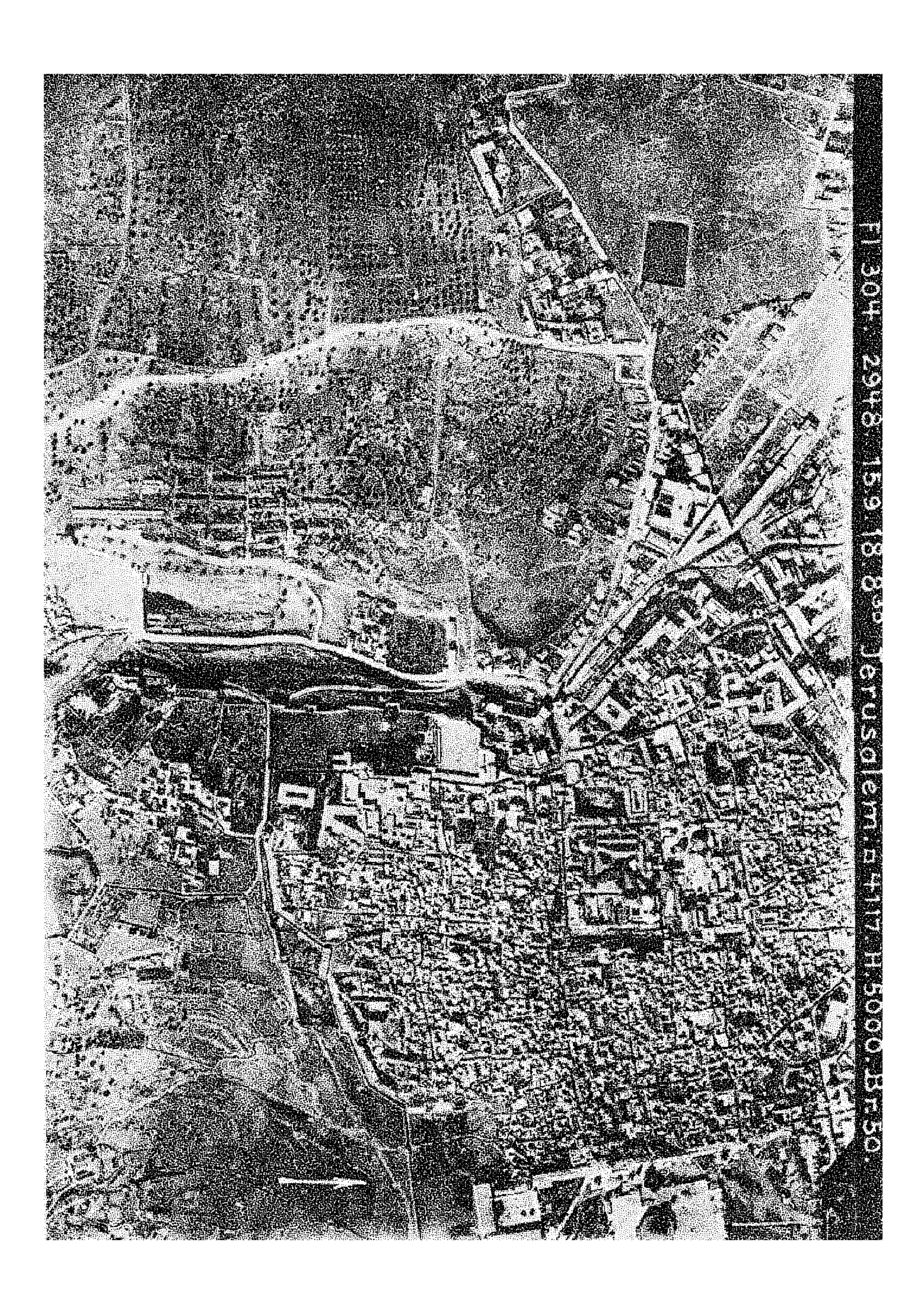
تُظهر الصورة انتشار الطرقات في داخل باب دمشق وخارجه، ثم تقاطعها مع طريق الآلام في اتجاه شرق – غرب حيث تنعطف لأسباب تاريخية. وإلى يسار الصورة طريق يافا والوصلة بين طريق الخليل والطريق الشمالية. وفي أسفل الصورة، في الوسط بركة حمَّام البطرك وسوق اليونان، وفوقها كنيسة القيامة، وإلى اليمين منها ضاحية القدس في عهد هيرودوس. وتظهر في الزاوية الشمالية الغربية للحرم آثار إزالة الصخور التي كانت تقوم عليها قلعة أنطونيا، وإلى الجنوب من ذلك مكان خندق القلعة الذي كان موجودًا يومًا ما. وفي الأعلى غولغاثا ثنيوس، وكهوف الملك، وأبعد إلى اليسار تظهر "البركة" بين الطريقين الآتيتين من باب دمشق. تتعلق الصورة بالصفحات 67 وما يليها، و88 وما يليها، و112 وما يليها، و174 وما يليها، و195 وما يليها، و233، و235 وما يليها، و257، و264 وما يليها.


Fl.304. 871. 8.4.18. 5°° Jerusalem. H.4000. Br.50.

12 - غرب القدس وجنوب غربها، الطرف الأدنى للصورة جنوب

رقم الصورة: Fl. 304, Nr. 2948 (M 791).
التاريخ: 1918.9.15، الساعة الثامنة و35 دقيقة صباحًا.
الارتفاع: 5000 متر.
البُعد البؤري: 50.

تُظهر الصورة تلة المدينة الغربية المزروعة بأشجار الزيتون، ويظهر في الصورة القسم الأعلى من وادي إبن هِنّوْم الفاصل بينهما. كما تظهر العلاقة بينها وبين وادي المدينة والتلة الشرقية الواقعة على الجهة الأخرى. وتظهر بركة مامِلّا (يسارًا في الأعلى)، وبركة السلطان (في الأسفل في الوسط)، وبركة سِلوان (في الأسفل إلى اليمين). أما داخل المدينة، فيظهر إلى اليسار باب يافا والقلعة، وفوق ذلك الطريق المارة من الغرب إلى الشرق في اتجاه ساحة الحرم القدسي في منطقة السور الشمالي للمدينة الهيرودية العليا. وإلى الجنوب كنيسة دورميثيون [رقاد السيدة العذراء] ودير دورميثيون مع برجه، ويُستدل عليه من خلال ظله، ثم قبر "النبي داود" مع قبته، حيث كانت هناك قاعة طعام العشاء بحسب الروايات القديمة (ص 88)، ويقال إنه كان قبرًا لداود (ص 135). وتظهر في وادي بركة السلطان الطريقان الجنوبيتان، القديمة والجديدة، وتظهر على التلة الغربية طريق موازية لهما كانت تأتي ذات يوم، في الغالب، من طريق يافا. الصورة تتعلق بالصفحات 67 وما يليها، و190 وما يليها، و199 وما يليها، و242 ما يليها، و247.


Fl 304. 2948 15.9.18
Jerusalem
H.5000. Br.50.

13 - صورة لغرب القدس من الشرق

رقم الصورة: (Fl. 304, Nr. 1667 (M 785.

التاريخ: 1918.6.3، الساعة الثانية عشرة و45 دقيقة بعد الظهر.

الارتفاع: 4300 متر.

البُعد البؤري: 50.

تُظهر الصورة المنطقة الواصلة بين التلة الغربية المزروعة بأشجار الزيتون في عبورها إلى التلة الشمالية الغربية (إلى اليمين) والتلة الجنوبية (إلى اليسار). وبين امتدادات "وادي الصرار" يظهر (وادي رفائيم) يسارًا، و(وادي دير الصليب) في الأعلى. وتُظهر الصورة تفرُّع الطريق الغربية إلى "المالحة" (في أعلى الصورة، في الوسط) وإلى "عين كارم" (أقرب إلى اليمين). وعلى يمين الصورة تظهر الطريق الشمالية الغربية المتجهة إلى يافا، وإلى اليسار الطريق الجنوبية الغربية المتجهة إلى "بِتِّير"، كما تظهر الطريقان الجنوبيتان كلتاهما، ويظهر بينهما "راس الدبوس" ومحطة القطار. وعلى يمين الصورة تظهر أيضًا تلة المدينة والمجمع الروسي، وفوق ذلك مدرسة طاليتا قومي [أو مدرسة شارلوتا، وتعني أيتها الصبية قومي أو انهضي] (في الوسط)، و"بركة اِلخَنْدَق". وإلى يسار الصورة مستعمرة الهيكليين الألمانية، وفوقها المستعمرة اليونانية، والطريق المتجهة إلى "المالحة" عبر القطمون، وإلى اليمين سكة الحديد التي تقطعها قناة الماء الإنكليزية. وبين سهل رفائيم وتلة "الطالبية" مصح [ملجأ] المجذومين المسمى "عون يسوع" التابع للكنيسة المورافية [ويسمى كذلك مستشفى البرص]. الصورة تتعلق بالصفحات 59، و67 وما يليها، و141 وما يليها، و199 وما يليها، و212 وما يليها، وص239، و241 و244.



14 – جنوب القدس، الطرف الأدنى للصورة، من الشرق

الصورة رقم: Fl. 304, Nr. 2546 (M 783).
التاريخ: 1918.7.28، الساعة الحادية عشرة قبل الظهر.
الارتفاع: 4500 متر.
البُعد البؤري: 50.

الانتقال من التلة الغربية إلى التلة الجنوبية، مع امتداد الفاصل المائي بين "وادي الصرار" و"وادي النار"، أو بالأحرى بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الميت. ويظهر في الوسط "جِبِل دِيْر أبو ثور"، وتحته "الشماعة" بما فيه من أشجار الزيتون. وفي الأسفل في "وادي النار" بئر أيوب، وإلى اليسار "الخلة" و"الراس"، وفروع "وادي ياصول"، وإلى اليمين وادي إبن هنّوم، وأراضي سِلوان المروية، وبداية وادي المدينة و"بركة الحمرا" وبركة سِلوان، ويظهر فوقها الطرف الجنوبي للتلة الغربية للمدينة. وإلى اليسار تظهر طريق متجهة إلى "بِتِّير"، وسكة الحديد، وطريقا الخليل القديمة والجديدة، وطرق متجهة إلى الصحراء وإلى "صور باهر". وفي الوسط تظهر، إلى الجنوب من "جِبِل دِيْر أبو ثور" الطريق التي تصل طريق الخليل بباب صهيون في المدينة. الصورة تتعلق بالصفحات 87 وما يليها، و143 وما يليها، و146 وما يليها، و163 وما يليها، و189 وما يليها، و199 وما يليها، و245 وما يليها.


Fl 304 2546 28.7.18 11[30] Bhf Jerusalem 04317 H 4500 Br 50

15 – صورة من الشمال الشرقي لسهل رفائيم ووادي النار

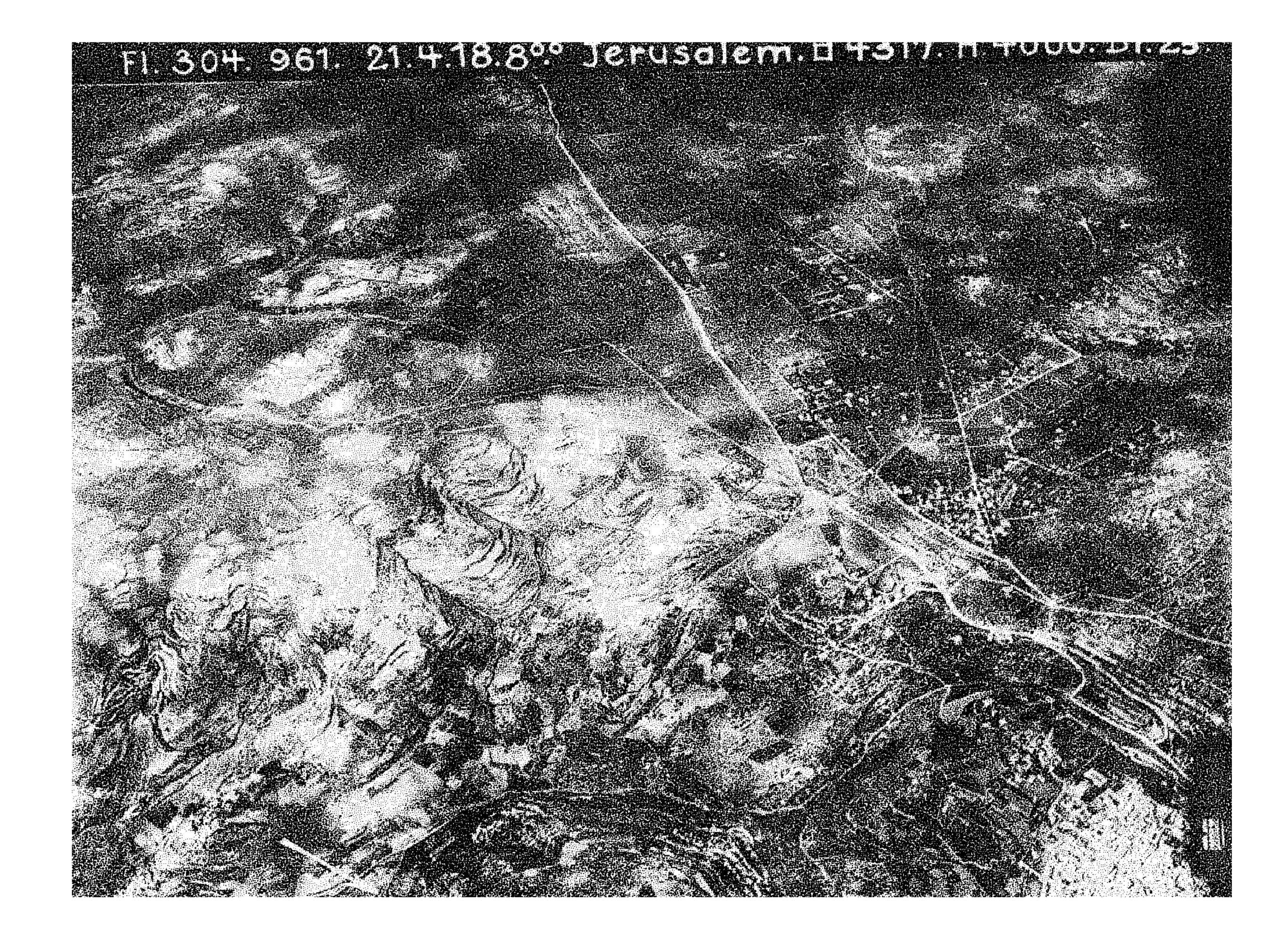
رقم الصورة: Fl. 304, Nr. 961 (M 782).

التاريخ: 1918.4.21، الساعة الثامنة صباحًا.

الارتفاع: 4000 متر.

البُعد البؤري: 25.

في وسط أعلى الصورة يظهر سهل رفائيم مع طرق الخليل الثلاث، والطريق المتجهة إلى بِتِّير إلى جانب سكة الحديد. وإلى اليسار تظهر الطريق المتجهة إلى الصحراء وإلى "صور باهر". وفي وسط يسار الصورة يظهر "راس المكبر"، وتحته "بيت ساحور العتيقة". وفي الأسفل "وادي النار" و"وادي ياصول" (من الأعلى)، وإلى يمينها "الراس"، و"الخلة" و"الشماعة"، ووادي إبن هِنّوم، والقدس. وفي أعلى يمين الصورة "القطمون"، وفي الوسط مصح المجذومين [مستشفى الجذام]، و"الطالبية". الصورة تتعلق بالصفحات 146 وما يليها، و161 وما يليها، و211 وما يليها، و245 وما يليها.


Fl. 304. 961. 21.4.18.8°° Jerusalem.

16 - بيت عنيا، العيزرية، الطرف الأدنى للصورة شمال - غرب

رقم الصورة: Fl. 304, Nr. 2033 (M 846).

التاريخ: 1918.6.22، الساعة الخامسة و45 دقيقة بعد الظهر.

الارتفاع: 4500 متر.

البُعد البؤري: 50.

تُظهر الصورة هذه القرية القديمة، وقبر لازاروس في وسطها، تحت المنعطف المزدوج لشارع العربات الواصل بين القدس وأريحا الذي يأتي من انعطافة واسعة إلى يمين القدس ثم ينعطف آخر الأمر يسارًا، وتمر فوق ذلك طريق أقدم متجهة إلى "وادي الحوض". وتظهر في الصورة الطريق الأقصر والأقدم التي تصل بيت عنيا بالقدس إلى يسار شارع العربات [الحناطير]، كما تظهر في الوسط الطريق التي تمر عبر جبل الزيتون، وإلى يسارها الطريق الأكثر مباشرة التي تتجه من جبل الزيتون إلى طريق أريحا، ثم تمضي، مارة بحجر الملتقى "الجنينة"، في طريقها إلى "خان السهل". وإلى يمين الصورة من الأعلى تظهر الطريق التي تتفرع من شارع العربات إلى "أبوديس". وتظهر أشجار الزيتون في "العيزرية" و"أبوديس" وقد طالت ظلالها، لأن الصورة التُقطت مساءً. الصورة تتعلق بالصفحات 52 وما يليها، و253 وما يليها، و260 وما يليها.


Fl 304 2093 22.6.18. 5^{45} el Azarjie □ 4220. H 4500. Br 50.

17 – صورة من الشرق لطريق أريحا وبيت عنيا، العيزرية

رقم الصورة: (Fl. 304, Nr. 215 (M 842.
التاريخ: 3. 1. 1918، الثانية و15 دقيقة بعد الظهر.
الارتفاع: 3000 متر.
البُعد البؤري: 21.

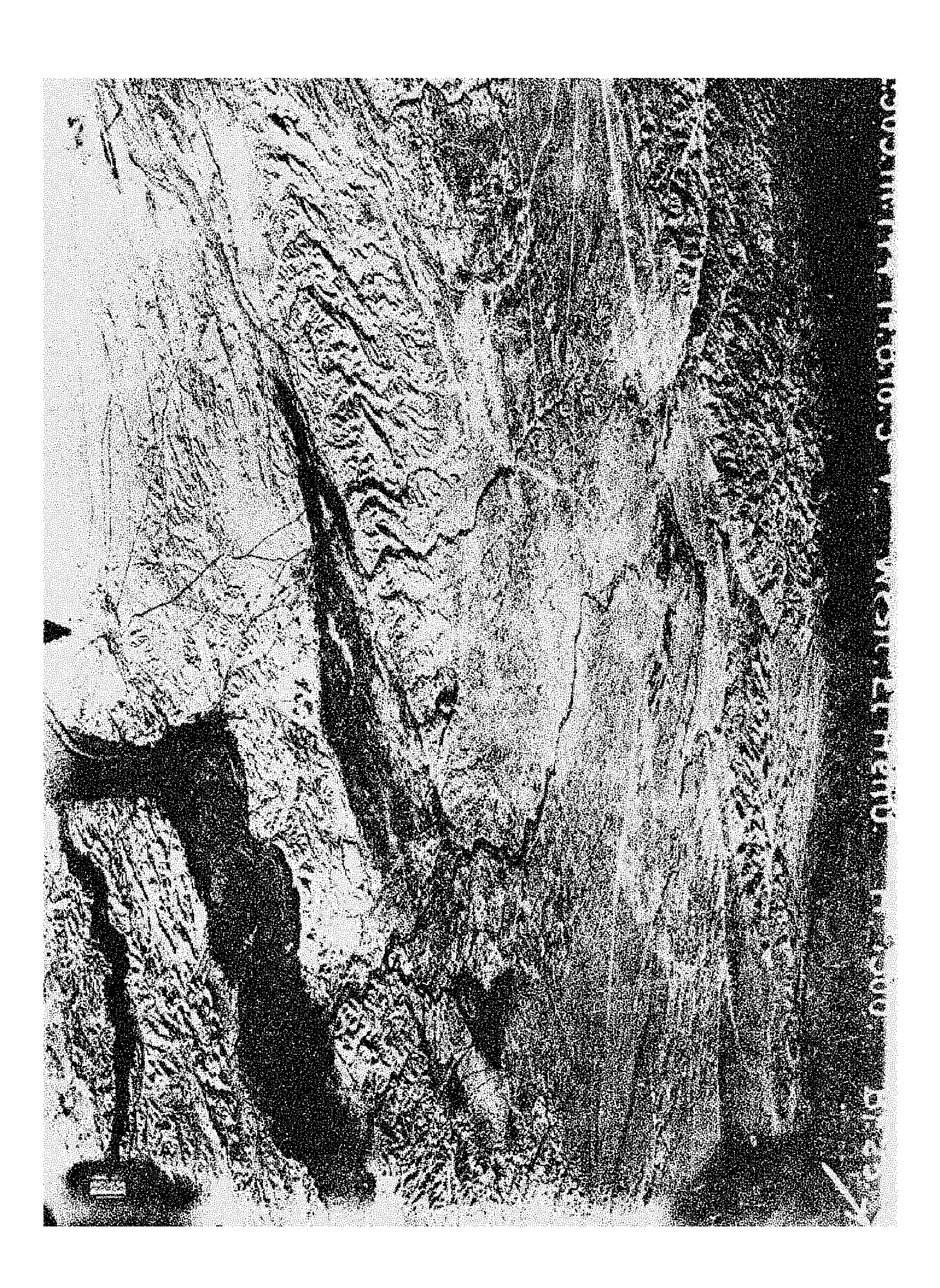
تُظهر الصورة التضاريس الواقعة إلى الجنوب الشرقي من القدس، بما في ذلك الامتدادات الجنوبية لجبل الزيتون الواقعة بين منطقتَي "وادي النار" (في الأعلى) و"وادي دبر" (في الأسفل). وفي أعلى الصورة يسارًا تظهر منطقة "صور باهر"، وفي الوسط طريق الخليل وسهل رفائيم. وعلى هذه الجهة من الفاصل المائي، فوق "وادي النار"، يُرى "راس المكبر" ثم "وادي ياصول" و"الشماعة"، و"وادي إبن هنّوم"، والقدس. وتحت وادي النار يسارًا تقع قرية "أبوديس"، بين فرعَي "وادي أبو هِنْدِي"، وفي الأسفل يسارًا "وادي الجمل". وفي وسط الصورة تظهر "الجنينة" وبيت عنيا – العيزرية، وفوقها "وادي قَدُّوم" أحد فروع وادي النار، وتحت ذلك يوجد منحدر شارع العربات إلى "وادي اِلحوض"، وفي موضع أعلى إلى اليمين توجد بيت فاجي وجبل الزيتون، وتحتهما "وادي اللحام"، أو "عَراق نازل". هذه الصورة تتعلق بالصفحات 52 وما يليها، و155 وما يليها، و161 وما يليها، و249، و253، و259.


F1.304. 215.31.18.215 o.El-Asdruje H.3000

18 – صورة من الجنوب الشرقي لغور الأردن وخطوط الطرقات

رقم الصورة: Fl. 303, Nr. 744.
التاريخ: 14. 6. 1918، الساعة الخامسة و30 دقيقة صباحًا.
الارتفاع: 2500 متر.
البُعد البؤري: 25.

صورة صباحية صيفية واضحة الظلال تظهر فيها الأراضي المروية والأراضي المزروعة بالأشجار عند النهر وعند الجداول داكنة. وتظهر في أعلى الصورة صحراء اليهودية، يشقها يسارًا "وادي القلط"، وعلى هذه الجهة تهبط الطريق الآتية من القدس. وإلى يمين "وادي القلط" في السهل تظهر أريحا ومناطقها المروية، ويظهر إلى اليمين منها امتداد الطريق في اتجاه جسر نهر الأردن. وتُشاهَد تحت المناطق الجبلية الصاعدة، طريق غور الأردن المتجهة من الشمال إلى الجنوب (في الصورة من اليسار إلى اليمين) والطريق الواصلة بين "النبي موسى" وأريحا التي أصبحت الآن جزءًا من شارع العربات الواصل بين القدس وأريحا. وإلى الأسفل تمر طريق الحج المتجهة إلى جسر نهر الأردن، وطريق الحج المتجهة إلى مخاضة "حَجْلَة"، وتظهر كذلك الطريق المتفرعة عنها إلى مخاضة "اِلحِنو". وتقطع الطريق المتجهة من أريحا إلى البحر الميت (تتجه في الصورة إلى اليسار) هذه الطرق، وبالكاد تُظهر الصورة الطريق الواصلة بين أريحا ومخاضة "حَجْلَة". ويظهر في الصورة "وادي اللومان" (يسارًا)، و"وادي القلط" (في الوسط)، و"وادي النُعيمة" (يمينًا) على هيئة خطوط داكنة، وإلى اليمين والأسفل من هذا المكان في الصورة يظهر على هيئة خط داكن عريض منخفض نهر الأردن "الزور" الذي يغور في وادي الـ"غور" والنهر الذي يجري متعرجًا، ويصب فيه من اليمين "وادي الرامة". وتشاهَد عند المنعطف مخاضة "الحنو"، وتظهر في مقابل مصب "وادي القلط" مخاضة "حَجْلَة"، والمكان الذي نفترض أن يوحنا المعمدان كان يعمِّد فيه الناس. وبين "وادي اللومان" و"وادي القلط" تظهر مخاضة عين "حجْلَة"، حيث يُفترض أن قرية بيت حجلة القديمة كانت قائمة هناك، في حين يُفترض أن دير "حَجْلَة" الذي لا يظهر في الصورة كان موجودًا إلى الجنوب الغربي منها. تتعلق الصورة بالصفحات 249 و252 وما يليها.



19 - صورة للوادي القريب من "بِتّير" (بيت تِر) ولسكة الحديد، الطرف الأدنى، جنوب

رقم الصورة: Fl. 304, Nr. 805 (M 776).

التاريخ: 1918.4.8، الساعة الرابعة و35 دقيقة بعد الظهر.

واد ممثّل للأودية الموجودة في التضاريس الغربية للقدس الذي كانت تمر فيه يومًا طريق رومانية، وتعبره اليوم سكة الحديد، ويلتقي فيه من أسفل في الصورة واد فرعي هو "وادي الحَلَس". وإلى اليسار في الأسفل تظهر قرية "بِتِّير" وعين مائها، وإلى الأسفل منها مناطق مروية مزروعة خضروات. وإلى اليسار عند طرف الصورة تظهر "خربة اليهود" التي كان اسمها بيت طِيْر [تظهر في العنوان بيت تِر]، ويظهر في مقابلها ما نفترض أنه حائط المتراس الذي أقامه الرومان عند حصارهم القدس. وقد كُتب خطأ على الصورة أنها صورة لـ"دير الشيخ". وفي ما يتعلق بثورة باركوخبا، يُنظر أيضًا: Auerbach, Festschrift des Rabbinerseminars zu Berlin (1929), pp. 1-40. الصورة تتعلق بالصفحات 210 وما يليها، و240 وما يليها.


Fl.304. 805. 8.4.18. 4³⁰ Der esch Schech. H.4000. Br.50.

20 - كريات يعاريم والطريق الغربية، الطرف الأدنى للصورة، الجنوب الغربي

رقم الصورة: Fl. 304, Nr. 2660 (M 744).

التاريخ: 1819.8.10، الساعة الثالثة بعد الظهر.

الارتفاع: 5000 متر.

البُعد البؤري: 50.

هي أحد المواقع المتقدمة في المناطق الجبلية الواقعة غرب القدس. وتظهر في وسط الصورة تلة "دير الأزهر"، وهي مكان كريات يعاريم القديمة. وإلى اليسار، على السفح تظهر قرية "القرّية" المعاصرة، وتظهر في الوادي كنيسة إرميا والعين، وتحيط بها بساتين الأشجار المثمرة، ويمر بينهما شارع العربات المتجه من القدس إلى يافا، بما في ذلك المنعطف الشمالي الكبير الذي شُقَّ في عام 1879. الصورة تتعلق بالصفحات 214، و224 وما يليها، و239.


Kafr el Ehneb

21 - جبعون والطريق الشمالية الغربية (طريق بيت حورون)، الطرف الأدنى للصورة، الجنوب الغربي

رقم الصورة: Fl. 301, Nr. 429a.
التاريخ: 17. 12. 1917، الساعة الواحدة بعد الظهر.
الارتفاع: 3500 متر.
البُعد البؤري: 50.

قرية قديمة واقعة في أرض منبسطة. في أعلى يمين الصورة طريق بيت حورون وتفرعها في "خَلِّة سِلمان". وفي اليسار إلى الأسفل تلة جبعون، وتظهر في قسم رفيع منه قرية "الجيب"، وتبدو عند المنعطف في الأعلى العين واقعةً في الظل. وفي أسفل يمين الصورة تظهر الطريق المباشرة الآتية من القدس عبر "وادي دْوِيْد"، وفوقها التلة التي تقوم عليها "بير نبالا"، أما البئر نفسها فغير ظاهرة في الصورة. وتظهر حقول الحنطة التي تحوط بتلة "الجيب"، والكتل الصخرية على الطريق الواصلة من القرية إلى طريق بيت حورون (في أعلى وسط الصورة). يُقارن صموئيل الثاني (8:20). وكان الجزء الظاهر من طريق بيت حورون قرب "خربة البيار" (بيروث) قد شهد معارك مهمة بين المكابيين والأشوريين. الصفحة تتعلق بالصفحات 218 وما يليها، و228، و231، و390.



22 – متسبا والطريق الشمالية، الطرف الأدنى من الصورة، الجنوب الغربي

رقم الصورة: Fl. 304, Nr. 1669 (M 629).

التاريخ: 3. 6. 1918، الساعة الثانية عشرة و40 دقيقة بعد الظهر.

الارتفاع: 4300 متر.

البُعد البؤري: 25.

تقع هذه القرية على الفاصل المائي عند أبعد امتداد لـ "وادي الصرار"، وهي موقع شمالي متقدم لأراضي بنيامين. إلى يسار الصورة، من أعلى إلى أسفل، يجري شارع العربات المتجه من "نابلس" إلى القدس في "وادي جِيلان". وترى عند العقبة الواقعة إلى اليسار منه "تل اِلنَّصْبِة" (متسبا)، وعينًا تحت ذلك عند الشارع قرب العزبة. وفي أسفل الصورة توجد "خربة عَطارَة" وبركتها، وإلى الشمال منها، على يسار وسط الصورة تظهر الطريق إلى "رام الله". وتمتد الطريق المرتفعة المتجهة من "كُفْر عَقَب" إلى "البيرة" من يمين وسط الصورة إلى أعلى يسارها، موازية لشارع العربات. ويظهر في أعلى الصورة إلى اليمين "وادي العين": أحد أودية "وادي القلط". وكانت تنقيبات باده (Badé) أظهرت أن "تل اِلنَّصْبِة" كان موقعًا قديمًا محصنًا تحصينًا غير عادي، بحيث يصلح لأن يعد موقع مراقبة [خفارة] على الطريق، بما يتفق مع الأخبار التاريخية المروية عن متسبا، حتى إن بعض الباحثين اجتهدوا في عدها الطريق المفضية إلى بيت يهوه المذكور في سفر إرميا (41:5)، حتى أن هيرتسبيرغ (Hertzberg, ZAW 1929, pp. 161ff.) افترض وجود معبد للإله في متسبا ليجيز لنفسه أن يفترض أن متسبا كانت موجودة في عهد النبي صموئيل. وكان مارينو سانوتو (Marino Sanuto) افترض في فترة الحملات الصليبية أن "البيرة" القريبة من هذا المكان هي متسبا، يُقارن *ZDPV* 1898, Pl. 7 and Pl. 2. وقد رأى الرأي نفسه ب. سوريوس (B. Surius) في حوالى 1647، وكذلك هايدِت (Heidet, Heil. Land 1912, p. 7) في العصر الحديث. الصورة تتعلق بالصفحتين 221 و227.

23 - الطريق الجنوبية "البرك" وقناة الماء الآتية من الشمال الشرقي

رقم الصورة: Fl. 304, Nr. 2679 (M 928).
التاريخ: 13. 8. 1918، الساعة الثانية و30 دقيقة بعد الظهر.
الارتفاع: 5000 متر.
البُعد البؤري: 50.

تظهر في الصورة "شرفة النبي دانيان" (994 مترًا) وهي أعلى مرتفع في الفاصل المائي جنوب القدس، وفي أعلى وسط الصورة يظهر شارع العربات الواصل بين الخليل والقدس الذي شُقّ في عام 1890 عند منحدرها الشرقي الشديد (وهو يجري من يسار أعلى الصورة إلى أسفل وسط الصورة)، أما الطريق الأقدم، فكانت تمر عند البركة العليا من البرك الثلاث متجهة إلى يسار الصورة، ذاهبة جنوبًا في اتجاه "وادي البيّار" المنسبط، وهو أحد أودية "وادي الِدِّرَجِة". وهناك طريق ثالثة قديمة هي الطريق التي استخدمها الرومان، فكانت تجري على طول سطح سلسلة القمم من يسار وسط الصورة إلى أعلى يسارها. وإلى يمين وسط الصورة تظهر طريق تمتد نحو الأراضي الساحلية مستعرضة السفح الشمالي لسلسة التلال نفسها، ولكن الطريق التي كانت تربطها بالخط الرئيس اندثرت. وتظهر في يمين أسفل الصورة قرية "الخضر"، وتظهر أيضًا الطرق التي تصلها بالطريق الرئيسة، وإلى أسفل يسار الصورة يظهر شارع العربات المفضي إلى "اَرْطاس". وتظهر قرب كبرى البرك من جهة اليمين القلعة العربية التي بُنيت لحراسة اَرْطاس، وتوجد فوقها، على هذه الجهة من الطريق "عين صالِح"، وهي أقوى العيون في هذه المنطقة، وإن كانت غير ظاهرة في الصورة. ويُشاهد خط داكن يجري من يسار الصورة إلى أسفل وسطها، وهي القناة الإنكليزية في "وادي العرّوب" الآتية من "وادي البيار". ويظهر الماء واضحًا في البركة الوسطى، على الرغم من أن الصورة التُقطت في أواخر الصيف. الصورة تتعلق بالصفحات 65، و211، و245، و268 وما يليها.



ثانيًا: الصور الأرضية

24 - صورة للقدس من الجهة الشمالية الشرقية (حوالى 1865)

عدسة: روبرتسون بوكالو وشركاه، رقم (Robertson Pocalo & Cie, Nr. 29).

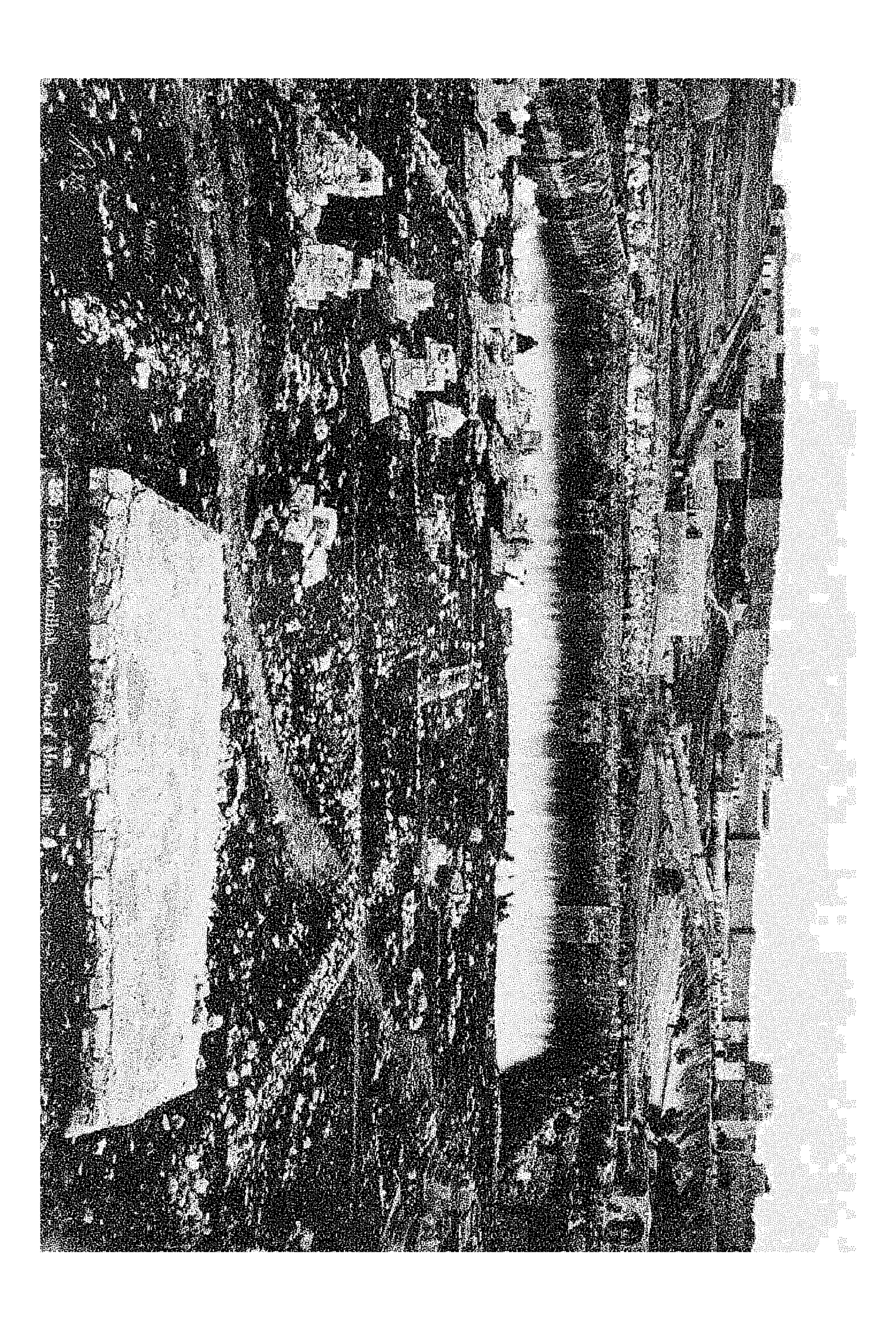
المشهد من التلة اليهودية على جبل الزيتون، وتظهر فيها مدينة القدس القديمة قبل شق الطريق الحديثة وقبل نشوء ضواحي المدينة. وتظهر في خلفية الصورة إلى اليسار التلال القريبة من تقوّع، وتحتها قمة جبل "مار اِلياس" التي تقطع طريق الخليل، كما يظهر "جِبِل ديْر أبو ثور" الذي لم تكن قد بنيت منه إلا نواحٍ محدودة. وتظهر في وسط الصورة ويمينها تلة "القريمزان"، تعلوها في الوسط "شرفة النبي دانيان". وتظهر تحتها القدس بسورَيها الشرقي والشمالي. ويظهر في الجهة المقابلة الزاوية الشمالية الشرقية وفوقها برج داود، وإلى اليسار كنيسة يسوع الإنكليزية ودير الأرمن، وإلى اليمين كنيسة القيامة بقبتها القديمة فوق القبر، والتي جُدِّدت في عام 1868. ويظهر إلى جوار السور الشمالي دير الفرنسيسكان، وخارج السور من الأعلى أشجار بطم قديمة، وفي موضع أدنى من الصورة تظهر أشجار الصنوبر الكبيرة في "كرم الشيخ"، وأدنى من ذلك إلى يمين الصورة تظهر الطريق المتجهة إلى "عناتا". ويظهر في وسط الصورة السور الشرقي والباب الذهبي وباب إستيفانوس (لا يظهر منه إلا قوس الباب)، وتحت السور يظهر وادي قِدْرون تحت تلة الجليل والتلة الألمانية. وتظهر طريق الوادي مع الطريق الصاعدة إلى باب إستيفانوس تقطعها الطريق القديمة المارة نحو الزاوية الشمالية الشرقية من المدينة، والطريق الصاعدة إلى الطريق الرومانية المتجهة إلى أريحا من طريق "عَقَبِة الصوان" (إلى يسار وسط الصورة)، وفي مقدمة الصورة يبدو المنخفض المزروع بأشجار الزيتون بين التلة الألمانية والتلة اليهودية.



25 - صورة من الغرب للقدس وبركة مامِلّا (حوالى 1875)

عدسة: بونفيس، رقم 325.

التُقطت هذه الصورة قبل بناء البيوت في طريق يافا التي حجبت سور المدينة. وتطل من فوق السور كنيسة المطران اللاتينية التي تم بناؤها في عام 1872، في حين لا يظهر في الصورة مبنى مدرسة الفرير التي أُسست في عام 1878. وإلى يمين الصورة يظهر باب يافا وبرج داود والقلعة. وإلى اليسار يظهر المنحدر من الزاوية الشمالية الغربية للمدينة، وإلى اليمين [تظهر المنطقة الممتدة] من باب يافا إلى الطريق المتجهة إلى قرية "المالحة"، ولا تظهر في الصورة طريق يافا التي تمتد موازية سور المدينة. واللافت هنا أكوام الطمم الموجودة أمام باب يافا. وتُشاهد عند الطريق التي تقع فوق بركة مامِلّا أشجار بطم معمِّرة، وقد تعرت من أوراقها في فصل الشتاء. تتعلق الصورة بالصفحات 67 وما يليها، و201 وما يليها.



26 – صورة من الغرب للتضاريس الواقعة شمال القدس (حوالى 1875)

تصوير: صندوق استكشاف فلسطين.

التُقطت هذه الصورة من مكان ما تحت المجمع الروسي من جهة الشرق. وتطل الصورة على التلة الشمالية في اتجاه سلسلة جبل الزيتون. وفي الوسط التلة اليهودية، وإلى اليمين التلة الألمانية. وفي وسط الصورة غولغاثا ثنيوس، وخلف ذلك يظهر "كرم الشيخ" وأشجار الصنوبر المغروسة فيه، ثم السور الشمالي للمدينة، وباب دمشق عند طرف الصورة. أما الطريق الشمالية نفسها فمحجوبة. وفي المقابل، فإن "طريق الأنبياء" المتجهة نحو طريق يافا ظاهرة، ويظهر خلفها امتداد التلة الشمالية الذي لم تكن فيه مبان بعد، وتظهر "البِرْكِة" هناك. وفي المقدمة تظهر البساتين التي بات أكثرها مغطى بالمباني التي تقطعها أيضًا. تتعلق الصورة بالصفحات 35 وما يليها، و88 وما يليها، و227، و239.



27 - الإطلالة من "راس المكبر" شمالًا

عدسة: ك. أو. دالمان في 12 نيسان/أبريل 1925 بعد الظهر.

التُقطت الصورة من السفح الشرقي لـ"راس المكبر"، وهو مكان يتيح فرصة فريدة للتعرف إلى الفروق في الارتفاعات في القدس بين تلتَي المدينة الشرقية والغربية، وللاطلاع على صلتهما بجبل الزيتون. وتظهر في خلفية الصورة إلى اليسار ضاحية طريق يافا صعودًا إلى التلة الشمالية الغربية التي لا تعلوها قرية النبي صمويل إلا قليلًا بسبب انخفاض المكان الذي التُقطت منه الصورة (حوالى 790 مترًا، في حين ترتفع ضاحية المدينة من 800 إلى 815 مترًا)، ويظهر تحتها "جِبِل دير أبو ثور" ومعه السفح المسمى "الشمّاعة". وتظهر فوقه التلة الغربية، وأبعد إلى اليمين يظهر وادي المدينة والتلة الشرقية للمدينة، ثم وادي قِدْرون، وإلى اليمين قرية "سِلوان" و"بطن اِلهوَى"، وفوقها نحو جبل الزيتون. وفوق التلة الشرقية، في الأفق، يظهر "راس الطاحونة" و"جبل الطويل" قرب "البيرة"، وأوطأ من ذلك يظهر "تُليل الفول" وجبل سكوبس. ويظهر فوق الطرف الأيمن للتلة الشرقية "راس أبو حلاوة"، ثم سلسلة جبل الزيتون. وفي مقدمة الصورة يظهر سفح "راس المكبر"، وخلفه، أمام "بطن اِلهوَى" يظهر "وادي النار"، وإن كان قاعه غير ظاهر في الصورة. تتعلق الصورة بالصفحات 45 وما يليها، و78 وما يليها، و150 وما يليها.



28 – إطلالة من "راس المكبر" في الاتجاه الشمالي الشرقي

صورة تابعة للصورة رقم 27 التي التقطها ك. أو. دالمان في 12 نيسان/ أبريل 1925 بعد الظهر.

التُقطت الصورة من الموقع نفسه الذي التُقطت منه الصورة السابقة. وتتيح الصورة إطلالة على السفح الشرقي للمناطق الجبلية في جنوب الضفة الغربية، وما بعده في اتجاه الشرق، والجنوب الشرقي، والجنوب. ونكتفي هنا بنشر ذلك الجزء الذي يعرض للجزء الشمالي الشرقي فحسب. في يسار الصورة تظهر التلة الروسية في جبل الزيتون، ويظهر فوقها، يسارًا برج الروس، يظهر برج وقفية الإمبراطورة أوغستا فيكتوريا، وإلى يمين ذلك بيت فاجي و"راس الشياح"، وتحته، في الظل، "وادي قدُّوم"، وفي الوسط تبدو بيت عنيا، العيزرية، وفوقها سلسلة "الزيامبة"، وبعد ذلك إلى اليمين قرية "أبوديس"، ويظهر فوقها جبل قرنطل القريب من أريحا. ويظهر تحت "أبوديس" "وادي العبد" الذي يصب في "وادي النار". وفي خلفية الصورة تظهر أراضي شرق الأردن المرتفعة، مع الأخدود الناشئ عن وادي يَبُّوق، وإلى اليمين تظهر بيت عنيا، العيزرية. ومن أهم ما تظهره هذه الإطلالة هو قُرب القدس من الصحراء، بحيث تمثل بيت عنيا، العيزرية و"أبوديس" آخر موضعَين من الأراضي الزراعية. تتعلق الصورة بالصفحات 52 وما يليها، و150 وما يليها.



29 - القدس من "راس المكبر"

عدسة: ف. شفوبِل (عام 1908 على الأرجح).

التُقطت الصورة من مكان يقع إلى الغرب قليلًا من المكان الذي التُقطت فيه الصورتان 27 و28. وتظهر هنا بوضوح تفصيلات المدينة. وتظهر في مقدمة الصورة التلة المسماة "الراس"، وفي مقابلها "جِبِل دَيْر أبو ثور" (في الظل) و"الشماعة". وتظهر في أعلى يسار الصورة ضاحية طريق يافا، قريبة من القمّة الشمالية الغربية والمجمع الروسي، ثم تظهر تلة المدينة الغربية، وبرج كنيسة الدورميثيون [كنيسة نياحة العذراء أو كنيسة رقاد مريم]. وخلف ذلك تظهر كنيسة الفرنسيسكان، وبعد ذلك تلة المدينة الشرقية، وامتداد مدينة داود، ووادي قِدْرون، وقرية "سِلوان". ويظهر من فوق الحرم القدسي جبل سكوبس و"راس أبو حلاوة"، وإلى يسار ذلك تلة "تْليل اِلفول"، ثم يظهر على نحو باهت تمامًا "جِبِل الطويل"، وإلى اليمين تظهر سلسلة جبل الزيتون. الصورة تتعلق بالصفحات 45 وما يليها، و78 وما يليها، و150 وما يليها.



30 - صورة من الجنوب والجنوب الشرقي لتلة مدينة داود (1914)

عدسة: غ. دالمان.

تهدف هذه الصورة إلى تبيان العلاقة بين تلة مدينة داود وتلتَي المدينة الشرقية والغربية، وكذلك علاقتها بوادي قِدْرون وبوادي المدينة. وتظهر الصورة كذلك الموقع المشرف على التلة الغربية (يسارًا)، التي لا يبدو منها في الصورة غير النتوء الشرقي وسور المدينة الحالي. وتُظهر أيضًا بوضوح تميُّز تلة مدينة داود قياسًا على التلة المتجهة نحو الجنوب الشرقي التي يقوم عليها الحرم، أو على العوفِل [تلة الظهور]. ويمكن أن يتبين المرء وادي المدينة الذي يفصل تلتَي المدينة الشرقية والغربية على الرغم من أنه تعرض لقدر كبير من الطم. ويُشاهد امتداده على الطرف الأيسر للصورة وقد سدَّه اليوم السدُّ الذي أُقيم على الطريق التي تقع تحته آثار السور المزدوج الذي كان قائمًا هنا في يوم من الأيام. وتظهر خلفه "بِرْكِة الحمرا" [البركة العتيقة] وبركة سلوان التي يحجب رؤياها السور والطمم الذي بُني إلى اليمين قرب مئذنة الجامع الصغير ليحول دون إعادة بناء كنيسة شلواح التي كانت تقوم هنا يومًا. ويخرج الماء من البركة من جهة اليمين ليجري في مجرى إلى أسفل الصخرة، ويتوزع ماؤه على الأراضي المروية التي تقع تحتها، والتي كانت في يوم من الأيام بساتين الملك. وكان الطمم الناتج من التنقيبات الأثرية أدى إلى تشويه شكل التلة. وكان المنحدر الظاهر على اليمين المتجه إلى وادي قِدْرون أشد انحدارًا في الأصل بمرات. وكانت قبور الملوك تقع على سفح التلة الجنوبي. أما قلعة داود الملكية وقلعة الأشوريين في الغالب، فكانتا على قمة التلة التي باتت تعلوها اليوم بيوت حديثة البناء. وكان سور المدينة يمتد، حتى في فترة الملوك، من فوق السد الذي في وادي المدينة، على طول الطرف الشرقي لرأس القمّة، ثم ينعطف ليصل إلى التلة التي يقوم عليها الحرم، بعد أن يكون قد مر بالعوفِل. وكان السور يلتقي في أثناء الفترة الهيرودية السور الشرقي للمعبد في ذلك المكان الذي لا تزال تقوم فيه اليوم الزاوية الجنوبية الشرقية لسور الحرم على أساسات ترجع إلى الفترة الهيرودية. وعند قاع السفح الشرقي لتلة مدينة داود توجد مجموعة من البيوت تتجه نحو درب آتٍ من جهة التلة التي يقوم عليها الحرم القدسي، وعند ذلك السفح توجد "عين أُم اِلدَّرَج"، التي كان اسمها جِيحون، التي لا تزال قناة حزقيا تحمل ماءها في خط مستعرض عبر التلة إلى بركة سلوان التي سبق ذكرها. وإلى يمين الصورة تُشاهد قرية "سِلوان"، وتظهر معها منطقة "الزحويلة" المقابلة لِـ"عين أُم اِلدَّرَج". الصورة تتعلق بالصفحات 80 وما يليها، و123 وما يليها، و127 وما يليها، و168 وما يليها، و189 وما يليها.



31 - إطلالة من جبل الزيتون على تلة جِبْعون (1917)

عدسة: سي. هـ. كناوف، من مدينة يينا، شارع غوته، رقم 2.

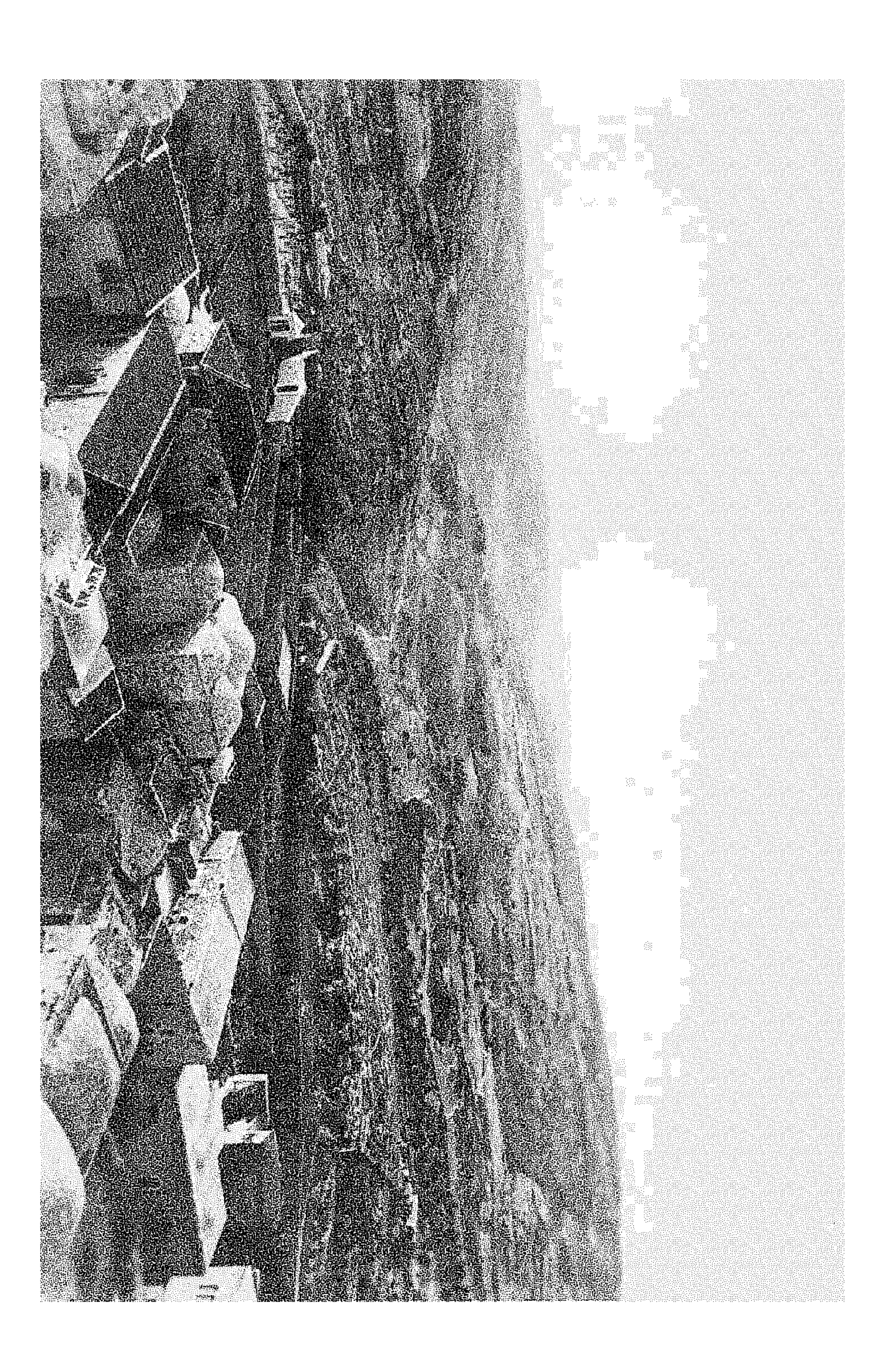
تمثل هذه الصورة الورقة السابعة من منظر عام مكون من 12 ورقة، التُقط من جرَّاسية كنيسة الصعود. وتُظهر الصورة المنظر المذهل لتلة جِبْعوْن ("النبي صمويل")، وهي التلة التي لا تعلوها أي تلة. وتظهر في أعلى يسار الصورة "بيت إكْسا"، وفوقها قمة الجبل الواقعة بين "بِدُّو" و"النبي صمويل" والتلة العليا، هي المكان الذي يوجد فيه قبر صمويل بحسب التقاليد [اليهودية] التي كانت ترى أنه المكان المسمى رامة المذكور في سفر صموئيل الأول (1:25)، وإلى اليسار منه، على مستوى أخفض، يظهر البرج، وإلى اليمين السفح المفضي إلى "وادي بيت حَنِينا". وفي وسط يسار الصورة ضاحية القدس الشمالية التي تظهر فوقها أراض زراعية والفاصل المائي، وتنحدر منها، على هذا الجانب من السد، طريق "نابلس"، ثم يظهر "وادي الجوز" (المزروع بأشجار الزيتون) الذي ينعطف عند "القاعة" الظاهرة عند الطرف الأيمن للصورة وتظهر في مقدمة الصورة المنطقة نفسها التي كانت ظهرت في وسط الصورة رقم 27 (يُقارن مقلع الحجارة الذي لم يكن قد بُني فيه البيت في تلك الصورة بعد، كما لا تظهر فيها الطريقان من فوق المقلع ومن تحته). وتنحدر من عند مقلع الحجارة الطريق الواصلة من الباب الشمالي إلى الطريق الرومانية المتجهة إلى أريحا. وتظهر في شمال الصورة الزاوية الشمالية الشرقية لسور المدينة وانحدار شارع العربات المتجه إلى أريحا في وادي قِدْرون. الصورة تتعلق بالصفحات 62 وما يليها، 75، و179 وما يليها.



32 - الأفق الجنوبي للقدس (1)، إطلالة نحو الجنوب الشرقي

عدسة: ف. شفوبِل (عام 1908 غالبًا).

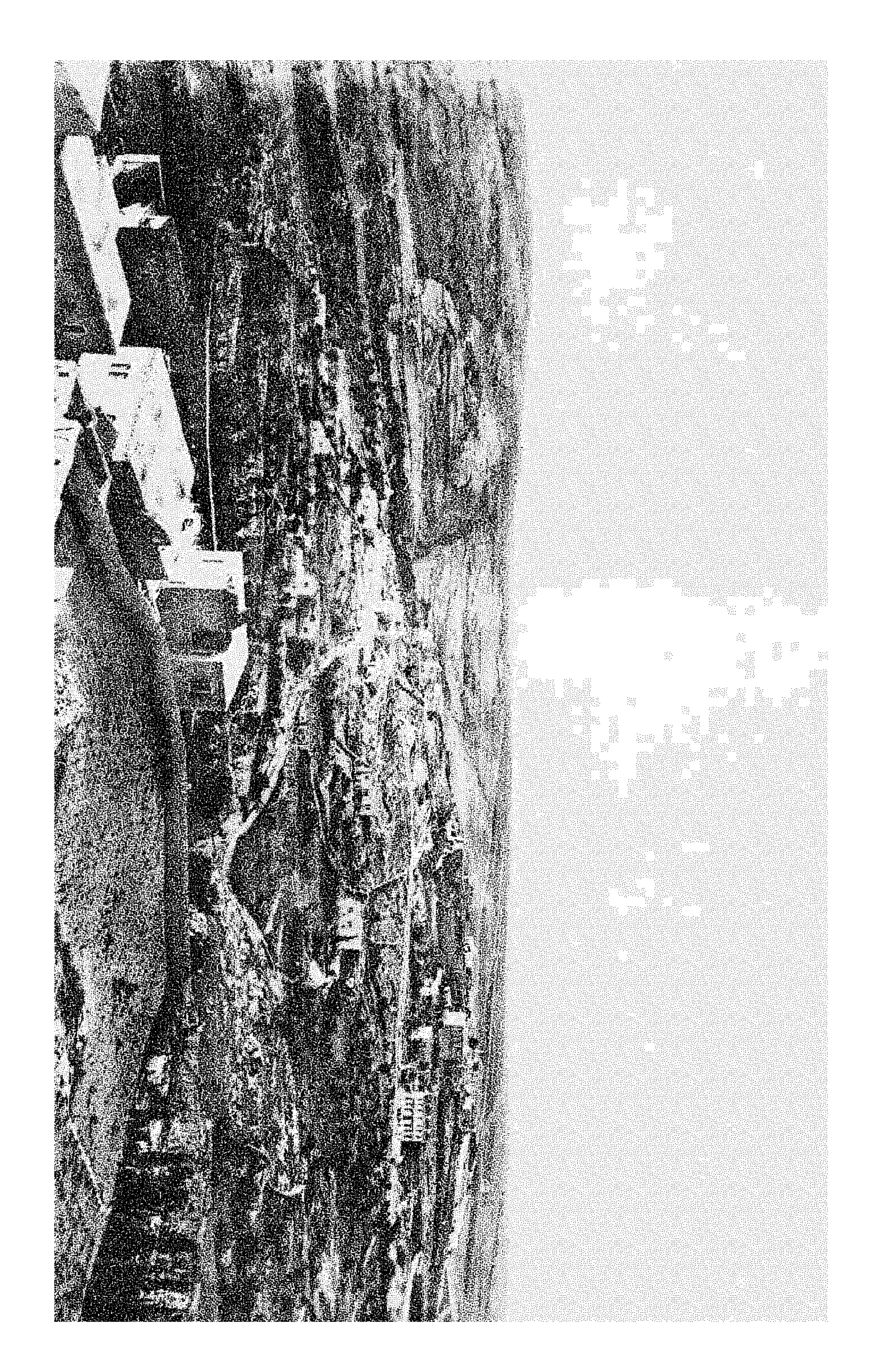
التُقطت الصورة من برج دير دورميثيون [دير رقاد السيدة العذراء] القائم على الطرف الجنوبي لتلة المدينة الغربية. وتتيح الصورة للمشاهِد أن يطل من فوق بيوت حي "النبي داود" وسفح التلة الغربية، على "وادي النار" الذي يتولى تصريف مياه المناطق المحيطة بالقدس، ويظهر إلى اليسار "بطن اِلهوَى" وقرية "سِلوان"، وإلى اليمين السفح الشرقي لـ"راس المكبر"، وتظهر أمامه أراضي "الراس" و"الشماعة" المزروعة بأشجار الزيتون، وسفحها الهابط إلى وادي إبن هِنّوم، ويظهر بعدها من جهة اليسار دير أونوفريوس ذو الجدار الفاتح اللون، وإلى يمينه حقل دما [حقل الدم]، ثم كهوف وقبور محفورة في الصخر. ويظهر من "وادي النار" قطاع من طريق الوادي والطريق الصاعدة إلى "بيت ساحور العتيقة". وتظهر في خلفية الصورة التلال القريبة من "دير دوسي" (دير ثيودوسيوس)، وأمام ذلك إحدى التلال والطريق المتجهة إلى "مار سابا". الصورة تتعلق بالصفحة 148 وما يليها، و161 وما يليها.



33 – الأفق الجنوبي للقدس (2)، إطلالة نحو الجنوب

عدسة: ف. شفوبِل (عام 1908 غالبًا).

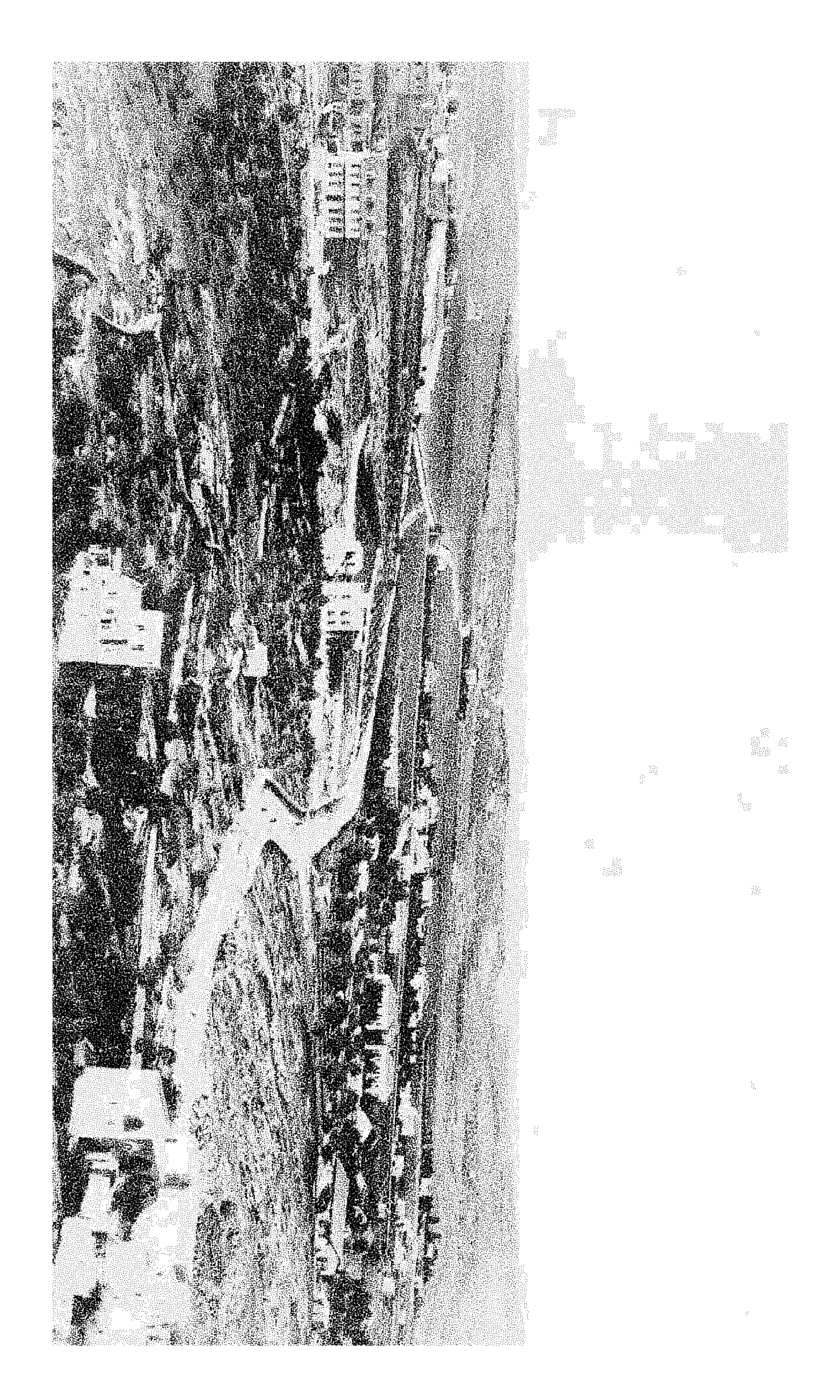
أربعة سنتيمترات ونصف سنتيمتر يسارًا = أربعة سنتيمترات ونصف سنتيمتر يمينًا على الصورة رقم 34. تظهر في الصورة قمة "راس المكبر" والمسافة الواصلة إلى سهل رفائيم، كما يظهر الفاصل المائي. وأمام ذلك يظهر "جِبِل دير أبو ثور" وسفحه النازل إلى وادي إبن هِنّوْم. وتظهر في وسط الصورة الطريق الصاعدة من باب صهيون إلى طريق الخليل التي تظهر على الطرف الأيمن للصورة. وتظهر فوق "جِبِل دير أبو ثور" إلى اليسار طرق متجهة نحو الصحراء. تتعلق الصورة بالصفحة 146 وما يليها، و247 وما يليها.



34 - الأفق الجنوبي للقدس (3)، إطلالة نحو جنوب الجنوب الشرقي

عدسة: ف. شفوبِل (عام 1908 غالبًا).

ستة سنتيمترات يسارًا = أربعة سنتيمترات يمينًا على الصورة رقم 33. يظهر في وسط الصورة شارع العربات المتجه نحو الخليل مستعرضًا سهل رفائيم الظاهر في يسار الصورة البعيد، ويمين الصورة قرب الطريق القديمة الموازية. وفي وسط خلفية الصورة ممر "مار اِلياس"، وفوقه التلال التي تعلو تقوّع، وإلى اليمين يظهر وادي "بيت صَفافا"، ثم تلة "بيت جالا". وفي وسط الصورة، إلى اليسار، يظهر "جِبِل دير أبو ثور"، وإلى اليمين المستعمرة الألمانية والمستعمرة العربية [الطالبية]، وأمامها يظهر "راس الدبوس" الصخري، وإلى يمين أسفل الصورة مستشفى العيون الإنكليزي. تتعلق الصورة بالصفحات 144 وما يليها، و211 وما يليها، و245.



35 - الأفق الجنوبي للقدس (4)، إطلالة نحو الجنوب الغربي

عدسة: ف. شفوبِل (عام 1908 غالبًا).

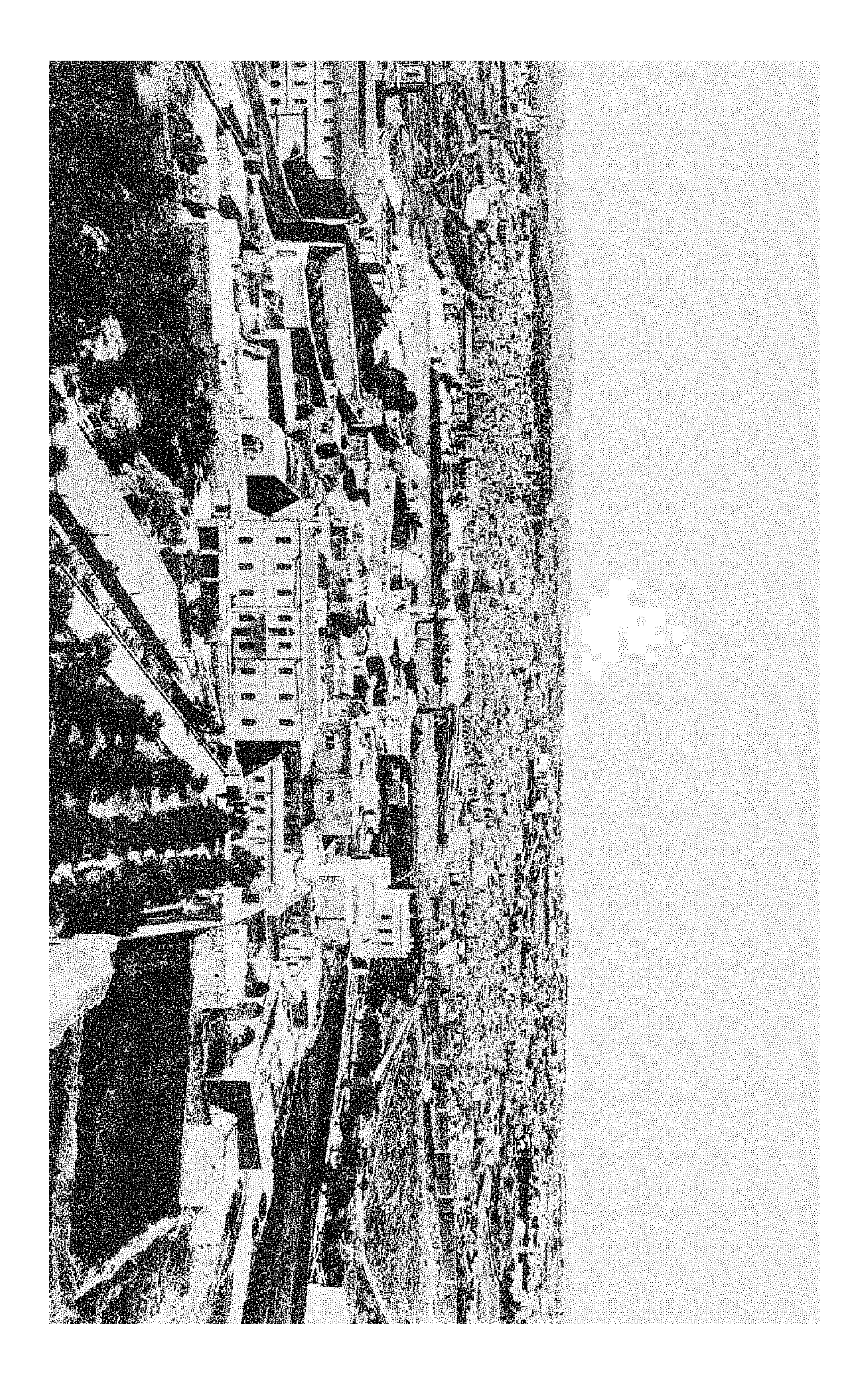
تتصل هذه الصورة اتصالًا مباشرًا بالصورة رقم 34، وتُظهر انحدار سهل رفائيم في اتجاه "وادي الجوز" ونحو "وادي الصرار". وتظهر فوق ذلك قرية "بيت صَفافا"، ويبدو إلى اليمين على تلة القرية موقع "شرفات"، وفوقهما تظهر التلة المسماة "القريمزان"، وإلى اليمين تظهر تلة ضاحية "القطمون" وبساتينها وعند طرف الصورة تظهر "المالحة". وفي وسط الصورة تظهر، يسارًا، محطة سكة الحديد ومستعمرة الهيكليين الألمانية، ويمينًا أراضي "الطالبية" المزروعة بأشجار الزيتون، وتظهر "النقفورية" على التلة الغربية. وفي مقدمة الصورة يسارًا "راس الدبوس" و"الحريرية"، وفي الأسفل يبدو مستشفى العيون الإنكليزي وطريق الخليل وتفرعها إلى المستعمرة الألمانية و"بِتّير". الصورة تتعلق بالصفحات 143 وما يليها، والصورة 211 وما يليها.



36 - صورة من الشرق للقدس وأفقها الغربي

عدسة: ف. شفوبِل (عام 1908 غالبًا).

التُقطت الصورة من البرج الروسي في جبل الزيتون، وتظهر في مقدمة الصورة تلة الصعود وكنيسة الصعود وقد حجبتا وادي قِدْرون (تظهر في الوسط الساحة والجرَّاسية والقبة). وإلى يسار الصورة يظهر دير الكرمليات وكنيسة أبانا (Paternoster)، وإلى اليمين شارع جبل الزيتون. وفي وسط الصورة تظهر القدس، وتظهر فيها ساحة الحرم وقبة الصخرة. وفوق قبة الصخرة تظهر كنيسة المُخلِّص، وإلى يمينها كنيسة القيامة، وإلى اليسار، عند الطرف الغربي للمدينة يظهر برج داود وباب يافا مع برج الساعة الذي هدمه الإنكليز. ويظهر إلى اليسار عند طرف الصورة حي "النبي داود" وكنيسة دورميثيون، وإلى اليمين ضاحية طريق يافا، غولغاثا ثنيوس، وكنيسة إستيفانوس [اسطفان]. وخلف القدس في الاتجاه الأيسر من الصورة تظهر التلة الغربية وأشجار الزيتون التي أزالها الإنكليز لإقامة معسكرهم الحربي. ثم يظهر إلى يمين ذلك امتداد التلة الغربية إلى التلة الشمالية الغربية (830 مترًا) مرورًا بمدرسة راتِسبُن. ويظهر في الجهة اليسرى من الأفق "القطمون" وفوق كنيسة دورميثيون قرية "المالحة"، ثم يظهر الامتداد الجنوبي للتلة الشمالية الغربية ويظهر معه "راس الكرّامي" (843 مترًا)، وتبدو وراءه التلة القريبة من "الجورة" (879 مترًا). تتعلق الصورة بالصفحات 56 وما يليها، و141 وما يليها.



37 – صورة للقدس من جبل سكوبس

تصوير: أميركان كولوني (فريدريك فيستر وشركاه)، القدس، أيلول/ سبتمبر 1929.

التُقطت هذه الصورة من القمّة التاريخية لجبل سكوبس، وهي المكان الذي وقف عليه الجيش الأشوري الذي هدد القدس بحسب ما جاء في سفر إشعيا (32:10)، والتي وقف عليها تيتوس أيضًا. وتظهر في مقدمة الصورة طريق القدس الشمالية، ويظهر إلى يسارها المنعطف الذي بَطُلَ استخدامه، ولا يبدو من الطريق إلا ذلك الجزء المنحدر إلى "وادي الجوز". وتبدو في وسط الصورة، إلى اليسار، طريق جبل الزيتون، ويظهر في الأعلى السفح الشمالي لجبل الزيتون ووادي قِدْرون وكنيسة الجثمانية، وفوقها طريق أريحا، ثم "بطن الهوى". وتظهر في الصورة من القدس، يسارًا، قبة الصخرة، أي المكان الذي يُعتقد أن الهيكل كان فيه على التلة الشرقية، ثم يظهر النتوء الشرقي للتلة الغربية، وتظهر هناك قبتان لكنيسين يهوديين، وأبعد إلى اليمين تبدو كنائس المخلص ودورميثيون والقيامة وبرج داود، أي التلة الغربية للمدينة القديمة. ودون ذلك يظهر السور الشمالي وباب دمشق أمام كنيسة القيامة. وإلى اليمين يظهر برج كنيسة سلفاتور الذي كان لا يزال في داخل المدينة آنذاك، وخارج المدينة يظهر الهوسبيس الفرنسي، والمستشفى الإيطالي وبرجه، وخلفهما الكنيسة الروسية، ودون ذلك المبنى المستطيل لمستعمرة يهودية. وتظهر أمام سور المدينة على "سهل الملك" الضاحية الشمالية ومعها برج كنيسة المطران الإنكليزية. وفي خلفية الصورة يسارًا "راس المكبر"، ثم سهل رفائيم، ومستعمرة تالبيوت، و"مار إلياس" (فوق الهوسبيس الفرنسي). وفي وسط الأفق تظهر تلة تقوّع، وإلى اليمين التلال الواقعة على الطرف الآخر من بيت لحم و"بيت جالا" ("النبي دانيان")، وعند الطرف الأيمن للصورة تلة "المالحة". تتعلق الصورة بالصفحات 28 وما يليها، و65 وما يليها، و88 وما يليها.



38 - صورة من الجنوب الشرقي لساحة الحرم القدسي وحائط المبكى [الحائط الغربي أو حائط البراق] ووادي المدينة

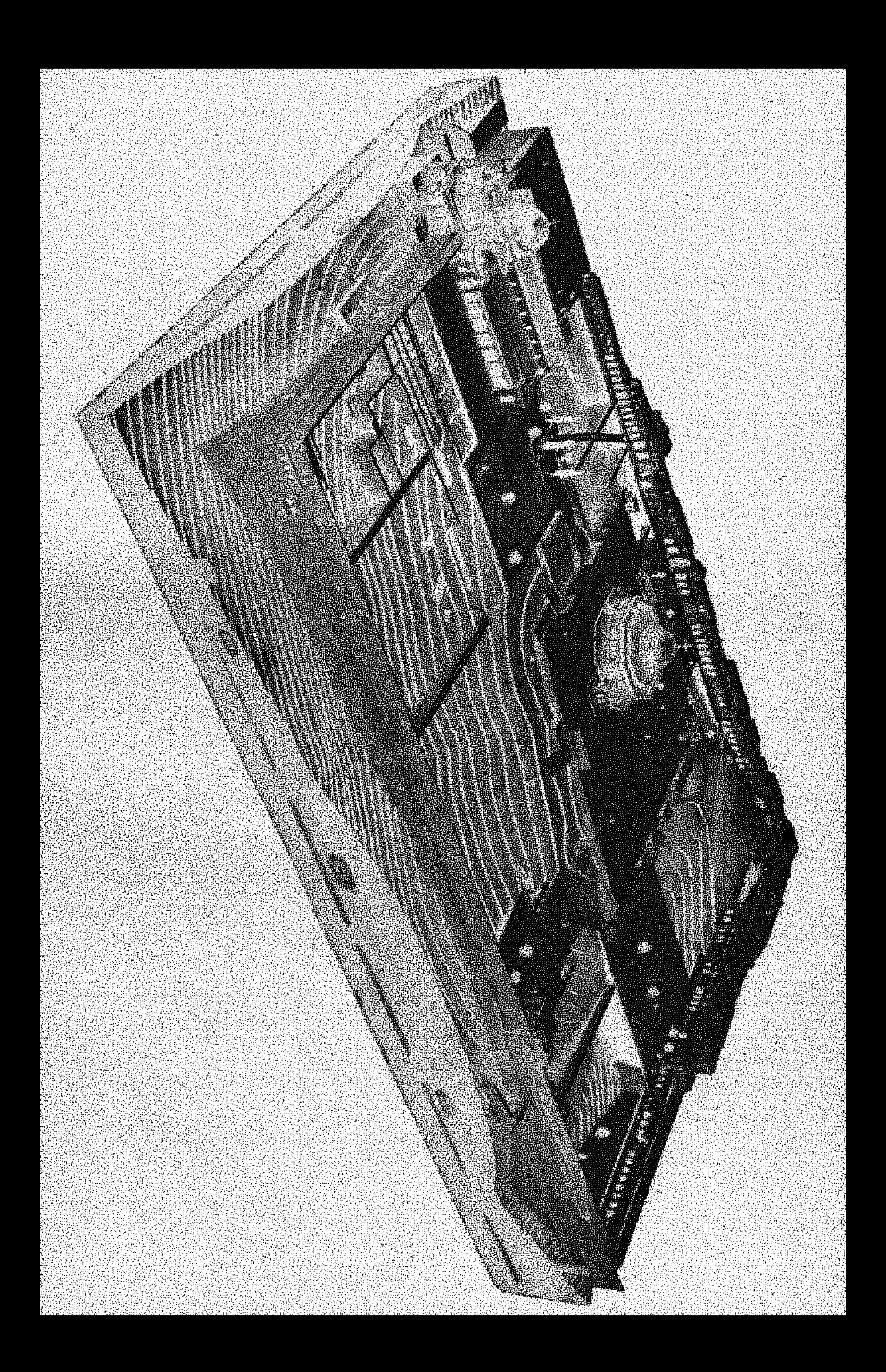
عدسة: ل. برايس (ميونيخ، تيريسياين شتراسه، 75) 1925.

يظهر في مقدمة الصورة وادي المدينة، يفصل الجزء الأيسر منه "طريق باب السلسة" الذي تحجبه المباني، والذي تمر عليه الطريق الآتية من باب يافا والمتجهة إلى الحرم. وإلى اليمين توجد مجموعة من البيوت عند "باب المغاربة" الذي يفضي هو أيضًا إلى الحرم. ولكن هذه البيوت باتت اليوم غير ظاهرة، لأن "باب البُراق" (باب باركلي) الذي افتُتح مؤخرًا يحجبها عن الرؤية. ويطلَق مسمى "حائط المبكى" على ذلك الجزء المكشوف من السور المحيط بالحرم المحصور بين السد والبيوت؛ لأن اليهود اعتادوا أن يصلُّوا هناك في زقاق ضيق أمام السور. وفي الـ"حرم"، على يسار المصطبة التي تقوم عليها قبة الصخرة، وإلى اليمين، يقوم المسجد الأقصى. وتظهر في الأعلى سلسلة جبل الزيتون الممتدة من "راس أبو حلاوة" (يسارًا) عبر التلة اليهودية (خلف قبة الصخرة) وحتى تلة الجليل (يمينًا) التي تحجب التلة الألمانية جزئيًا. وتشبه هذه الصورة الصورتين المنشورتين لدى: Preiß und Rohrbach, Palästina, Abb. 6 and 7، وتجد تتمة لهذه الصورة في اتجاه الجنوب في الصورة العاشرة المنشورة في العمل نفسه. الصورة تتعلق بالصفحات 116 وما يليها و192 وما يليها.



39 – تلة المعبد كما تصورها شيك

تتضمن الصورة الأنموذج المحفوظ في القدس الذي صممه مستشار العمارة المعمار الباحث شيك الذي توفي في عام 1901 في القدس. ويبين الأنموذج العلاقة بين الـ "حرم" القدسي والهيئة الأصلية للتلة الشرقية. ويتضح من الأنموذج أن المصطبة العليا وحدها التي تقوم عليها قبة الصخرة هي التي بُنيت على القمّة الأصلية للتلة. وبناء على ذلك، ربما يجب أن تُعَدّ أنها هي المكان الذي كان يقوم عليه الهيكل القديم. وإلى اليسار، على السفح الجنوبي، يقابل موقع المسجد "الأقصى" الموقع المفترض لقلعة الملك سليمان التي بنى فوقها هيرودوس البازيليكا الخاصة به، بعد أن وسع المكان في اتجاه الجنوب حتى بلغ مساحته الحالية. وإلى اليمين يُرى عند الزاوية الشمالية الغربية الحيز الذي أتاحته التلة لبناء قلعة أنطونيا على الجهة الأخرى من المكان الذي تضيق فيه قمة التلة نتيجة لوجود مخرج "وادي بيزاتا" نحو وادي قِدْرون. وهناك يجري "وادي المدينة" من تحت الزاوية الجنوبية الغربية للمكان، كما يتبين من يسار أعلى الصورة. تتعلق الصورة بالصفحة 114 وما يليها.

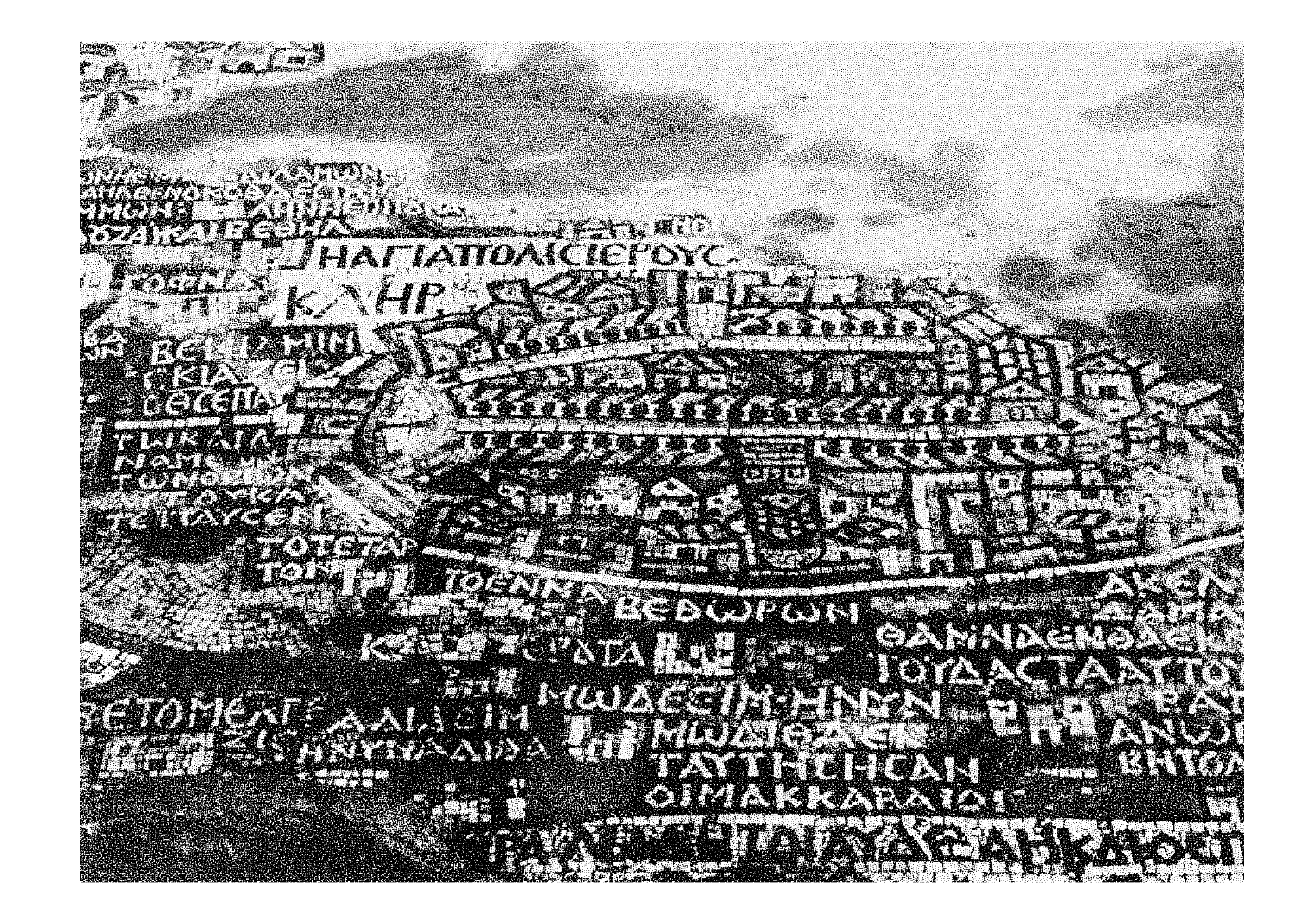


40 – القدس على فسيفساء مادبا (القرن السادس الميلادي)

صورة جديدة للخريطة لم يذكرها تومسن Thomsen, *ZDPV* 1929, pp. 152 ff. 219، (يُنظر: النسخة التي نسختها عن الأصل بالورق الشفاف في 7 نيسان/أبريل 1906، حيث وقعتُ على 30 خطأ في نسختها التي أعاد غوته نشرها عن نسخة بالمَر. ويُنظر: النسخة المصغَّرة للنسخة التي قمت بنسخها باستخدام ورق شفاف في: *Orte und Wege Jesu*[3], Abb. 2، وأشرت في هذا الكتاب إلى كثير من التفصيلات). ولا يظهر في هذه الصورة، للأسف، الطرف الأيمن للسور وأحد الأبراج. وكانت تتمة صورة المدينة من هذه الجهة قد دُمرت في عام 1906، وعوّضتها منها أرضية أسمنتية. ويظهر إلى يسار الصورة الباب الشمالي، ويظهر فيه عمود ربما كان العمود الميلي الأول الذي قاس المسافات على الطريق الرومانية. وفي المقدمة يظهر، بعد أربعة أبراج، الباب الغربي الذي وصفه تومسن (ص 200) بأنه يتمتع بأهمية قليلة، غير أن لا غنى عنه لحركة المواصلات غربًا وجنوبًا. ويُشاهد إلى جانبه من جهة اليمين برج داخل سور المدينة لا بد أن يكون برج داود. ويلي ذلك من جهة اليمين ثلاثة أبراج في سور المدينة، وبرج آخر في الاتجاه الغربي (لا يظهر في الصورة، يُنظر أعلاه)، يقف قبالة الباب الشرقي تمامًا، لكننا لا نعرف بأي من أبواب المدينة كان يتصل. ويوجد من الجهة الشرقية باب بنيامين (باب إستيفانوس) الذي تفصله عن الباب الشرقي ثلاثة أبراج، ثم يلي ذلك مباشرة الباب الذهبي من دون أن يفصله عما سبقه أي برج. أما تتمة صورة المدينة من جهة الجنوب، فقد دُمِّرت. أما سور أويدوكيا المفترَض أنه كان هنا، فيُعتقد أنه كان فيه باب جنوبي عند نهاية وادي المدينة. ويبعد أن يكون ضاع جزء كبير من التفصيلات الكثيرة في المخطط البيضوي المبسط لصورة المدينة؛ فربما كان في جهتها الجنوبية باب وثلاثة أو أربعة أبراج. ومن معالم المدينة المهمة الطريقان الرئيستان اللتان تبدآن من الباب الشمالي، أو بالأحرى من المكان الواقع تحت ذلك الباب. وفي أول الطريق الموغلة شرقًا باب صغير، وهي تتجه في أول الأمر في خط مائل، ثم تجري موازية الطريق الأخرى، وكان لها على طرفها الشرقي رواق معمَّد وسمَها من دون شك، بِسِمَة السوق. ولا ريب في أن هذه الطريق تقع

في المكان نفسه الذي تمتد فيه "طريق الوادي" في القدس اليوم. ويرى تومسن أنها كانت تنتهي بباب جانبي بعض الشيء، لكنني أشك في ذلك. أما في الطريق الغربية، التي تجري من الشمال إلى الجنوب، فيتجلى الباب الجنوبي الواقع ضمن صورة المدينة، والذي لا يمكن أن يكون باب صهيون إلى الغرب منه (بحسب تومسن، ص 202)، وإنما الباب الجنوبي الغربي القديم الذي نفترض أنه كان موجودًا على هذه الطريق في القدس الرومانية. ويغلب أن هذه الطريق الغربية التي تمتد من الشمال إلى الجنوب كانت هي نفسها السوق الرئيسة للمدينة، كما يُستدل على ذلك من الأروقة المعمدة التي كانت قائمة على جانبيها. وصوَّر مصمم الفسيفساء المكان الذي كانت تلتقي فيه الطريقان في أولهما عند الباب الشمالي (وهو ما لم يتنبه إليه تومسن)، وكان يمكن أن يقرّب المسافة بينهما لولا أنه كان ملزمًا ترك حيِّز لتصوير الرواق الأعلى للطريق الرئيسة. وعلى هذه الطريق الرئيسة يقع في اتجاه الغرب، قرب قبر يسوع، مبنى قسطنطين المكون من البازيلكيا والبهو الدائري. وعدا ذلك، ينبغي الإشارة إلى الطريق الواصلة بين "طريق الواد" وباب بنيامين في جهة الشرق، وهي الطريق التي تقابل "طريق باب سِتّنا مِرْيَم" التي ليس لها امتداد نحو الغرب أيضًا، والإشارة كذلك إلى الطريق الموجودة في داخل الباب الغربي التي تنعطف جنوبًا، والتي تقابل اليوم طريق دير الأرمن غير النافذة. ولم يشر مصمم الفسيفساء إلى أن الطريق المتجهة من الغرب إلى الشرق تمتد بما يتجاوز الطريق الرئيسة، وإن كان رَسَمَ على الطرف الآخر من الطريق، إلى اليمين قليلًا، بابًا يفضي إلى ما بعده، فيمكن أن تكون له فعلًا صلة بامتداد الطريق المتجهة من الغرب إلى الشرق الواقع إلى الجنوب قليلًا من هنا. غير أن مخطط الشوارع ليس واضحًا، ولا يتبين منه غير أن طريق الوادي تتحول هنا، على ما يبدو، إلى درج فسيح يهبط إلى كنيسة شِلوَّاح. وإذا ذكرنا المباني المهمة لموضوعنا هنا، فإن من أهمها من غير شك كنيسة القديسة حنة الواقعة إلى يسار باب بنيامين. ويمكن أن نفترض أن المبنى الصغير الواقع إلى يسارها هو كنيسة بيثيسدا. وترى عددًا من الكنائس محتشدًا عند الطرف الجنوبي للمدينة. والأرجح أن ذلك ناشئ عن أن واضع الخريطة افترض أن باب صهيون ومركز مدينة القدس في عهد المسيح كان موجودًا هناك. وأفترضُ أن البناء الموجود في أقصى اليمين هو قاعة فيض الروح

[الصعود]، وأن البازيليكا الكبيرة إلى اليسار، تحت كنيسة صهيون الملاصقة لمبنى القاعة المؤلّف من طبقتين، نجد إلى يسارها كنيسة بطرس، ثم كنيسة مريم التي بناها جوستنيان، وكنيسة صوفيا القديمة، التي يُعتقد أنها مقر بيلاطس. وخلا ذلك، فمن الأشياء المهمة (ημανει) Γηϑσ الجثمانية (جتسماني) الواقعة أمام باب بينامين قرب كنيسة صغيرة، وحقل دما الواقع في الجنوب الغربي وليس في الجنوب. أما الكنيسة مع النخلة الموجودة في أعلى الفسيفساء يسارًا، فتدل، بحسب النقش المكتوب فوقها، على بيت حجلة. وفوقها يبدو المكان الذي كان يوحنا يعمِّد فيه الناس عند مخاضة "حَجْلَة"، في ما يبدو. وتدل النخلة الأخرى الظاهرة في الصورة على أريحا التي تتبع لها العبَّارة المصوَّرَة فوقها إلى اليسار التي تقطع نهر الأردن، في منطقة الجسر الحالي في مخاضة "اِلغورانِيِّة". ويتبين أن الفسيفساء أخذت الطريق الشمالية في الاعتبار حين أُدرجت فيها بيت إيل وجفنة. وقد حشرت الفسيفساء موقع جَبعون (يسارًا عند طرف الفسيفساء) بين رامة والقدس. ويتبع الطريق الشمالية الغربية مواقع بيث حورون، وموديعين - موديثا، واللد - ديوسبوليس. أما عبارة τεταρτοντο فتشير، كما يبدو، إلى الحجر الميلي الرابع عند افتراق طريق بيت حورون عن الطريق الشمالية، في حين تشير το εννα(τον) إلى الحجر الميلي التاسع الذي يقع عند "خربة اللتاتين" [العجّانين] الواقعة على مسافة خمسة كيلومترات ونصف الكيلومتر من طريق بيت حورون العليا. ويتبع موقعا نيكوبوليس - عِمْواس، وجبيل للطريق الغربية (وهي غير ظاهرة في هذه الصورة)، ويتبع موقع تمنة المذكورة في سفر التكوين (12:38) طريقًا جنوبية غربية. كما تتبع الطريق الجنوبية بيت لحم وعين فيليبوس والخليل (غير ظاهرة). وتقع في المناطق الجبلية الغربية أدياثم - أديثا (في الأسفل يسارًا) وأنوب - بيت أونابا [بيت نوبا] يمينًا. تتعلق الصورة بالصفحات 72، و99، و233، و242 وما يليها، و247، و254 وما يليها.


ΗΑΓΙΑΠΟΛΙCΙΕΡΟΥC
ΚΛΗΡ
ΒΕΘΩΡΩΝ
ΙΟΥΔΑCΤΑΑΠΤΟ
ΜΩΔΕΕΙΜ Η ΝΥΝ
ΤΑΥΤΗCΗCΑΝ
ΟΙΜΑΚΚΑΒΑΙΟΙ

فهرس عام

ح

ش

ص

ض

telegram @soramnqraa

غ

ك

ن

ي

هذا الكتاب

عرفت مدينة القدس عالِمًا لاهوتيًا ألمانيًا كرس سنوات طويلة من عمره في دراسة المكان الفلسطيني، وتمكن من عقد صلة قوية بين الجغرافيا والآثار والإثنولوجيا والحياة اليومية للسكان؛ إنه غوستاف دالمان الذي صرف نحو عشرين سنة في البحث ودراسة المكان لا من خلال المصادر والمراجع، بل من خلال دراسة الثقافة الحية للناس، وأصدر في هذا الميدان كتاب **القدس ومحيطها الطبيعي** بعدما عاش في القدس، وتجول في فلسطين وسوريا طوال هذه الفترة. وبهذه المعرفة الدقيقة والتفصيلية تمكن من إعادة بناء المشهد الطبيعي للقدس. وهذا الكتاب كنز تاريخي وجغرافي واجتماعي وبصري عن القدس في مطلع القرن العشرين تعجز العين الثاقبة عن نقل مشاهد المدينة وتلالها وأوديتها وأسواقها وأبوابها وأسوارها ومعالمها إلى الواقع الحي. ويزخر هذا الكتاب بالمعلومات المهمة والدقيقة، ويُعدّ وثيقة ممتازة عن التحولات العمرانية والسكانية التي غمرت المدينة، الأمر الذي يُسهم إسهامًا قويًا في دحض الرواية الإسرائيلية عن تاريخ القدس، ويقدم شهادة علمية فائقة الأهمية على عروبة القدس وفلسطين قبل تأسيس الكيان الإسرائيلي، وينقض أعمال الآثاريين التوراتيين الذين فشلوا، في جميع الأحوال، في البرهان على صحة الروايات التوراتية عن القدس، ولا سيما حكاية هيكل سليمان.

المؤلف

غوستاف دالمان، لاهوتي لوثري ألماني وعالم آثار ومستعرب وخبير باللغات القديمة كالعربية والآرامية والعبرية واليونانية. ولد في سنة 1855، وجاء إلى القدس، أول مرة، في سنة 1899، ثم تسلم إدارة المعهد الإنجيلي الألماني للآثار القديمة في الأراضي المقدسة في سنة 1902. واستطاع خلال وجوده في القدس الذي امتد من 1899 إلى 1917، أن يجمع نحو خمسة آلاف كتاب عن فلسطين وسوريا، علاوة على خرائط كثيرة، ونحو خمسة عشر ألف صورة تاريخية عن فلسطين. ومع عودته إلى ألمانيا، تولى إدارة معهد أبحاث فلسطين في جامعة غرايفسفالد. نشر دالمان عددًا من الكتب المرجعية عن فلسطين منها **الديوان الفلسطيني** (1901) **ومئة صورة جوية ألمانية من فلسطين** (1925) وموسوعة **العمل والعادات والتقاليد في فلسطين** (ثمانية مجلدات)، فضلًا عن كتب أخرى عن الآرامية وعن اللهجات العربية في فلسطين، وتوفي في سنة 1941.

المترجم

عمر الغول، ولد في حي سلوان في القدس في عام 1959. درس في ألمانيا وتخصص باللغات القديمة، وحاز الماجستير ثم الدكتوراه في لغات الشرق القديم من جامعة توبنغن في سنة 1991. أستاذ اللغات القديمة في كلية الآثار والأنثروبولوجيا في جامعة اليرموك في الأردن، ومدير مكتبة الحسين بن طلال في الجامعة نفسها.



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies